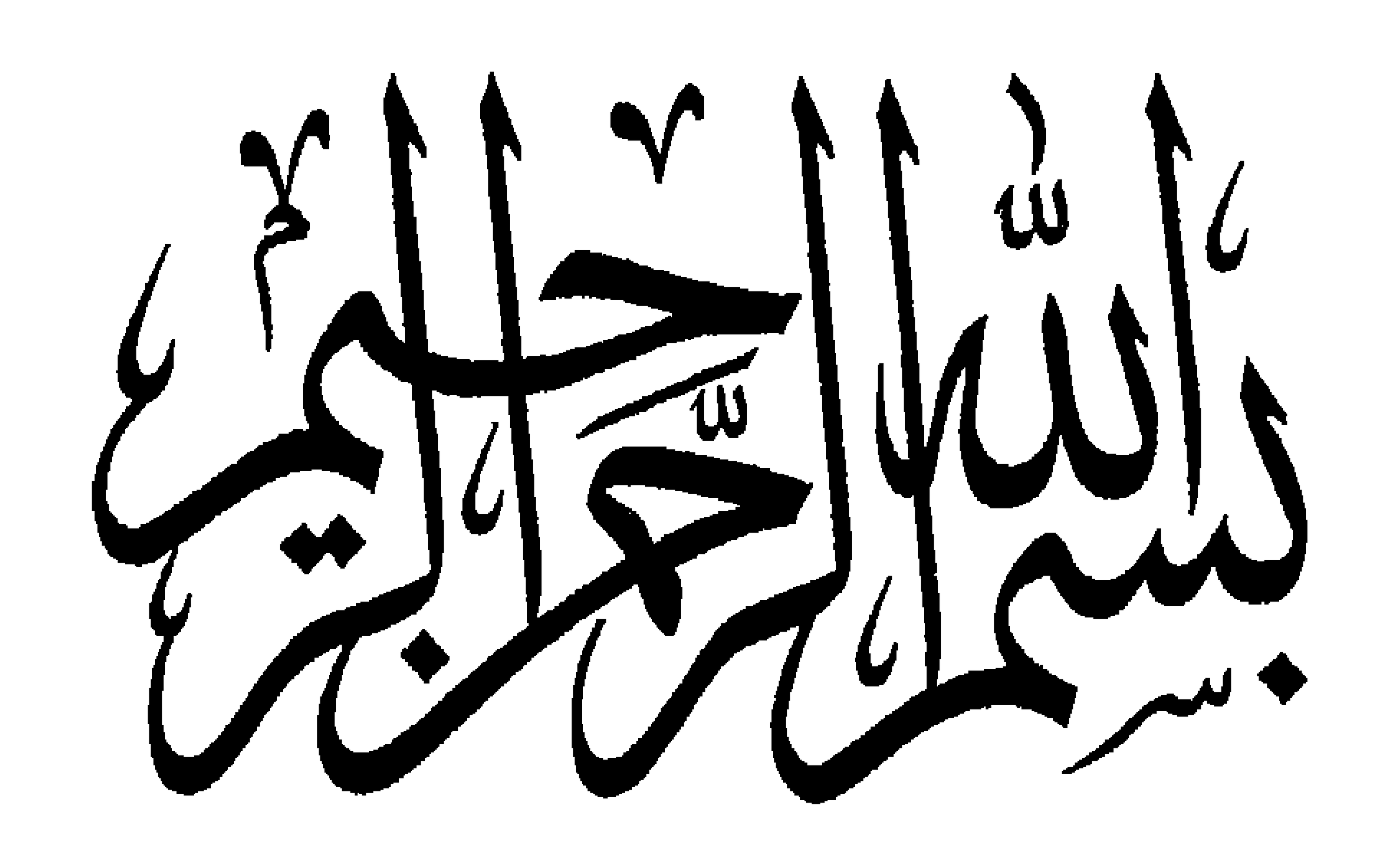
علم النفس

السلوك القيادي

هاني محمود الكايد



دار الراية للنشر والتوزيع



علم النفس السلوك القيادي

سيكلوجية ادارة مؤسسات الدولة

علم النفس السلوك القيادي
سيكلوجية ادارة مؤسسات الدولة

تأليف

الأستاذ هاني الكايد

الطبعة الأولى

2009م/ 1430هـ



المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2008/6/2111)

رقم التصنيف: 158,4

الكايد: هاني محمود

علم النفس السلوك القيادي: سيكولوجية إدارة مؤسسات الدولة

المؤلف ومن هو في حكمه:هاني محمود الكايد

بيانات الناشر: عمان- دار الراية للنشر والتوزيع،2009

عدد الصفحات (387)

ر.أ: (2008/6/2111)

الواصفات: /علم النفس السياسي //القيادة// إدارة السياسة/

ردمك: 978-9957-499-38-9 ISBN

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية.



شارع الجمعية العلمية الملكية - المبنى الاستثماري الأول للجامعة الأردنية

هاتف 5338656 (9626)

فاكس 5348656(9626) نقال 77241212 962 ص.ب 366

الجبيهية الرمز البريدي 11941 عمان- الأردن

E-mail: dar_alraya@yahoo.com

الفهـــرس

الموضـــوع	رقم الصفحة

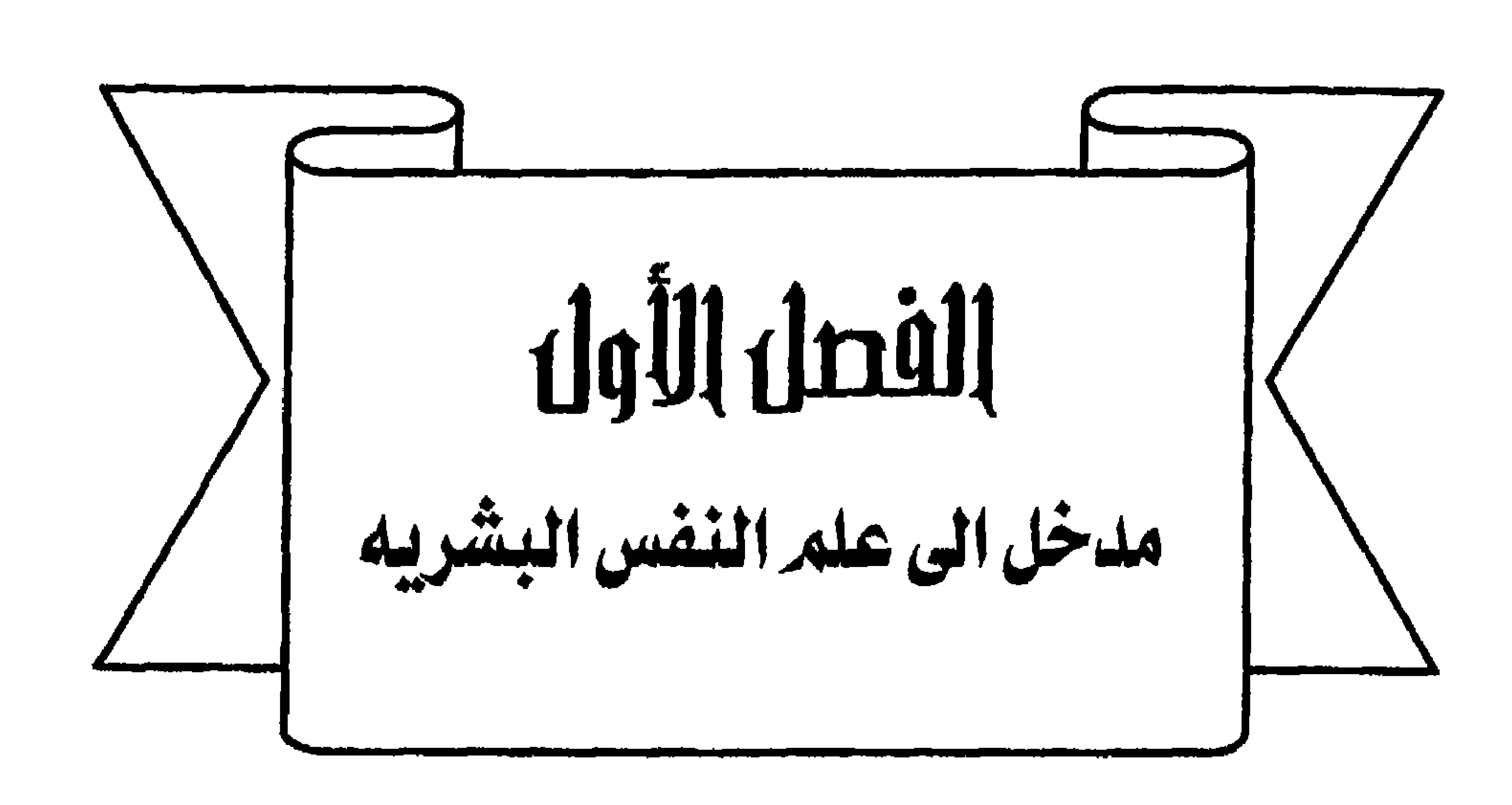
الفصل الأول: مدخل الى علم النفس البشريه

الفصل الثاني: سوء الأختيار والأنعكاسات النفسية على المجتمعات

الفصل الثالث: الاثار البيئية

الفصل الرابع: كذب الرؤساء

الفصل الخامس: اسرائيل الأبنة الأمريكية المدللة


الفصل الأول
مدخل الى علم النفس البشريه

مدخل الى علم النفس البشريه

من المنظور الديني

تميز الانسان عن باقي المخلوقات بما وهبه الله تعالى من عقل وادراك واحسن خلقه، ونستطيع الجرم ان تكوين الانسان الخلقي والعقلي هو الصوره الجماليه الكامله دون المخلوقات الأخرى جميعها، تأكيدا من قوله وخلقنا الانسان في احسن تقويم، يقاس عليها التكوين الخلقي، وقوله تعالى (انا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)، وهنا يقاس عليها التكوين العقلي والحسي والادراكي، ومنذ نشأة الانسان الأولى وقيامه على الارض، نشأ الصراع الفكري الادراكي والحسي مع الأشياء الظاهره، في حين ان الادراك والمعرفه لهذه الاشياء موروثه من أب الانسانيه آدم عليه السلام، فهو علم من الله تعالى دون سائر المخلوقات اسماء كل الاشياء بما فيها الغيبيات المسلمه التي نؤمن بها من جنة ونار وملآئكة واخرى غيبيه كثيره تأكيد من قوله تعالى (واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفه، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال اني اعلم ما لا تعلمون، وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت السميع العليم) صدق الله العظيم.

من هنا ندرك ان ادم عليه السلام علم من الله تعالى ما لم يعلمه الملائكه وهم اقرب مخلوقات الله اليه، بحسب التكليف الالهي لهم فمنهم من يطوف حول عرش الرحمن، ومنهم المكلف بقبض الارواح ومنهم المكلف بتبليغ الرسل رسالات الله اليهم، ومنهم المكلف بحفظ اعمال البشر وتدوينها بالصحائف، ومنهم المكلف بتسيير الرياح، وامور غيبيه كثيره، ،هذه الميزه للآنسان دون سائر المخلوقات، علم بها اب الانسانيه ادم عليه السلام كما ذكرنا من الله سبحانه وتعالى دون سائر البشريه من نسله،ثم ياتي الاكتساب، فسائر النسل لآدم واعني البشريه كلها، تكتسب المعرفه للاشياء وفق المحيط المتعايش، ولا تتجاوز حدود العقل، الا ما ندر وبحدود وبواسطة الوحي، وهم الرسل عليهم السلام، اذ يلد الانسان طفلا على الفطره، ويبدأ نموه الجسدي والعقلي وادراكه للأشياء وفق البيئة التي يعيشها ، والفطره كما جاءت في التفاسير هي الاسلام، اي الخير، واذا ما انحرف سلوك الفرد بعد بلوغه سن الرشد فان سلوكه مكتسب وليس من الفطره، والاكتساب يتأتي بوجوه عديده، اغلبها انعكاسي من الاسره وتصرفات الوالدين مع الابناء، والظروف النفسيه التي يعيشها الأبناء، والتي تنعكس ايضا بايجابياتها وسلبياتها على السلوك النفسي والوظيفي للفرد.

اذا ما علاقة النفس بالسلوك، دون سائر التكوين الخلقي للآنسان، وما علاقتها بالعقل، وانعكاس المكتسبات على السلوك الوظيفي واثرها في ظهور كثير من الامراض العقليه والعضويه احيانا. مما سلف يظهر الينا البنيه التكوينيه التي عظم الله وجودها في خلق الأنسان، وهي :-

- **الروح**
- **النفس**
- **الجسد**
- **ومن سائر الجسد (العقل)**

الـــروح

جاء في القران الكريم، ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليل و هي نفخة من المولى عز و جل اذ قال تعالى و نفخنا فيه من روحنا والروح كما ورد في المقاييس في اللغة - ابن فارس - روح الراء والواو والحاء أصل كبير مطّرد، يدل على سعة وفسحة واطّراد. وأصل ذلك كلّه الرّيح، وأصل الياء في الرّيح الواو، وإنما قلبت ياءً بكسرة ما قبلها. فالرّوح رُوح الإنسان، وإنما مشتق من الريح، وكذلك الباب كله، والرَّوح نسيم الرّيح، ويقال أراح الإنسان، إذا تنفّسَ و النفس البشرية ضمن قانون الجعل (الصيرورة) تحولت إلى نفس إنسانية وهو ماعبر عنه القرآن (بنفخة الروح) وهو التحول الذي أستمر ملايين السنين لحين توفر الشروط المادية والمعرفية للنفس البشرية في صيرورتها نفساً إنسانية وكان ذلك بداية مع آدم أبو الإنسانية وليس والدها أي البشر الذي تحول إلى إنسان باكتمال بناءه المادي والمعرفي (وبدأ خلق الإنسان من طين ثمَّ جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثمَّ سوَّاه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة، قليلاً ما تشكرون) لاحظ كيف يعمل قانون الجعل (التطور) =(ثمَّ جعل، ثمَّ سوّاه وجعل).

فما هي نفخة الروح، التي بها صار البشر إنساناً

نفخ: النون والفاء والخاء أصل صحيح يدل على انتفاخ وعلوّ، منه انتفخ الشيء انتفاخاً، ويقال انتفخ النهار : علا، ونفخة الربيع: إعشابه، لأن الأرض تربو فيه وتنتفخ، فإذا قرأنا النفخ على أساس العلو في الشيء أي إنه كان في مرتبة دنيا وأصبح في مرتبة أعلى تحقق المراد من النفخ، أما الروح والتي بواسطتها إنتقل الإنسان من مرحلته البشرية (الأدنى) إلى مرحلة الإنسان (الأعلى) فهي وحسب تعريف القرآن لها : من أمر ربي، فما هو أمر ربي ، يقول العلامة (انطلاق الرحبي) في الحوار المتمدن أمر: الهمزة والميم والراء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضد النهي، والأمر النّماء والبركة بفتح الميم، والمَعْلَم، والعَجَب، فأي واحد من الأصول الخمسة يعطي المعنى المطلوب، أقول الأصل الرابع المَعْلَم ، الأمارة العلامة، والأمار أمار الطريق معالمه، والأمر واليأمور العَلَم أيضا، فيكون معنى الروح: العلامة على الرب في هذا المخلوق

الذي أسمه الإنسان، وبتملكه لهذه العلامة أرتقع إلى منزلة عالية وهي النفخ، فنفخة الروح: هي العلامة الدالة على الرب والتي إرتفع فيها البشر إلى مقام الإنسانية الرفيع وهو هو مقام الخلافة في الأرض له سبحانه وتعالى، وهي هي المعرفة وهو مانقرأه في الآيات المرتلة أعلاه، وهي على مستويات عدّة كما النفس الإنسانية كذلك، ولها أدواتها المعرفية الخاصة أيضاً، وهي تخضع لقانون الجعل (الصيرورة) كما النفس الإنسانية ، أول ممارسة عملية كانت مع آدم كما يقرر القرآن وبها أنتج اللغة وأعطى للأشياء المشخصة أسماءها بعد تميزها (وعلّم آدم الأسماء كلها) من خلال الصوت المقطع (النبأ) فكانت أول عملية تجريد معرفي للوجود قام به الإنسان آدم بعد أنسنته، وهو تمييزه للأشياء المادية الخارجية بعضها عن بعض بتسميتها بواسطة المقطع الصوتي النبأ ، وبعد ذلك إنتاجه لمفهوم التوبة الممارسة الجنينية الأولى للنقد الذاتي، معرفة الخطأ في الممارسة أو التفكير والإقرار بذلك وتصحيحه، وهذا كله من آثار (نفخة الروح) وهي تمثل الميزة المعرفية الأصيلة التي وهبها الله للإنسان فنستطيع القول ، بشر + معرفة = إنسان أو بشر + نفخة الروح = إنسان، فكلا المعادلتين صحيح، أما كيف تكون للروح مستويات مختلفة وكيف تتطور فهو مانقرأه في الآيات المرتلة أعلاه حيث نجد هناك، الروح من أمر ربي، مطلق أمر، وبعد ذلك يفصل لنا القرآن عدّة مستويات للأمر : تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، دلالات ومعالم متعددة (من كل أمر)، والأخرى (بالروح من أمره)، والثالثة (الروح من أمره)، والرابعة (روح منه)، (وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه) ومستوى آخر (بروح القدس)، (نزله روح القدس)، ومستوى آخر (نزل به الروح الأمين)، (أوحينا اليك روحاً من أمرنا) ومستوى آخر (من روحي)، (من روحه)، (من روحنا)، (من روح الله)، (يوم يقوم الملائكة والروح صفاً) والأخيرة توضح علاقة التلازم بين الملائكة والروح وهي هي المعرفة التي تميز بها الإنسان عن باقي المخلوقات واستحق بها وسام الخلافة له سبحانه.فهل الفرق فرق كمي أم نوعي أو بمعنى آخر هل أن كل روح تحمل معلم محدد من الرب به يتحدد ويتميز جانب من الربوبية، الإثنين معاً وإلا لافرق معرفي بين أبناء يعقوب ويوسف ويعقوب نفسه، وبين عيسى وأمه والذين آمنوا، وبين محمد وبين أتباعه من المؤمنين. إذن هناك الروح العامة المشتركة بين بني الإنسان وهي التي ينتج بها المعرفة، وروح للمؤمنين ليثبت إيمانهم وروح للإنذار (النبوة)، وروح للإحياء(روح القدس)، وروح

للإخصاب، معالم متنوعة للربوبية وهو هو التميز المعرفي للقانون الكوني للخلق والذي تمثله الربوبية وهو ضرورة معرفية لإنتاج المعرفة نفسها فكما قررت في الحلقات السابقة حول التنزيل والإنزال عن ضرورة التمييز المعرفي للمستويات الوجودية لعملية الإنتاج المعرفي لها.

وهي عملية لاتتم إلاّ بأدواتها هي(وهي الروح) مسألة أخرى لاحظ أنه لاروح دون تميز وتمييز من قبل الوجود المعرفي للإنسان في مستواه الإنجذابي (الملائكة) أي لايمكن إنتاج معرفة حقيقية دون ذلك وهنا نفهم عدم ذكر الشيطان مع الروح، بل بالعكس قرأنا على لسان يعقوب تحذيره لإبناءه بعدم اليأس من روح الله وعزا ذلك أي اليأس إلى الكافرين وهو من الكفر = نكران الوجود الموضوعي والستر والتغطية.فهما النقيضان في بنية الوجود المعرفي للإنسان كما تقرر، فبالإنجذاب إلى الروح ننتج الحق وبالإنتباذ عنها ننتج الباطل

- ثم سواه ونفخ فيه من روحه.

- فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.

- تنزل الملائكة والروح فيها من كل أمر

- ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده.

- أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه

- وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا

- نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين

- قل نزله روح القدس من ربك ليثبت به الذين آمنوا

- وأيدناه بروح القدس

- ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا.

- ولاتيأسوا من روح الله إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون.

وفي الكتاب المقدس وردت :-

- قض 3:8 حينئذ ارتخت روحهم عنه
- مز 33:106 لأنهم أمروا روحه حتى فرّط بشفتيه
- أم 29:14 قصير الروح معلّي الحمق
- إش 24:29 ويعرف الضالو الأرواح
- حز 21:1 لأن روح الحيوانات (الكائنات الحية) كانت في البكرات
- مر 12:8 فتنهد بروحه
- أع 16:17 احتدت روحه فيه
- 1كو 11:2 لأن مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه
- دا 20:5 فلما ارتفع قلبه وقست روحه تجبراً
- يش 11:2 لم تبق بعد روح في إنسان (شجاعة)

النفـــس

وردت في كثير من الايات القرانيه وفي الكتاب المقدس والأحاديث القدسيه والاحاديث النبويه، منها ما ورد ذكرها اشاره الى النفس الطيبه، الآمنه، المطمأنه، الفاعله للخير، الآمره بالمعروف والناهيه عن المنكر، الصالحه، الطاهره، النفس الأماره بالسوء، النفس الخبيثه

- فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله) في قصة ابني آدم.
- (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي) في قصة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام.
- (قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي) سورة طه آية 96 قصة السامري.
- (قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) سورة القصص آية 16 في قصة موسى لما قتل رجلا.
- هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها
- وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع
- ماخلقكم ولابعثكم إلاَ كنفس واحدة
- ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون
- ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها
- فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
- بل الإنسان على نفسه بصيرة
- لقد استكبروا في أنفسهم وعتو عتواً كبيرا
- إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسه

- واخيرا قوله تعالي (يا ايتها النفس المطمئنه ارجعي الي ربك راضية مرضيه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) صدق الله العظيم،

ووردت النفس في الكتاب المقدس :-

- تك 8:34 شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم
- 1صم 1:18نفس يوناثان تعلقت بنفس داود
- مز 1:42 هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله
- مز 1:63 يا الله، إلهي عطشت إليك نفسي
- مز 2:84 تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديار الرب
- مز 20:119 انسحقت نفسي شوقاً إلى أحكامك
- نش 7:1 أخبرني يا مَن تحبه نفسي
- إش 9:26 بنفسي اشتهيتك في الليل
- لو 35:2 وأنتِ أيضاً يجوز في نفسك سيف
- لا 15:26 وإن.. وكرهت أنفسكم أحكامي
- صم 8:5 العرج والعمي المبغضين من نفس داود
- زك 8:11 وكرهتني أيضاً نفسهم وهي تشفق وتتحنن
- أي 25:30ألم تكتئب نفسي على المسكين
- وهي موطن الشهوات
- أي 13:23ونفسه تشتهي فيفعل
- مز 3:10لأن الشرير يفتخر بشهوات نفسه
- ابط 11:2 الشهوات الجسدية التي تحارب النفس
- بل هي موطن حتى مشتهيات الجسد

- مز 18:107 كرهت أنفسهم كل طعام

- أم 15:19 النفس المتراخية تجوع

- أم 25:25 مياه باردة لنفس عطشانة

- أم 7:27 النفس الشبعانة تدوس العسل

- إش 8:29 ونفسه مشتهية

- لو 19:12 يا نفس استريحي وكلي واشربي وافرحي

والنفس: هي مرحلة الإنسان السوّي والإنسان مدرك عاقل بالغ إذن النفس هي تعلق الروح بالإنسان السوّي وهذه النفس هي التي عليها كل التكاليف الشرعية بعكس مرحلة الأجنة فالجنين ليس عليه تكليف لأنه لا إدراك عنده و النفس هي المركب المادي الغير منظور و قال تعالي و نفس و ما سواها من نفس النون والفاء والسين أصل واحد يدل على خروج النسيم كيف كان، من الريح أو غيرها، وإليه يرجع فروعه منه التُّنفُّس، خروج النسيم من الجوف، ويضيف العلامة الرحبي (فكل نفس تتنفس فهي كائن حي وهي التي تموت) ، (والذي خلق الحياة والموت)، (كل نفس ذائقة الموت)، والنفس نفسان، نفس حية بشرية لاروح فيها وهي الوجود الموضوعي(البشر) ونفس نفخت فيها الروح وهي النفس الإنسانية الوجود الذاتي (الأنا)، وهي النقلة العظيمة التي تحول فيها البشر إلى إنسان بعد أن تجاوز مراحل التطور الطبيعية لتلك العملية (السيرورة والصيرورة) في وجوده المادي ككائن حي من الطبيعة المادية التي خلقها الله تعالى، ومن هنا نفهم إهتمام القرآن الكبير بها حيث تناولها من جميع الجوانب المادية والمعرفية ورصد عملية نشؤها وتطورها وتغيرها من خلال القوانين الطبيعية والمعرفية المحددة لها، فهناك مراتب ومستويات معرفية مختلفة للنفس الإنسانية فأدناها مرتبة ومستوى هي النفس الظالمة التي اختارت الظلم فتكون آثارها في الواقع الحياتي للناس الفساد أي تخريب الحياة على جميع الأصعدة، ونفس مكسورة ضعيفة وأخرى قوية تحب الخير وهو قول القرآن (فمنهم ظالم

لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) 32 فاطر، هذا على المستوى الإجتماعي أما على المستوى المعرفي فيطرح القرآن ثلاثة مستويات معرفية:-

المستوىالأدنى وهي النفس الأمارة بالسوء والثانية النفس اللوامة ومن ثم المستوى الأعلى التي يمكن أن تصله النفس في ارتقائها نحو الكمال وهي النفس المطمئنة، يبين لنا القرآن بالتحليل الدقيق لكُلِ مستوٍ من مستويات النفس وآثاره المعرفية والإجتماعية في الحياة الإنسانية والذي يحتاج إلى مجموعة إختصاصيين في علم النفس والإجتماع والألسن لتغطية كل ماجاء به القرآن من مفاهيم تخص النفس الإنسانية.

أما السوء فهو القبح، فتقول رجل أسوأ أي قبيح، وامرأة سوآء، أي قبيحة فمعنى الآية يكون النفس التي تأمر بالقبح من الأفعال والأفكار.

أما المستوى الثاني وهو متطور عن الأول فقد احترمه القرآن حيث قال بحقه (ولاأقسم بالنفس اللوامة)، فالقسم هنا اليمين واللوامة: من العتب والعذل، فمعنى ذلك في لغة الحاضر النقد الذاتي، أي أن تراجع نفسك فيما عملت أو قلت إن كان خطأ فتقر به وتعتذر منه. فالعرب تقول لُمتُهُ لَوْما، والرجل مَلُوم، والمُليم الذي يستحق اللّوم، فهي مرحلة متطورة في الجانب الإنساني حيث إستطاع الإنسان أن يكتشف خطأه ويعترف به أمام الآخرين وهنا كان السبق في ذلك للمرأة لإنها أول من مارس ذلك ، فهل نتعلم منها نقد أنفسنا أمام الناس لنجعل حياتنا أجمل وأسهل كما فعلت عاشقة يوسف علية الصلاة والسلام فبرأته فاستقامت الحياة وأصبحت أجمل وأحلى، وهنا يكشف القرآن عن تلك الممارسة المعرفية الجديدة في حياة الإنسان وعلى لسان المرأة لتكون درساً للناس في كيفية إكتشاف الخطأ ومعالجته بالإعتراف به أمام الناس وتجاوزه سلوكياً، أي أن يصبح النقد الذاتي سلوكاً معرفياً واجتماعياً للإنسان، فلا يكفي إكتشاف الخطأ والإعتراف به أمام الناس بل تجاوزه سلوكياً، وهو هو طريق الكمال المعرفي والإجتماعي للإنسان، وأول ممارسة نقدية مجردة بدأت مع آدم بعد تأنسنه وهي التوبة أي العودة إلى السلوك الصحيح بعد اكتشاف خطأ السلوك السابق وهي ميزة لايملكها إلا الإنسان وهي من مميزات النفس الإنسانية(الروح)،وهذا المستوى تحياه الشعوب الحرة في عالمنا المعاصر وأقول الحرة لعلاقة التلازم بين الإثنين

فلا نقد بدون حرية فالنفس الحرة هي التي تملك الشجاعة الإجتماعية والمعرفية لنقد ذاتها لإنها لاتخشى من أحد (نظام ظالم مستبد أو إنسان ظالم مستبد أو مستلب ضعيف) فالحرية توفر الشروط الموضوعية لعملية النقد لتصحيح الخطأ في السلوك أو الفكرة أو النظرية أو وسيلة الإنتاج إلى آخره، فمادام الإنسان يتطور ويتغير فهو معرض للخطأ فبالنقد تتطور المجتمعات نحو الأفضل وعلى هذا فصحيح من قال من لايعمل لايخطأ وإلاّ بطل النقد وهو ميزة أساسية للنفس الإنسانية ومعنى ذلك العودة إلى عالم الحيوان (البشر قبل الأنسنة = نفخة الروح)، وهنا أضطرني إلى قول الحقيقة المُرّة مرة أخرى إن مجتمعاتنا العربية والإسلامية لاتزال في المستوى المتدني الأول إجتماعياً ومعرفياً أي أن إنساننا مازال وجوداً موضوعياً لم يتحول إلى إنسان بالمعنى القرآني له. وهو هو سر وصف القرآن القاسي لهم (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلا)، وهذه كتلك ولاحول ولاقوة إلاّ بالله العلي العظيم، نعم إنها مسألة اختيار فنحن من اختار (الانقلاب على الاعقاب) مما أدى إلى تعطيل محور الصيرورة في البنية الإجتماعية والذي يعني تعطيل التطور الإجتماعي والمعرفي للناس فعادوا القهقري إلى عالم البشر المظلم (الذي يسفك الدماء ويفسد في الأرض) وهو ماعليه مجتمعاتنا العربية والإسلامية اليوم وإلى ماشاء ، مالم تبدأ عملية النقد لكل الأسس الإجتماعية والمعرفية السائدة في الواقع لتعيد إنتاج نفسها (الإنسانية) مما يفتح إمكانية عمل عامل الصيرورة في البنية الإجتماعية ومن ثم السير في خط التطور التاريخي من جديد،وإلاّ هو الموت المتجدد إن الكرة في ملعبنا نريد أو لانريد (إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم)، فهل نريد تغيير مابأنفسنا لتصبح نفوساً إنسانية.

أما المستوى الأعلى في سلم التطور للنفس الإنسانية وهومرحلة النفس المطمئنة وهو ماتنشده الإنسانية في خط تطورها التاريخي وهو هو السلام العالمي أي يوم يعم السلام العالم فلا حروب ولاسلاح نووي أو تقليدي ليحل الحوار النقدي البنّاء بين الشعوب وهو هو معنى (إدخلوا في السلم كافة)، وهو هو الحرية الإنسانية بأرقى أشكالها، فهذا المستوى لايزال فردياً أي أن مجموعة من الناس منفردين يمكن لهم أن يحققوا ذلك وهم ورثة الأنبياء والأدلاء(وقليل من عبادي الشكور)، أما الناس جميعاً فأمامهم مشوار طويل.

الجســد:

سائر الاعضاء بما فيها العقل، هو التركيب المادي المنظور و الذي خلقه المولى من طين من صلصال حسب نص الايه و خلقناكم من حماء من صلصال مسنون وهو جهاز وظيفي يؤدي كل عضو منه دوره الحركي المطلوب وفق ارادة العقل، و الجهاز العصبي هو الناقل لارادة الفعل من العقل .

فالعقل هو الجهاز الرئيس المحرك لمجموعة الحركات والافعال التي يقوم بها الجسد ، ويتأثر سلبا او ايجابا بارادة النفس،و النفس هي التي تحرك العقل ومن خلاله الجسم، وهي التي تتحمل نتائج أعمالها. وهي التي تكتسب السلوكيات مابعد الفطره، نتيجة الظروف الاسريه والمجتمعيه التي شبت وسط محيطها.

الدكتور حسن علي عبدالحميد يعرف الجسد والنفس والروح ان الجسد عبارة عن مطية تمتطيها النفس و الروح غير ان الروح جسم يضعف و يقوى و يصلح و يفسد و هو واسطة بين البدن و النفس - وفي مقدمة كتابه - التقنية النفسية- يقول الدكتور حسن علي عبد الحميد.

ومن خلال دراستنا في مجال النفس البشرية، طرحنا السؤال آلاتي على الأخ الأستاذ و الشيخ عطية صقر مفتي بشبكة إسلام اون لاين، و ذلك من خلال موقع الشبكة على الانترنيت بتاريخ 1421/12/21 و كان نص السؤال بسم الله الرحمن الرحيم، متى تدخل الروح إلى الجسد و إيضاح الدليل، و متى تدخل النفس إلى الجسد و إيضاح الدليل على ذلك، و ما هي العلاقة بين النفس و الروح، و كان جوابه بتاريخ 2001/3/11 على النحو التالى بسم الله الرحمن الرحيم، و الصلاة و السلام على رسول الله، و عليكم السلام و رحمة الله و بركاته و بعد تدخل الروح الجسم بعد مائة و عشرون يوما من بداية الحمل، كما جاء في الحديث الصحيح أن أحدكم ليجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يأتيه الملك فينفخ فيه الروح، الحديث، و إذا كانت النفس هي الروح فلا أشكال، و إذا كانت شيئاً أخر فالله اعلم بآمر دخولها الجسم، حيث لم يرد دليل على ذلك تقوم به حجة، و لذلك اختلف العلماء في تعيين حقيقة النفس و الروح و العلاقة

بينهما ، و الأفضل تفويض الأمر في ذلك لله ، و نستنتج من إجابة الشيخ عطية صقر الحقائق التالي:-

- أن الروح تدخل جسد الجنين و بنص الحديث الصحيح بعد مائة و عشرين يوم من بداية تخلقه.
- أن هناك اختلاف بين العلماء على العلاقة و الفارق، بين الروح و النفس.
- أما علماء العصر الحديث فانهم يفوضون الآمر لله عز وجل و عليه فأننا نرى بان هناك فارق بين المسميين، و لكل منهما دلالة على شئ مخالف للآخر.ونستشهد على ذلك بآلاتي ذكره.
- في الخطاب القرآني ليس هناك خطاب موجه من المولى عز و جل للروح، بينما يوجد مخاطبة للنفس البشرية ، و منها قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
- وليس هناك ما يفيد ان الروح تذوق الموت و يقول تعالى كل نفس ذائقة الموت و انما توفون اجوركم يوم القيمة فمن زحزح عن النار و ادخل الجنة فقد فاز و ما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
- أوقف آمر البحث عن الروح، لقوله تعالى و يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما اوتيتم من العلم الا قليلا ، بينما فتح باب البحث عن النفس و في النفس، لقوله تعالى و في انفسكم افلا تنظرون
- و قد و ردت لفظة الروح في آيات الذكر الحكيم، عدد أربعة و عشرين مرة، و وردت لفظة النفس، عدد مأتي و ثمانية و تسعون مرة.
- هناك اختلاف في وصف الخلق و تركيب عناصر الإنسان بين الروح و النفس، حيث قال تعالى ثم سوئه و نفخ فيه من روحه و جعل لكم السمع و الابصر و الافئدة قليلا ما تشكرون
- بينما ذكر في خلق النفس، قوله تعالى و نفس و ما سواها فالهمها فجورها و تقواها ، و هناك فرق بين النفخ و التسوية.

- دخول الروح، و حسب نصوص الأحاديث الصحيحة في هذا الشان بأنها تدخل في الشهر الرابع من الحمل بينما سوف نجد دخول النفس و بالدلائل القاطعة على انه يكون دخولها الجسد عند لحظة الميلاد

- ان الروح تقبض بواسطة الملك الموكل بذلك عند وفاة النفس، وموت الجسد، و ذلك حسب النصوص الصحيحة الواردة في هذا الشأن ، بينما النفس تتوفى و لا تقبض، و تكون رهينة للقبر، لتنال العذاب او الثواب داخل القبر، حتى ساعة حساب العالمين.

- لا يوجد ما يدل على ان الروح تنال العذاب، بينما العذاب للنفس، و نفترض ان الروح التي هي نفخة من المولى عز و جل لا مجال لتعذيبها فهي منه و ستعود إليه.

- يورد الذكر الحكيم حقيقة نفخ الروح بالنسبة للإنسان، و لا يوجد ما يفيد في القران او الأثر ان هناك كائنات حية أخرى تنفخ فيها الروح

- هناك من العلماء من اتفق مع هذه الطريقة التحليلية فقالت طائفة و هم آهل الأثر ان الروح غير النفس، و النفس غير الروح، و قوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد و الهوى و الشهوة و البلاء معجون فيها و لا عدو أعدي لأبن آدم من نفسه فالنفس لا تريد آلا الدنيا و لا تحب آلا إياها و الروح تدعو إلى الآخرة و تؤثرها، و جعل الهوى تبعاً للنفس و الشيطان نتبع النفس و الهوى و الملك مع العقل مع الروح و الله تعالى يمدهما بإلهامه و توفيقه

- و يذكر عن جعفر بن حرب قوله النفس عرض من اعرض يوجد في هذا الجسم و هو أحد الآلات التي يستعين بها الإنسان على الفعل كالصحة و السلامة و ما شبههما و أنها غير موصولة بشيء من صفات الجواهر و الأجسام.

- كما ان لفظة الروح لا تطلق على البدن لا بانفراده و لا مع النفس، و تطلق لفظة الروح على القران الذي اوحاه الله تعالى إلى رسوله قال تعالى و كذلك اوحينا إليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتب و لا الايمن و لكن جعلنه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا و انك لتهدي الى صراط مستقيم و على الوحي الذي يوحيه إلى أنبيائه و رسله، بينما لا تطلق لفظة نفس على ذلك.

- و من خلال قراءة النصوص الدالة على الروح و النفس، نستنتج بان الروح موضوع واحد لا يتغير، بينما للنفس صور و أشكال عدة، منها النفس المطمئنة، و النفس اللوامة، و النفس الأمارة و غيرها، كما أننا لا نستطيع قبول منطق تلفيقي يحدد بأن الفرق بين النفس و الروح فرق بالصفات لا فرق بالذات بل نؤكد على ضرورة تحديد المساحة التي لها قابلية البحث و التمحيص من تلك الأخرى التي لا طائل من وراء البحث فيها او ما ورائها.

- لا يحسن في اللغة العربية استعمال لفظةروح بدلاً من لفظة نفس و من ذلك قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام و اذ قال الله يعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس أتخذوني و امي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لي بحق ان قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي و لا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوم و لو صح استعمال كلا اللفظين كل منهما مكان الأخر لصح ان يقول عيسى عليه السلام تعلم ما في روحي و لا اعلم ما في روحك، باعتبار ان اللفظين يؤديان معنى واحد.

- ان الشهوة و اللهو و المتع و الملذات، أمور ذات علاقة مباشرة بالنفس البشرية، و من الدلائل على ذلك قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا و في الاخرة و لكم فيها ما تشتهي انفسكم و لكم فيها ما تدعون كذلك قوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها انتم و اباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن و ما تهوى الانفس و لقد جاءهم من رهم الهدى بينما لم يرد في الذكر الحكيم ما يفيدنا بان للروح علاقة بالهوى و الشهوات مما يؤكد ان هناك فرقاً، بين الروح و النفسُ، و على الجانب الأخر نرى ان هناك توضيحات متصلة بهذه المسألة، وهي أن عدم الفصل بين مسالة الروح و موضوع النفس، يوقع المفكرين في محظور، بين رغبتهم الأكيدة في استكشاف كنه الظواهر التي لازالت تحير ذهن الإنسان، و بين الأمر القطعي بعدم بحث مسألة الروح و ذلك قوله تعالىو يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي و ما اوتيتم من العلم الا قليلا فجاء في كتاب مفصل الإنسان روح لا جسج للدكتور رؤوف عبيد و حتى أولئك الذين يتذرعون بالآية الكريمة و يسألونك عن الروح..... يخونهم التوفيق، لأن كل

شيء في الوجود من أمر الله تعالى، فلا يمكن ان يمتنع البحث في كل شيء لأنه من أمر الله، ثم ان واحداً من الباحثين الروحيين لم يزعم ان الروح تأتمر بأمره، بل الكل على اتفاق في ان الروح تأتمر بأمر الله وحده، و الظواهر الروحية التي خضعت للتحقيق ظواهر تلقائيةSpontaneous ، و لم يزعم أي إنسان ان له سلطاناً عليها من قبيل سلطان العلم على المادة او الطاقة مثلاً و بالضبط يمكن الرد بان الظواهر طالما هي تلقائية فلا ضرورة لدراستها بيد ان التلقائية تنفي قدرة الإثبات فلا ضرورة لبحث مسالة الروح أساسا، بالإضافة إلى ان ما يورده الرأي السابق ما هو ألا قول توفيقي بين رغبة البحث المشروعة، و موضوع البحث الغير المشروح، و نقول ان الله عز و جل لم يطلب من الإنسان بحث مسالة الروح و لان الروح من أمره، و لان لا فائدة من بحثها كمسالة علمية، إذ لا علاقة بين الروح و بين أيا من تفاصيل حياة الإنسان . و يقيناً و عملاً بما امرنا به الله عز و جل عن وجوب البحث عن النفس البشرية، حيث قال تعالى و انفسكم افلا تبصرون ونرى في هذا الحث الإلهي، طريقاً نحو معرفة حقيقية، بحقيقة النفس البشرية، و ليتسنى لنا من خلال دراسة خصائصها، و طرق التعامل معها في الأطر السلوكية و الصحية، اكتشاف جوانب من عظمة الله عز و جل و إبداعه، في خلقه للمركب الإنساني.

ويعرف الدكتور حسن علي عبدالحميد بأن النفس البشرية عبارة عن كيان أثيري مادي كهر ومغناطيسي موجود بجلد الإنسان وفق نمط معين له امتداد بأعضاء الجسم الداخلية، و له تمركز وسط الصدر عند عظمة القص الفؤاد ،و يؤثر و يتأثر بكل ماديات الكون المحيطة به بواسطة مجاله الأثيري.

و يتضح ذلك جلياً من قوله تعالى و هو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر و مستودع قد فصلنا الايات لقوم يفقهون و قد فسر العلماء مفهومي مستقر و مستودع على النحو التالي:-

- قال عبد الله بن مسعود فلها مستقر في الرحم ومستودع في الأرض التي تموت فيها .
- عن سعيد بن جبير في قوله فمستقر ومستودع قال مستودعون ما كانوا في أصلاب الرجال فإذا قروا في أرحام النساء أو على ظهر الأرض أو فقد استقروا

تركيب مادة النفس

قال جعفر بن حرب النفس عرض من الأعراض يوجد في الجسم و هو أحد الآلات التي يستعين بها الإنسان على الفعل كالصحة و السلامةو هو بالتالي يحدد بداهية ان النفس جزء أصيل من أجزاء مركب الإنسان، كما يفسر القرطبي بان الله عز و جل يقصد بالتسوية أي سويت خلقه و صورته و نفخت فيه من روحي، النفخ أجراء الريح في الشيء ، و تحدد النصوص القرآنية طريقتين لتسوية الأنفس، إحداها ما يرد في قوله تعالى فاذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له سجدين أي إذا سويته بيدي و هذه طريقة لتسوية الأنفس،و الأخرى في قوله و نفس و ما سواها فالهمها فجورها و تقواها.

اذن قد بين بما لا يدع مجال للشك، الاختلاف بين نفس آدم آبو البشر آلتي سواها بيده و تحت ظروف تختلف عن ظروف تسويه انفس أبنائه، الذين نسبت تسوية أنفسهم إلى من تم التساؤل عنه بالحرف (ما) و الذي يستعمل في اللغة العربية كأداة استفهام عن الغير عاقل آي أن النص يستفهم عن شئ غير عاقل و سبحانه تعالى علواً كبيراً عن هذه الصفة،و على هذا الأساس تكون النفس مخيرة في تكوينها ، آي يكون على النفس الفاجرة فجورها و للنفس التقية تقواها ، الآمر الذي يلزم بالثواب و العقاب بقدر اختلاف الأنفس.

ويضيف الدكتور عبدالحميد - و مما يسهم في تفسير آيات الذكر الحكيم، الأبحاث التي قام بها العالم فرانز انطون ميسمر 1734- 1815 الذي مارس عمله كطبيب في فيينا ثم استقر في باريس، و قد وضع نظرية علاجية عرفت باسمه الطريقة الميسمرية ، وكان ميسمر يعتقد بوجود تيار كوني يسري بين الإنسان و الكون التي تجذب القطع المغنطة إلى بعضها، و الذي يدعى المغناطيسية المعدنية، غير انه استبدل ذلك بالنسبة للإنسان بالمغناطيسية الحيوانية، وقد عدل هذا المصطلح أخيرا إلى المغناطيسية البشرية.و تستند نظريته العلمية هذه على مجموعة من الاقتراحات التفسيرية لعلاقة النفس بالكون، و أهمها الاقتراح الأول و الذي ينص على يوجد تأثير متبادل بين الإجرام السماوية و الأرض و الأجسام الحية و يسمي هذا بالقانون الكوني آو قانون الجاذبية العام و هو يعتبر أن الأجسام الحية آي البشر و

الحيوانات خاضعة لهذا التأثير، آما في مقترحه السادس فأنه يؤكد علىانه بواسطة هذه العملية الأكثر عالمية التي تقدمها بالكون، و أهمها الاقتراح الأول و الذي ينص على وجود تأثير متبادل بين الأجرام السماوية و الأرض و الأجسام الحية و يسمي هذا بالقانون الكوني آو قانون الجاذبية العام و هو يعتبر أن الأجسام الحية أي البشر و الحيوانات خاضعة لهذا التأثير .

آما في مقترحه السادس فانه يؤكد على انه بواسطة هذه العملية الأكثر عالمية التي تقدمها الطبيعة لنا تحدث علاقات النشاط بين الأجرام السماوية و الأرض و الأجزاء التي تقدمها الطبيعة لنا تحدث علاقات النشاط بين الأجرام السماوية و الأرض و الأجزاء المكونة لها و هو يشير إلى المغناطيسية المتبادلة بين الأجرام و الأرض و ما عليها من مكونات و من بينها البشر،و باقتراحه الثامن الذي أوضح فيه أن الجسم الحيواني الذي يعاني من التأثيرات المتناوبة لهذا العامل ففي نفاذه إلى ماهية الأعصاب يحدث التأثير حالاً ، و هو في ذلك يصف سرعة هذا التأثير المباشر على الإنسان،و بما ان الحياه مادة و طاقة، و جسم الإنسان و جسم الحيوان مادة تمس و توزن، لكن بها طاقة خفية هي التي تخرج منها الحركة، و هي التي تجري التبدل و التحول الجثماني من هضم وامتصاص و دورة دم و دقات قلب، و حتى الفكر هو طاقة فأننا نقراء من خلال هذه المفاهيم التي تعتبر الأولى من نوعها في مجال دراسة المغناطيسية الحيوانية، أن هناك اعترافاً علمياً بمسألة التأثير و التأثر بالمجالات الطبيعية التي يحيا فيها الإنسان، و هناك أيضا علاقة تبادلية بين الإنسان كعنصر من عناصر الطبيعة، و بين الكواكب و غيرها من الظواهر الطبيعية الموجودة في الكون .

لذا نؤكد أن البنية الكونية، يحكم أسس ارتباطها وجود طاقة فاعلة و متفاعلة تسري في أجزائه يعبر عنها الدكتور احمد زكي بقوله هذا الكون مادة و طاقة - جسم و روح - و الطاقة كالروح أنها لا ترى و هي لا توزن و هي لا تذاق إنما تتقمص الأشياء، و الأشياء تدركها الأبصار و الطاقة لا يدركها بصر ، الطاقات هي المحرك الأول و الأخر، و هي البواطن لكل هذه الظواهر، أنها الأرواح لكل هذه الأبدان و اختلافنا معه ليس جوهرياً بل لا يتعدى سوى معرفة الحقيقة ذات العلاقة

باستخدامنا لفظة نفس مكان لفظة روح، و هي طاقة كهرومغناطيسية، و ما في ذلك شك عقلياً و تجريبياً.

و إذا قلنا ان الحياه تعلل المادة، فقد تبين ان كل ذرة من ذرات هذه الكون تملك درجة من الذكاء الفطري تمكنها من ان تعمل ما يعجز العقل البشري ان يتفهم أسلوبه و غاياته في الحيوان و النبات على حد سواء، و ذلك حتى اصبح الجسم الأثيري - فيما يبدو- من خصائص كل جسم مادي بحسب رأي بعض العلماء مثل ادنجتون A.Eddingtun على ما بيناه أنفا، لانه هو الذي يمسك ذرات المادة و هذه الطاقة الأصيلة في بنية الكون، هي ذاتها محور هذه الدراسة عن شكل وجودها في بناء الإنسان.

فمما تتكون النفس، نستطيع الإجابة عن ذلك بأن نقول بان النفس تتكون من مجال آو شفرات مغناطيسية و هذا المجال موجود أصلا و مرتبط بالموجات الأثيرية المنبعثة من عناصر الطبيعة المختلفة و بالتالى فأن التكوين النفسي تشترك فيه هذه العناصر بتأثيراتها المختلفة، الأمر الذي يعني أن هذه العناصر المشتركة في التكوين النفسي هي ذاتها مؤثرة على النفس البشرية للفرد الواحد ، و قد اعتنق البعض مذهباً يقول بوجود قوة أساسية في الكون موزعة على سائر عناصره الطبيعية و العضوية و هذه القوة تدعى برانا ياما، Prana Yama و يمكن التقاطها بالىوغا و الاستفادة منها ، و هناك نظرية الاسترسال و التي انتشرت في أوربا و الولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر و هم يقسمون الهالات إلى خمسة أنواع هي :-

1) هالة الصحة.
2) هالة التسليم.
3) هالة الحيــاة.
4) هالة الأخلاق
5) هالة الحياة الروحية.

و غالب أنصار هذه المذاهب يعتقدون أن الكائن الحي له جسدان الكيان المادي الذي يراه كل شخص و الكيان الثانوي الذي يمكن أن نطلق عليه كيان

الطاقة، و الذي يظهر من خلال جهاز كيرليان، و أن الجسد المادي يبدو و كأنه انعكاس لما يجري في كيان الطاقة كما تعكس المرآة صورة الشخص.

كما نجد انه من التقاليد التي رسخت في مصحات الأمراض العقلية، إلغاء إجازات العاملين بالمصحة و المشرفين عليها عند اكتمال البدر توقعاً لتأثير القمر على المرضى ، و قد ظل هذا الأمر، تحديداً رهن لتفسيرات تبريريه لربط العلاقة بين اكتمال البدر وحالات الهيجان النفسي آلتي تحدث للمرضى خلال تلك الفترة، إلى ان نشر المعهد الأمريكي لعلم طب المناخ تقريراً عن تأثير القمر على التصرف الإنساني، و يورد هذا التقرير ان الجرائم التي تحدث نتيجة للدوافع التخريبية القسرية آو نتيجة للغياب العقلي بالخمور مثلاً تصل دائماً إلى ذروتها عند اكتمال القمر.

و على الجانب الآخر نجد ان للشمس أيضا تأثيراتها غير أنها لا تكون على شكل حالات فردية، بل تخرج الى كونها حالات جماعية و شاملة. فتؤكد الأبحاث ان اخطر الأوبئةكالطاعون و الدفتيريا و الكوليرا و التيفوئيد و الحصبة الوبائية، تحدث فقط عندما تكون الشمس في أوج نشاطها الذي تحكمه دورة زمنية مدتها 11عام و بالإضافة إلى ان دراسة معدلات الحوادث المرورية أثبتت ان الحوادث تتزايد إلى أربعة أضعاف معدلها الطبيعي في إليوم التالى للانفجارات الشمسية ، و لعلنا ومن خلال تجاربنا الشخصية على مر الفصول الأربعة في العام الواحد و ما يكتنف أنفسنا من تقلب بتقلبها نستنتج تأثير المناخ الجوي على نفوسنا آو نفسيتنا، و يؤكد العالم ميشيل جاكلين الذي قام بدراسة إيقاع الكواكب و تأثيرها على البشر و الذي اختار 556 عضواً من الأكاديمية الفرنسية الطبية كموضوع لدراسته و قد اكتشف ان نسبة عالية جداً منهم ولدوا عندما كان المريخ و زحل قد ظهرا لتوهما عند الأفق17 و أراد ان يتثبت من هذه النتائج فأجرى تجربة أخرى على 50من الأطباء الشهيرين فوصل الى نفس النتيجة، و هكذا و للمرة الأولى في تاريخ العلم يظهر دليل قاطع على تأثير الكواكب على الحياه الإنسانية، على حياتنا، بل و استنتج من خلال دراسته حول مهن أخرى وجود نفس الارتباط المثير بين لحظة الميلاد و المهنة، فوجد أن مشاهير العلماء و الأطباء يولدون عندما يصعد المريخ فوق الأفق، بينما يندر أن يولد الفنانون و الموسيقيون و المصورون في أوقات توافق ذلك، آما القادة العسكريون و رجال السياسة

فيولدون في ظل شروق المشترى عند الأفق، بينما يندر ولادة العلماء في ذلك الوقت/ التقنية النفسية د. حسن عبدالحميد.

الدكتور عبد العزيز بن علي الغريب أستاذ مادة العلوم السلوكية والاجتماعية في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية الامام محمد بن سعود الاسلامية يصور لنا اقسام النفس

1) كسلوك

سلوك آلي - منعكس، غرزي - إرادي - غير إرادي – سلوكها - سلوك آلي – سلوك سلبي - سلوك اصلي - سلوك ينم عن حاجة ، وقد ورد السلوك في القران الكريم، حيث ورد الضمير بمفهوم القلب أو الفؤاد ، الذي يتعاون مع العقل لتلبية الغرائز الإنسانية، أو الدوافع الفطرية.

قال تعالى : ﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ صدق الله العظيم. وبدون الضمير الحي يصبح الإنسان في مهب الريح تسيطر عليه غرائزه وشهواته، ويتمثل الضمير الحي في أداء الواجبات وحق الله تعالى، ومن أقسام النفس في القران الكريم : النفس الشهوانية ;النفس اللوامة ;النفس المطمئنة.

2) من مميزات السلوك

- **الهدف المعين :** فلكل سلوك هدفه الخاص إذا كان سلوكاً سوياً رشيداً ، وهو إما لتحقيق فائدة أو تلاشي ضرر ما.
- **لكل سلوك سبب :** وهو عبارة عن تفاعل المؤثر وتفسير الفرد لهذا المؤثر، فتحدث استجابة معينة هي السلوك.
- لكل سلوك دوافع معينه تحرك الإنسان للقيام بها وهو رغبة أو حاجة في الإنسان
- **مثيرات ودوافع السلوك :** مفهوم الدافع، المثيرات الداخلية والخارجية، الحاجات النفسية (هرم ماسلو، الأمن، الحب ،الانتماء، لفت انتباه

الآخرين، الثقة، القبول ،الطباع ومكونات الشخصية وبخاصة مدى الاستقرار العاطفي والنفسي ومدى الانفتاح على الآخرين والشعور بالمسؤولية والقدرة وتوافق الشخص مع الآخرين والانفتاح على التجارب.

أهمية دراسة السلوك والحاجة إلى فهم السلوك :

- يساعد الفرد على فهم نفسه الذي يمكنه من اتخاذ القرار السليم لحياته.
- تهذيب الروح وتوصل الفرد للتوازن بين جوانبه الروحية والجوانب المادية.
- يدعم أمن الفرد واستقراره وطمأنينته.
- تزيد من مهارات الإنسان في فهم الناس وفهم الفروق الفردية بينهم.
- تساعد الفرد في إدراك العوامل المؤثرة في أنواع السلوك المختلفة. توصل الفرد إلى صحة نفسية سليم
- يدرك الفرد موقعه في الحياة والدور الذي يقوم به ويرسم لنفسه أهدافاً واقعية.
- تساعد الفرد في إقامة حياة أسرية سليمة.

تدعيم النشاط المهني للفرد، وتزيد من فرص نجاحه في العمل. وفي مجال العمل يحتاج معظم المتخصصين خاصة العاملين مع بشر أينما كانوا إلى معرفة ولو بسيطة عن السلوك ومن هذه الفئات المهنية : رجال القانون، رجال الإدارة، رجال الأمن، السياسة، الإعلام، التسويق، المكتبات، الطب بفروعه الرئيسة والمساندة، البائعين، الخدمة الاجتماعية، وقبل هؤلاء الآباء والمعلمون وغيرهم.

المدرسة السلوكية :

السلوك قديم منذ عصر ارسطو، وأفلاطون، ومن ابرز العلماء المؤسسين للعلوم السلوكية في العصر الحديث جون واسطون1878/1948 الذي تأثر بأعمال المؤسسين لعلم النفس وبخاصة ، داروين، بافلوف، ديكارت، المدرسة الألمانية، وكانت ترى أن السلوك هو ما يتم ملاحظته ومشاهدته. كما كان ماكس فيبر من

المؤثرين في الجوانب السلوكية والإنسانية في دراسة السلوك في بيئات العمل ونظريته عن البيروقراطية، ودوره في تأسيس علم الاجتماع التنظيمي. كما يعد هوجو مسنتربرج مؤسس علم النفس الصناعي وكتابه علم النفس والكفاءة الصناعية عام 1913م من المؤسسين لهذه المدرسة، إضافة إلى مدرسة العلاقات الإنسانية ، العلاقات التقليدية، العلاقات الكاريزمية، العلاقات الرشيدة ، وماسلو في نظريته عن الحاجات عام 1943م، ثم مدرسة أنماط القيادة ، النموذج السلطوي، النموذج الديمقراطي، النموذج المحايد .

فروع المدرسة السلوكية : كان من الصعب على التخصصات العلمية، أن تتضمن برامجها العلمية الكثير من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية وبخاصة المرتبطة بالسلوك، لذلك جاءت العلوم السلوكية بمثابة بديل يغطي الجوانب الرئيسة التي يحتاجها المهني في هذا التخصص أو ذاك عن السلوك ودوافعه وآثاره، وتتفرع العلوم السلوكية إلى الفروع التالية : -

1. **علم الاجتماع :** ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك : العمليات الاجتماعية، (التعاون، المنافسة، الصراع) ، النظم الاجتماعية (النظام الديني، النظام العائلي، النظام الاقتصادي، النظام السياسي، النظام التربوي)، العلاقات الإنسانية، التطبيع الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها.
2. **علم النفس :** ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك - التعلم، الدوافع والحاجات – الإدراك، القيادة، الجماعات.
3. **الانثربولوجيا :** ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك - الثقافة، الأعراق ، التراث، القيم والعادات.
4. **التربيـة :** ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك- نظام التربية، أهدافها، نماذجها، مكوناتها.

هـذا مـدخل لعلـم الـنفس مـن جانـب ديـني، اذ يتـبين وبجـلاء الفـرق بـين الـنفس والروح وليس كما يشاع ان النفس هي الـروح، والمرجـع الـديني هـو الاسـاس كمنطلق لكل من يحاول ان يبحث في علوم النفس السلوكي والوظيفي، والمرضي.

النشأة الفلسفية والعلمية

امـا مـن الجانـب العلمـي والفلسـفي فقـد ظهـر الاهتمـام بعلـوم الـنفس منـذ زمـن بعيد، وجاء اثر تعرض الانسـان لظواهر الاضـطراب النفسـي والاحـلام والكـوابيس، والقلق، والخوف غير المبرر، رغم المحاوله لأيجاد مبررات وتفسيرات لمثل هذه الظواهر، وغالبـا مـا ردت الـي سـيطرة الخـوارق، مثـل الاشـباح، والجـن، والارواح الشـريره، والعفاريت، وربما توافقت تلك التفسيرات مع ماكـان سـائدا مـن سيطرة بعـض الرسـل عليهم السلام على الجـن، مثل سيدنا سلميان عليـه السـلام، وبـروز قـوة الجـن وقدرتـه الخارقـه، وتناقـل النـاس لتلـك السـير، ايضـا تعزيـز هـذه السـير بمـا جـاء في الكتـب السـماويه، وذكرهـا لكرامـات الرسـل علـيهم السـلام وتميـزهم عـن سـائر البشـر بمـا وهبهم الله من علم وبما خصهم من معجزات، فقد خص سليمان عليه السلام بالسيطره على الجـن، والتكلم مـع سـائر المخلوقـات، انظر ماجـاء في الآيـات الكريمـة مـن سـورة النمل؛ بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل: 17 - 19

وخص سيدنا عيسـى عليـه السـلام بمعجـزة ان تكلم في المهد، وأحيـا المـوتي، واشـفى المرضـى، وخـص سـيدنا موسـى عليـه السـلام بمعجـزة السـحر، وقصـة العصـا المعروفـه الـتي وردت في كـل الكتـب السـماويه، وتلقيـه الخطـاب مـن الله تعـالى، في الوادي المقدس طوى، وخص سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم .

وعلـم الـنفس، هـو العلـم الـذي يقـوم علـى فهـم سـلوك الإنسـان الفـرد وسلوك الجماعة، ويحاول معرفة دوافع السلوك وما يتبعها من نشاط، ويحـاول

أن يفسر التشابه والاختلاف بين الأفراد فيما بينهم وهو ما يُعرف بالفروق الفردية بين بني الإنسان، فكل فرد منا نمط بذاته لا يتشابه مع من حوله إلا فيما ندر، حتى الأشقاء والتوائم المتشابهة، كلٌ له خصائصه وميزاته التي تختلف عن خصائص ومميزات الآخرين.

وهو العلم الذي يهتم بنمو الفرد وتطور سلوكه من خلال مظاهر واحتياجات النمو في مدارج العمر المختلفة منذ تخليق الجنين في رحم الأم وعند خروجه إلى الحياة بعد الميلاد وفي تعاقب العمر حتى أرذل العمر.. ومجالاته الرئيسية دراسة سلوك الإنسان من خلال:

- دراسة الاستعدادات والقدرات الخاصة في النواحي الجسمية والحركية والحسية والنفسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.
- الدوافع التي تحرك السلوك، سواء كانت دوافع نظرية أو وراثية أو أساسية أو مكتسبة أي ثانوية.
- التعامل القائم بين الإنسان وبين بيئته الاجتماعية، وما يصدر عنه من نتاج عقلي وتصرف واتجاهات ومشاعر وميول وسلوك أخلاقي وديني واجتماعي.
- ما يصدر عن الإنسان من نشاط عقلي يسيطر عليه الذكاء، والعمليات والأنشطة العقلية كالتفكير والفهم والإدراك والتذكير والتخيل والتصور والتعليم، وتباين القدرات والمهارات العقلية عند الإنسان، إذ أن البشر يختلفون في قدراتهم كالقدرة اللغوية والحسابية وغيرها، مثلما يختلفون في نسب الذكاء.
- ما يستشعره الإنسان من انتماءات وعواطف وانفعالات كالغضب والغيرة والخوف والحب والبغضاء، وما يترتب على ذلك من الصحة النفسية أو عدم توافرها.
- دراسة اتجاهات الأفراد نحو المجتمع بمقوماته البشرية والمادية، وما تؤثره الاتجاهات في الإدراك والتفكير، وسوية السلوك أو انحرافه، والعوامل المسببة لذلك، والأمراض المصاحبة أو التوافق في الحياة الاجتماعية.

ويتفق العلماء على تعريف علم النفس بأنه- العلم الذى يدرس سلوك الإنسان دراسةعلمية واعتبروا أن جذور المصطلح الإنجليزي لعلم النفس تأتي من موضوعين هما:-

الفلسفة والفسيولوجيا، وكلمة سيكولوجية (نفسية) تأتي من الكلمة اليونانية Psyche=engl.soul والتي تعني الروح وLogos وتعني دراسة العلم، وفي القرن السادس عشر كان معنى علم النفس العلم الذي يدرس الروح أو الذي يدرس العقل، وذلك للتمييز بين هذا الاصطلاح وعلم دراسة الجسد، ومنذ بداية القرن الثامن عشر زاد استعمال هذا الاصطلاح "سايكولوجية" وأصبح منتشرا.

و يعتبر علم النفس من العلوم الحديثة خرطي التي تم إنشاؤها وإدخالها لأول مرة في المختبرات في سنة1789م على يد عالم النفس الألماني وليم فونت، وقد استخدم فونت (Vont) طريقة الاستبطان أو التأمل الذاتي لحل المشكلات وكشف الخبرات الشعورية، وأطلق فونت على هذا العلم اسم (علم دراسة الخبرة الشعورية) وبذلك يعتبر فونت هو المؤسس الحقيقي لعلم النفس، وهو الذي قام باستقلالية هذا العلم عن الفلسفة.

وأسس وليم فونت المدرسة البنائية في علم النفس معتمدا على عملية الاستبطان التي قامت على التعرف على مشكلات الشخص عن طريق الشخص نفسه، ومساعدته في حل هذه المشكلات، وتصحيح رؤيته لها، فعلى سبيل المثال هناك من يعتقد أن الله خلقه ليعاقبه أو لتكون نهايته في الجحيم "النار"، وبناء على هذا الاعتقاد يتصرف بتمرد أو يأس أو يكون مضطهدا للمجتمع ومضادا له، فيتم استخدام طريقة الاستبطان مع هذا الشخص لتصحيح هذا الاعتقاد الخاطيء لديه، ولذلك طرق خاصه مخبرية علمية.

ولكن بعد ذلك جاء علماء آخرون انتقدوا طريقة فونت بالاستبطان، وقالوا إنها طريقة ذاتيه تعتمد على رأي الشخص نفسه ولا يمكن تعميمها، وكذلك تعتمد على رأي الباحث نفسه ورؤيته وحالته النفسية؛ فمن العلماء الذين انتقدوا المدرسة

البنائيه الأمريكي وليام جيمس، حيث ركز على وظائف الدماغ وتقسيماته، وماهي وظيفة أجزاء الدماغ، فمن وظائف الدماغ بشكل مختصر ومبسّط التفكير والإحساسات والانفعالات، حيث إن المنطقه الجبهية تتم فيها عمليات التفكير والتخيل والكلام والكتابة والحركة، وفي وسط الدماغ منطقة السمع وتفسير الإحساسات وإعطائها معنى، وفي المنطقة الخلفية للدماغ يقع الجهاز البصري، ووظيفته تفسير الإحساسات البصرية، وهناك منطقة تقع فوق الرقبه من الخلف مباشره تحتوي على المخيخ والنخاع المستطيل والوصلة، وهم مسؤولون عن توازن الجسم والتنفس وعمليات الهضم وضربات القلب والدوره الدموية ، وأطلق على هذه المدرسة اسم المدرسة الوظيفية .

ثم بعد ذلك ظهر انتقاد آخر للمدرستين قائلا، إن كان على علم النفس أن يكون علما صحيحا ومستقلا لايجب أن تتم دراسة ما لا يمكن رؤيته وغير ملموس وما كان افتراضيا، كالعقل والذكاء والتفكير، وذلك لأنها مجرد افتراضات لايمكن إثباتها علميا"، ومن العلماء المنتقدين للوظيفية الأمريكي جون واطسون الذي قال،يجب دراسة السلوك الظاهر للإنسان أي ماهو ملموس ويمكن رؤيته، وتطور بذلك علم النفس كثيرا بعد ظهور هذه المدرسة وهي المدرسة السلوكية، ومن رواد هذه المدرسة عالم النفس الشهير الروسي بافلوف، مؤسس نظرية التعلم الذي أجرى اختبارات مخبرية؛ فقد لاحظ بافلوف أن سيلان لعاب الكلب يرتبط بتقديم الطعام له، فقام بتجربه والمتمثلة في قرع جرس قبل تقديم الطعام، ثم يلحقها بالإطعام فيسيل اللعاب، وبعد تكرار هذه التجربه بدأ يسيل لعاب الكلب لمجرد سماع الجرس دون تقديم الطعام وهذا ما أطلق عليه تعلم شرطي.

ويعتبر الإنسان هو محور الاهتمام في علم النفس، فمنذ أن سخر الله له الأرضوما عليها من أنعام، ونعم دأب في سلوكه للسعى في مناكبها.

علم النفس النظري والتطبيقي

وعلم النفس يقوم على دعامتين أساسيتين نظرية وتطبيقية ، وكل منهما تتفرع عنها عناوين مختلفة.

1) **علم النفس النظري:** لا يهدف هذا العلم الى حل مشكلة عملية، بل الى العلم لمجرد العلم ، اي الى كشف مجرد الكشف عن المبادىء والقوانين والتي تهيمن على السلوك وتشمل:

- **علم النفس العام :** وهو أساس جميع الفروع الأخرى ، فهو يقوم على الكشف عن المبادىء والقوانين التي تفسر سلوك الانسان الراشد السوي بوجه عام .
- **علم النفس الفارق** :يبين كيفية اختلاف الأفراد والجماعات في الموهبة . والشخصية والذكاء والسلوك والخُلُق والطباع.
- **علم النفس الإرتقائي :** يدرس مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الفرد في حياته والخصائص النفسية لكل مرحلة ،والمبادىء العامة التي تصف مسيرة هذا النمو، ومن فروعه: 1. سيكولوجية مرحلة الرضاعة

2. سيكولوجية الطفل
3. سيكولوجية المراهقة
4. سيكولوجية فترة الرشد
5. وسيكولوجية الشيخوخة .

- **علم النفس الاجتماعي :** من موضوعاته ، المعايير الاجتماعية ،السلوك، اللغة والاتصال . يدرس سلو ك الافراد والجماعات وهم تحت تأثير المواقف الإجتماعية المختلفة، وهو يختلف تماما عن علم الاجتماع .
- **علم نفس الشذوذ:** يبحث في نشأة الامراض النفسية والعقلية والجرائم وأسبابها المختلفة مع محاولة وضع أسس لعلاجها .

- **علم نفس الحيوان :** يبحث في سلوك الحيوانات المختلفة ، محاولا إيجاد الإجابات للعديد من الاسئلة مثل : هل تفكر الحيوانات أو بعضها مامدى قدرتها على التذكر ، هل يختلف ذكاؤها عن ذكاء الانسان في الدرجة أم في النوع.

- **علم النفس المقارن :** وهو مقارنة سلوك الانسان بسلوك الحيوان ، وسلوك الطفل بسلوك الراشد ، وسلوك الانسان البدائي بسلوك الانسان المتحضر ، وسلوك الإنسان السوي بسلوك الانسان الشاذ وغيرها الكثير من السلوكيات .

2) **علم النفس التطبيقي :** و يهدف إلى حل مشكلات عملية وتشمل.

- **علم النفس التربوي :** ومن موضوعاته التوافق الدراسي ، التوجيه والإرشاد المدرسي ، طرق التدريس . ويستهدف معونة المعلّم على الافادة من مبادىء علم النفس وقوانينه في حل المشكلات التعليمية التي تعرض له ، وفي تكييف عملية التعلم وفق مبادىء التعلم وقوانينه .

- **علم النفس التجاري :** يهتم بدراسة دوافع الشراء وحاجات المستهليكين غير المشبعة ،ويهتم بطرق تأثير البائع في المشتري ، فضلا عن اهتمامه بسيكولوجية الاعلان .

- **علم النفس الصناعي :** يستهدف رفع مستوى الكفاية الانتاجية للعامل وذلك عن طريق حل المشاكل المختلفة التي يتعرض لها ميدان الصناعة والانتاج ، حلا عمليا إنسانيا يقوم على مبادىء علم النفس ومفاهيمه .

- **علم النفس الجنائي :** يدرس العوامل والدوافع المختلفة التي تتضافر على احداث الجريمة ، ويقترح انجح الوسائل لعقاب المجرم أو علاجه او إصلاحه .

- **علم النفس القضائي :** يدرس العوامل النفسية الشعورية واللاشعورية التي يُحتمل أن يكون لها اثر في كل من يشترك في الدعوى الجنائية : القاضي والمتهم والدفلع والمجني عليه والشاهد والجمهور . فهو يبحث في الظروف والعوامل التي تؤثر في القاضي من حيث تقديره للأدلة واستنتاجه وحكمه وتقديره

للعقوبة .كذلك يبحث في العوامل التي تحمل المتهم أو الدفاع على إخفاءالحقيقة .

- **علم النفس الحربي** : تستعين الجيوش الحديثة بخبراء نفسيين لوضعكل جندي في المكان المناسب وسمات شخصيته وطبيعته ، كما تستعين بهم لمقاومة أثرالحرب النفسيه وكيفية مواجهة المفاجآت والتغلب على القلق خلال توقع الهجوم .

- **علم النفس الكلينيكي**: ومن موضوعاته، التشخيص ، العلاج النفسي ،التخلف العقلي ، اضطرابات اللغة .يتعاون السيكولوجي الكلينيكي مع الطبيب النفسي فيتشخيص الامراض النفسية والأمراض العقلية وعلاجها ، ويدرس تحليل وتقدير ما لدىالمريض من قدرات عقلية وسمات خلقية وذكاء وأعراض مرضية كمستوى القلق والاكتئابوالوساوس ، إلى ما هناك من الاعراض التي لو اضيفت إلى الفحص الجسدي للفرد لأعطتصورة واضحة عنه تساعد في علاجه .

- **علم النفس الارشادي** : يستهدف مساعدةالإسوياء من الناس على حل مشاكلهم بأنفسهم في مجالات عديدة تعليمية ، مهنية ، أسرية، اجتماعية ، جنسية وغيرها مما لا يدخل في نطاق الامراض النفسية والعقلية وذلكبتوجيه النصائح لهم أو تشجيعهم على الافصاح عن متاعبهم وانفعالاتهم .

- **علم النفس القياسي** : وهي كيفية استخدام طرق خاصة لقياس بعض مظاهر السلوك الانفعاليوالاجتماعي.

- **علم النفس البيئى**- يهتم هذا الفرع الحديث نسبياً بالعلاقة المتبادلة بين الإنسان والبيئة الفيزيائية ، و يدرس السلوك الإنسانى فى السياق البيئى العام أى يدرس علاقةالوظائف النفسية بالعوامل البيئية مما يساعد على تقديم حلول المشكلات النفسية والإجتماعية الناجمة عن ظروف البيئة الفيزيائية .

■ **علم النفس الفني :** يدرس العوامل النفسية التي تؤثر على الإنتاج الفني للأدباء والفنانين .

■ **علم النفس السياسي :** يدرس العوامل النفسية التي تدفع الناس لاعتناق بعض المبادئ السياسية ، أو تدفعهم لتفضيل بعض المرشحين في الانتخابات.

الدكتور بدر الدين عامود في كتابه – علم النفس في القرن العشرين قال، إن الحديث عن الفكر السيكولوجي بدءاً من الفلسفة اليونانية لا يعني مطلقاً أنَّ الفلسفات التي سبقتها لم تعن بهذا الجانب المعرفي، بل إنها حملت الكثير من الآراء والملاحظات التي عكست اهتمام أصحابها بطبيعة الإنسان ونشاطه النفسي، على الرغم من الطابع الميتافيزيائي لها ، ولقد أثرت هذه الفلسفات على التطور الذي عرفه الفكر الفلسفي في بلاد اليونان، ويشير مؤرخو الفلسفة ، مثلاً، إلى بصمات الفلسفة المصرية الواضحة على تعاليم الفلاسفة اليونانيين، وخاصة تاليس الذي يعتبر مؤسس الفلسفة القديمة.

تنسب إلى تاليس 640- 547 ق. م الحكمة المشهورة اعرف نفسك التي أصبحت المبدأ الرئيسي الذي اعتمد عليه سقراط في تعاليمه، وتقدم مدلولات هذه الحكمة الدليل الواضح على محاولة حكماء تلك الحقبة فهم السلوك الإنساني ومكانة الإنسان في هذا الكون.

ذلك لأن وجود الإنسان وأصله ومآله كانت إحدى المشكلات التي حاول تاليس البحث فيها ومعالجتها ، فقد رأى أن الإنسان كائن يتألف من عنصرين رئيسيين متناقضين، الجسد أو البدن من جهة ، والنفس أو الروح من جهة ثانية. ويشاطر فيثاغورس 578- 450 ق. م وأتباعه تاليس نظرته إلى العلاقة بين الجسم والنفس كجوهرين لا صلة لأحدهما بالآخر من حيث أصله وطبيعته. ويقول فيثاغورس بإمكانية انتقال الروح من إنسان إلى آخر، أو إلى أي كائن حي بعد الموت، وهذا ما يعرف بتناسخ الأرواح. وقد لاقت هذه الفكرة صدى إيجابياً لدى بعض الفلاسفة اليونانيين، كما وجدت طريقها إلى معتقدات عدد من المذاهب الدينية المختلفة في مراحل متأخرة من التاريخ العالمي .ويذهب بعض المؤرخين إلى أن فيثاغورس لم يكن

أول من طرح هذه الفكرة، وإنما نقلها عن الفلسفتين القديمتين: المصرية والهندية. ثم جاء الفيلسوف سقراط470- 399ق. م (ليطوّر نظرة تاليس إلى الإنسان، معلناً أن الجوهر الأول، أي النفس العاقلة أو الروح، هو جزء من العقل الكلي أو الروح الإلهية، أما البدن فيتألف من عناصر العالم المحسوس(الماء والتراب والنار والهواء) وبما أن النفس الإنسانية هي جزء من الروح الإلهية التي تسيطر على الظواهر والحوادث والأشياء الكونية، فإنَّ بإمكان الإنسان السيطرة على بدنه والتحكم برغباته وشهواته.

اما الشعار الذي رفعه سقراط "اعرف نفسك بنفسك"،ان معرفة الإنسان لذاته تتوقف، سقراط، على الارتداد أو الرجوع إلى النفس وتأملها والوقوف على ما هو مشترك بينها وبين الروح الإلهية، أي بين الإنسان وبين الله.

وانطلاقاً من طبيعة كل من الجوهرين(النفس والبدن) يعتقد سقراط أن للنفس القدرة على البقاء بذاتها والخلود بعد مفارقتها الجسد، ما دامت تستمد حركتها من ذاتها، أي من الروح الإلهية. وهي على العكس من الجسد الذي يفنى لأنه يستمد حركته من الخارج.

وتأثر أفلاطون(427- 347 ق.م) بأستاذه شقراط إلى حد كبير،وهذا ما يظهر بجلاء عبر نظرته إلى طبيعة الروح والجسد ومصير كل منهما، والبرهنة على خلود الروح،بالنسبة له تكون عن طريق المعرفة ذاتها، إذ من غير الممكن في رأيه تقديم تفسير صحيح وكامل للمعرفة من غير أن تتأمل الروح المثل التي تنتمي إليها قبل أن تحل في البدن. وهنا يطرح أفلاطون نظريته في المعرفة.

فالمعرفة الحقة تتم في اعتقاد أفلاطون عن طريق عملية التذكر التي يقوم بها الإنسان أثناء نشاطه الحياتي لما كانت النفس قد تمثلته قبل هبوطها إلى الأرض، فما ينتاب الإنسان من مشاعر وأحاسيس خلال مراحل حياته، وما يدركه من حوادث وأشياء وعلاقات على هذه الأرض، ما هو إلا الانطباعات والصور التي حملتها الروح معها من عالم المثل.

ويجد أفلاطون أن النشاط النفسي الدائم هو دليل خلود الروح. فالروح لا تعرف السكون، ولا تكف عن الحركة لأنها تستمد هذه الحركة من ذاتها، وهي فوق ذلك، منزهة عن الموت باعتبارها مبدأ كل حركة، ولما كان هذا شأنها، فهي تشبه المثل المطلقة الخالدة، خلافاً للجسد الذي ينتمي إلى العالم المحسوس ويتركب من العناصر الفانية.

ويضيف - وعلى هذا فالإنسان كما يراه أفلاطون نفس وبدن، ويعتبر الارتباط بينهما ضرباً من تلاقي الأضداد واجتماعها، فالبدن يحول دون المعرفة الحقيقية لما يثيره من فوضى وتشويش في العمليات المعرفية، أما النفس فهي عقل خالص يتأمل جوهر الأشياء ويدرك كنهها. ولكنها تتعرض للعديد من المصاعب والضلالات حين يجرها البدن نحو الأشياء المحسوسة وتلبية الرغبات والشهوات الجسدية(الكهف الأفلاطوني).

وبما أن النفس كانت تعيش في عالم القيم السامية والمثل الرفيعة، ثم هبطت إلى عالم الفناء والتفسخ والفساد عقاباً لها، فإنها تتميز بعد اتحادها بالجسد عن النفس في ذاتها، أي قبل اتحادها به، إذ تتحول عندئذ إلى جسدية على نحو ما، وتبعاً لنسبة هذا التحول تتحدد قدرتها على معرفة الحقيقة وتجاوز الرغبات والشهوات واللذات الجسدية، وهذا ما حدا بأفلاطون إلى تقسيم النفس إلى ثلاثة أقسام:

1) الحكمة، ومركزها الرأس، وهي أعلى أقسام النفس مرتبة وأرقاها منزلة.

2) الشهوة، ومركزها البطن، وهي أدنى مراتب النفس وأحطها.

3) الشجاعة، ومركزها القلب، وهي تشغل الموقع الوسط بين الحكمة والشهوة.

ويرى أفلاطون أنَّ هذه الأقسام توجد عند الناس بأشكالٍ متباينة ودرجاتٍ متفاوتة، فقد تتغلب الحكمة على الشجاعة والشهوة عند البعض، في حين تسود الشهوة على الحكمة والشجاعة عند البعض الآخر، أو الشجاعة على الحكمة والشهوة عند الفئة الثالثة.

ويربط أفلاطون بين هذه الأقسام والانتماء الاجتماعي والطبقي للناس، فيجد أن المجتمع يتألف من ثلاث طبقات، تضمّ أولاها الحكام والفلاسفة الذين تسيطر

الحكمة على أفعالهم وسلوكياتهم. وينتمي إلى الثانية منها العبيد والحرفيون وعامة الناس، ويتّسم هؤلاء بغلبة الشهوة على القسمين الآخرين، أما الطبقة الثالثة فتشمل القادة العسكريين والجند والمقاتلين، ويطغى جانب الشجاعة لديهم على سواه.

وهنا يتجلى الموقف الطبقي لأفلاطون وانحيازه إلى الطبقة(الأرستقراطية) الحاكمة، باعتبارها الطبقة المختارة التي أعطيت من النفس أرقى أجزائها وأسمى جوانبها، ووهبت أفضل القدرات العقلية لتتمكن –حسب زعمه- من تدبير أمور البلاد وتنظيم شؤون المجتمع، أما العبيد والحرفيون والعامة من الناس والفلاحون فقد خلقوا للعمل من أجل الطبقة الحاكمة والجيش وسخروا من أجل خدمتهم.

إن موقف أفلاطون الطبقي ينعكس في آرائه التربوية، فقد اقترح إقامة بيوت عامة تتولى رعاية الأطفال منذ ولادتهم وحتى السابعة من العمر، ويشرف على تسييرها أناس مدربون ومختصون ومن ثم يجب أن يلتحق هؤلاء الأطفال بالمدرسة ليتلقوا فيها مختلف أنواع المعرفة.

ويظل حالهم هكذا حتى يبلغوا العشرين من العمر، فمن يظهر منهم ميلاً نحو الحكمة ينبغي على الدولة تشجيعه وتوفير الشروط اللازمة لتلقي العلوم من أجل أن يصبح قادراً على الإسهام في تسيير شؤون الدولة بعد الثلاثين من العمر، بينما يتوجب على من تبقى من الشباب بعد العشرين أن يلتحق بالجيش.

وعندما يتحدث أفلاطون عن تربية الأطفال ورعايتهم وإعدادهم، فإنه لا يعني سوى أبناء الطبقة الغنيّة في المجتمع، أما أبناء العبيد والسواد الأعظم من الشعب فلم يكونوا موضوع اهتمامه وحديثه عن التربية والتعليم.

جاء أرسطو(384- 322 ق. م) بعد ذلك وحاول تذليل الثنائية التي قال بها سابقوه.

ولعلّ المعطيات المتقدمة نسبياً في مجال الطب وعلم الأحياء يومذاك من ناحية، وملاحظاته العلمية التي قام بها أثناء مرافقته للقائد اليوناني الإسكندر المكدوني في حملاته العسكرية من ناحية ثانية مكنته من إدراك الكثير من الظواهر الطبيعية والحيوية والإنسانية، والانطلاق من الأسس العلمية في وصفها

وتفسيرها، ويعتبر كتابه(في النفس) دليلاً على أن علم النفس قد صار حتى ذلك الحين ميداناً متميزاً إلى حدٍّ لا بأس به من ميادين المعرفة.

لقد وجد المعلم الأول أن ثمة علاقة بين الصفات والخصائص التي تتمتع بها النباتات والحيوانات من جهة، والشروط الطبيعية المحيطة بها من جهة ثانية، فهناك تباين بين الكائنات الحية التي تعيش في الجبال ونظيراتها التي تعيش في السهول، وبين هذه وتلك ومثيلاتها التي تعيش في الصحارى أو في المناطق الساحلية.

وانطلاقاً من هذه النظرة المورفولوجية حدد أرسطو موقفه من النفس، وطرح موضوعة اتحاد البدن والروح، وعدم إمكانية الفصل بينهما إلا عن طريق التجريد، ورأى أنَّ من غير الممكن تقسيم النفس أو الروح إلى أجزاء كما فعل أفلاطون، ولكنه وجدها تتخذ أشكالاً متعددة، وتتجسد في مستويات وقدرات متباينة، كالقدرة على التغذية، والقدرة على الحس، والقدرة على الحركة، والقدرة على الفهم، وإن هذه القدرات مجتمعة هي في اعتقاده خاصية الإنسان وحده دون سائر الكائنات الحيّة الأخرى، والقدرات الثلاث الأولى خاصية الحيوان، بينما لا يتمتع النبات إلا بالقدرة على التغذية فقط.

وعلى هذا الأساس الارتقائي أكد أرسطو أن الإنسان هو النفس والجسد في وحدتهم، بيد أنه يعود في فصل لاحق من كتابه المذكور ليفرق بين النفس في ذاتها كعقل خالص، والنفس كعرض تتمتع بثلاث قوى: الحس المشترك والذاكرة والتخيل. ولما كان العقل في رأيه جوهراً لا تتناوله الحركة ولا يعرف التغير ولا التبدل، فإنه ليس عرضة للفناء، وإن كان فناؤه أو فساده بعد أن ينتابه الضعف والوهن في المراحل المتقدمة من عمر الإنسان، فلا يعني ذلك أن النفس قد أصيبت بأمر ما، وإنما يعني أن الفرد الذي تقيم فيه النفس هو الذي أصيب.

أما القوى الثلاث، الحس المشترك، والذاكرة، والتخيل، فترجع من حيث الطبيعة والنشأة إلى الإنسان الذي يحمل النفس، وهي لا تشترك مع العقل في شيء، ويذهب أرسطو إلى أن وظيفة هذه القوى هي تمكين الإنسان من التفاعل مع محيطه عن طريق ما تزوده به من معارف حسية حول أشياء هذا المحيط ومظاهره.

إن الفصل بين العقل والوظائف النفسية الأخرى على نحو ما فعل أرسطو ما هو في نهاية التحليل سوى فصل ما هو خالد عمّا هو فان. وهذا أمر يعيده إلى موقع معلمه الذي ألح على ضرورة التفريق بين النفس والجسد، وأكد على خلود الأول وفناء الثاني.

لم تكن الثنائية فكرة مشتركة لدى الفلاسفة اليونانيين، فقد عرف الفكر اليوناني مجموعة من الفلاسفة الذين عارضوا سقراط وأفلاطون وأرسطو فيما يتعلق بمسألة النفس والجسد وجوهر العلاقة بينهما، ويأتي في مقدمتهم هيروقليطس(القرن السادس ق. م) وديمقريطس ،القرن الخامس ق. م.

يرى كل من هيروقليطس وديمقريطس أن النفس تتألف من ذرات نارية، تخضع في ظهورها وتبدلها إلى نفس القوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية والاجتماعية، وبذا يدخل هذان المفكران الحياة النفسية ضمن المسار الشامل للظواهر والعمليات الكونية، وتتوضح هذه النظرة إلى النفس من خلال موقف الفيلسوفين من العلاقة بين النمو النفسي والتعليم، فقد أكد ديمقريطس على أن خصائص الشخصية والقدرات المعرفية تكتسب عن طريق التعلم. وفي هذا المعنى يقول: إنّ من غير الممكن الوصول إلى الفن والحكمة، إذا لم يتمّ تعلمهما.(بيسكونوف، 1981كما اعتقد ديمقريطس بأن النشاط شرط أساسي لتعلّم القواعد والموسيقا والحكمة، وبالجملة لنمو الإنسان نمواً كاملاً ومتكاملاً، يقول فالناس يصبحون جيّدين بالتدريب أكثر ممّا يصبحون عن طريق الطبيعة"،بيسكونوف، 1981 .

لقد اعتمد كل من هيروقليطس وديمقريطس في تصوراتهما على النجاحات التي حققها الفكر الإنساني بصدد بنية الكائن الحي والوظائف التي تؤديها أعضاؤه، ففي القرن السادس قبل الميلاد وجد الطبيب اليوناني ألكميون، ولأول مرة في التاريخ أن الدماغ هو عضو النفس ووقف الطبيب والفيلسوف هيبوقريطس على أن الظواهر النفسية مرتبطة بالعضوية ارتباطاً مباشرا، فقد تصور أن الجسم البشري مؤلف من عناصر أربعةهي الدم والصفراء والبلغم والسوداء، وأن هذه العناصر توجد بنسبٍ متفاوتةٍ. ويطبع العنصر الغالب شخصية الإنسان بطابعه.

وعلى هذا الأساس صنف هيبوقريطس الناس في أربعة أنماط هي الدموي والصفراوي والبلغمي السوداوي. فكل نمطٍ من هذه الأنماط يتسم بصفات جسدية وخصائص نفسية محددة، وقد احتفظ هذا التصنيف بقيمته العلمية حتى يومنا هذا، على الرغم من ظهور العديد من التصنيفات في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

وهكذا فالمنجزات الضخمة الأولى على طريق الفهم العلمي للنفس البشرية جاءت نتيجةً حتمية لتأكيد أصحابها على خضوع النشاط النفسي لقوانين معينة، شأنها شأن الظواهر الأخرى في المجتمع والطبيعة، وكذا ارتباطها بالبناء العضوي لجسم الإنسان، إلا أن اعتماد هؤلاء المفكرين على الشروط المادية لم يمكنهم من معرفة طبيعة التفكير المجرد وتفسير ظهور وتطور المثل والقيم الروحية والأخلاقية والجمالية والاجتماعية عند الإنسان.

وفي القرن الثالث قبل الميلاد عرفت البحوث والدراسات التجريبية تطوراً كبيراً، ولا سيما في مجال العلوم الطبيعة والفيزيولوجيا، الأمر الذي أدت إلى وضع تصورات متقدمة حول النفس والصلة القائمة بين مظاهرها وأوجه نشاطها من جهة وبنية الجسم ووظائف أعضائه من جهة ثانية. فقد كشفت مجموعة أطباء الإسكندرية بإشراف هيروفيل وايراز سترات عن الأعصاب ودور النسيج العصبي في أفعال الإنسان ومواقفه إزاء العالم الخارجي،ودرست المجموعة علاقة الوظائف النفسية(الحس والإدراك) والحركات بتلافيف المخ. وأكد هؤلاء الأطباء على وجود علاقة وثيقة بين النفس وبعض أعضاء الجسم(الدماغ والأنسجة العصبية) فقط، خلافاً لما كان شائعاً في تلك الفترة من أن العلاقة هي علاقة النفس بالجسد ككل.

أما في القرن الثاني قبل الميلاد فقد قام الطبيب الروماني غالينوس بتعميم المنجزات العلمية في ميدان الطب ووظائف الأعضاء وأثرى الأفكار التي كانت سائدة في عصره حول الأساس الفيزيولوجي للنفس، حيث ربط الجانب النفسي بالبناء العضوي لجسم الإنسان، وبذا يكون غالينوس قد اقترب من أحد عناصر الوعي.

لقد ميز غالينوس ثلاثة مستويات أو أنواع للروح، وهي الروح النفسي ومركزه الدماغ والأعصاب، والروح الحيواني ومركزه القلب والشرايين، والروح الطبيعي ومركزه الكبد والعروق، ومن خلال ذلك أشار إلى وجود نوعين من الحركات عند

الإنسان، الحركات الإرادية التي تشارك فيها العمليات النفسية كالإدراك والانتباه والتذكر والتفكير، والحركات غير الإرادية التي تصدر عن الإنسان دون تدخل الشعور أو الوعي، كما هو الحال أثناء النوم مثلاً.

الفكر السيكولوجي في الفلسفة العربية- الإسلامية:

وفي ظل الحضارة العربية –الإسلامية لمعت أسماء كثيرة من المفكرين والعلماء في دنيا المعرفة وكان لأصحابها فضل كبير في حفظ التراث الفكري الإنساني وترجمته ورفده بالعديد من المعطيات الجديدة الأصلية، مما اعتبره المؤرخون مقدمة أساسية من مقدمات النهضة الأوربية.

ومن بين هؤلاء المفكرين والعلماء نذكر على وجه الخصوص الكندي والفارابي وابن سينا وابن الهيثم وابن خلدون وابن رشد وابن طفيل. لقد حظيت مسألة النفس بقسطٍ وافرٍ من اهتمام الكندي، وأفرد لها عدداً من مؤلفاته الكثيرة

يرى الكندي(801- 866م) إن النفس مباينة للجسد، منفردة عنه بنية ووظيفة ومآلاً.

فهي جزء من الجوهر الإلهي الروحاني، تسكن البدن بعد الولادة لتقف على ما يقوم به، وتقوم زلات الإنسان وأخطاءه التي تدفعه إلى الوقوع فيها قوة الشهوة أو قوة الغضب، يقول الكندي في هذا الصدد،وذلك أن القوة الغضبية قد تتحرك على الإنسان في بعض الأوقات، فتحمله على ارتكاب الأمر العظيم، فتضادها هذه النفس، وتمنع الغضب من أن يفعل فعله، أو أن يرتكب الغيظ وتوتره، وتضبطه كمل يضبط الفارس الفرس، إذا همَّ أن يجمح به أو يمده" ، ويقول في هذا السياق فأما القوة الشهوانية فقد تتوق في بعض الأوقات إلى بعض الشهوات، فتفكر النفس العقلية في أنه خطأ... فتمنعها عن ذلك وتضادها.

والتفاعل بين الإنسان ومحيطه يتمحسب ما يرى الكندي على ثلاثة مستويات هي الإدراك الحسي، وتتولى القيام به الحواس الخمس، والمصورة أو المتوهمة، التي تقوم بوظيفة التصور، أي الاحتفاظ بصور الأشياء والموضوعات بعد إدراكها وأثناء

غيابها من جهة، ووظيفة تخيل هذه الصور وتركيبها من جهة ثانية، وأخيراً العقل الذي يتولى معرفة الظواهر والحوادث وجواهرها على نحو أعمق وأشمل مما تقوم به النفس في المستويين السابقين.

ويلاحظ مدى تأثر الكندي بآراء الفلاسفة اليونانيين القدماء، ومنهم أفلاطون وأرسطو بشكل خاص، وهذا ما نلمسه أيضاً لدى الإطلاع على موقفه من النفس ومصيرها، فالكندي يجد أن الموت يلحق بالبدن وحده دون النفس، ذلك لأن النفس عنده جوهر شبيه بجوهر الباري عز وجل. فهي تتحول حالما تفارق البدن إلى عالم العقل فوق الفلك لتصير عالمة بكل شيء، وتصيرالأشياء كلها بارزة لها كمثل ما هي بارزة للباري عز وجل.

ولعلنا نجد موقفاً شبيهاً بموقف الكندي ونظريته في الإنسان والمعرفة عند الفارابي870- 950م، فقد ذهب هذا الفيلسوف إلى القول بأن النفس الإنسانية وجدت بطريقة الفيض. وهي تسكن البدن بعد ولادة الإنسان، ولا تفنى أو تموت بعد موته، وإنما ترجع إلى الله ليثيبها على ما قدّمت ويعاقبها على ما أخرت. وتشمل النفس عند الفارابي خمس قوى متعاقبة من حيث وجودها الزماني وأهميتها، وهي القوة الغاذية، والقوة الحاسة، والقوة النزوعية والقوة المتخلية، والقوة الناطقة، وتتركب كل واحدة من هذه القوى من قوة رئيسية واحدة، وقوى أخرى ثانوية تعمل لمصلحتها، باستثناء القوة الناطقة التي لا تتفرع عنها أية قوة، لأنها قوة رئيسية بين سائر قوى النفس، فالقلب يقوم بوظيفة التغذية الرئيسية، بينما تناط بأعضاء الجسد الأخرى كالمعدة والكبد والطحال وسواها الوظائف الثانوية في التغذية وهي إذ تقوم بهذه الوظائف، إنما ترفد بذلك القوة الغاذية الرئيسية.

وتتولى الحواس الخمس المعروفة إدراك العالم الخارجي وإمداد القوة الرئيسية(الحس المشترك) بالأخبار والمعلومات عن العالم الخارجي. فكل عضو من أعضاء الحس الخمسة يقوم بدور ثانوي أو بوظيفة فرعية تخدم الوظيفة الرئيسية التي يتولى القلب أداءها، وهكذا بالنسبة للقوة المتخيلة.

وما ينبغي ملاحظته في تقسيم الفارابي لقوى النفس هو اهتمامه بالجانب الانفعالي والإرادي وعلاقته بالجانب المعرفي في السلوك الإنساني، ومع أن الفلاسفة

الذين سبقوا الفارابي قد تعرضوا إلى موضوع الانفعال إلا أنهم لم يتبينوا علاقته بالعمليات المعرفية وتأثيره عليها وتأثره بها.

لقد نظر الفارابي إلى الإرادة بوصفها المحرك الذي يدفع الإنسان إلى المعرفة، على اختلاف درجاتها. كتب في مدينته الفاضلة يقول والقوى النزوعية وهي التي تشتاق إلى الشيء وتكرهه، وهذه القوى هي التي بها تكون الإرادة، فإن الإرادة هي نزوع إلى ما أدرك، وعن ما أدرك، إما بالحس، وإما بالتخيل، وإما بالقوة الناطقة، وحكم فيه أنه ينبغي أن يؤخذ أو يترك، والنزوع قد يكون إلى علم شيء ما، وقد يكون إلى عمل شيء ما، وعلم الشيء قد يكون بالقوة الناطقة، وقد يكون بالإحساس.

وتبرز مقارنة رأي الفارابي بآراء سابقيه من الفلاسفة في النفس الأثر الكبير الذي تركه كل من أرسطو وأفلاطون بصورةٍ خاصة على موقفه ونظرته، ولكنّ ذلك يجب أن لا يدفع الباحث إلى إنكار الجهد الذي بذله الفارابي في نقل تعاليم هذين الفيلسوفين وترجمتها إلى اللغة العربية من ناحية، وتطويرها في اتجاهات شتى بالقدر الذي كانت تسمح به وسائل البحث وأدواته في ذلك العصر من ناحية ثانية.

لقد مهد نشاط الفارابي الفكري السبيل أمام ظهور أفكار عظيمة أكثر نضجاً في ميدان علم النفس ووفرت أعماله كثيراً من الوقت والجهد على من جاء بعده ممّا يمكن اعتباره بحق شرطاً من شروط نشوء علم النفس السينوي. هذا ما يعترف به ابن سينا ذاته عبر الحديث عن الصعوبات التي لاقاها في فهم كتاب "ما بعد الطبيعة " لأرسطو. وحسب روايته فقد قرأ هذا المؤلف أربعين مرةً، دون أن يتمكن من الوقوف على أغراضه، وأنه عثر بعد ذلك وبالصدفة على كتاب الفارابي أغراض ما بعد الطبيعة"، فاطلع عليه واستوعب مضمونه وأدرك غاياته. نجاتي، 1980.

انطلق ابن سين980- 1037م من نظرته الثنائية إلى الإنسان، حيث وجد أن النفس تختلف جوهرياً عن الجسد. ولما كانت حسب رأيه جزءاً من العالم العلوي، على العكس من الجسد الذي يتكون من العناصر الأربعة(التراب والماء والنار والهواء)، فإنها تتحد به عقب الولادة، وتفارقه بعد الموت لتعود إلى الباري عزّ وجلّ فتحاسب على ما فعلت أثناء وجودها على الأرض. فهي، من هذا المنظور، صورة الجسد، وذات آلة

به، ولكنها لا تفسد بفساده، ولا يغيّر موته جوهرها، وإنما تبقى كسائر الجواهر الخالدة.

وأول ما تجدر الإشارة إليه هو أن الإنسان كان بالنسبة لابن سينا موضوعاً رئيسياً أولى معرفة أبعاده جلّ اهتمامه وأنفق في سبيله وقتاً طويلاً وجهداً عظيماً، وخصص له عدداً من مؤلفاته، وإن قراءة متأنية لما وصل إلينا من هذه المؤلفات تعرف الباحث على مراحل تطور فكر ابن سينا عامة، وما يميز نظريته في النفس من ترابط في المفاهيم والأفكار ودقة في البسط والتفسير والتعليل ممّا يعكس سعة إطلاع هذا المفكر الكبير وحدة ذهنه وقوة إرادته، اعتمد ابن سينا على التراث الفلسفي اليوناني والهندي والفارسي والعربي الإسلامي، اعتماده على معطيات الطب والتشريح، وقد ساعده توظيف هذه المعطيات وذاك التراث توظيفاً مبدعاً، إلى جانب خبرته وتجاربه وملاحظته العلمية الدقيقة، في صياغة نظريته السيكولوجية على نحو متناسق ومنتظم جعلها تفوق جميع ما سبقها من نظريات دقةً وشموليةً.

ينظر ابن سينا إلى النفس من خلال مستويات ثلاثة: المستوى النباتي والمستوى الحيواني والمستوى الإنساني، وكلّ مستوى من هذه المستويات يتولى القيام بوظائف معينة، فالمستوى النباتي من النفس يقوم بوظائف التغذية والنمو والتكاثر وهو ما نجده عند النبات والحيوان والإنسان. وتقوم النفس الحيوانية بوظائف الإحساس والتخيل والحركة التي نجدها عند الإنسان والحيوان، أما المستوى الإنساني ووظيفته العقل، فهو يخص الإنسان وحده، ويشبه هذا التصنيف التصنيف الذي قدمه أرسطو، وهذا ما يحمل على الاعتقاد بأن ابن سينا تأثر بأرسطو في وضع هذه الحدود العريضة للنفس، غير أن الدخول في تفصيلاتها الدقيقة يضعنا أمام تباين وجهتي نظرهما، صحيح أن كلاً منهما تحدث عن وجود إدراك ظاهري تقوم به الحواس الخمس الخارجية وإدراك باطني تقوم به حواس داخلية، وأن أرسطو تحدث عن ثلاث من هذه الحواس(الحس المشترك والذاكرة والتخيل)، ولكنّ ابن سينا يضيف إليها حاستين أخريين .وهما: المصورة والوهم.

وزيادة على ذلك فإن ابن سينا قدم وصفاً متقدماً لآليات الإحساس الظاهري وشروطه الداخلية(العصبية) والخارجية(الصفات الفيزيائية والكيميائية للأشياء)

متجاوزاً تعاليم المفكرين القدماء الذين درسوا الوظائف النفسيّة دون أن يربطوها بالعمليات العصبية التي تتم أثناء تفاعل الإنسان أو الحيوان مع الوسط الخارجي، لاعتقادهم باستقلالية كلّ من المجالين النفسي والفيزيولوجي وعدم وجود علاقة تربط أحدهما بالآخر، كتب ابن سينا في هذا الشأن يقولقال قوم من الأوائل إن المحسوسات قد يجوز أن تحس بها النفس بلا واسطة آلية ولا آلات، أما الوسائط فمثل الهواء للإبصار، وأما الآلات فمثل العين للإبصار، وقد بعدوا عن الحق، فإنه لو كان الإحساس يقع للنفس بذاتها من غير هذه الآلات، لكانت هذه الآلات معطلة في الخلقة لا ينتفع بها، وأيضاً فإن النفس إذا كانت غير جسم عندهم ولا ذات وضع، فيستحيل أن يكون بعض الأجسام قريباً منها ومتجهاً إليها فيحس، وبعضها بعيداً عنها محتجباً منها فلا يحس، وتتجسد نظرة ابن سينا المبدئية إلى العلاقة بين النفس والجسد بصورة واضحة عبر دراسته للجانب الوجداني من النفس البشرية، فقد حاول التعرف على السبب النفسي للضعف العضوي الذي كان يعاني منه أحد الفتيان من خلال إسماعه مجموعة من الكلمات، وتحديد ما يثيره منها بالاعتماد على تغيّر نبضات القلب وتبدلها كرد فعل تقوم به العضوية على مثيرات العالم الخارجي، وتعدّ هذه التجربة أول محاولة للتشخيص النفسي في تاريخ الفكر الإنساني، حيث سبق ابن سينا بها محاولات علماء النفس في العصر الحديث لوضع اختبارات تمكنهم من الكشف عن الجوانب الانفعالية والوجدانية لدى الإنسان كاشف الكذب مثلاً بعدّة قرون.

ولعل من اليسير أن يقف المؤرخ الموضوعي للفكر السيكولوجي على عدد من الوقائع الصريحة والأدلة الثابتة التي تجعله ينظر إلى ابن سينا باعتباره رائداً من رواد هذا الميدان المعرفي.

فهناك، للمثال، تجربة أخرى أجراها ابن سينا لإبراز أثر الحالة النفسية(الانفعال) في حياة الحيوانات والإنسان، وتتلخص هذه التجربة في مقارنة الوضع النفسي لخروفين كان يقدم لهما نفس الغذاء من حيث الكمية والنوعية، ولكنّه وضع أحدهما في شروط عادية آمنة، بينما وضع الثاني قبالة ذئب .وبصرف النظر عن شروط التغذية المتشابهة فإنّ صحة الخروف الثاني كانت تتدهور بصورة ملحوظة حتى هلك.

من هنا يتجلى اهتمام ابن سينا بالعلاقة بين مظاهر النفس وتجلياتها المختلفة من جهة، وبالبيئة من جهة ثانية، فدور التربية عنده لا يقتصر على النمو الجسمي عند الفرد فحسب، وإنما يشمل الخصائص النفسية أيضاً، ذلك لأن النفس تؤثر على البنية الثابتة للعضوية. فمواقف الإنسان ومشاعره نحو العالم الخارجي تغير مجرى العمليات الفيزيولوجية لديه، ووجودها لا يحدث بشكل عفوي أو تلقائي، وإنما هو في نظر ابن سينا نتيجة تأثير الآخرين عليه خلال مراحل حياته المتعاقبة.

لقد دفع مبدأ وحدة العمليات النفسية والعمليات الجسمية ابن سينا للبحث في مركبات الجهاز العصبي باعتباره مصدر الإحساس والإدراك عند الإنسان والحيوان. وقد مكّنه ذلك من تطوير الأفكار المتعلقة بوظيفة الدماغ وعمل الأعصاب، والتصورات التي كانت سائدة آنذاك حول النشاط الحسي وتصنيف الحواس حسب أهميتها وفائدتها في المعرفة الحسية على وجه الخصوص. واقترب بها في بعض المواضع من المعطيات العلمية الحديثة. فمتابعته لموضوع الحواس بدءاً من مؤلّفه مبحث عن القوى النفسانية" حتى كتابه الشفاء تعكس، دأب العالم واهتمامه بمادة بحثه وحرصه على الوصول إلى أحكام دقيقة بشأنها، مثلما هو دليل على إسهامه في تطوير هذا الباب من الفكر ودفعه إلى الأمام.

ويلاحظ الدكتور محمد عثمان نجاتي في هذا الشأن أن فكر ابن سينا في مرحلة الشباب هو، في غالب الأحيان، محاكاة لتعاليم أرسطو وتقديم لها، ولذا فإنه يحيل القارئ إلى ما كتبه ابن سينا في مراحل لاحقة من حياته ليجد ما يعبر من خلاله عن آرائه الخاصة وفكره الأصيل، فابن سينا على سبيل المثال، يرى في المرحلة الأولى أن اللحم متوسط بين القوى اللامسة وبين الكيفية الملموسة ، ولكنه يعود في الشفاء ليقرر أن عضو حاسة اللمس هو اللحم والجلد المحيطان بالبدن والعصب المنتشر فيهما".

ولم تقتصر إعادة نظر ابن سينا في رأيه بالجهاز العصبي على تفسير عمل الحواس الخمس فقط، وإنما شملت كذلك دراسته للوظائف الحسية الباطنية بصورة أكثر موضوعية، فقد ربط هذا الجانب من النفس الحيوانية، الحس المشترك والمصورة والذاكرة والوهم والمتخيلة، بمناطق محددة من الدماغ، وهكذا صار الحس المشترك يقع في أول التجويف المقدم من الدماغ، والمصورة في آخر التجويف المقدم، والمتخيلة في

أول التجويف الأوسط، والوهم في نهاية التجويف الأوسط، والذاكرة في التجويف المؤخر وعلى الرغم من الأخطاء التي وقع فيها ابن سينا لدى تحديده لأجزاء البدن المسؤولة عن الوظائف الحسية والحركية عند الكائن الحيواني، فإن عمله هذا يبقى محاولة جديرة بالاهتمام لمعرفة آثارها على المفكرين الأوربيين في القرون الوسطى ومطالع عصر النهضة.

والشيء ذاته يمكن أن يقال عن نظرية ابن سينا في المعرفة، فمع أنه اعتبر التصور والتخيل والتذكر من بين وظائف الإدراك الحسي، فإن ذلك لم يحل بينه وبين تبيان مهمة كل واحدة من العمليات النفسية بدءاً من الإحساس وانتهاء بالتفكير أو، كما يسميه هوالعقل ،إذ وجد أن الحواس تقدم المادة الأولية والتصور يرتبها، ثم يأتي الخيال والوهم لينقيانها من الشوائب(اللواحق المادية) ويقدمانها للعقل الذي يقوم بتجريدها عن كل ما له صلة بالمادة، وعند الحديث عن العقل يجد ابن سينا أن هناك عقلاً هيولانياً وعقلاً بالملكة وعقلاً مستفاداً وعقلاً بالفعل. ولكلّ عقل –في رأيه- طبيعته المتميزة ودوره في المعرفة واكتساب العلوم. وتكون نسبة وجود هذه العقول متفاوتة عند الناس، بل وقد يكون بعضها مما لا يشتركون فيه جميعاً.

لقد لاقت تعاليم ابن سينا في النفس ونظريته في المعرفة أصداء واسعة وعميقة في أعمال الفلاسفة العرب والمسلمين ومن بعدهم(وغالباً عن طريقهم) الفلاسفة اللاتينيين من توما الأكويني إلى رينيه ديكارت.

وليس بعيداً عن ابن سينا نحا أحد معاصريه، و هو الفيزيائي والرياضي العربي ابن الهيثم965- 1039 منحى آخر في نشاطه العلمي، واقترح أفكاراً جديدة في علم النفس الفيزيولوجي، فقد درس الإدراك البصري، وانطلق في تفسيره لهذه الظاهرة من قوانين البصريات. وقادته ملاحظته الدقيقة إلى القول بأنها تتم نتيجة انعكاس الموضوع الخارجي وتكون شكله على شبكية العين بوصفها جهازاً بصرياً.

إن ما اصطلح العلماء فيما بعد على تسميته إسقاط الشكل، أي نسبته إلى الموضوع الخارجي، اعتبره ابن الهيثم ثمرة لنشاط عقلي متمم ذي نظام راق. فحادثة الإبصار تعني بالنسبة لابن الهيثم، وجود الأثر المباشر للمنبهات الخارجية أولاً، ونشاط العقل الذي يمكن من إدراك أوجه الاختلاف والتشابه بين الموضوعات المرئية ثانياً،

وقد افترض ابن الهيثم أن هذه العملية تتم بصورة لا شعورية، وبهذا يكون قد سبق كلا من هيلمهولتز وسيجينيف بأكثر من ثمانية قرون ونصف القرن إلى القول بـ "الاستنتاج اللاشعوري" كآلية رئيسية للإدراك البصري.

وفي المغرب العربيّ كان الإنسان والمجتمع محور نشاط الفلاسفة والمفكرين في تلك الفترة من الزمن، ويعد ابن خلدون1322- 1406م واحداً من أبرزهم.

يحتل الإنسان –في نظر ابن خلدون- مكانة رفيعة لما يتمتع به من قدرات فكرية تجعله كائناً متميّزاً عن سواه باعتباره الحلقة الأخيرة في سلسلة التكوين والنشوء التي عرفها الكون، والتي تعتبر كلّ حلقة فيها نتيجة لسابقتها ومقدمة للحلقة التي تليها، وتتمثل الحلقة الأولى، عنده، في ظهور العناصر المادية بدءاً من التراب وانتهاء بالنار، مروراً بالماء ثم الهواء، وبفعل تحولات هذه العناصر وتفاعلها بعضها مع بعض تتكون المعادن فالنباتات فالحيوانات، وأخيراً الإنسان بصورة تدريجية ومحكمة ويستمد الكائن الأعلى وجوده من الأدنى، وفي هذا يقول ابن خلدون في مقدمته ،ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدريج. آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات، مثل الحشائش وما لابزرة له. وآخر أفق النبات مثل النخل والكرم متصل بأول أفق الحيوان كالحلزون والصدف لم يوجد لهما إلاّ قوة اللمس فقط، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى في تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية، ترتفع إليه من عالم القردة، الذي اجتمع فيه الحس والإدراك، ولم ينته إلى الروية والفكر بالفعل وكان ذلك في أول أفق من الإنسان بعده،وهذا غاية شهودنا ،ابن خلدون، 1984، 137.

وعلى أساس هذه النظرة التطورية يميّز ابن خلدون مراتب عديدة للنفس الإنسانية، تتحدد عبرها وبفضلها موضوعات النشاط البشري، بل وموقع الإنسان في هذا الكون، فالنفس في المرتبة الأولى تكون مرتبطة ارتباطاً كلياً بالبدن، وتعتمد في تفاعلها مع العالم الخارجي على القوى الحسية والخيال والذاكرة والتفكير بالمحسوسات، بينما تستطيع في المرتبة الثانية من الإفلات من عالم المحسوسات لتّتجه نحو عالم المشاهدات الباطنية و التعقل الروحاني وما يميز المرتبة الثالثة من النفس

البشرية هو ما فُطرت عليه من قدرة التخلّي عن كلّ ما هو محسوس بصورةٍ كليةٍ والتحول إلى عقل محض أو ذات روحانية .

إن المرتبة الأولى من النفس تسم أوجه النشاطات الحسية التي يقوم بها الناس عامة ، والعلماء منهم خاصة ، بينما تتبدى المرتبة الثانية في الرؤى ونشاطات الكهّان والعرافين أما المرتبة الثالثة فهي خاصية الأنبياء وحدهم ، وتتجسد في ظاهرة الوحي.

ولعله من الواضح أن ابن خلدون في حديثه عن أصناف النفوس البشرية ومراتبها ، شأنه شأن العديد من المفكرين الذين سبقوه ، يركز على ساحة واحدة من ساحات النفس التي كشف عنها علم النفس ، وهي الساحة المعرفية التي تشتمل على الإحساس والإدراك والانتباه والتصور والكلام والتخيل والتذكر والتفكير ، وبقيت الحالات النفسية(الانفعالات والعواطف والإرادة) وخصائص الشخصية كالطبع والمزاج وسواهما خارج مجال مشاغله واهتمامه ، وكأنها ظواهر ذات طبيعة خاصة وأصولٍ متميّزة.

و لا ننسى ابن طفيل وابن رشد ، فقد كرس الأول قصة حي بن يقظان ليبيّن دور البيئة في تكوين الإنسان على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي والعقلي ، وأخضع الثاني السلوك الإنساني العادي والشاذ إلى الملاحظة العلمية ، ممّا يسّر له التعرف على الكثير من العلل التي تؤدي إلى نشوء أنماط مختلفة من السلوك.

كما وجه ابن رشد نقداً عنيفاً إلى نظرة أهل عصره إلى الأمراض النفسية ، فقد وجد أنها تعتمد في أساسها على معتقدات باطلة ، وتقوم على السحر والخرافة. ولذا تراه يلّح على ضرورة التخلّي عن الأساليب والطرائق المستخدمة في معالجة هذه الأمراض ، وينصح بإقامة مراكز خاصة تعنى بالمرضى النفسيين ومعالجتهم عن طريق العقاقير الطبية والراحة والاستجمام والتدريبات الخاصة.

لقد أسهم العلماء المسلمون السابقون إسهامات كثيرة هامة في الدراسات النفسانية. لكنها لم تحظ من قبل باهتمام الباحثين ، ومؤرخي الدراسات النفسانية. فالمؤرخون الغربيون يبدأون ، عادة بالدراسات النفسانية عند المفكرين اليونانيين ، وبخاصة أفلاطون وأرسطو ، ثم ينتقلون بعد ذلك مباشرة إلى المفكرين الأوربيين في

العصور الوسطى، ثم في عصر النهضة الأوربية الحديثة، ويغفلون إغفالاً تاماً ذكر إسهامات العلماء المسلمين في الدراسات النفسانية رغم أنه قد ترجم العديد منها إلى اللغة اللاتينية، وأثرت تأثيراً كبيراً في آراء المفكرين الأوربيين أثناء العصور الوسطى وحتى بداية عصر النهضة الأوربية الحديثة.

ولقد كان القرنان السابع والثامن الهجريان من أزهى عصور الطب النفسي في العالم الإسلامي. وفي هذين القرنين عاش شيخ الإسلام ابن تيمية 661- 728هـ وتلميذه العلامة ابن القيم691- 751هـ رحمهما الله، اللذان كان لهما موقف محمود ضد انحرافات بعض الفلاسفة العرب، ونظراً لأن علم النفس والعلاج النفسي حتى ذلك الحين يعدان من فروع الفلسفة، فإن موقف شيخ الإسلام ابن تيمية والإمام ابن القيم رحمهما الله ،من علم الفلسفة والفلاسفة قد أحدث بعض التشويش عند بعض الباحثين الذين ظنوا أن ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ، يرفضان علم النفس والعلاج النفسي مع أنهما لم يعرضا لذلك الأمر بأي نقد، رغم ازدهار تلك العلوم في تلك الفترة من الزمن، وإنما كان نقدهما موجهاً لبعض الفلاسفة وأصحاب الشبه والانحرافات. بل إنه على النقيض من ذلك، فشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يعدان من رواد الدراسات النفسانية في الإسلام ولهما في ذلك العديد من الآراء والنظريات بل والعجيب في الأمر أنه في مقابل ذلك الازدهار المنقطع النظير في العالم الإسلامي فإنه ما زالت بعض دول أوربا في تلك الفترة من الزمن (القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي) تحرق المرضى النفسانيين، لأنهم كما يظنون ،لا يمكن علاجهم فقد تلبستهم الشياطين. بل إنه حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري) فإن المرضى النفسانيين في أوربا يقيدون بالسلاسل في السجون ويبقون فيها مثل الحيوانات حتى تأتي ساعة الممات لاعتقادهم بأن أرواحاً شريرة قد تلبست أرواح المرضى، ولذلك كان التجويع والتعطيش والضرب بالسياط هو وسيلة العلاج نظراً لأن الاعتقاد الشائع في ذلك الحين هو أن الأكل يهيج المريض وأن الضرب يهدئه، ولقد كان بعض الحراس ممن يوصفون بالرحماء يضربون وجوه المرضى بأيديهم بدلاً من استخدام السياط.

اعتقاد بعضهم أن الصالحين والأتقياء لا يمكن أن تصيبهم الأمراض النفسية، وذلك لأن الأمراض النفسية في ظنهم إنما هي فقط بسبب تسلط الشيطان على ضعاف الإيمان

مدارس علم النفس

وبين لنا الدكتور عبد المنعم الحفني مدارس علم النفس في كتابه "موسوعة مدارس علم النفس" وهي:

- مدرسة البورت رويال
- المدرسة الأبيوقورية
- مدرسة أثينا
- مدرسة إخوان الصفا
- مدرسة الأسكندرية
- مدرسة الأكاديمية
- المدرسة الإيلية
- المدرسة الأيونية
- مدرسة بادوفا
- المدرسة البنائية
- مدرسة التحليل النفسي
- مدرسة التحليل النفسي الحديث
- مدرسة التحليل الوجودي
- المدرسة الترابطية
- مدرسة جراتس

- مدرسة الجشطالت
- مدرسة جنيف
- مدرسة جوتنجن
- المدرسة الرواقية
- مدرسة زيورخ
- المدرسة السلوكية
- المدرسة السلوكية الحديثة
- المدرسة السوفسطائية
- مدرسة شارتر
- مدرسة الشكاك
- مدرسة شيكاغو
- مدرسة علم النفس الإيجابي
- المدرسة الفيثاغورثية
- مدرسة فيرتسبورج
- مدرسة فيينا
- مدرسة فيينا الوضعية
- المدرسة القورينائية
- المدرسة الكلبية
- المدرسة الكلية
- المدرسة الكنطية الحديثة
- مدرسة لايبستج

- مدرسة ماربورج
- مدرسة مالطية
- المدرسة النمسوية
- مدرسة هايدلبرج
- المدرسة الوضعية الحديثة
- المدرسة الوظيفية

السلوك *Behavior*

ان علم النفس هوالاساس لفهم الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة، فالنفس البشرية مفطورة على الانفعالات والمشاعر والأفكار والصراعات الداخلية، والإنسان يجد ذاته مليء بالتناقضات، إذ أن الفرد يمكن أن يتسم بالهدوء والإتزان والحكمة في لحظات ومواقف معينة، وهو نفسه يمكن ان يتّسم بالعصبية والاندفاع والتهور في لحظات ومواقف أخرى وعلم النفس كغيره من العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية الاجتماعية يعمل على وصف ظواهر السلوك ومن ثم يُفسر ضروب السلوك الإنساني، ويبحث عن كل الوسائل التي تمكنه من فهم أعمق لسلوك الإنسان و يهتم علم النفس بدراسة الاستعدادات والدوافع والميول التي تحكم السلوك، إضافة إلى معرفة كيف نتعلم، ومتى يتم التعلم، وماذا نتعلم، وما هي ضوابط التعلم وكيف نفهم ونفكر ونتخيل ونتصور، وهل التفكير يختص بمناطق معينة في المخ، وما هي القدرات العقلية التي يتميز بها أفراد معينون دون غيرهم.

وما هو تأثير الانفعالات على التفكير، وهل تقوم الحيوانات بعملية التفكير، وكيف لنا أن نتذكر الأحداث الماضية بتفاصيلها وأزمانها، وما الذي يُسهل عملية التذكر واستدعاء الخبرات والأحداث الماضية، وكيف ننسى، وما هي الأسباب وراء النسيان، وكيف يمكن أن نقوي الذاكرة،وكيف تنمو عواطفنا تجاه الآخرين، وما المقصود بالانتماء العاطفي، وهل هناك صلة بين انفعالاتنا وما ينتابنا من أمراض جسمية وعقلية، وما هي وسائط استشعارنا بالأمن والأمان في حياتنا، وما هي مسببات عدم الاستقرار وسوء التكيف في واقعنا الاجتماعي، وكيف يشذ بعض الأفراد في حياتهم وتعاملهم الاجتماعي. وكيف نفسر السلوك الإجرامي؟ ومجالات علم النفس، تقوم على دراسة سلوك الإنسان من خلال:

1) دراسة الاستعدادات والقدرات الخاصة في النواحي الجسمية والحركية والحسية والنفسية والعقلية والانفعالية والاجتماعية.

2) الدوافع التي تحرك السلوك، سواء كانت دواف نظرية أو وراثية أو أساسية أو مكتسبة أي ثانوية .

3) التعامل القائم بين الإنسان وبين بيئته الاجتماعية، وما يصدر عنه من نتاج عقلي وتصرف واتجاهات ومشاعر وميول وسلوك أخلاقي وديني واجتماعي .

4) ما يصدر عن الإنسان من نشاط عقلي يسيطر عليه الذكاء، والعمليات والأنشطة العقلية كالتفكير والفهم والإدراك والتذكير والتخيل والتصور والتعليم، وتباين القدرات والمهارات العقلية عند الإنسان، إذ أن البشر يختلفون في قدراتهم كالقدرة اللغوية والحسابية وغيرها، مثلما يختلفون في نسب الذكاء .

5) ما يستشعره الإنسان من انتماءات وعواطف وانفعالات كالغضب والغيرة والخوف والحب والبغضاء، وما يترتب على ذلك من الصحة النفسية أو عدم توافرها .

6) دراسة اتجاهات الأفراد نحو المجتمع بمقوماته البشرية والمادية، وما تؤثره الاتجاهات في الإدراك والتفكير .وسوية السلوك أو انحرافه، والعوامل المسببة لذلك، والأمراض المصاحبة أو التوافق في الحياة الاجتماعبة والاهتمام بعلمالنفس يؤكد الاهتمام بدراسة سلوك الإنسان.

تعريف السلوك :

هو النشاط الذي يعبر عنه الفرد من خلال علاقاته بمن حوله والسلوك له قواعد طبيعيه وماديه مبرمجه طبقا للخريطة الوراثيه المرسومه لكل فرد وفقا للترتيب الوراثي البيولوجي وصولا الى هندسة الجينات.

والسلوك هو ارتكاسات فرد من الأفراد، منظور إليه في وسط وفي وحدة من الزمن معيّنة، على إثارة أو مجموعة من التنبيهات.

ولفظة السلوك، يعود تاريخها إلى القرن الخامس عشر كان هنري بييرون (1908) قد استأنفها ليترجم كلمة Behavior الانجليزية، المستخدمة في علم النفس

الموضوعي (بختريف، 1907) وفي علم النفس الحيواني (جينغز، 1906) والدالة على (فاعلية الموجودات وعلاقاتها الحسية الحركية بالوسط). واكتسب هذا المفهوم، بفضل أعمال السلوكيين، الذين كانوا يرون معاً في السلوك ظاهرة سيكولوجية والموضوع نفسه لعلم النفس، موقعاً مركزياً في العلم السيكولوجي بالولايات المتحدة الأمريكية خلال الربع الأول من هذا القرن. وكان ج.ب. واطسن (1924) يعرّف علم النفس أنه (هذا الفرع من العلوم الطبيعية الذي موضوعه السلوك الإنساني، الأفعال أو الكلمات، المكتسبة أو الفطرية، وكان هذا التعريف قد أكمله منذ ذلك الحين تضمين السلوك الحيواني.

الدكتورعبد العزيز بن علي الغريب أستاذ مادة العلوم السلوكية والاجتماعيةعضو هيئة التدريس في جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية عرف مفهوم السلوك ، هي الأعمال والأفعال التي يقوم بها الكائن العام. ومن أنواعه :

- سلوك آلي
- منعكس، غرزي
- إرادي
- غير إرادي
- سلوك آلي
- سلوك سلبي
- سلوك اصلي
- سلوك ينم عن حاجة.

وينطلق الدكتورعبدالعزيز الغريب بتعريفه من القران الكريم ، حيث ورد الضمير بمفهوم القلب أو الفؤاد، الذي يتعاون مع العقل لتلبية الغرائز الإنسانية، أو الدوافع الفطرية.

قال تعالى، ﴿ ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها . قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ صدق الله العظيم. وبدون الضمير الحي يصبح الإنسان في مهب الريح تسيطر عليه غرائزه وشهواته، ويتمثل الضمير الحي في أداء الواجبات وحق الله تعالى، ومن أقسام النفس في القران الكريم : النفس الشهوانية، النفس اللوامة، النفس المطمئنة.

ومن مميزات السلوك

أ) **الهدف المعين :** فلكل سلوك هدفه الخاص إذا كان سلوكاً سوياً رشيداً، وهو إما لتحقيق فائدة أو تلاشي ضرر ما.

- لكل سلوك سبب : وهو عبارة عن تفاعل المؤثر وتفسير الفرد لهذا المؤثر، فتحدث استجابة معينة هي السلوك.
- لكل سلوك دوافع معينه تحرك الإنسان للقيام بها وهو رغبة أو حاجة في الإنسان.

ب) **مثيرات ودوافع السلوك :** مفهوم الدافع، المثيرات الداخلية والخارجية، الحاجات النفسية (هرم ماسلو، الأمن، الحب، الانتماء، لفت انتباه الآخرين، الثقة، القبول (الطباع – ومكونات الشخصية وبخاصة، مدى الاستقرار العاطفي والنفسي - مدى الانفتاح على الآخرين- الشعور بالمسؤولية والقدرة - توافق الشخص مع الآخرين- الانفتاح على التجارب.

ج) أهمية دراسة السلوك والحاجة إلى فهم السلوك :-

- يساعد الفرد على فهم نفسه الذي يمكنه من اتخاذ القرار السليم لحياته.
- تهذيب الروح وتوصل الفرد للتوازن بين جوانبه الروحية والجوانب المادية.
- يدعم أمن الفرد واستقراره وطمأنينته.
- تزيد من مهارات الإنسان في فهم الناس وفهم الفروق الفردية بينهم.
- تساعد الفرد في إدراك العوامل المؤثرة في أنواع السلوك المختلفة.
- توصل الفرد إلى صحة نفسية سليمة.
- يدرك الفرد موقعه في الحياة والدور الذي يقوم به ويرسم لنفسه أهدافاً واقعية
- تساعد الفرد في إقامة حياة أسرية سليمة.
- تدعيم النشاط المهني للفرد، وتزيد من فرص نجاحه في العمل. وفي مجال العمل يحتاج معظم المتخصصين خاصة العاملين مع بشر أينما كانوا إلى معرفة ولو بسيطة عن السلوك ومن هذه الفئات المهنية : رجال القانون، رجال الإدارة، رجال الأمن، السياسة، الإعلام، التسويق، المكتبات، الطب بفروعه الرئيسة والمساندة، البائعين، الخدمة الاجتماعية، وقبل هؤلاء الآباء والمعلمون وغيرهم.

د) المدرسة السلوكية : السلوك قديم منذ عصر ارسطو، وأفلاطون. ومن ابرز العلماء المؤسسين للعلوم السلوكية في العصر الحديث جون واسطون 1878/1948م) الذي تأثر بأعمال المؤسسين لعلم النفس وبخاصة: داروين، بافلوف، ديكارت، المدرسة الألمانية، وكانت ترى أن السلوك هو ما يتم ملاحظته ومشاهدته. كما كان ماكس فيبر من المؤثرين في الجوانب السلوكية والإنسانية في دراسة السلوك في بيئات العمل ونظريته عن البيروقراطية، ودوره في تأسيس علم الاجتماع التنظيمي. كما يعد هوجو مسنتربرج مؤسس علم النفس الصناعي وكتابه علم النفس والكفاءة الصناعية عام 1913م من المؤسسين لهذه المدرسة، إضافة إلى مدرسة العلاقات الإنسانية (العلاقات التقليدية، العلاقات الكاريزمية، العلاقات

الرشيدة)، وماسلو في نظريته عن الحاجات عام 1943م، ثم مدرسة أنماط القيادة (النموذج السلطوي، النموذج الديمقراطي، النموذج المحايد).

هـ) **فروع المدرسة السلوكية** : كان من الصعب على التخصصات العلمية، أن تتضمن برامجها العلمية الكثير من فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية وبخاصة المرتبطة بالسلوك، لذلك جاءت العلوم السلوكية بمثابة بديل يغطي الجوانب الرئيسة التي يحتاجها المهني في هذا التخصص أو ذاك عن السلوك ودوافعه وآثاره، وتتفرع العلوم السلوكية إلى الفروع التالية : -

1. **علم الاجتماع** : ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك : العمليات الاجتماعية التعاون، المنافسة، الصراع، النظم الاجتماعية، النظام الديني، النظام العائلي، النظام الاقتصادي، النظام السياسي، النظام التربوي، العلاقات الإنسانية، التطبيع الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية ومؤسساتها.
2. **علم النفس** : ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك : التعلم - الدوافع والحاجات – الإدراك – القيادة -الجماعات.
3. **الانثربولوجيا** : ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك : الثقافة، الأعراق، التراث، القيم والعادات.
4. **التربيـــة** : ومن أهم ما يرتبط بدراسة السلوك : نظام التربية، أهدافها، نماذجها، مكوناتها.

ويمكن تحديد سلوك الانسان كالآتي :-

- **السلوك الظاهر**: كالأكل والشرب والمشي والتعامل اليومي بكافة أنشطته في مواقف الحياةاليومية.
- **السلوك الباطن**: أي الخفي كالعمليات العقلية المختلفة كالتفكير والتخيل والتذكر والإدراك والفهم وغيرها، أو السلوك الانفعالي والعاطفي كالغضب والحزن والاكتئاب والقلقز

- **السلوك الفطري:** الذي يزود به الإنسان عند خروجه إلى الحياة، كتناول الطعام والشراب والأمومة والعدوانية.

- **السلوك المكتسب:** والذي يكتسبه الإنسان ويتعلمه من حياته الاجتماعية ومن التنشئة الاجتماعية، ومن خلال اكتسابه للمعارف والتعليم وبناء الأسرة، والتعامل مع الآخرين، وضروب أخرى عديدة.

- **السلوك السوي:** الذي يتفق والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، سواء كانت هذه العادات تتفق مع التعاليم الإسلامية السمحة، داخل المجتمعات الإسلامية، أو مع عادات المجتمع وتقاليده في المجتمعات المختلفة.

اذا علم النفس هو اساس لفهم الحياة الإنسانية بجوانبها المختلفة. فالنفس البشرية مفطورة على الانفعالات والمشاعر والأفكار والصراعات الداخلية، والإنسان يجد ذاته مليء بالتناقضات. إذ أن الفرد يمكن أن يتسم بالهدوء والإتزان والحكمة في لحظات ومواقف معينة، وهو نفسه يمكن ان يتّسم بالعصبية والاندفاع والتهور في لحظات ومواقف أخرى.

وهو كغيره من العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية الاجتماعية يعمل على وصف ظواهر السلوك ومن ثم يُفسر ضروب السلوك الإنساني، ويبحث عن كل الوسائل التي تمكنه من فهم أعمق لسلوك الإنسان، وإذ ذاك يدرس أيضاً سلوك الحيوان، ليسهل عليه فهم سلوك الإنسان.

ويتمثل السلوك الانساني في :-

1. السلوك اللفظي..او التواصل اللفظي
2. السلوك غير اللفظي
3. السلوك الظاهر
4. السلوك الباطن
5. السلوك الفطري
6. السلوك المكتسب
7. السلوك الحسي
8. السلوك الحركي
9. السلوك السوي
10. السلوك المنحرف
11. السلوك الأنفعالي

- **السلوك اللفظي او التواصل اللفظي:** وهو التواصل اللغوي وتم عبر وحدات فونيمية ومقطعية مورفيمية ومعجمية وتركيبية، أي أن هناك أصواتا ومقاطع وكلمات، ويرتكز النموذج اللغوي على نسق من الوحدات هي:

- وحدات الصوت: (الفونيم) أي المخزونات الصوتية؛
- وحدات المقطع (المورفيم) التي هي نسق من الوحدات الصوتية والإعرابية؛
- وحدات المعجم: هي نسق من المقاطع المكونة للكلمات؛
- وحدات التركيب: هي نسق من الكلمات المكونة للجملة .

ويتم التواصل اللغوي عبر القناة الصوتية السمعية أي أن التواصل اللغوي يعتمد أساسا على اللغة الإنسانية ويتحقق سمعيا وصوتيا. فاللغة المنطوقة لها مستوى لغوي هو

عبارة عن نظام من العلامات الدالة (علاقة الدال بالمدلول بالمفهوم السوسيري)، والتي هي نسق من الوحدات نسميها وحدات الخطاب .

تتفق البنيوية والتداولية على اعتبار اللغة وسيلة للتواصل على عكس التوليدية التحويلية بزعامة نوام شومسكي التي يعتبرها ذات وظيفة تعبيرية. ويرى أن التواصل ما هو إلا وظيفة إلى جانب وظائف أخرى قد تؤديها اللغة.

وترى المدرسة الوظيفية الأوربية بشقيها :الشرقي والغربي أن اللغة الإنسانية وظيفتها التواصل، فأندري مارتيني يعرف اللغة كما قلنا سابقا على أنها تمفصل مزدوج وظيفتها الأساسية هي التواصل، ويعني بالتمفصلين :المونيمات والفونيمات، وتذهب سيميولوجية التواصل إلى تبني وظيفة الإبداع ويمثل هذا الاتجاه جورج مونان وبرييطو وبويسنس والمدرسة الوظيفية بصفة عامة .

فالذي يريد أن يدرس اللغة كأداة للتواصل ينبغي له أن يستند إلى علوم لسانية: علم الدلالة والسيميوطيقا والسيميولوجيا. ويقول نادر محمد سراج: يتواصل متكلمو لغة إنسانية معينة فيما بينهم بسهولة ويسر، وذلك مرده إلى أن كلا منهم يمتلك ويستخدم في البيئة اللغوية عينها، نسق القواعد نفسه، الأمر الذي يتيح له سهولة استقبال وإرسال وتحليل المرسلات اللغوية كافة، هذا ما يحدث مبدئيا عبر ما نسميه شكل التواصل الكلامي Communication verbal وهو الشكل الأكثر انتشارا واستعمالا.

وكانت الوظيفة التواصلية في اللغة معروفة عند النحاة وعلماء اللغة العربية القدامى، فابن جني يقول في باب " القول على اللغة وما هي:- أما حدها: فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.

أما علماء اللغة فقد عرضوا بدورهم لموضوع وظيفة اللغة، فاتفق أغلبهم على أن وظيفتها هي التعبير والتواصل والتفاهم، ويبرز في هدا المجال الألسني الفرنسي أندريه مارتيني الذي يؤكد بدوره ومن خلال كلامه في اللغة الإنسانية كمؤسسة من المؤسسات الإنسانية أن هذه الأخيرة إنما تنتج عن الحياة في المجتمع، وهذا هو تماما حال اللغة الإنسانية التي تدرك بشكل أساسي كأداة للتواصل".

ولقد حظي التواصل اللفظي باهتمام الباحثين ولاسيما في المجال البيداغوجي الذي اتخذناه ميدانا تطبيقيا، لأن السلوكات اللغوية قادرة على تمثيل مجموع السلوكات المكونة للعلاقات الموجودة بين المدرس والتلاميد، وقد حاول دولاندشير وبايير أن يحللا السلوكات اللفظية في القسم من أجل معرفة التواصل الوجداني والمعرفي، وذلك في كتابهما القيم كيف يعلم المدرسون: تحليل التفاعلات اللفظية في القسم.

- **السلوك غير اللفظي** وهو مجموع الوسائل الاتصالية الموجودة لدى الأشخاص الأحياء والتي لا تستعمل اللغة الإنسانية أو مشتقاتها غير السمعية (الكتابة، لغة الصم والبكم).

وتستعمل لفظة التواصل غير اللفظي للدلالة على الحركات وهيئات وتوجهات الجسم وعلى خصوصيات جسدية طبيعية واصطناعية، بل على كيفية تنظيم الأشياء والتي بفضلها تبلغ معلومات.

- **السلوك الظاهر**، كالأكل والشرب والمشي والتعامل اليومي بكافة أنشطته في مواقف الحياةاليومي.
- **السلوك الفطري**، هو الذييزود به الإنسان عند خروجه إلى الحياة، كتناول الطعام والشراب والأمومةوالعدواني.
- **السلوك المكتسب**، وهو السلوك الذي يكتسبه الإنسان ويتعلمه من حياته الاجتماعية ومن التنشئة الاجتماعية، ومن خلال اكتسابه للمعارف والتعليم وبناء الأسرة، والتعامل مع الآخرين، وضروب أخرى عديدة .
- **السلوك الحسي**، وهو كما صنفوه علماء البرمجة اللغوية العصبية مثل ريتشارد باندلر – جون جريندر الذي صنفه إلى ثلاثة أنماط:
  - **أولا:** بصري
  - **ثانيا :** سمعي

- ثالثا : حركي حسي

- السلوك السوي ، وهو الذي يتفق والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع، سواءكانت هذه العادات تتفق مع التعاليم الإسلامية السمحة، داخل المجتمعاتالإسلامية، أو مع عادات المجتمع وتقاليده في المجتمعات المختلفة

- السلوك الحركي، وهو ما ينتج عن النسان من نشاطات حركية على أداء أوجه النشاط المختلفة .

- السلوك المنحرف، هو أي سلوك يخرج عن الإطار العام للمجتمع وما تحدده الأعراف والتقاليد والقوانين الوضعية والتشريعية لهذا المجتم

- السلوك الأنفعالي والوجداني، وهو أكثر أنواع السلوك عمقاً وأبعدها عن السلوك الظاهر ولذلك يصعب ترجمته إلى أهداف سلوكية كالتعبير والتذوق مثل- أن يتحسس- أن يعبر -أن يتذوق- أن يفهم – أن يعرف، وهذه الأهداف صعبة التحقيق.

و يهتم علم النفس بدراسة الاستعدادات والدوافع والميول التي تحكم السلوك. إضافة إلى معرفة كيف نتعلم، ومتى يتم التعلم، وماذا نتعلم، وما هي ضوابط التعلم .

وكيف نفهم ونفكر ونتخيل ونتصور، وهل التفكير يختص بمناطق معينة في المخ. وما هي القدرات العقلية التي يتميز بها أفراد معينون دون غيرهم .

وما هو تأثير الانفعالات على التفكير وهل تقوم الحيوانات بعملية التفكير وكيف لنا أن نتذكر الأحداث الماضية بتفاصيلها وأزمانه وما الذي يُسهل عملية التذكر واستدعاء الخبرات والأحداث الماضية وكيف ننسى وما هي الأسباب وراء النسيان، وكيف يمكن أن نقوي الذاكرة وكيف تنمو عواطفنا تجاه الآخرين وما المقصود بالانتماء العاطفي وهل هناك صلة بين انفعالاتنا وما ينتابنا من أمراض جسمية وعقلية، وما هي وسائط استشعارنا

بالأمن والأمان في حياتنا وما هي مسببات عدم الاستقرار وسوء التكيف في واقعنا الاجتماع .

وكيف يشذ بعض الأفراد في حياتهم وتعاملهم الاجتماعي. وكيف نفسر السلوك الإجرامي؟

اضطراب السلوك *Conduct disorde*

ان للسلوك قواعد منها الطبيعيه ومنها الماديه وهي مبرمجه طبقا للخريطة الوراثيه المرسومه لكل فرد وفقا للترتيب الوراثي البيولوجي وصولا الى هندسة الجينات .وتشير الدرسات الطبيه الى علاقه بين الخلل الدماغي والاضطراب السلوكي مثل الاضطريات السلوكيه الشديده كالانطواء وكثرة الحركه ولا نستطيع الجزم بان الاضطرابات السلوكيه سببها خلل دماغي حبث تشير بعض الدراسات ان سوء التغذية قد يودي الى اضطرابات سلوكيه وكذلك توجد عوامل نفسيه تعود الى الاسره او الاصدقاء والبيئه والمشاكل الاجتماعيه مثل الفراق او الطلاق او مشاكل داخل الاسره والاهمال والضرب والاحباطات المتراكمه منها البيئيه والصحيه والاقتصاديه والاجتماعيه ، واثر هذه العوامل يستطيع علماء النفس وحتى الانسان الطبيعي الاستدلال لمعرفة الشخصية بانماطها السلوكية ، وقد وضعوا الغلماء شخصية الفرد في ثلاثة انماط هي :-

- شخصيته كما يراها هو
- شخصيته كما يراها الآخرون
- شخصيته كما هي في الواقع

فسمة الانسان انه يجهل الكثير من صفاته وطاقاته، كذلك أنه يجهل أكثر عيوبه، لأن كل إنسان يحب نفسه، والذي يحب يعمى عن عيوب المحبوب، وقد يراها حسنات، ثم إن العيوب كما تبدو للآخرين تجري على الظاهر وصاحبها يقول ويعتقد أن نيته حسنة وأن هناك سوء فهم، إلى آخر ما هنالك من الحيل النفسية لكي يبرئ الإنسان نفسه ويمنحها الرضا ما استطاع .

أما معرفة الشخصية الحقيقية للآخرين فمرد الصعوبة فيها إلى قدرة الإنسان على التخفي والتمثيل والتكلف في العلن، وخاصة مع الذين لم تربطهم به عُشرة سنين، وهنا قد يبدو الإنسان بشخصية جيدة محببة للنفس مع أنه في باطنه يحمل شخصيته الحقيقية الكريهة ولكنه يلبس القناع، لكن مهما يتكلف الإنسان فإنه يعود لطبعه الأصيل الذي يعلن عن شخصيته بوضوح تام .

تصنيف إضطرابات السلوك

أولاً - التصنيف الصادر عن الرابطة الأمريكية للطب النفسي ويشمل على

أ) الإضطرابات النمائية العامة الإضطرابات النمائية المحددة كالتوحد.

ب) الإضطرابات الإنفعالية وتشمل قلق الطفولة والمراهقة.

ج) الإضطرابات السلوكية وتشمل إضطرابات الإنتباه والتصرف.

د) الإضطرابات الجسمية وتشمل إضطرابات الأكل والحركة.

ه) الجانب العقلي وتشمل التخلف العقلي.

ثانياً _ تصنيف كوفمان وشمل على:-

أ) الحركة الزائدة والتخريب والإندفاعية.

ب) العدوان.

ج) الإنسحاب

هذه الأنواع من الاضطرابات تأخذ اشكالا سلوكية خطيره ومكرر و عدائية موجه ضد الآخرين أو ممتلكاتهم، أو ضد الحيوان، مصاحباً بالغش والخداع، وانتهاك خطير لقوانين الأسر والمجتمعات وحتى قوانين الدولة.

الشخصية الغير طبيعية

في علم النفس هناك مصطلح يستخدم بكثرة الا وهو (الشخصية الغير طبيعية) التي يمكن تعريفها بشخصية معينة والتي بسببها لايمكن لحامل هذه

الشخصية التأقلم والتعامل مع التغيرات التي تطرأ على حياة الفرد ويسبب له صعوبات في الحياة الأجتماعية والمهنية والشخصية والدراسية وتبدأ بوادر هذه الشخصية الغير طبيعية عادة في فترة المراهقة و تتحكم في الطرق التي يستعملها الفرد في تعامله مع الأفراد الأخرين المحيطين به وكيف يسيطر المرء على انفعالاته وفيما يلي قائمة بالشخصيات الغير الطبيعية:

- **الشخصية الوسواسية:** وتتميز بالدقة ، والنظام ، والنزعة للكمال والاهتمام بأدق التفاصيل والانشغال المفرط بدقائق الأمور، وعدم القدرة على التعامل مع روح النظام، وإنما التصلب في التعامل تقيدًا بحرفية الأنظمة لا معانيها .

وهذه الشخصية تُبالغ في المثالية، والإسراف في العمل بلا استرخاء، وعدم القدرة على الاعتماد على الآخرين في إنجاز الأعمال، وانعدام المرونة والعناد في ذاته، كما تتسم عادةً بالبخل والضمير الحي جدًا لدرجة المرض ويبالغ في حفظ الأشياء غير المهمة .

- **الشخصية الفصامية :** تتسم هذه الشخصية بالانطوائية والعزلة والانفصال عن الواقع وعدم الرغبة في العلاقات الحميمة، والميل إلى الأنشطة والهوايات الفردية ولا يتأثر عادة بنقد الآخرين كما يتصف ببرودة المشاعر والانفعالات.

- **الشخصية شبه الفصامية :-** تتسم بغرابة الأطوار واضطراب إدراك الواقع وعدم سلوك نمط محدد في حياته بل هو الإنسان الذي لا يتنبأ بما قد يفعل أو كيف يفكر في أي مستجد.أفكاره خيالية بعيدة عن الواقع كما أن سلوكياته تشذ عن مثل من يحيا مثل ظروفه. هذا الفرد في العادة واضح الاضطراب للآخرين إلا أنه قد يتلّبس فكرة معينة وينافح من أجلها مهما كانت غريبة .

- **الشخصية المتحاشية:-** و هي الشخصية التي تتحاشي الناس عن خوف و ليس عن عدم رغبة مثل الشخصية الأنطوائية فهذه الشخصية تتمني التخلص من

خوفها لتعيش مع الناس و تتعامل معهم و لكنها لا تستطيع فتشعر بالارتباك الشديد و الخوف من الناس و لذلك فان التحاشي و الهروب هي وسيلتها حتي لا تقع في الخطأ و لكي تحافظ علي كرامتها ولكن اذا استمرت هذه الحالة فترة من الزمن يكون امام هذا الشخص ثلاث طرق في حياته :-

1. اعتبار ان كل الناس اعداء فيبدا في محاربتهم ولكنه في الاساس يحارب خوفه ويقنع نفسه انه لابد ان يسيطر على الناس واذلالهم وهذه الشخصية هى الشخصية الذكية المريضة التى تستخدم الاجرام العقلى وتمتاز بالغدر والانانية ،وقد يلجا إلى الاجرام الجسدى.

2. ان تنطوى هذه الشخصية على نفسها وتخاف من الناس فتلجا إلى خيالها.

3. الشخصية الشبه الانطوائية وهى الشخصية التى تترقب اى فرصة للانتقام وهى شخصية تكتفى بالمراقبة في وقت ما حتى تسير مثل الوحش الذى يقتلع ماله وما عليه.وفى النهاية تمتاز هذه الشخصيات بالخيانه.

- **الشخصية الحدية :** هي نفس ذات بعد واحد ، ففيه التطرف الشديد في التفكير والمفاهيم حيث المثالية الشديدة ثم الخروج من القيم ثم العودة ثانية إلى المثاليات. هو متطرف في علاقاته مع التقلب خلال ساعات أو أيام بين الحب المفرط والبغض المفرط لذات الآخر. عنده اضطراب في تصور الذات كما أنه فجائي في تصرفاته ويتسم بعدم الاستقرار في المشاعر والانفعالات التي تسبق عادة أفكاره. يشعر بفراغ الذات وعدم وضوح الهدف وعنده ضعف في القدرة على ضبط نوبات الغضب .

- **الشخصية الهستيرية:** هي الشخصية التي تكون أنفعالاتها شديدة بالمقارنة بالاحداث

- **الشخصية الانهزامية:** هي الشخصية التي تتمتع بضعف في العزيمة ولا تخطط وتتحدث أكثر مما تفعل قليلة الفعل كثيرة الكلام كثيرة الشكوى

ضد الظروف وتنحني امام ابسط العواصف تعاني من تسلط اسري في الطفولة وقهر في البيت وخضوع للغير في كل نواحي الحياة

- **الشخصية النرجسية**: النرجسية تعني حب النفس، وهذه الكلمة نسبة إلى أسطورة يونانية، ورد فيها أن ناريس كان آية في الجمال وقد عشق نفسه عندما رأى وجهه في الماء.

الصفة الأساسية في الشخصية النرجسية هي الأنانية فالنرجسي عاشق لنفسه ويري أنه الأفضل والأجمل والأذكي ويري الناس أقل منه ولذلك فهو يستبيح لنفسة استغلال الناس وتسخيرهم. والنرجسي يهتم كثيرا بمظهرة وأناقته ويدقق كثيرا في أختيار ملابسه ويعنيه كيف يبدو في عيون الأخرين وكيف يثير أعجابهم ويستفزه التجاهل جدا ويحنقه النقد ولا يريد أن يسمع إلا المديح وكلمات الأعجاب.

النرجسية مصطلح استقاه المحلل النفساني سيجموند فرويد من الأسطورة اليونانية، ونرجس هذا هو "ابن الحورية الزرقاء ليروب، من مدينة ، حاصرها يوما إلــه النهر سيفيسيوس بقنواته، فتمكن من اغتصابها وقد قالت العرافة أن ابنها نرجس سوف يعيش حتى يبلغ سنا كبيرا بشرط أن لا يعرف نفسه أبدا.

وكان نرجس رمزا للجمال، وفي الواقع كان أي شخص له العذر إذا وقع في حب نرجس حتى عندما كان طفلا. وعندما بلغ ستة عشر سنة وقع في حب أحباء وعشاق من الجنسين رفضوا دون رحمة ودون تفكير أن يحبهم، إذ كان لديه غرور كبير.

- **الشخصية العاجزة**:- وتتميز بالسلبية وضعف النشاط الجسمي والعقلي وعدم الاستمرار أو المثابرة على نهج واحد لمدة طويلة، وينقص صاحبها الطموح ويشكو من عدم التكيف مع المجتمع، وكثيراً ما يفشل هؤلاء في الدراسة وهم دائمو التنقل من عمل إلى عمل نظراً لعدم استطاعتهم تحمل المسؤولية، كما أنهم أزواج فاشلون إلا إذا كانت الزوجة من النوع المسيطر فتنقلب الأوضاع ويصبح الزوج من ذوي الوظائف البسيطة الذين لا يطلبون من الحياة إلا الطعام والشراب

- الشخصية المازوخية :هي تلك الشخصية التي تجد الراحة وتستمتع حينما يتعدى عليها الغير بالأذى الجسدي والمعنوي، لذا تسعى أن تكون في مواطن أذى الآخرين لها .

- الشخصية الأعتمادية :- هي الشخصية الغير واثقة بنفسها والغير قادره على القيام بالاعمال التي تخصها لوحدها بدون الأعتماد على الأخرين،وهي لا تعارض الآخرين لخوفها من أنها قد يفقد مساعدتهم ومن أهم اسباب تكون هذه الشخصية البيئة السلبيه المحيطه نتيجة التربية على الترف والتدليل الزائدين وتلبية كل المتطلبات دون استثناء

- الشخصية الأنطوائية :- هي شخصية قليلة الكلام تحب العزلة و تتحاشي الناس بارادتها و تستمتع عندما تكون وحيدة و تقلق عندما تكون بين الناس و هي هواياتها فردية مثل القراءة و التأمل و الأستماع للموسيقي و ليس لها اصدقاء كثيرين و هي لا تجيد التعبير عن أنفعالاتها و تجد صعوبة في التعبير عن أفكارها و لا تتحدث بلباقة و لكنها تجيد التعبير علي الورق و تجد هذه الشخصية صعوبات كثيرة في التعامل مع الجنس الأخر لأن هذا التعامل يتطلب قدرات في التعبير تفتقده هذه الشخصية و لكن هذا لا يمنع أنه يقع في الحب بل و يكون أعمق إحساسا و أكثر رومانسية.

- الشخصية الدورية:- هي شخصية متذبذبة متقلبة فهي تجئ لها نوبات من الاكتئاب و هبوط المعنويات و عدم الحماس لاي شيء فتتحرك كالأنسان الالي لأداء الواجبات المفروضة عليها بلا أي روح و تستمر هذه الحالة أياما أو أسابيع قليلة ثم تعود الشخصية إلي حالتها الطبيعية أو إل حالة عكسية تماما من المرح والسرور و الشعور الغامر بالسعادة و الحماس و تستمر هذة الحالة أيضا أياما أو أسابيع قليلة ثم يعود إلى حالة الأكتئاب و تظل هذه الشخصية متقلبة بين المرح و الأكتئاب وتتاثر بالتقلابات وتثيرها أكثر مما ينبغي.

- الشخصية الشكوكية :- هي الشخصية الغير ناضجة أنفعاليا هي الشخصية التي ليس لها رد فعل متوازن مع الموقف و لا تستطيع أن تتنبأ بسلوكها المستقبلي

- الشخصية السلبية العدوانية :- هي شخصية تبدو طيبة و مسالمة و لكنها في الحقيقة تحمل عدوانا هائلا في داخلها يخرج بطريقة غير مباشرة و غير معلنة في الخفاء، و هذه الشخصية لم تعتاد المواجهة و التعبير عن رايها و الدفاع عن نفسها فهي تعرضت في طفولتها للقهر و الكبت لذلك فهي تخاف الناس و لا تصارحهم بمشاعرها الحقيقية"

- الشخصية البينية :- هي الشخصية شبه الفصامية و هي شخصية أفكارها غريبة نوعا ما و تفصلها عن الواقع أحيانا و تسيطر عليها الظنون و اللأوهام كما تسلك سلوكا في غاية الغرابة يثير الأندهاش كما قد تتصور هذه الشخصية أن لديها قدرات خاصة كالشفافية و معرفة الأحداث قبل وقوعها و رؤية ما لا يراه الناس، و مشاعرة متناقدة و متقلبة و لكنها تتسم عموما بالبرودةو هي شخصية أفكارها غريبة نوعا ما و تفصلها عن الواقع أحيانا و تسيطر عليها الظنون و اللأوهام كما تسلك سلوكا في غاية الغرابة يثير الأندهاش كما قد تتصور هذه الشخصية أن لديها قدرات خاصة كالشفافية و معرفة الأحداث قبل وقوعها و رؤية ما لا يراه الناس، و مشاعرة متناقدة و متقلبة و لكنها تتسم عموما بالبرودةو هي شخصية أفكارها غريبة نوعا ما و تفصلها عن الواقع أحيانا و تسيطر عليها الظنون و اللأوهام كما تسلك سلوكا في غاية الغرابة يثير الأندهاش كما قد تتصور هذه الشخصية أن لديها قدرات خاصة كالشفافية و معرفة الأحداث قبل وقوعها و رؤية ما لا يراه الناس، و مشاعرة متناقدة و متقلبة و لكنها تتسم عموما بالبرودة

- الشخصية السيكوباتية:- هى شخصية منحرفة بطبعها وهى معادية للمجتمع كله وتصنف في مجالين :-

1- **السيكوباتي المتقلب العاجز :** وهو كثير الشبه بالشخصية العاجزة ولكنه يزيد عليها الأنانية المفرطة، فهو لا يستقر على عمل، ويتخلل أعماله المشاجرات والمشاحنات، وتتعدد زوجاته وأطفاله من كل زوجة دون تحمل أي مسؤولية لرعايتهم، أو الإخلاص لأحد غير نفسه ولذته، وعلى الرغم من الحماس والعاطفة التي يظهرها إلا أنها سرعان ما تتبخر مع قضاء مراده

2-**السيكوباتي العدواني المتقلب الانفعال :** وهو أقل شيوعاً من النوع الأول وأكثر منه سوءاً، على سوء الأول، لأنه قد يدوس على كل شيء في سبيل تحقيق ما يريد، بما في ذلك القتل، ولا يهمه مصائب الآخرين أبداً ما دام بعيداً عنها، وله ذكاء خاص يتحايل به، وقد ينجح بعض هؤلاء في الوصول إلى بعض المناصب الكبيرة نظراً لانتهازيتهم وذكائهم الذي لا يعبأ بأي خلق ولا يتورع عن أي عمل يوصله لما يريد .

- **الشخصية الاضطهادية :-** وتأتي ضمن ثلاثة مجالات وهي :-

1. **الشخصية المرتابة:** وتتميز بعدم الثقة في الآخرين ، والتشكك بغير دليل واضح.
2. **الشخصية الفصامية:** وتتميز بالانطواء ، وعدم وجود الرغبة في العلاقات الشخصية مع الناس.
3. **الشخصية المعادية للمجتمع:** وتتميز بعدم احترام حقوق الآخرين وابتزازهم ، وارتكاب أفعال تخالف القانون

- **الشخصية التجنبية : -** وهي الشخصية التي يحاول الفرد الذي يتصف بها تجنب الأعمال و المهام الوظيفية التي تتطلب تواصلاً مع الآخرين و تجده لا يختلط مع الآخرين إن لم يتأكد بأنه سيكون محط قبولهم. هناك خوف مستمر من النقد في المحافل واللقاءات الاجتماعية وشعور بعدم الكفاءة ولذا تجده يميل إلى السكوت مع الآخرين. إنه الشعور العام بالنقص .

- **الشخصية الأكتآبية :-** وهي الشخصية التي ترفض أي عمل أو نشاط بسبب كآبتها. تنظر بسوداوية إلى مختلف جوانب الحياة. إنها أعراض الاكتئاب حينما تتمثل في شخصية فرد طول حياته .

الأسباب النفسية للإرهاب والعنف والتطرف

تتعدد الأسباب النفسية المؤدية للعنف والإرهاب والتطرف ويمكن تصنيفها إلى الآتي:

1) **الدوافع التدميرية النفسية المتأصلة:** هناك من يرى من علماء النفس التحليليين أن ذلك يرجع إلى غريزة الموت والميل التدميري (العدواني) الذي هو ميل متأصل ضارب الجذور في تكوين البشر منذ خلقه الله تعالى ومن أولئك فرويد، وميلاني كلاين ، ويحللها بعض النفسيين بأنها تصريف لطاقة أو لشحنات دافع العدوان والرغبة في التدمير سواء الموجهة إلى الذات أو إلى

2) **ضعف الأنا العليا (النفس اللوامة أو العقل والضمير)** وسيطرة الذات الدنيا ،الهوى أو النفس الأمارة بالسوء، على الشخصية الإنسانية: فيتصرف الشخص في هذه الحالة وفق هواه أو الإيحاءات الخارجية الصادرة ممن يعتقد أنهم رمز للقوة والحرية والمثل الأعلى له وتتكون هذه الشخصية عادة لدى الأشخاص الذين يشعرون بالنقص في ذواتهم، ولدى من تعرضوا لتربية والدية أو أسرية قاسية أو لدى الأشخاص الذين لم يحققوا ذواتهم ولم يجدوا من يأخذ بأيديهم أو يحتويهم وقد يكون لديهم ثمة ميول ودوافع للعدوان متخفية داخلهم أي يمكن أن تكون على مستوى غير شعوري فتظهر إذا ما سنحت لها الفرصة أو تهيأت لها الظروف، وقد تظهر هذه الميول ردة فعل للإحساس بالضعف والعدوان الدفين معا ، وتشير بعض الدراسات النفسية إلى أثر سلوك الآباء في شخصيات المتطرفين والعدوانيين فهم إما مضادون للمجتمع أو مدمنون للخمور أو من النوع الذي هجر أطفاله لسبب أو لآخر، وعجز عن الإشراف على تربيتهم، أو طلق زوجته، أو من النوع البارد عاطفيا.

3) **تضخم الأنا العليا بسبب الشعور المتواصل بوخز الضمير:** وهذا من الحيل النفسية الدفاعية التي يلجأ إليها الشخص لتطهير ذاته والتكفير عن تقصيره تجاه نفسه أو معتقده الديني أو مجتمعه وغالبا ما يقترن ذلك بالخجل والاشمئزاز من النفس والاكتئاب ويبلغ في مرضى الوسواس والاكتئاب النفسي حدا من القسوة والخطورة ما يجعل الحياة جحيما من العذاب وعبئا لا يطاق، هنا تستحوذ على الشخص حاجة ملحة لانتقاد نفسه والسعي إلى إنقاذها من الهلاك أو الشعور بالخطيئة والعمل وفق ما يرضى عنه ضميره ،هذا نوع من قلق (الأنا) إزاء (الأنا الأعلى)، كأن الأنا الضمير المتجهم لا يطيب له أن تطيب لنا الحياة.

4) **الإحباط في تحقيق بعض الأهداف أو الرغبات أو الوصول إلى المكانة المنشودة:** فقد يأخذ الإحباط لدى بعض الشباب صورة الشعور بالاكتئاب، وهناك من يتمرد ويظهر السلوك العدواني أو المتطرف نتيجة شعور الفرد بالهزيمة أو الفشل، وكلما كان موضوع الإحباط مهما لدى الشخص أو يتعلق بمجال حيوي ومباشر كان الإحباط أشد، وظهرت ردة الفعل بصورة أقوى واعنف.

5) **هذاءات العظمة:** تعد هذاءات العظمة عاملا نفسيا آخر، يمكن أن ييسر التورط في عنف أو حرب مدمرة، ويؤدي إليها. فهذاءات العظمة هو عرض مرضي عقلي، ويعني اعتقادا يسود فكر المريض بأنه شخص عظيم، دون أن يسند هذا الاعتقاد واقع يدعمه منطق ولقد كان (أدولف هتلر) مثلا واضحا لهذه الشخصية في إدارة الحرب ضد عدوه، فلقد غالى في تقدير قوة جيشه وكفايته في إدارة دفة الحروب غلوا كبيرا فكان من نتيجة هذا التصرف الجنوني أن تسبب في فقدان حياته الشخصية، وتدمير بلده، وفوق كل هذا فإن تصرفه هذا أدى إلى تقسيم ألمانيا إلى بلدين منفصلين هما ألمانيا الشرقية وألمانيا الغربية، ولقد أصبحت هاتان الألمانيتان متضادتين في توجهاتهما السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولقد كان من الممكن أن تتورط إحداهما في حرب ضد الأخرى، لولا أن انتهى الأمر إلى التوحد في دولة واحدة.

6) **هذاءات الاضطهاد:** تعد هذاءات الاضطهاد من أعراض المرض العقلي، ويمكن أن يحفز الرئيس أو القائد المضطرب إلى بدء حرب أو شن إرهاب أو عمل إرهابي، أو

إلى تفضيلها. ففي هذا الاضطهاد يعتقد القائد في دعاوى زائفة بأن الآخرين يكيدون للإضرار به، أو تدميره هو، أو بلده الذي يحكمه ويقوده، أو إلى فكره أو منطقه أو قيمه التي يؤمن بها، ولذا فإنه يصبح متشككا ويفضل أن يأخذ موقف الهجوم ويبدأ خطواته عن أن يأخذ موقف الدفاع. ففي مثل هذه الحالة، قد نجد بلده أو جماعته أو فريقه، يتورط بسهولة في حرب أو عمل إرهابي. ويلحظ أن هذاءات الاضطهاد هذه قد تكون مصحوبة بهذاءات عظمة فيكون أيسر على القائد أو جماعته للتورط بأساليب العنف أو الحروب أو لا تكون مصحوبة بهذاءات العظمة.

7) وقد دلت دراسات واسعة النطاق بين المضطربين والأسوياء بينهم قادة وزعماء ومنظمون لبعض الأعمال الإرهابية ظهرت منها فوارق كثيرة فيما يتصل بخبرات الطفولة في الأسرة. فكانت العلاقات الأبوية المضطربة أكثر شيوعا في المضطربين، كالإسراف في السيطرة والتأديب الصارم، هذا فضلا عن البيوت المحطمة من أثر الشقاق أو الطلاق أو الفقر.. كذلك أسفرت الدراسات عن دور الصدمات الانفعالية والأمراض الجسمي الشديدة في الصغر، وإذا تزامن ذلك بعد إرادة الله مع عامل وراثي أو عضوي أو عامل له صلة بناحية نفسية أو عاطفية فإن ذلك يمهد لظهور الاضطرابات الشخصية في الكبر.

8) **الشخصيات المتبلدة أو الفصامية:** الشخصية المتبلدة أو الفصامية هي العامل النفسي المهم والأخير من العوامل النفسية لظهور العنف والإرهاب والتطرف وهذه الشخصية تمثل حالة مرضية تجعل صاحبها منفصلا عن الواقع، مخطئا في تقدير ظروفه، خاليا من المشاعر، وغير مكترث بشيء (أي غير مبال)، فإذا كان قائد البلد أو رئيسه له هذا النمط من الشخصية فإنه سوف يسيء تقدير العوامل السياسية وغيرها من ظروف الواقع وملابساته، والتي تعد ذات أهمية قصوى (في تقدير المواقف واتخاذ القرارات المصيرية خاصة) كما أنه سيكون أيضا غير مكترث بالتدمير الذي سيقود بلده أو جماعته إليه، أو سيلحقه بعدوه منصور والشربيني.

الأسباب التربوية للعنف والإرهاب والتطرف على الرغم من أن العوامل التربوية ليست من الأسباب المباشرة للإرهاب، إلا أن النقص والسلبيات في الأنظمة والمناهج الدراسية تؤدي إلى ظهور مشكلة الإرهاب في بعض المجتمعات الإسلامية. ويمكن حصر الأسباب التربوية فيما يأتي:

1 - نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية من الابتدائي وحتى الجامعة في معظم البلاد الإسلامية. فما يدرس في مراحل التعليم الأساس، لا يؤهل شخصا مثقفا بثقافة مناسبة من الناحية الإسلامية، ليعرف ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وهو الحد الأدنى للثقافة الإسلامية، وقد أدى ضعف المقررات الدينية، وعدم تلبيتها لحاجات الطلاب في توعيتهم في أمور دينهم وتنوير فكرهم بما يواجههم من تحديات في هذا العصر؛ إلى نقص الوعي الديني بوجه عام مما يكون له الأثر السلبي على سلوك واتجاهات الأفراد واتجاهاتهم.

2 - عدم الاهتمام الكافي بإبراز محاسن الدين الإسلامي والأخلاق الإسلامية التي يحث عليها الدين: ومما يحث عليه الدين الإسلامي ويدعو إليه الرفق، والتسامح، وحب الآخرين ومراعاة حقوق المسلمين منهم وغير المسلمين، والسلام، والتعاون، والرحمة، والبعد عن الظلم والاعتداء والبعد عن الحكم بالأهواء الشخصية، وغير ذلك مما يدعم الأمن والحب والعدالة بالمجتمعات ولاسيما الإسلامية فالإسلام هو دين السلام والعدل والحرية. ولا بد من إظهار هذه المحاسن والأخلاقيات منذ بداية التعليم في الصفوف الأولى مع التركيز عليها في الصفوف الثانوية وبداية الجامعي.

3 - عدم الخضوع للنظام في مرحلة الطفولة في مختلف المراحل التربوية: والسبب في ذلك إهمال تدريب الإرادة بممارسة أعمال الضبط في ظروف الثورة والهيجان النفسي وبمقاومة الرغبات النفسية الشهوية ولا شك أن للإنسان نوازع وانفعالات سلبية لا بد من التحكم فيها وضبطها كالغضب، والشح والبخل عند الضيق والحاجة، والانتقام عند القوة والانتصار، وغيرها. ولهذا كله فإن بعض الأحداث الاجتماعية تحدث نتيجة عدم تكوين مثل هذه الروح الخاضعة للنظام.

الوسائط المساعدة على العنف والإرهاب والتطرف :-

1 - **وسائل الإعلام**: تلعب وسائل الإعلام دورا لا يستهان به في تغذية أو دعم أو ظهور العنف والإرهاب والتطرف فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار وأساليب للإخبار عن الأحداث أو تركيبها وعن الأشخاص وسيط مشارك لدى عديد من الدول ومن وسائل الإعلام التلفاز أو القنوات الفضائية التي في أغلبها تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن وإثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار والتهويل والتضخيم، ولو كان التناول في القضايا والموضوعات وحتى التحليلات تناولا إيمانيا يقوم على التعامل مع الحقائق والاستناد إليها في التفسير والتحليل، والتعليق وغيره، والمعايشة الحية للأحداث والتحري والتثبت من الأخبار وروايتها، ومراعاة الحالة النفسية المهيأة لدى المستقبل، وظروف الزمان والمكان ، لكان التأثير إيجابيا بل ولحدت من الآثار السلبية من حيث كونها سلاحا ذا حدين، وتعد شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) اليوم من الوسائط القوية الأثر في خدمة عمليات العنف والإرهاب الدولية، فهذه الشبكات تنشر الأفكار والمعلومات والتصريحات والأحكام بين الأطراف المشتركين فيها على امتداد العالم كله وهي مفتوحة على مصراعيها للانظمام المطرد إليها يوما بعد يوم، وهي تضم علاوة على ذلك كل شئ بدءا من الكتب التراثية وانتهاء بالأفلام المحظورة، فمثلا يمكن للمستخدم استعراض محتويات مكتبة الكونجرس الأمريكية الضخمة من خلال الإنترنت، وهو جالس في بيته أو محله كما يمكنه التعرف على أحوال المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ويزيد عدد مستخدمي شبكة الإنترنت، أو المشتركين فيها على تسعين مليون مستخدم أو مشترك في شتى أنحاء العالم، حيث ينضم إليها ما يقارب سبعة ملايين مشترك سنويا. كذلك ما تبثه الصحف اليومية من أخبار وصور، بل مقالات تحت الحرية المغلوطة أو الدعم الإرهابي المبطن بالمقابل، كل ذلك يساعد على ظهور

السلوكيات التي تخرج عن زمام المعقول والمنطق أو ردة الفعل الإرهابية أو المبالغ فيها.

2 - **رفقاء السوء**،وهذه تدخل ضمن العوامل الاجتماعية كذلك لا شك أن للرفقاء أو الشلة دورا لا يستهان به في النزوع نحو العنف والإرهاب والتطرف ولا سيما عندما يكون تأثير هذه الشلة قويا في وجود شخصية ضعيفة أو إيحائية أو غير مستقرة أسريا كما أنها تسمح للفرد بالتعبير عن رأيه بحرية حتى لو كانت آراؤه خاطئة بل ربما وجد فيها الفرد متنفسا للكبت الداخلي لديه أو محرضا على سلوك لا يقره المجتمع أو المنطق.

3 - **الدعم المالي**، وهو مما يسهل عمليات توفير وسائل العنف والإرهاب والحصول عليها أو شرائها أو تهريبها ، والاستفادة من المعطيات التقنية في إظهارها والتفنن في إشاعة الخوف والهلع بين الناس، ولا شك أن المال قوة ووسيلة مهمة للتمويل والتجهيز والدعم لمثل تلك الأعمال أو تشجيع بعض الأفراد على دعم أو تسهيل المهام المتعلقة بأعمال عنف أو عدوان أو إرهاب.

السلوك القيادي

الديموقراطية واهمية الكشف على سجل وسلوك القائد

ان إدارة شؤون الدولة المختلفة تعتبر من أصعب المهام وأكثرها دقة في التنفيذ وأعظمها مسؤولية أمام الله والشعب ، ويتعين على من يتولي تلك المهام أن يكون أهلا لها قادرا على إنجازها متمكنا من دفع بلاده باستمرار نحو التقدم والرقي محافظا عليها ومتفانيا من اجلها لا من اجل بقائه في الحكم ، لقد ولت عصور الجاهلية وهيمنة القوة التي تأسست وفق شريعة الغاب ، العالم اليوم يعيش انجازات العلم والحضارة والتقدم التقني والتكنلوجي ، الذي لم يتأسس من فراغ بل جاء نتيجة انطلاقة الفكر وحريته والتعبير عنه بألأسس والاساليب الديموقراطية، واستطاعت الديموقراطية طيلة القرن الماضي أن تضع حدّا لحياة أنظمة النازية والفاشية في أوروبا الغربية والجنوبية ، وأن تدكّ قلاع الاستبداد الشيوعي في روسيا وأوروبا الشرقية ، وأن تتغلغل بعمق في آسيا وفي إفريقيا.

يقول "التوسر " إن الصراعات الفكرية هي صراعات سياسية في النظرية ، والمعارك السياسية تربح أو تخسر أولا وقبل كل شيء داخل الأدمغة ، ومن ثم تأتي ضرورة احتلال المواقع الفكرية عبر إيجاد وإيصال فكر ديمقراطي ، حتى يأتي النظام الديمقراطي فيما بعد لا كنبتة غريبة مزروعة في أرض قاحلة وإنّما كشجرة باسقة متجذرة،

وعليه لايمكن ان تتجذر الديموقراطية وهي محاصرة بجنازير الدبابات والمدافع، ولا يمكن لها ان تنتقل بالمجتمعات وهي تخلد ساكنة تحت مظلة الحكم الاستبدادي والدكتاتوري ، والافكار الانقلابية وهيمنة النفوذ المادي .

والديموقراطية بمضامينها وشريعيتها العالمية لا يمكن ان تتبنى افكار وعقائد ومصوغات ايدلوجيه وسياسية خارجة على مباديء وقيم وثقافات الشعوب ، بل تأتي معززة لها ، وتفسح المجال واسعا لتجذيرها اضافة الى منطلاقاتها الايجابية المتعددة ، بالتالي لا يمكن ان تأتي باشخاص غير مؤهلين ليقودوا دفة الحكم وتولي المناصب القياديه والادارية العليا في الدولة ويقوموا على حكم الشعب.

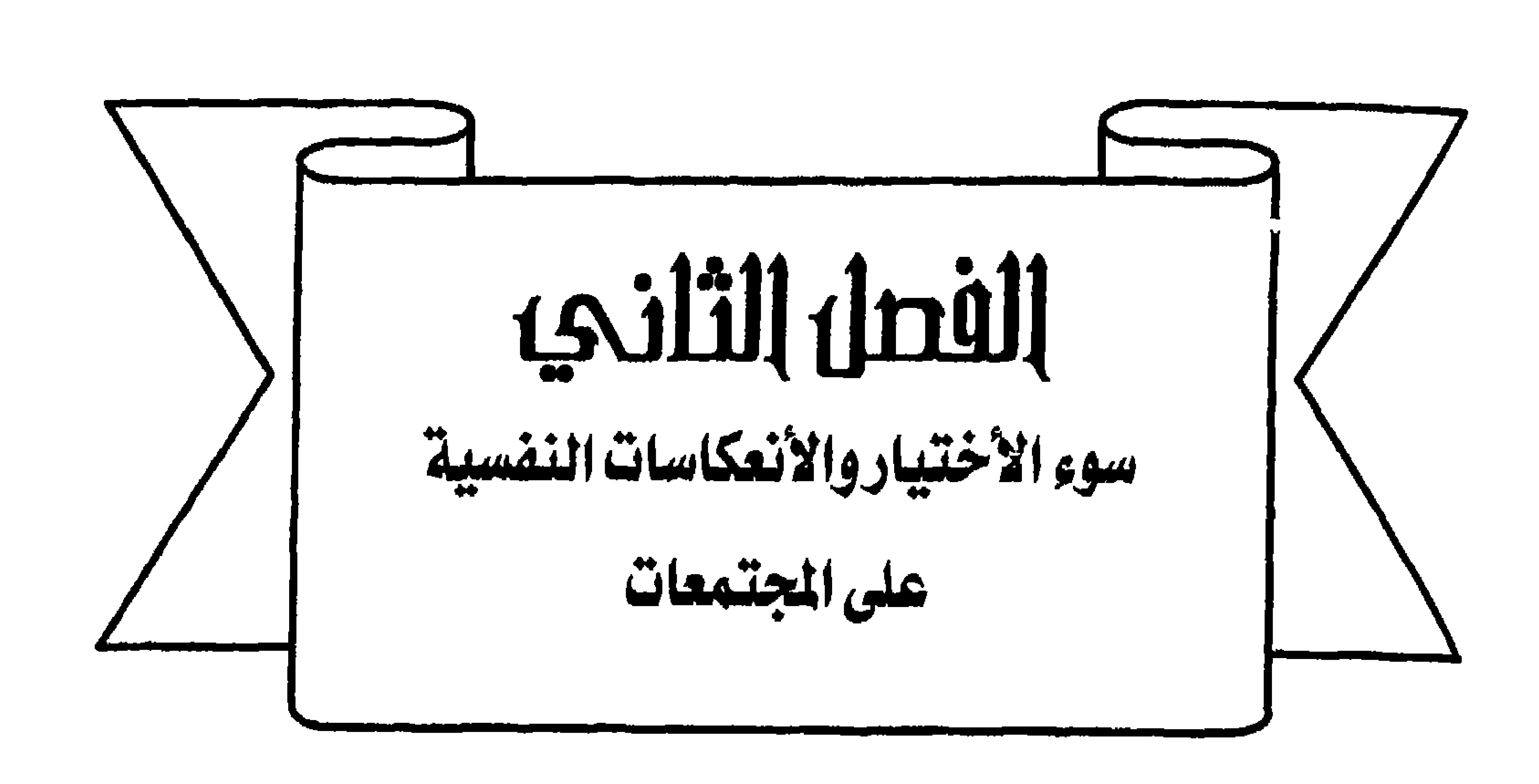
الديموقراطية تؤسس لأختيار الأمثل والأصلح والملم بالعلم والمعرفة والمتخلي عن الأنا والشخصنة وحب الذات، الديموقراطية وثقافة الشعب المتأصله والمبادىء السامية لا يمكن ان تقدم الطبيب مثلاً لكي يكون طبيبا مالم يتخرج في كلية الطب التي تعدّه لهذا التخصص ،وكذلك الفيزيائي والمهندس والقاضي وبقيةالاختصاصات الأخرى ، كونها اختصاصات تتصل بحياة وأرواح الناس ومعاملاتهم اليومية والنظر في حل مشكلاتهم ، إذن فما دامت تلك الأعمال أو المهن مهمة للناس ومزاولتها نافعة للمجتمع فلايمكن لأي فرد أن يتولاها إلا من خلال دخوله ثم اجتيازه لمؤسسة معينة تختص بأعداده لهذه الاختصاصات وبهذا فأننا لن نسمع أو نرى يوما ما بأن شخصا أو أشخاصا معينين قد حاولوا أن يعلنوا بأنهم قضاة دون أن يدخلوا معهداً قضائياً أو أي هيئة اخرى خاصة بأعدادهم لهذه المهنة وذلك ليس فقط بأنهم يفتقروا للخبرة في هذا المجال بل لأنهم يعلموا بأن المجتمع يرفضهم ولا يقبل التعامل معهم كقضاةَ يفصلوا بأمورهم حتى ولو كان لديهم حظا كبيرا من الثقافة في هذا المجال، وهذا المثال ينسحب على كافة الاختصاصات الأخرى ، وذلك كله لأجل تنظيم تبوء المناصب المختلفة ومنطقية مزاولتها اذا كيف من يتولى قيادة أو رئاسة الدولة ومن يتربع على عرش السلطة أليس من الواجب والضروري امتلاكه لكل عناصر ومقومات الشخصية التي تؤهله ان يكون بمستوى هذا المركز السامي الذي هو من أهم وأخطر المراكز والوظائف في الدولة وأكثرها مساساً بحياة وحريات الناس وارتباطها بمصير وسيادة البلاد كلها ، فبالرغم من أهمية الموقع الذي يتولاه الرئيس أوالقائد او أي من المراكزالحساسةو في القيادة العليا للدولة نرى أن طريقة الوصول الى هذا الموقع المتناهي في السموّفي كثير من البلدان هي طريقة فوضوية لا ينظمها أجراء تقبله الديموقراطية ولا مباديء وقيم الشعوب ولا العقول النيره في المجتمعات البشرية .

و تكريس الديموقراطية بمضامينها السامية تفرض على كل من يتقدم للترشيح للانتخابات العامة، سواء في الانظمة الرئاسية او البرلمانية ،او اي منصب قيادي مؤثر أن يكون قد اجتاز مرحلة التأسيس والتهيؤ وهي تقرر معيارالكفاءة والخبرة والنزاهة والتجربة والأخلاص للشعب ، يجب أن يكون مملوءً بالفكر والسياسة والقانون والاقتصاد وعلم الاجتماع والفلسفة وأن يغذى بفكرا لقيادة والإدارة بالإضافة

إلى تمتعه بالمؤهل العلمي الكبير والسيرة الحسنة والعمر المناسب كي يستطيع أن يدير المسؤولية على اكمل وجه ، وقبل هذا كله يجب ان يكشف على سجله السلوكي ، وان يخضع للكشف سريريا لدراسة كافة جوانب شخصيته ، من سلوك وانفعالات.

والمنطق يؤكد ان على من يقفوا أمام الشعب لغرض اختيارهم حكاماً له وممثلين عنه أن يكونوا جميعهم قادرين على تحمل المسؤولية في هذه الوظيفة الكبيرة لكي لا يفسح المجال امام أولئك الذين لا يملكون مؤهلات وقدرات ومتطلبات إدارة شؤون الدولة ويستحوذوا على المنصب بطرق غير شرعية قد تكون بأسلوب الانقلابات العسكرية او بالقدرات المالية ، يجب ان ترسخ الآليةالمثلى وهي (الديموقراطية) بكل ما تعني من مضامين ، وينطبق هذا الحال على كل المرشحين لتولي مناصب قيادية ، حتى في المجالس البرلمانية ، لأن مهامها ومسؤولياتها كبيرة ومشاركتها فاعلة ومؤثرة في ادارة شؤون البلاد وأولى مهامها متمثلة بتشريع القوانين ومراقبة أعمال السلطة التنفيذيه ، ولما كانت المجالس النيابية على هذه الدرجة العالية من الأهمية فيقتضي الوقوف بتمعن واهتمام شديدين للنظر في تشكيلتها المتمثلة بالأشخاص الأعضاء الذين يكونونها والذين يمثلون الشعب بأكمله فمن اللازم اذاً أن يكون هؤلاء الأعضاء البرلمانيون على درجة من الكفاءة والخبرة بل وحتى القدرات الشخصية والنفسية وامتلاكهم الثروة اللغوية وأن يكونوا ذوي أفكار راجحة وسديدة وآراء بنّاءة وغيرها من القدرات التي لايمكن إيجادها عند الأشخاص الآخرين إلا بعد عملياتِ اختبار تجري على شريحة من ذوي الاهتمامات السياسية إضافة إلى ما يمتلكوه من مؤهلات علمية وفكرية سابقة وإنجازات مشهودة ومرضية على الأصعدة ذات العلاقة بالاضافة الى فهم الولاءات والانتماءات السياسية والفكريه والتوجهات الايدلوجية لكل اؤلئك الذين يطرحوا انفسهم لشغل المناصب القيادية وممثلي للشعب في البرلمانات ، وان لا يكون في اجندتهم الا الاخلاص للبلد وفهم كل المتعلقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية فيه ، وان يكون التوافق والتجانس في الطروات والافكار المختلفة تنصب جميعها وفق المصلحة العليا التي تقتضيها حاجات الوطن ، وان تعدد الاراء والتوجهات والأفكاروالتفسيرات في فهم ما يطرح من انظمة وقوانين وتشريعات تنعكس سلبا فلا يصار إلى إنضاج القرارات والقوانين وهذا ضروري ليس

فقط لإنضاج القرار فحسب بل لتوفير الجهد والوقت في حسن تطبيقه أيضاً وللحيلولة دون سن قوانين مبهمة تؤدي إلى ظهور آراء متعددة لتفسيرها يكون لكل رأي منها مؤيدون ومعارضون مما يربك العمل ويؤخر سير الحياة ، ومن الضروري ايجاد آلية تؤهل بموجبها انتقاء أعضاء البرلمان ويجب ان تكون في غاية في الدقة وأن يكون هناك تشدد في فرض الشروط المطلوبة للترشيح كون الفائز في الانتخابات هوعضو في البنية الاساسية لبناء سياسة الدولة . وإذا كان العضو في البرلمان قد جاءت به الانتخابات العامة بعد أن اختارته جماهيره وهي ليست على دراية كافية بالتجربة والثقافة السياسية وإنما اختيربالرغم من عدم صلاحيته لهذا الموقع لأسباب أخرى مختلفة لا صلة لها بما يحتاجه هذا العنوان القيادي والسياسي، فهو سوف لن يقدم لجماهيره ما ينفعهم وسينعكس تطفله في البرلمان سلبا على الوطن والشعب ويكون فراغه الأدائي سمعة سيئة على البرلمان والحكومة من نواحي مختلفة.



الفصل الثاني

سوء الأختيار والأنعكاسات النفسية على المجتمعات

سوء الأختيار
والأنعكاسات النفسية على المجتمعات

يقول الدكتور محمد المهدي استشاري الطب النفسي، كان أحد حكماء الطب النفسى العالميين وهو البروفيسور " أوتو و. ستينفيلد " OttoW.Stenfeldt) يلقى كلمته عن حقوق المريض وحقوق الإنسان، فى مؤتمر الطب النفسى المنعقد بالقاهرة يوم 2005/9/14 وكان يقرأ كلمته من أوراق مكتوبة، ولكنه حين وصل إلى نقطة معينة رفع عينيه عن أوراقه ونظر إلى الحاضرين الذين كانوا يملئون قاعة خوفو بمركز القاهرة الدولى للمؤتمرات، وبدأ ينبه بشكل خاص إلى خطر قادم ألا وهو انتشار اضطرابات الشخصية فى المجتمعات ربما بشكل وبائى أكثر من معدلاتها المعروفة والمتوقعة فى المجتمعات البشرية على مر العصور، والسبب فى ذلك يرجع فى رأيه إلى أن قيادات العالم لم يعودوا قدوة للناس بشكل عام وللصغار والشباب بشكل خاص، حيث أسقطت هذه القيادات من حساباتها الكثير من القيم الأخلاقية واختارت مسارات تتسم أغلبها بالكذب والخداع والنفعية والتحايل والبطش والسيطرة والإستغلال والابتزاز وبالتالى نشروا قيما سلبية بشكل هائل عبر وسائل الإعلام المسلطة عليهم ليل نهار، وأصبحت هذه القيم غير مستنكرة من الناس بسبب شيوعها على هذه المستويات القيادية فى حرب الخليج وقبولهم لخداعات تونى بلير ونجاحه ونجاح بوش الإبن بعد كل هذا، وتواطؤ وسكوت حكام العالم وقد كان الناس قبل هذا فى المجتمع الغربى يسقطون أى زعيم يكذب عليهم أو يخدعهم، ولكن يبدو أن الأمور تغيرت وأن الفساد الأخلاقى يعم، ويصبح مألوفا وأحيانا مبررا أو مقبولا طالما يحقق مصالح من يقومون به.

ثم انتقل العالم الكبير إلى نقاط أخرى فى كلمته، ولكننى رحت أسترسل فى تتبعاتى لهذه النقطة الخطيرة فى كلمته، والتى كنت أستشعرها ولكنها لم تكن قد تبلورت إلى هذا الحد، تلك الظاهرة التى لو أخذناها على محمل الجد (ولا بد أن نأخذها كذلك) لعرفنا أنها تجر البشرية كلها إلى هاوية سحيقة.

ويقول الدكتور المهدي وبعد ذلك بيومين بثت وكالات الأنباء من لندن، أهرام الجمعة 2005/9/16) نتيجة استطلاع عالمى أجراه معهد جالوب لحساب إذاعة " بى بى سى " وشمل 50 ألف شخص فى 68 دولة، وكانت نتيجة الإستطلاع أن ثلثى سكان العالم تقريبا يعتقدون أن دولهم لا تحكم بإرادة شعوبها وأن 11٪ فقط يثقون فى رجال السياسة. وذكر الإستطلاع أن غالبية الشعوب تود أن يحكمها واحد من فئة المفكرين مثل الكتّاب والعلماء، وحصلت هذه الفئة على 35٪ من الأصوات

بينما قال 25٪ إنهم يودون أن يحكمهم زعماء دينيون، لاحظ أيضا تدنى الثقة فى الزعماء الدينيين ،وكشف الإستطلاع عن أن 48٪ من الناس لا يصدقون أن الإنتخابات فى دولهم تجرى بطريقة حرة ونزيهة.

وإذا تأملنا هذه الأرقام عرفنا إلى أى مدى وصلت الأمور حيث أن 89٪ من الناس لا يثقون فى رجال السياسة فما الذى أدى إلى هذه النتيجة المفزعة ، واذا ما بدأنا فى استعراض تاريخ هذا السياسي وقراراته وسلوكياته ثم تحاول عرض ذلك على ميزان قيمى سليم، فستفاجأ بوجود كم هائل من القيم السلبية ظاهرة وباطنة، وأخطر ما فى الأمر أن هذه القيم السلبية مغلفة بغشاء من الكذب والإدعاء والزيف تضاعف من خطورتها وبشاعتها وسلبيتها، ويكفى أن تراجع مواقف القادة الأمريكيين والبريطانيين وغيرهم قبل وأثناء غزو العراق لترى إلى أى مدى وصل الوضع الأخلاقى والسلوكى بوجه عام لدى هؤلاء، فهذا يتحدث عن وجود أسلحة لا دليل على وجودها، ويتحدث عن الشرعية وينتهكها، ويتشدق بالعدل ويدوسه تحت قدميه، ويتحدث عن المبادئ ويكيل بمكيالين أو ألف مكيال، ويتحدث عن السلام وهو يشعل النار فى كل مكان فى العالم، ويتحدث عن نشر الديموقراطية فى دول العالم الثالث وهو يدعم الاستبداد ويمارسه عالميا ليل نهار، وذاك يتحدث عن رفاهية شعبه المزعومة فى حين يقاسى شعبه شظف العيش و ويتحدث عن الحرية وهو يحتجز الآلاف خلف جدران سجونه ومعتقلاته، ويعد بالرفاهية فلا يرى الناس إلا مزيدا من التعاسة والشقاء، وهذا يتحدث عن الصدق والنزاهة والشفافية والعدل واحترام كرامة الإنسان بينما كل أعماله الظاهرة والباطنة تطفح بالكذب والتزوير والغموض والظلم وإهدار كرامة الإنسان

والجديد فى هذه الحقبة هو سعة الإنتشار والتغلغل الوبائى لهذه النماذج على كافة المستويات خاصة فى مراكز القيادة على مستوى العالم المتقدم والمتأخر، وفى نفس الوقت قدرة وتوحش الآلة الإعلامية الجبارة فى تقديم هذه النماذج ليل نهار للعالم على أنهم قادة السياسة والرأى والفكر والصناعة، وأن ما يتبنونه من قيم هى قيم التفوق والنجاح والتأثير، والنتيجة المتوقعة والحاصلة هى توحد كثير من الناس حتى المتضررين من سلوك هذه النخبة وهو التوحد مع المعتدى وهذه العملية النفسية حين تحدث لأى شعب فهى كارثة كبرى حيث يفتقدون الرؤية النقدية للتشوهات السلوكية فى القيادة وفى المجتمع ومن هنا تصبح الإفاقة بعيدة المنال وتتوقف على قدرة قلة من نخبة المثقفين وأصحاب الر أى

وحين يسود الفساد ويتغلغل، يصبح مألوفا ويصبح هو القاعدة التى تحكم غالبية سلوكيات الناس، وفى هذا الوضع تقل أو تدفن أو تتوارى أو تضعف أو تستبعد كل القيادات الأخلاقية المتميزة، ويعيش أصحابها حالة من العزلة والإنكماش والإستبعاد والإستضعاف والإغتراب فلا يراهم الناس ولا يسمعون لهم صوتا، وهذه هى الحال التى وصل إليها قوم لوط حين قالوا عن المؤمنين الطاهرين منهم : أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ، فقد أصبح التطهر فى هذا المجتمع الموبوء جريمة تستحق الإبعاد. والمجتمعات التى على هذه الشاكلة تعرفها بوجود هيئة أو مؤسسة وظيفتها التحرى حول ميول واتجاهات المرشحين للوظائف بعيدا عن مؤهلاتهم العلمية أو مهاراتهم أو قدراتهم الوظيفية ، وتصبح الوظائف القيادية مقصورة على من تنطبق عليهم مواصفات هذا المجتمع، ومع مرور الوقت واستمرار عملية الإنتقاء تفرغ المراكز القيادية العليا والمتوسطة من العناصر النظيفة أو الأخلاقية أو الفاعلة وتقتصر على المستسلمين والموافقين والمنبطحين والفاسدين، وهكذا تقوى منظومة الفساد وتتسع دوائره لكى تحمى بعضها بعضا ، وتكون النتيجة النهائية سيادة سمات اضطرابات الشخصية فى عدد هائل من أفراد المجتمع خاصة الصفات السيكوباتية النفعية والإنتهازية (الكذب، التحايل، الخداع، النفاق، السرقة، الإبتزاز، التضليل، التزييف).

والمشكلة أن طريقة وصول قيادات العالم للحكم سواء بالانتخابات فى الدول المتقدمة أو بالإنقلابات فى الدول المتخلفة ، تعطى فرصة أكبر لمن استطاع أن يخادع أو يناور أو يشترى الذمم والأصوات أ و يستولى على السلطة بالقوة والقهر أن يصل إلى سدة الحكم، فى حين أن أصحاب الأخلاق غالبا ما يفشلون فى الوصول عن طريق هذه الآليات فهم لا يملكون القدرة على المناورات الإنتخابية فى الدول الديموقراطية، وربما لا يملكون المال، ولا يملكون القدرة للوصول بالقوة العسكرية فى الدول المتخلفة ، وفى الحالتين نجدهم مستبعدين من النخبة الحاكمة إلا فيما ندر.

ونتيجة هذا الخلل هو فى النهاية خلل فى التركيبة النفسية للأفراد والشعوب حيث تتجه الأنماط والسمات الشخصية إلى الجانب الأيسر من المنحنى فيتبنى الناس الكثير من قيم الكذب والخداع والإستغلال والإبتزاز والتحايل والتلون والتزوير والتلفيق والعنف والتسلط والقهر، يقابل هذا حالة من غياب القيم الدينية أو تغييبها أو تشويهها أو وصمها بالتطرف والإرهاب، والقيم الدينية هى منبع القيم المطلقة المرتبطة بالسماء وليس بأطماع الناس وشهواتهم، وهى مطلقة بمعنى أنها لا تتغير حسب الظروف أو الأشخاص أ و المصالح فالصدق صدق فى كل الأحوال والظروف والأمانة كذلك والرحمة والتسامح والإخاء والتكافل والحب

إذن فهذا الواقع ينذر بأننا أمام حالة من التلوث الوبائى يصيب الشخصية البشرية على نطاق واسع، أو فيروس يخترق البرنامج الإنسانى ويشوهه. وهذا التلوث أو هذا الفيروس عابر للثقافات والقارات والمجتمعات، وهذه خطورته، لذلك لا تفيد فيه المحاولات البسيطة أو المحلية للمواجهة، بل يحتاج لعقل الحكماء والعلماء الموضوعيين الموجودين على سطح الأرض ليقوموا بالتشخيص واقتراحات العلاج وآلياته ومتابعة تنفيذه بعد أن يخترقوا سحب الزيف والكذب والخداع والضلال لكى يصلوا إلى جوهر الحقيقة وينبهوا البشرية إلى الطريق الصحيح بعد أن ضلت أو كادت أن تضل الطريق.

وقد كان هناك اتجاه فى الجمعية العالمية للطب النفسى بأن تقترح آلية لاكتشاف الإضطرابات النفسية لدى القادة والرؤساء واتخاذ ما يلزم لتجنيب ا

لمجتمعات البشرية مخاطر قرارات هذه الفئة الحاكمة من الناس الذين يملكون في أيديهم ترسانات هائلة من الأسلحة أو مليارات الدولارات ويمكن أن يهددوا بقراراتهم الملايين من أرواح البشر، أو يهددوا راحة واستقرار ونموالبشرية جمعاء اذا كيف بنا امام حال أولئك الذين تحت أيديهم قدرات عسكرية نووية أو بيولوجية أو تقليدية ، واقتصادية هائلة ، إذ كيف يتم تقييم الحالة النفسية أو الإضطرابات الشخصية لهذه الفئة من الناس، لتجنيب البشرية مخاطر التشوهات النفسية والخلقية التى تصيب بعض قادتها وتؤدى إلى تشوه شعوبها وتلوث البيئة العالمية والمجتمع الإنسانى.

انحراف سلوك القادة والأثار المدمرة

إن مجرد اطلالة على سائر الأحداث المأساوية في التاريخ البشري ، تتصدر قائمتها مآسي القرن العشرين ومطلع القرن الحادي والعشرين ، واذا ما بحثنا في الاسباب ، يبرز الى الأفق سبب رئيسي وهو تصدر امريكا لزعامة العالم ، ولا اعني هنا امريكا كجغرافيا وشعب وقوة انما اعني فئة قليلة من الاشخاص كتب لهم ان يكونوا على رأس السلطة في اعظم دولة تقود العالم وتمتلك من القدرات الاقتصادية والقتالية ما يصل بها الى ابادة البشرية جمعاء ، ولست هنا بالمتجني ولكن استخلص هذا نتيجة واقعية حقيقية من الدراسات العلمية والنفسية والاستطلاعات والبحوث والدراسات الجادة التي قدموها قادة الفكر ومنظمات وهيئات امريكية سعت لبيان الواقع المرير الذي وصل اليه العالم والشعب الامريكي بالتحديد نتيجة لسؤ الأختيار الشعبي الامريكي لقادة دولتهم العظمى ، والتي اكدت جميعها ان المرجعية وراء هذا الواقع انما مرده السلوك المنحرف الذي يعاني منه اغلب قادة الولايات المتحدة الامريكيه كذلك الحال في كثير قادة دول العالم الذين تسببوا في سحق موارد بلدانهم ، وتشتيت شعوبها ،

والامثلة كثيرة لا تحصى ، في حين صنف عدد كبير من علماء النفس سلوكيات بعض قادة الولايات المتحدة الامريكية بمستوى سلوك الزعيم النازي هتلر وزعيم الفاشية موسوليني ويبرز سلوكهم من واقع مجريات الاحداث والمآسي التي شهدها العالم منذ اندلاع الحرب العالمية الثانية والتي كان يعتقد ان من اسبابها الرئيسية ذلك النزاع (الألماني – البولندي) حول ممر وميناء دانتزج، في حين أن

الأسباب الحقيقية لتلك الحرب هي التسويات التي حدثت ما بعد الحرب العالمية الأولى، والتي أدت إلى تغير في رسم خريطة العالم، وبخاصة أوروبا، فمجموعة المعاهدات العقابية التي اتخذت ضد المانيا اخذت طابع انتقامي ، ودفعت بأحد أعضاء الوفد الألماني في مؤتمر الصلح في "فرساي" سنة1337هـ 1919م إلى القول للحلفاء سنراكم مرة ثانية بعد عشرين عامًا، وصدقت نبؤته ، فكانت الحرب العالمية الثانية التي طالت أغلب دول العالم، وكانت الأعنف في حروب البشر وصراعاتهم.

الألمان كانوا يأملون من صلح فرساس العدل بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى، الا انها 12.5٪ من مساحتها، و12٪ من سكانها، وحوالي 15٪ من إنتاجها الزراعي، و10٪ من صناعتها، و74٪ من إنتاجها من خام الحديد، وتقلّصت مساحة السواحل الألمانية على بحر البلطيق وبحر الشمال، ونصت بنود الصلح أيضًا على الحيلولة دون قيام الوحدة بين ألمانيا والنمسا التي تضم أكبر مجموعة من الألمان تعيش خارج ألمانيا، ودخل نحو مليوني ألماني في حدود بولندا، ونحو ثلاثة ونصف مليون ألماني في حدود دولة تشيكوسلوفاكيا التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت هذه الأقليات الألمانية سببًا في عدم الاستقرار، وفرضت على ألمانيا تعويضات قُدِّرت بستة مليارات وستمائة مليون جنيه بخلاف فوائدها، واذا ما تمعنا القراءة في بنود صلح فرساي فاننا نلاحظ ان التاريخ يعيد نفسه في الصراعات الدولية القائمة

فقد حددت معاهدة فرساي بأن لايزيد عدد افراد الجيش الألماني عن مائة الف جندي ، وحددت سفن الأسطول الألماني، وحرمته من امتلاك سلاح الجو، مع دفع تعويضات ضخمة للحلفاء. وبالإضافة إلى ذلك تقرر أن تخلي ألمانيا المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الراين بعرض ثلاثين ميلا من القوات العسكرية، وكانت فرنسا تريد فصل هذه المنطقة عن ألمانيا، وإقامة دولة مستقلة فيها تكون حاجزا بينها وبين ألمانيا التي أُجبرت على التخلي عن مستعمراتها فيما وراء البحار.

وتدهور الاقتصاد الالماني لدرجة قاسية تسببت في عدم استقرار سياسي، ثم تعمقت هذه الأزمات سنة 1348هـ=1929م عندما تعرض العالم لأزمة اقتصادية طاحنة بدأت في الولايات المتحدة، وانتقلت منها إلى جميع دول العالم، الا ان معاناة

المانيا كانت اشد وطأه وتوقفت أغلب مصانعها، وزاد عدد العاطلين بها عن ستة ملايين عامل، وانتشرالفقر والجوع والسخط في نفوس العمال، وخرجت المظاهرات ترفع الأعلام الحمراء (التي كانت تعبر عن الشيوعية)، فتطلعت الأنظار إلى حزب العمال الاشتراكي الوطني الذي يرأسه أودلف هتلر، وانضم إليه الجنود القدامى، وكثير من أرباب المهن، وأُعجب هؤلاء بالنازية التي تنادي بتوحيد الألمان في دولة واحدة تتساوى مع الدول الكبرى، وإلغاء معاهدات الصلح المهينة، وإبعاد اليهود والأجانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ألمانيا، واتخذ هذا الحزب من شارة الصليب المعقوف رمزًا له.

وقد تضاعف عدد النازيين أثناء الأزمة الاقتصادية، فحصل حزب هتلر على المركز الثاني في مقاعد "الرايخستاج" (البرلمان) عام 1349هـ=1930م، ثم حصل هتلر على أغلب الأصوات 24 مليون صوت في انتخابات 1350هـ1932م وتولى منصب المستشارية (رئاسة الوزراء) في ألمانيا في1351هـ يناير 1933م.

ولم يكد يتسلم مهام منصبه حتى عزم على السيطرة على زمام الحكم في البلاد، فاستصدر أمرًا بحل "الرايخستاج" وإجراء انتخابات جديدة، وبدأ في عملية إرهاب ضد أعدائه ومعارضيه خاصة الشيوعيين، ثم أعلن أن الحزب الوطني الاشتراكي النازي هو الحزب القانوني الوحيد في البلاد، ثم تولّى سنة 1353هـ1934م منصب الرئاسة في ألمانيا مع احتفاظه بمنصب المستشارية، وكان ذلك تمهيدا لطريق الحرب العالمية الثانية.

في تلك الاثناء ظهرت الفاشية في إيطاليا في ظروف الخطر الشيوعي الذي هددها، وكانت إيطاليا قد انضمت إلى الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى لتحقيق مغانم استعمارية في أفريقيا والشرق الأدنى والساحل الأدرياتيكي، وفقدت في تلك الحرب حوالي (650) ألف جندي، غير أن الحلفاء عاملوها كشريك صغير عند توزيع الغنائم، فلم تفُز في الصلح بغير تسعة آلاف ميل مربع من الأرض في أوروبا، ومليون ونصف في جهات مختلفة، ولم تقنع روما بهذه المكاسب التي أثارت استياء الإيطاليين.

وفي نفس الوقت ساد جو من الاضطراب وعدم الاستقرار في الحكم؛ فتعاقبت الوزارات، وتفشّت البطالة وتراكمت الديون، وأصبحت غالبية الشعب تميل نحو

الشيوعية، عندها تقدم اليمين المتطرف بزعامة موسوليني للسيطرة على الحكم، وقاد عملية الزحف على روما في (ربيع أول 1341هـ = أكتوبر 1922م)، واستطاع أن يُسقط الحكومة ويؤلف الوزارة، ومنذ ذلك التاريخ بدأت الفاشية في إيطاليا، وقاد سياسة توسعية خارجية، وطالب بإعادة النظر في مشكلة التعويضات، ومعاهدات الصلح.

ومع تولّي النازيين بزعامة هتلر للحكم تعرض ميزان القوى في أوروبا للخطر، وكانت سياسة هتلر الخارجية تهدف في البداية إلى إزالة عار الهزيمة وتبعاتها عن ألمانيا لكي تحتل مكان الصدارة بين الأمم، وتقوم بتصفية حسابها مع من أذلُّوها – خاصة فرنسا- ، ويتم توحيد وضم الشعوب الألمانية في دولة واحدة، وكانت خطواته لتحقيق ذلك تحطيم معاهدة فرساي، والقضاء على بنودها، ثم بسط السيطرة الألمانية على أوروبا سواء بالوسائل السلمية أم الحرب.

و شرع هتلر في إعادة تسليح ألمانيا، فأعلن في المحرم 1354هـ مارس 1935 امتلاك السلاح الجوي، ثم عقد اتفاقًا بحريًا مع بريطانيا في نفس العام، ألغى فيه التحديد الصارم للقوات البحرية الألمانية مقابل اعترافه بتفوق القوات البحرية البريطانية، وتساهلت معه بريطانيا في عدد وحمولات الغواصات التي يمكن لألمانيا امتلاكها، وبذلك استطاع أن يفصل بريطانيا عن الحلف الذي أقامته فرنسا مع الاتحاد السوفيتي، كذلك زاد عدد الجيش الألماني إلى (300) ألف مقاتل بدلاً من (100) ألف، ثم فرض الخدمة العسكرية الإجبارية، وإقامة جيش دائم في السلم يُقدر بنصف مليون جندي.

ثم شرع هتلر في احتلال أراضي الراين في المحرم 1355مارس 1936م رغم أن صلح فرساي ينص على أن تكون منطقة محايدة منزوعة السلاح ضمانًا لأمن فرنسا. وفي نفس الفترة احتلت إيطاليا الحبشة، وبذلك فسدت العلاقة بين إيطاليا والحلفاء، وكانت تلك بداية تكوين تحالف المحور

وكان لاحتلال هتلر للنمسا في آذار 1938 ثم تشيكوسلوفاكيا في العام الموالي وبولندا في سبتمبر/ أيلول 1939 ثم تهديده إيطاليا بغزو ألبانيا، سببا مباشرا في إعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على دول المحور.

واشتعلت الحرب في أوروبا وكان الجيش الألماني متقدما على جميع الجبهات الأوروبية، واحتل أغلب الدول ودخلت قواته باريس .

في تلك الأثناء ألهب الزعيم الانجليزي ونستون تشرشل مشاعر العالم الغربي بكلماته النارية المشهورة ليعلن الحرب علىالديكتاتورية النازية، لم يكن يدرك انه بإعلانه هذا إنما يعلن نهاية عمر الامبراطورية البريطانية التي حكمت العالم لأكثر من ثلاثة قرون، وسيطرت على أربعة أخماس الكرة الأرضة؛ ولو أنه عرف مسبقاً أن لعبة الحرب لن تلقح إلا ثماراً محرمة، لما تمسك بالمر البولوني سبباً لإشعال فتيل الحرب الذي كان يملك وحده القدرة على إشعال طرفه، بل ربما كان قد تنازل عن حماية بولونيا كلها للوصول إلى تسوية سليمة مع الزعيم الألماني هتلر، وكان ذلك أمراً ممكناً. وهكذا قاد تشرشل بريطانياً والعالم إلى حرب وهو معصوب العينين برباط من العمى السياسي ، وعندما انتهت الحرب، كان هناك عالم بكامله قد اختفى

امريكا في الحرب

كان مبدأ الحياد هو الغالب على سياسة الولايات المتحدة منذ مطلع القرن التاسع ويعرف بمبدأ مونرو ، وهو إعلان أطلقه الرئيس الأميركي جيمس مونرو سنة 1823 وقد نص مبدأ مونرو الذي تم طرحه في خطاب أمام الكونغرس الأمريكي على:

- ضرورة عدم مد الدول الأوروبية نفوذها الإستعماري نحو أميركا.
- التزام الولايات المتحدة من جانبها بعدم التدخل في المشكلات أو العلاقات الأوروبية.

إلا أن هذا المبدأ تم التخلي عنه بعد قرن من إقراره عندمااعلن الرئيس وودرو ويلسون (1913- 1921) الدعوة الى الحرب واستخدام القوة العسكرية، ومع أن أهمية التمسك بمدأ مونرو ظلت تتردد في الأوساط السياسية الاميركية، إلا أن مجيء فرانكلين روزفلت الى الرئاسة (1933 – 1845) قضى على هذا المبدأ ومنذ ذلك التاريخ أصبحت أميركا تنتهج خطاً عسكرياً مؤثراً في الاحداث الدولية وتهدد أمن كل من يقف أمام المصالح الاميركية اعتماداً على الإمكانات الهائلة التي تمتلكها

الولايات المتحدة. وأصيب العالم بهزة عنيفة احدثت اضرارا بالشرية ضعف ما يحدثه زلزال عنيف جراء دخول امريكا تلك الحرب فقد العالم حوالي 70 مليون نفس بشرية بين عسكريين ومدنيين .

ومن أبرز نتائج تلك الحرب وخسائرها إسقاط قنبلتين ذريتين على اليابان، فالأولى كانت قنبلة يورانيوم تزن أكثر من 4.5 أطنان وتم إسقاطها في الساعة 8:15، وقد أخطأت الهدف قليلا وسقطت على بعد 800 قدم منه. وبعد ذلك بدقيقة واحدة قتل 66 ألف شخص وجرح 69 ألفا بسبب التفجير المتكون من 10 آلاف طن.

أما الثانية فكانت قنبلة بلوتونيوم وتم إسقاطها في وسط ناغازاكي، وفي لحظة واحدة انخفض عدد سكان المدينة من 422 ألفا إلى 383 ألفا لأن 39 ألفا قتلوا و25 ألفا جرحوا، اذ خسر الحلفاء في الحرب العالمية الثانية حوالي 12.3 مليون عسكري، منهم 8 ملايين سوفييتي وخسرت قوات المحور 7.2 مليون عسكري منهم 5 ملايين ألماني. كانت خسائر السوفييت هي الأكبر في الأرواح، فخسرت ما مجموعه 28 مليون ضحية، منهم 20 مليون مدني و8 ملايين عسكري. وتشير التقديرات إلى أن الخسائر البشرية للحرب العالمية الثانية كانت موزعة بنسبة 84٪ للحلفاء و 16٪ لقوات المحور.

وتشرد الملايين من البشر ، وانهار الاقتصاد الأوروبي انهيارا كارثيا ودمر 70٪ من البنية التحتية الصناعية في كل انحاء اوروبا ، وفتحت أميركا الباب واسعا أمام التسابق المحموم نحو امتلاك أسلحة الدمار الشامل.

تخبط القيادة الامريكية وفخ فيتنام

الصورة القاتمة التي لطخت الوجه الامريكي عالميا ذلك التدخل غير المبرر بين فيتنام الجنوبية والشمالية وذلك للحيلولة دون توحدهما ،فكانت النتائج على غير ماتوقعتها امريكيا ولم تكن مجرد هزيمة عسكرية وسياسية ، بل كانت ضربة قاسية لقدرة الولايات المتحدة الاقتصادية، فقد استنزفت قواها المالية حتى الاحتياطي الأميركي من الذهب.

وتعود أسباب الصراع في فيتنام إلى الحرب التحررية التي قادها الفيتناميون ضد المستعمر الفرنسي والتي استمرت ثماني سنوات (1946 إلى 1954)، وكانت فيتنام قد تعرضت لاحتلال ياباني نهاية الحرب العالمية الثانية قبيل هزيمة اليابان وانتهز الثوار الفيتناميون فرصة هزيمة اليابان فاحتلوا هانوي عاصمة البلاد مرغمين الإمبراطور الفيتنامي "باو داي" على التنحي عن الحكم. وتدخلت فرنسا واستعادت مستعمرتها فيتنام نهاية 1945 وبداية 1946، مجهضة أحلام الثوار في حكم بلادهم.

وأعلن الفيتناميون الحرب على الفرنسيين مع نهاية 1946، التي انتهت بهزيمة فرنسا في معركة "ديان بيان فو" القاسية يوم 8 / أيار 1954

وفي تموز1954 اي بعد شهرين من المعركة وقع اتفاق في جنيف ينهي الحرب بين فرنسا وفيتنام بحضور وفدي فيتنام ووفود فرنسا وبريطانيا والاتحاد السوفياتي والصين الشعبية والولايات المتحدة ولاوس وكمبوديا.

ومن نتائج الاتفاق تقسيم فيتنام إلى شطرين يفصل بينهما خط العرض 17، ورغم حضورهما في جنيف فإن الولايات المتحدة وحكومة سايغون الموالية لها لم توقعا على الاتفاق. وفور رحيل فرنسا من فيتنام بدأت الولايات المتحدة تساعد حكومة سايغون عسكريا.

في 24 تشرين الأول 1954 منح الرئيس الأميركي أيزنهاور مساعدة مالية كبيرة لحكومة سايغون تزايدت قيمتها مع الزمن، وبدأ المستشارون العسكريون الأميركيون يتوافدون على فيتنام الجنوبية بدءا من شباط 1955 من أجل تدريب الجنود هناك.

وفي 23 تشرين الأول 1955 ظهرت أول حكومة في فيتنام الجنوبية منتخبة بقيادة "نغو دينه ديم"، وكان أول قرار اتخذته حكومته هو الامتناع عن أي استفتاء من شأنه أن يؤدي إلى اتحاد الشطرين الفيتناميين، مبررة ذلك بعدم حرية السكان في الجزء الشمالي.

وبقيت أميركا تساند حكومة الرئيس ديم، للحيلولة دون توحيد الشطرين في حين كانت حكومة هانوي الشيوعية في شمال فيتنام مصممة على توحيد شطري البلاد.

وفي شباط 1959 أسس الثوار الجنوبيون منظمة فييت كونغ في دلتا ميكونغ، وفي 10 كانون الأول 1960 تم تأسيس جبهة التحرير الوطني، وهي الإطار التنظيمي السياسي والعسكري الذي سيتولى مهمة الحرب ضد أميركا وحكومة سايغون، فما كان من الرئيس الجنوبي ديم إلا أن أعلن قانون الطوارئ، وقد تأجج الصراع وبلغ مداه حين أعلن الحزب الشيوعي الفيتنامي الحاكم في الشمال مساندة الثورة الجنوبية وإمدادها بالعدة والعتاد.

وبعد اعلان الحزب الشيوعي أظهرت امريكيا وقوفها التام خلف حكومة سايغون، بل إن الرئيس الأميركي كنيدي وقع معاهدة صداقة وتعاون اقتصادي بين بلاده وفيتنام الجنوبية في نيسان 1961. وفي كانون الأول من نفس السنة أعلن كنيدي عزمه مساعدة حكومة الرئيس ديم اقتصاديا وعسكريا، فوصلت طلائع الجيش الأميركي إلى سايغون وكانت في البداية 400 جندي اقتصرت مهمتهم على تشغيل المروحيات العسكرية وفي السنة التالية تجاوز عدد الجنود الأميركيين في فيتنام الجنوبية 11 ألف جندي، كما أسست قيادة أميركية في سايغون منذ كانون الثاني 1962.

قام الأميركيون وحلفاؤهم الجنوبيون بقطع جبهة التحرير الوطني عن قواعدها عبر إقامة عدد من القرى للمزارعين الموالين لحكومة الرئيس ديم. ومع نهاية عام 1963 تجاوز عدد القرى عن سبعة آلاف تضم ثمانية ملايين شخص، غير أن هذه الدروع البشرية أو الحواجز السكانية لم تمنع ثوار جبهة التحرير من السيطرة على 50٪ من تراب فيتنام الجنوبية.

وفي تشرين الثاني 1963 اطيح بالرئيس ديم في انقلاب عسكري وتمت تصفيته جسديا وكان لأمريكا دورا رئيسا وراء عملية الانقلاب.

وبعد سنة ونصف من الاطاحة بحكم الرئيس تعاقبت على سايغون عشر حكومات عسكرية لم تستطع أي منها ضبط النظام وخاصة العسكري. واستغل ثوار جبهة التحرير الوضع المتأزم في الجنوب فشنوا الضربات تلو الضربات لإضعاف حكومات سايغون الضعيفة أصلا.

و في صيف 1964 ظهرت الانشقاقات بين العسكريين الحاكمين، وكذلك بين الطائفة البوذية المستاءة التحكم الكاثوليكي في الحكم، في الوقت الذي شهد تقدما عسكريا للشماليين، ووجدت امريكا نفسها في مآزق الحرب

عندما هوجمت بعض قاذفاتها البحرية من طرف قوات جبهة التحرير الوطني في خليج تونكين، فما كان من الرئيس الأميركي جونسون إلا أن أصدر الأوامر إلى الطيران العسكري الأميركي بقصف المواقع الفيتنامية الشمالية كرد فعل لما أصاب الأميركان.

ومنذ شباط 1965 توالى القصف الأميركي لفيتنام الشمالية، وفي 6 آذار التالي تم أول إنزال للبحرية الأميركية في جنوب دانانغ. وظل الوجود العسكري الأميركي يزداد في فيتنام ليبلغ في نهاية 1965 ما يزيد على 200 ألف جندي، ثم وصل في صيف 1968 إلى 550 ألفا، وظلت أميركا تضغط على هانوي من أجل ترك دعم الثوار الجنوبيين، غير أن الأخيرة كانت ترفض أي تفاوض مع الولايات المتحدة مادامت مستمرة في قصفها المتواصل.

لم تترك أميركا أي وسيلة عسكرية للضغط على هانوي إلا استعملتها بدءا بالتجميع القسري للسكان ومرورا بتصفية الثوار الشيوعيين الموجودين في الأرياف الجنوبية واستعمال طائرات بي/52 لتحطيم الغطاء النباتي، وانتهاء بتكثيف القصف للمدن والمواقع في الشمال الفيتنامي خاصة تلك الواقعة بين خطي العرض 17 و20.

ومع ذلك لم يؤثر الرعب الأميركي والآلة الحربية المتطورة في معنويات الفيتناميين ولا في مقاومتهم بل تفرقوا في الأرياف ومراكز الإنتاج الزراعي وازدادت فيهم معنويات المقاومة. ولم تستطع أميركا رغم محاولاتها المستمرة أن تقطع طريق "هو شي منه" الذي تمر منه الإمدادات نحو ثوار الجنوب.

في تشرين الأول 1966 أعلن ممثلو أميركا وحلفائهم المشاركين بجنودهم في الحرب كأستراليا ونيوزيلاند وتايلند وكوريا الجنوبية والفلبين في مانيلا استعدادهم للانسحاب من فيتنام بعد ستة أشهر إذا ما خرجت فيتنام الشمالية من الحرب، وهو إعلان رفضه الشماليون بصرامة. ولم تثمر دعوة الرئيس الأميركي جونسون الزعيم السوفياتي كوسيغين إلى الضغط على هانوي لتنهي الحرب حين التقيا في حزيران 1967 بل ظلت نيران الحرب مشتعلة، فما كان من الرئيس جونسون إلا أن أعلن عزمه زيادة الجنود الأميركيين في فيتنام ليصل عددهم عام 1968 إلى 525 ألفا، كما أصبح القصف الأميركي للمواقع الشمالية قاب قوسين أو أدنى من الحدود الصينية.

وبقيت المعارك خلال الحرب الفيتنامية تدور في الجبال، وهي إستراتيجية اتبعها الفيتناميون المتكيفون أصلا مع الأوضاع الطبيعية والمناخية الصعبة. وفي 1968 أطلق الجنرال الفيتنامي ما عرف بهجوم "تيت" (وهو اسم السنة القمرية الفيتنامية التي يحتفل بها منتصف فبراير شباط من كل سنة) على مجموعة عمليات عسكرية شديدة استهدفت أكثر من مائة هدف حضري. وقد استطاع الثوار أن يتغلغلوا في الجنوب حتى بلغوا عاصمة الجنوب سايغون فتعرض الأميركيون للهجوم.

ومع أن الثوار الفيتناميين فقدوا حوالي 85 ألف شخص فإن التأثير النفسي للمعارك كان بالغ الأثر على الولايات المتحدة.

وفي 31 آذار 1968 أعلن الرئيس جونسون وقف القصف الأميركي لشمال فيتنام، كما أعلن في نفس الوقت تقدمه لولاية رئاسية ثانية. ولم نصل إلى منتصف أيار من نفس السنة حتى بدأت المفاوضات بين الفيتناميين والأميركان في باريس.

لم يصل ريتشارد نيكسون إلى رئاسة الولايات المتحدة عام 1969 حتى أعلن أن 25 ألف جندي أميركي سيغادرون فيتنام في آب 1969، وأن 65 ألفا آخرين سيجري عليهم نفس القرار في نهاية تلك السنة.

غير أنه لا الانسحاب الأميركي من فيتنام ولا موت الزعيم الشمالي هوشي منه يوم 3 أيلول 1969، أوقفا الحرب الضارية. فمفاوضات باريس عرفت تصلب

الفيتاميين الذين طالبوا وبإلحاح بضرورة الانسحاب الأميركي التام كشرط أساسي لوقف إطلاق النار.

ومع ما تكبدته أميركا من خسائر بشرية ومادية، ظهرت في الشارع الأميركي دعوة إلى إنهاء الحرب الفيتنامية، وتمثلت تلك الدعوة في المظاهرات المكثفة التي عمت المدن الأميركية وفي الحملات الصحفية، وازدادت قوة الدعوة المطالبة بإيقاف الحرب لما نشرت وسائل الإعلام الأميركية الممارسات البشعة واللاإنسانية التي عامل بها الجيش الأميركي المواطنين الفيتناميين، ومن أشهر تلك المظاهر الوحشية، إبادة الملازم الأميركي وليام كالي للمدنيين العزل في قرية لاي عام 1968، وقد تمت محاكمته عسكريا عام 1971.

وشمرت الصحافة الأميركية عن ساعديها وعلى رأسها جريدة نيويورك تايمز حين قامت بنشر تقارير حول الطريقة البشعة التي تمت بها الحرب الفيتنامية.

وفي 25 كانون الأول 1972 أعلن الرئيس نيكسون طبيعة المفاوضات الأميركية الفيتنامية وما قدمته الإدارة الأميركية بشكل سري للفيتناميين، كما كشف اللثام عن مخطط جديد للسلام مكون من ثماني نقاط بينها إجراء انتخابات رئاسية في الجزء الجنوبي من فيتنام.

أما فيتنام الشمالية فكان مخططها للسلام يقوم على ضرورة تنحي الرئيس الفيتنامي الجنوبي "تيو" عن السلطة كشرط أساسي للسلام، والامتناع عن تسليم الأسرى الأميركيين إلا بعد تنازل الولايات المتحدة عن مساندة حكومة سايغون.

وأخذت الحرب منحى خطيرا حين قامت فيتنام الشمالية يوم 30 آذار 1972 بهجوم كاسح نحو الجنوب داخل منطقة "كانغ تري" متجاوزة بذلك المنطقة المنزوعة السلاح، وكان رد الفعل الأميركي مزيدا من القصف الجوي.

وبينما كانت نيران الحرب تشتعل بدأت المفاوضات السرية بين الطرفين، حيث اجتمع مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي يومها هنري كيسنجر بمندوب فيتنام الشمالية دوك تو.

ومع انتعاش الآمال بالوصول إلى حل نهائي وفي محاولة للضغط على الفيتاميين وكسب انتصارات ميدانية تقوي من موقفه، أمر الرئيس نيكسون يوم 17 كانون الأول 1972 بقصف هانوي وهايبونغ، فصبت طائرات بي/52 نيرانها على المدينتين في قصف لم تعرف الحرب الفيتنامية نظيرا له، وفقدت أميركا 15 من هذه الطائرات كما فقدت 93 ضابطا من سلاح الطيران الأميركي.

وأعلن في 23 / كانون الثاني 1973 عن التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار الذي دخل حيز التنفيذ يوم 28 من نفس الشهر، ويتضمن الاتفاق:

- توقف جميع أنواع العداء.
- انسحاب القوات الأميركية من جنوب فيتنام خلال الشهرين التاليين للتوقيع، وإطلاق سراح الأسرى من الطرفين خلال 15 يوما من التوقيع.
- الاعتراف بالمنطقة المنزوعة السلاح بين الشطرين على أنها مؤقتة لا أنها حدود سياسية.
- إنشاء لجنة دولية (مكونة من ممثلين عن كندا وهنغاريا وإندونيسيا وبولونيا) مكلفة بمراقبة تطبيق الاتفاق.
- بقاء 145 ألف جندي من شمال فيتنام في الجنوب.

لم ينته آذار 1973 حتى تمت مغادرة آخر جندي أميركي من فيتنام، غير أن فضيحة ووترغيت التي أكرهت الرئيس نيكسون على الاستقالة يوم 9 آب 1974 جعلت أميركا غير قادرة على مساندة حكومة سايغون.

انتهز الشماليون فرصة انشغال واشنطن بووترغيت ومعاداة الرئيس الفيتنامي الجنوبي تيو للشيوعيين الجنوبيين، فشنوا هجوما كاسحا على الجنوب محتلين مدينة فيوك بنه في كانون الثاني 1975، وتابعوا هجومهم الكاسح الذي توج بدخول سايغون يوم 30 نيسان من نفس السنة.

خسائر الحرب

خسائر الفيتناميين خلال سنوات الحرب الثماني:

- مليونا قتيل
- 3 ملايين جريح
- ما يناهز 12 مليون لاجئ.

أما الأميركيون فقدرت خسائرهم بـ:

- 57 ألف قتيل
- 153303 جرحى
- 587 أسيرا بين مدني وعسكري وقد تم إطلاق سراحه

تغيير انظمه وابادة ملايين الشعوب وانتهاك
حقوق البشرية بحجة الحرب على الارهاب

الحرب على القاعدة

ان تنظيم القاعدة أحيط بالغموض والألغازمنذ نشأته وبمااشيع عن ارتباطه بالاستخبارات المركزية الأمريكية التي تعاونت معه أيام الجهاد ضد السوفييت في أفغانستان، ودربت معظم عناصره وكوادره الدعم اللوجستي والعتاد العسكري الذي لا يزال يشكل جوهر القوة العسكرية للتنظيم الا ان الهجوم بأربع طائرات علي مركز التجارة العالمي في نيويورك ومقر البنتاجون ومحاولة ضرب البيت الأبيض بطائرة سقطت قبل تحقيق الهدف كان اكبر صدمة للعقل الاستراتيجي الأمريكي الذي كان غارقا في تأمين البلاد من خطر الصواريخ الروسية بعيدة المدي والمحملة برؤوس نووية وأنفقت واشنطن مليارات الدولارات في إطار ما أسموه حرب الكواكب فإذا بالهجوم من القاعدة كانت صدم مذهلة ومرعبة،وجاء الرد الأمريكي مفزعا ورهيبا باحتلال أفغانستان وتدمير مراكز القيادة والسيطرة لحركة طالبان الحاكمة وتعقب وقتل كل من ينتمي لتنظيم القاعدة ، وتلا ذلك احتلال العراق وبدا أن واشنطن قد أعلنت الحرب العالمية الثالثة علي شبح اسمه الإرهاب يطارد الدنيا كلها دون ان تعرف له مقرا أو عنوانا. وتحول العالم كله الى ساحة قتال وفي جو من التوتر ساد كل شيء وطال الامن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، وضرب اقتصاد كثير من الدول وخاصة بعض الدول العربية التي شهدت ركودا كبير في السياحة والصناعة والتجارة بشكل عام وتدهور الاحوال المعيشية لمجتمعاتها مثل المملكة الاردنية الهاشمية تحديدا التي كانت تعتمد اعتمادا رئيسيا على السوق العراقي لتصدير انتاجها وخاصة في المناطق الحرة والمدن الصناعية وانتاجها الزراعي ، اضافة الى اعتمادها الرئيسي على النفط العراقي ، وها هي الان تعيش ازمة اقتصادية خانقة نتيجة ارتفاع اسعار المحروقات ونتيجة لأستضافتها اعداد كبيرة من العراقيين الذين تركوا بلدهم نتيجة للظروف الامنية الصعبة التي يعيشها العراق وقد وصل عددهم نحومليون عراقي ، اضافة الي تحمل الاردن هموم الشعب العربي في كل قضاياه المصيرية وخاصة الشعب

الفلسطيني ، فخسائر الاردن كما قدرتها الامم المتحدة نتيجة احتلال العراق للكويت حوالى 2,5 مليار دولار وقدرت خسائر الاردن نتيجة تطبيق الحظر الاقتصادى على العراق حوالى مليار دولار وخسائر البنك المركزى الاردنى حوالى 600 مليون دينار اردنى، وعاد الى الاردن نتيجة الغزو العراقى للكويت حوالى نصف مليون فلسطينى كانو يعملون فى دول الخليج مما شكل ضغطا على الاقتصاد الاردنى وادى الى ارتفاع المديونية والبطالة فى الاردن ،كما شكل نزوح اعداد هائلة من العاملين فى العراق ضغطا اضافيا على اقتصاد الاردن الى ان جاءت الضربة القاصمة والتي تمثلت باحتلال امريكا للعراق ، وتبعاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي انعكست بكل ثقلها على الاردن . الى جانب دول عربية كثيرة مثل مصر وسوريا والسلطة الوطنية الفسلطينية التي عاشت بين فكي المكاسب السياسية الاسرائيلية جراء احتلال امريكا للقراق وفك الوضع الاقتصادي العاجز تماما عن تلبية ادنى احتياجات الشعب الفلسطيني من العيش بكرامة.

اما خسارة امريكا المادية والمعنوية والبشريه فهي لا تقدر بمليارات الدولارات فحسب بل بل طالت من سمعتها الدولية التي اصبحت في الحضيض نتيجة التخبط وعدم امتلاك المرونة في التعامل السياسي مع الامور ، ونتيجة لسلوكيات القادة الامريكان الذي غلب عليها التوتر والعصبية دون مراعاة لعواقب التسرع غير المدروس في معالجتها لما اصابها نتيجة انحرافها عن العدالة وتحيزها الدائم لجانب اسرائيل في صراعها العدائي مع العرب وخاصة الشعب الفلسطيني الأعزل ، حشرها فيما لا يعنيها بمعظم قضايا العالم والتي تخص الاوطان ولا تستدعي التدخل الامريكي الذي بات مسيطرا على كل القرارات الدولية بالتالي حسم القرار بالصيغة التي يرضيها على حساب الدول والشعوب

اما حربها على العراق والذي جاء كردة فعل على ماقام به تنظيم القاعدة من اعمال ارهابية نال من هيبة امريكا العظمى ، حيث وضعت امريكا مبدأ ملاحقة تنظيم القاعدة ضمن اجندتها الرئيسيه وتحججت بان العراق وصدام حسين ونظامه هو الوكر الثاني بعد افغانستان لتنظيم القاعدة ، واذا ما رجعنا الى الوراء قليلا وتسلسلنا في النوايا الامريكية تجاه العراق منذ حربه مع ايران ، وكيف ان امريكا دارت

الصراع العراقي الايراني ، وان ما مجموعه اكثر من 80 شركة امريكية ساهمت في صناعة القدرات العسكرية العراقية ، اضافة الى الدعم المعنوي ، انتقالا الى دخول صدام الكويت ، وكيف ساهمت امريكا بذلك وعلى لسان سفيرة امريكا في العراق (ابريل غلاسبي)التي أعطت الضوء الأخضر للعراق بدخول الكويت من خلال تصريحها المشهوربأن الولايات المتحدة لن تتخذ موقفاً بصدد نزاعات الحدود بين الدول العربيه ، في حين ان قلق امريكا وهاجسها كان يتمحور حول العراق منذ اختلال موازين القوى العالمية وتفكك الاتحاد السوفياتي وولادة السوق الاروبية المشتركه في مطلع العام 1990 ،وقناعات امريكا انها ستواجه مصدرا آخر للتهديد، تمثل في القوى الإقليمية، المنشقة أو الراغبة في تغيير الأوضاع، الإقليمية والعالمية، بالقوة. وصارت التهديدات الإقليمية، مصدراً جديداً لتهديد الأمن القومي الأمريكي، مما استدعى المبادرة إلى إستراتيجية، تعيد الولايات المتحدة الأمريكية إلى الساحة العالمية، وتحافظ على قوة اهتمامها الإستراتيجي العالمي وقيادتها للنظام العالمي الجديد ، وعرضها لقدرتها على العمل العسكري، في العالم كافة، خاصة في الأقاليم المهمة إستراتيجياً من العالم الثالث، متخطية بذلك عقدة فيتنام التي اثرت كثيرا في السيكولوجية الأمريكية. وهو ما أدى إلى مضاعفة دوافعها إلى الاستمرار في الاضطلاع بدور شرطي العالم، بغض النظر عن تقدير أهمية التهديدات الإقليمية لمصالحها، القومية والعالمية فحشدت العالم بالقوه والهيمنة وكان القرار الدولي تشكيل قوة التحالف بقيادة امريكا لتحرير الكويت من قبضة صدام حسين بعد ان غررت به امريكا واعطته الضوء الأخضر لأحتلال جارته ، وهي الذريعة الامريكية لدخول المنطقة والهيمنة على اهم نقطة تدار حولها كل الصراعات الدولية والتي تمنح الأهليه لمن يسيطر عليها السيطرة على العالم .

اما خسائر الكويت نتيجة الغزو العراقي

قدرت الأمم المتحدة أضرار الغزو العراقي للكويت، بما يفوق 23 مليار دولار أمريكي. وأرسلت إليها وفداً، برئاسة عبدالرحمن فرح، عاين دمارها خلال الفترة من 16 مارس إلى 4 أبريل 1991. ورفع تقريراً إلى الأمين العام للأمم المتحدة، يذكر فيه أن مرافق الكهرباء، والاتصالات الهاتفية، والنقل العام، قد خُربت. كما أن مباني

الحكومة والمؤسسات العامة، قد دُمرت إلى حدٍّ كبير. والسجلات الرسمية، والأجهزة، قد نُهبت. واستخلص التقرير عدة نتائج، في مقدمتها، أن البنية التحتية، قد أصبحت غير صالحة. أما في قطاع النفط، فإن المؤسسات وحقول الإنتاج، قد دُمرت إلى حدٍّ لا يوصف. وغني عن البيان، أن الدمار كان مقصوداً، ولم يكن نتاج المعارك الحربية. إذ دُمرت خمس محطات لإنتاج الكهرباء، وأُعطبت اثنتان أخريان. كما أن ثلاثاً من كل أربع مقطرات للمياه، أصابها التدمير والتخريب. وأمست الطرق غير صالحة، بسبب تحركات الآليات المدرعة والدبابات عليها. كذلك، نُهب أو دُمر 50% من مركبات ومعدات النقل.

النتائج الاقتصادية لحرب تحرير الكويت

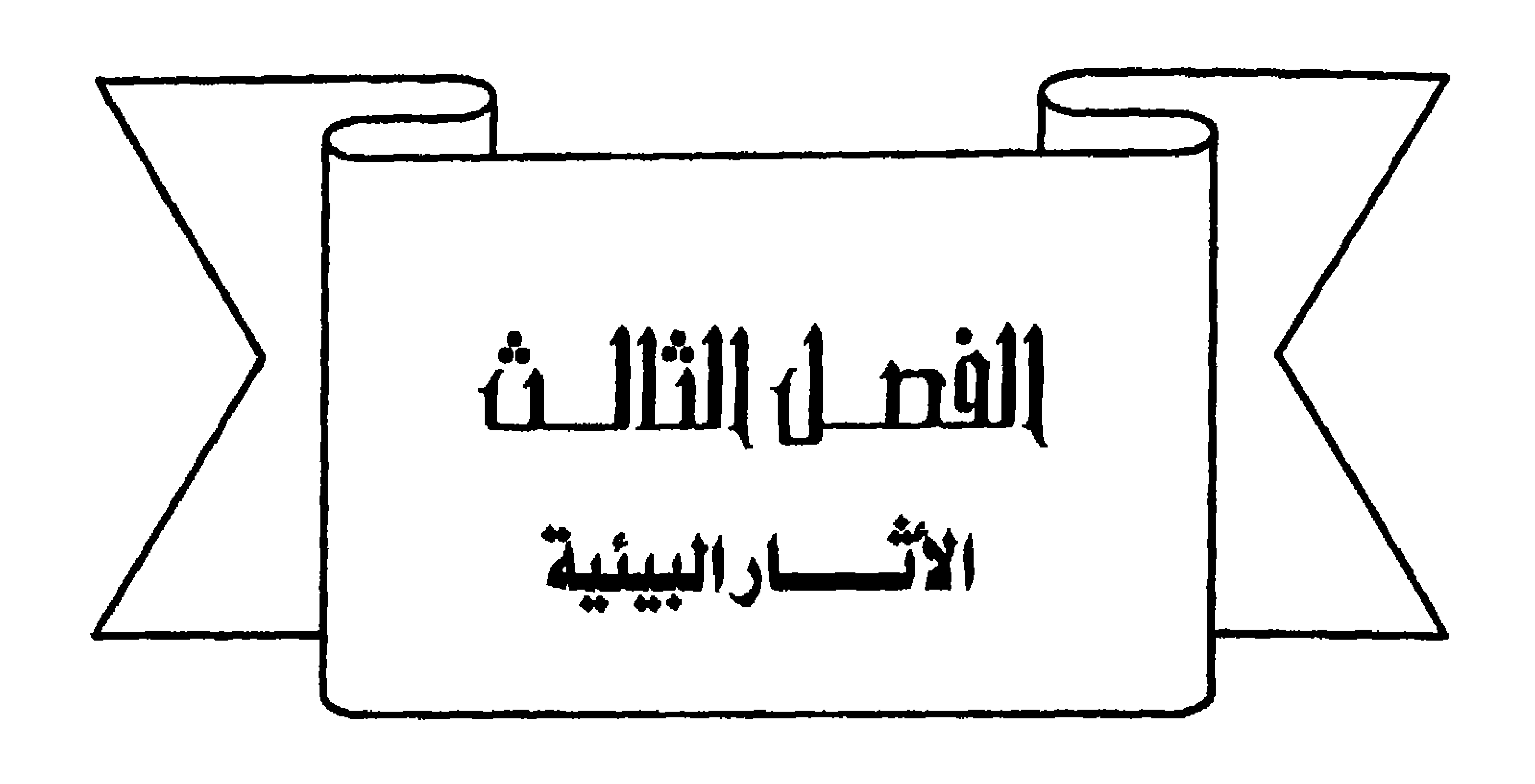
هبوط معدل نمو الاقتصاد الدولي، عام 1991، إلى أدنى معدلاته، منذ الكساد، الذي ساد العالم، في أوائل الثمانينيات وظل محدوداً، ولم يتجاوز 1%، على المستوى العالمي، وكان الهبوط الحاد في أسعار الأسهم؛ واستمرار تدهور الدولار في السوق الأمريكية، في الأسبوع الثالث من نوفمبر، واستشراؤه في أسواق العالم الرئيسية الأخرى - دليلاً قوياً على ضعف النمو الاقتصادي، وإمكانية انتكاسه، لدى مواجهة أي صعوبات مفاجئة. وشهدت الفترة، التي تلت الحرب، اضطراباً عاماً في النظام الاقتصادي العالمي، انخفاض المساعدات الاقتصادية لعدد من الدول وانخفاض موارد التمويل الدولية، القابلة للانتقال إلى العالم الثالث، نتيجة لكساد الاقتصاد، الذي أدى إلى تخفيض الإنفاق الداخلي، وتقليص الموارد القابلة للتصدير.

اما بالنسبة للضرر الذي لحق بالعراق ،فبالاضافة الى دفعه أعباء خدمة الديون المتراكمة، التي قاربت 8 مليارات دولار، من أصل 80 ملياراً ،كانت قد استحقت؛ وهو ما يتجاوز دخل الصادرات النفطية العراقية. العوامل المؤثرة في الاقتصاد العراقي جاءت المقاطعة الاقتصادية الدولية للعراق، التي ادت إلى تردي إنتاجه النفطي بنسبة 86٪؛ فانخفض الإنتاج اليومي من 3.3 ملايين برميل، قبْل غزو الكويت، إلى أقل من نصف مليون برميل، بعد الغزو وهي بالكاد تكفي لسد متطلبات الاستهلاك المحلي، ويمكن القول إنها مزقت الاقتصاد العراقي؛ إذ أسفرت عن تقليص الاستيراد بنسبة 90 %والصادرات 97٪، وفق الشهادة المقدمة إلى لجنة العلاقات الخارجية في

مجلس الشيوخ الأمريكي، في 5 ديسمبر 1990، أما الحكومة العراقية، فقدرت الخسائر الناجمة عن المقاطعة، خلال الستة الأشهر الأولى، قبل بدء العمليات، بزهاء 17 مليار دولار. منها 10 مليارات دولار خسائر تصدير النفط، و5.1 مليارات دولار خسائر توقف الإنتاج المحلي، ومليار واحد من الدولارات زيادة نفقات الإنتاج، و700 مليون دولار خسائر تأخير مشروعات التنمية، إضافة إلى مليار واحد و300 مليون دولار خسائر أخرى.

اضافة الى ما جلبته الحرب من تدمير المرافق العسكرية، و بنية العراق التحتية وقطاعاته الاقتصادية. واللافت أن تدمير بعض المرافق العراقية، لم تكن الغاية منها التأثير في مسار النزاع وإنما الضغط على العراق، بعد انتهاء الحرب إذ لن يمكنه إصلاحها، من دون المساعدات الغربية، وأشارت دراسة للأمم المتحدة، أن إجمالي نفقات ما دمرته الحرب، يتجاوز 232 مليار دولار. وبلغت خسائر الإيرادات النفطية، طبقاً لتقديرات العراق، 22 مليار دولار سنوياً وتردي الدخل الفردي بلغ معدل التضخم في العراق 2000٪، في حين استمرت مستويات الأجور لنحو 85٪ من العراقيين على حالها، لعدة سنوات بعد الحرب فبئست حياتهم، ولم يستطع نظام حصص الإعاشة الحكومية أن يوفر لهم سوى 55٪ من حاجاتهم الغذائية. واطّرد انخفاض معدل الدخل الفردي، فتراجع من 4083 دولاراً، عام 1980، إلى 1756 دولاراً، عام 1988. وإذا به ينخفض، عام 1991، إلى ما كان عليه في الأربعينيات، فيصل إلى 627 دولارا، ثم أمعن في انخفاضه، عام 1993، ليصبح 485 دولاراً. اضافة الى ما فرض على العراق تعويضات الحرب ،فتقرر أن يعوّض إيران عمّا أنزله بها من خسائر اقتصادية، خلال احترابهما (1980 ـ 1988) والتي قدّرها أحد تقارير مجلس الأمن، عام 1991، بزهاء 97 مليار دولار. كذلك، فرض على العراق، أن يعوّض الكويت عمّا كبّدها من أضرار، وقدّرها بنحو 100 مليار دولار .وأنشئ، لذلك، صندوق للتعويضات، يحوّل إليه 30٪ من إيرادات العراق النفطية. اما الديون الخارجية التي تراكمت على العراق فقدرت عام 1990، بنحو 86 مليار دولار فقط لذا على العراق أن يدفع 582 مليار دولارنفقة ما دمرته الحرب 232 مليار دولار. تصليح الأصول، المدمرة خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية 67 مليار دولار. تعويضات خسائر إيران 97 مليار دولار، تعويضات

أضرار الكويت 100 مليار دولار. الديون الخارجية 86 مليار دولار، كما أن هذه الأرقام أهملت تبديد الموارد النادرة في البلاد، واستنزاف الاحتياطيات الأجنبية، وخسائر إيرادات النفط، ونضوب المخزون السلعي، والتجهيزات العسكرية، وفقدان الناتج، وخسارة النمو، وهجرة المتعلمين والمهنيين .



الفصل الثالث

الآثار البيئية

قنابل اليورانيوم في حرب الخليج الثانية

في دراسات أجراها طلبة الدراسات العليا في كليتي العلوم والطب في جامعة البصرة خلال العامين الماضيين كشفت تفاصيل مروعة عن الكارثة التي شهدتها المناطق المحيطة بالبصرة (أكبر مدن جنوب العراق وثاني مدينة في البلاد) فهي تعرضت الي قصف أميركي وبريطاني بقذائف اليورانيوم المنضب خلال حرب الخليج الثانية 1991 ما أدي الي تركيز نشاط اشعاعي فاقم الاصابة بالسرطان الي عشرة أضعاف ما كانت عليه قبل الحرب في المنطقةK أكثر الضحايا من الأطفال والنساء (أجنة مشوهة تولد ميتة، أورام في الرأس، في الرئتين وفي الجهاز الهضمي عند الأطفال، وأورام في الرحم وفي الثديين والرئتين والجلد عند النساء). المحاصيل الزراعية ملوثة بالإشعاع ذي التركيز المميت الي حد ان أبرز محصول تنتجه مزارع (الزبير) في البصرة وهو الطماطم شهد كساداً، فالأرض خضبها اليورانيوم مثلما الأجساد. باحثون عراقيون أكدوا ان تلوث بيئة البصرة ومناطق واسعة من جنوب العراق بالإشعاع النووي الذي خلفته قنابل اليورانيوم المنضب متواصل الي مئات السنين . وان كلفة التخفيف من النتائج الخطيرة للاشعاع ومن ضمن ذلك تنظيف مناطق واسعة من الأراضي، تبلغ أكثر من أحد عشر بليون دولار. تخريب المنشآت وتقول التقارير الدولية: إنّ ما ألقي من اليورانيوم المنضب على العراق أثناء 43 يوما في حرب الخليج الثانية بلغ 300 ألف طن، أي عشرة أضعاف ما ألقي في البلقان من جانب القوات الأمريكية والبريطانية أيضا، وهو ما سبّب ازدياد عدد وفيات الجنود الأوروبيين بإصابات (سُمّيت إصابة البلقان) يشتبه في أنها وقعت نتيجة إشعاعات اليورانيوم المنضب، والمرجّح أن ألوف الإصابات في صفوف الجنود الأمريكيين فيما يوصف بإصابة الخليج لها علاقة بذلك، وقد منعت وزارة الدفاع الأمريكية من إجراء تحقيقات" حيادية" بصددها. الجفاف لا تذكر حضارة سومر، إلاّ والمياه رفقتها، ومع اتفاق المؤرخين والباحثين في الحضارة الرافدينية القديمة ان سكان مناطق الاهوار في العراق هم امتداد لسكان بلاد سومر، وان مهارتهم اكتسبوها من مهارة في بناء حياة متناغمة مع مساحات شاسعة من السطوح المائية والكائنات التي توطنتها، ويبدو تجفيف الأهوار وكأنه مرحلة لإنهاء الفكرة التاريخية ولتصبح بلاد سومر بلا ماء! ومثلما تعاملت السلطات الحكومية مع غابات

النخيل في البصرة بوصفها تملك الأرض والإنسان، بدأت مشروعها مع أواخر عام 1991 في تجفيف الأهوار، ولتبدأ بحسب مصادر بيئية دولية ومراكز بحث تعني بالنشاط الانساني البدائي أكبر كارثة بيئية في عصرنا ، أكبر الأهوار في محافظة الناصرية بالقرب من الفرات، وفي محافظة العمارة بالقرب من نهر دجلة وصولاً الى الحدود الايرانية، المساحات الواسعة من الأراضي كانت تغطيها المياه منذ آلاف السنين، ومع وجود المياه كانت تتوازن البيئة، فالمياه والأشجار (البردي (و(القصب) يعدلان من درجات الحرارة، وينتجان نظاماً زراعياً متوافقاً مع البيئة وان كان شبه احادي، فهو بالكاد يتضمن محصولين. وتجفيف الأهوار عمل ذو ابعاد انتقامية ، فهذه المناطق ومجاهلها المائية النائية وفرت للهاربين من الجيش خلال الحربين مكاناً آمناً بعيداً من ملاحقة السلطة، مثلما كانت انطلقت منها مجموعات ثائرة عقب انتهاء حرب الخليج الثانية لتنهي السلطة المركزية في معظم محافظات الجنوب ومدنه، ومثل هذه الأفعال تقابل عادة في العراق بالويل والثبور، وانطلاقاً من ان الحكومة تملك الأرض والإنسان، فهي حرة في تغيير طبيعة المنطقة وان كان يعني اقتلاع ربع مليون انسان توارثوا حياة تمتد تقاليدها الى آلاف السنين، وتغيير بيئي هو الأوسع من نوعه في العالم، تجفيف الأهوار يعني بحسب ما يقوله مهندس ري من أهل الناصرية يعمل حالياً في احدي الدول الخليجية واتصلت به الحياة للحديث عن الأبعاد البيئية لتجفيف الأهوار تغييراً تاماً في أقدم نظام لتنقية المياه وتعديل نسبة الملوحة في نهري دجلة والفرات كلما اقتربا من مصبهما في) القرنة) قريباً من البصرة، لافتاً الى ان اختبارات اجريت علي نسبة ملوحة مياه نهر الفرات أثناء مروره في مدينة الناصرية أكدت ارتفاع معدل ملوحة النهر الى الضعف بعد سنتين من تجفيف الأهوار، والى ما يقارب هذه النسبة في مياه نهر دجلة أثناء مروره في مدينة العمارة، ويشير مهندس الري ان معدل درجات الحرارة ارتفع في مناطق وسط العراق وجنوبه بأكثر من درجة ونصف بعد تجفيف الأهوار، وان جفاف المياه ادي الى تركيز في ملوحة الأرض بينما كانت السلطات العراقية قدمت الى المنظمات الدولية من باب تبريرها تجفيف الأهوار، تقريراً يشير الى انها ستقوم باستصلاح الأراضي وزراعتها بمحاصيل الحبوب وهو ما لم تشهده المنطقة التي أصبحت شبه خالية من سكانها، وماتت فيها أصناف من النباتات ورحلت عنها طيور كانت تتخذها موطناً دائماً أو موقتاً.

همجية السياسة الأمريكية
على لسان الامريكان

عندما تجنح القيادة عن ثقافة الشعب واسسه الاجتماعيه ، وتخلع ثوب الحياء فانها تجد نفسها عارية وتكون عرضه للانتقاد العلني والمباشر من مختلف فئات الشعب ، وهذا ما حدث للأدارة الامريكيه التي جنحت عن ارادة الشعب الامريكي وانفردت بممارسات وسلوكيات لم يوافق عليها غالبية الشعب الامريكي ، مما ادى بكثير من وسائل الاعلام الامريكيه وعلماء النفس والمحللين السياسيين والصحفيين كشف اللثام عن كثير من الفضائح والسلوكيات المنحرفة للأدرات الامريكية المتلاحقة واذا اما استعرضنا بعض من هذه الفضائح التي صاغها للملأ وسائل الاعلام الامريكية فانا تعطي تنقل لنا عدم توافق القاعدة الامريكية وهي الشعب مع نوايا وقرارات وتصرفات الادارات الامريكية ومن الفضائح التي كان للآعلام الامريكي الدور الاول والبارز في نشرها :-

- فضيحة دايفيد كيلي
- فضيحة مونيكا
- فضيحة نوريبغا
- فضيحة البنتاغون
- فضيحة إينرون
- فضيحة هاليبترون
- فضيحة الجمرة الخبيثة
- فضيحة ووتر غيت

- فضية تزوير الانتخابات
- فضيحة إيران غيت
- مجرمو الحرب الاميركيون
- فضيحة سجن ابو غريب
- فضيحة ملفات التعذيب
- فضيحة ساترفيلد
- فضيحة تدنيس القرآن
- فضيحة إستقالة تينيت
- فضيحة ليبي
- التنصت على البرادعي
- فضيحة مافيا القتل لأنرون
- فضيحة وايت ووتر
- فضائح 11 سبتمبر
- كوارث الطيران
- فضيحة وورلد كوم
- التقصير الأمني
- فضائح بوش

- اسرائيل تتجسس على اميركا
- فضيحة الجاسوس بولارد
- فضائح إندماج الشركات
- فضيحة الكونترا
- فضيحة (عراق غيت)
- فضيحة فرانكلين
- فضيحة ساترفيلد - فرانكلين
- فضيحة العربية نت
- السجون السرية الأميركية
- فضيحة وثيقة قصف الجزيرة ا

وابين هنا وعلى لسان الامريكان انفسهم همجية السياسة الامريكية في دراسة تحليلية قدمها الاستاذ يوسف كامل خطاب لكتاب الخروج من العراق، خطة عملية للانسحاب الآن تأليف الدكتور جورج ماكغفرن والدكتور وليام بولك

تقول الدراسة ، لا تخلو أمة في زمن من الأزمنة وخصوصًا في زمن الحرب من عقلاء واعين، لا يحجب ضباب الحرب رؤاهم، أو يفسد غرور القوة صواب حكمتهم وبُعد نظرهم .وقد برزت تلك الفئة في المجتمع الأمريكي، منذ بدء الإعداد للحرب على العراق، وطالبت حكومتها بألاّ تندفع نحو ما أسمته (الحرب على الإرهاب)، وألاّ تفتعل لذلك أسبابًا واهية، وتروّج لاتهامات كاذبة كادعاء حيازة العراق لأسلحة دمار شامل، و أكذوبة علاقة النظام العراقي بتنظيم القاعدة في أفغانستان ،وغيرهما لتخذ من ذلك مبرراً لغزو العراق واحتلاله، وإقناع الشعب الأمريكي بأهمية ذلك وضرورته لتحقيق

الأمن القومي الأمريكي، وعدم التعرّض لمثل ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر 2001م.

وقد تنامت فئة العقلاء من الأمريكيين، وكثر أنصارها، وعلا صوتها، بعد ما تحقق ما كانت تخشاه تلك الفئة من تورّط القوات الأمريكية في العراق، وتأكّد لديها كذب قادتها في كل ما ادعوه من مبررات الحرب ومشروعيتها؛ وافتضح أمر من عيّنتهم من مسؤولين داخل العراق وتورطهم في قضايا أخلاقية ومالية وإنسانية أساءت إلى سمعة الولايات المتحدة عالميًا، وجعلت الشعب العراقي يطالبهم بالخروج السريع من بلادهم غير مأسوف عليهم بعد ما أحدثوه فيها من دمار وتخريب، وقتل وتعذيب، وإثارة للفتن الطائفية والمذهبية، وطمس لمعالم العراق الحضارية، وراح أنصار هذه الفئة العاقلة الواعية يطالبون الإدارة الأمريكية بالخروج الاختياري من العراق في أقرب وقت ممكن، وبأقل خسارة ممكنة، قبل أن تخرج منه مضطرة تحت وطأة الخسارة البشرية والمادية والسياسية التي سيصعب على الأمريكيين فضلاً عن العراقيين تحملها. وإمعانًا في الوعي والرشد والحرص على سمعة الولايات المتحدة عالميًا، وحفظاً للقيم الأمريكية التاريخية، وضع بعض أنصار تلك الفئة خريطة طريق للخروج الآمن لتسترشد بها الإدارة الأمريكية، إذا أرادت تجنّب المزيد من الخسائر الحالية والمستقبلية، تضمنها الكتاب الذي قاما على تأليفه الدكتوران (جورج ماكغفرن) و (وليام بولك) وهما من أبرز أنصار الفئة الأمريكية التي عارضت الحرب على العراق قبل اشتعالها، وطالبت الإدارة الأمريكية بعد الغزو والاحتلال بالخروج من العراق في أسرع وقت ممكن. ولكونهما عسكريين سابقين، وسياسيين ناشطين، وأكاديميين بارزين فإنّ ما طرحاه في كتابهما من آراء وأفكار لا تنقصه الموضوعية والعقلانية في الطرح، ولا يفتقر إلى الأدلة والحجج التاريخية، وهو في الوقت نفسه مدعوم بنتائج استطلاعات الرأي، وبمعطيات التحليلات السياسية والاقتصادية، والبيانات والمعلومات الدقيقة المأخوذة من الواقع، فضلاً عن أنه ينبض بالحس الوطني وصدق الانتماء، اللذين يعكسهما حرص المؤلِّفيْن على ألاّ تتعرّض سمعة الولايات المتحدة في العالم إلى المزيد من الإساءة حيث صدرت الطبعة الأولى من كتاب: "الخروج من العراق خطة عملية للانسحاب الآن" في ديسمبر عام 2006م عن (مركز دراسات الوحدة العربية)،

بيروت لبنان في (136) صفحة من القطع المتوسط، تضمنت: استهلالاً، وستة فصول، وخاتمة.

قال المؤلفان عن سبب تأليفهما للكتاب، ومنها: كثرة أعداد الجرحى والقتلى الأمريكيين، وكذلك أعداد القتلى والجرحى العراقيين؛ ولأن الحرب لم تقضِ على الإرهاب، بل على العكس فرّخت أعدادًا كبيرة من الإرهابيين؛ ولأن استمرارها سيؤدي إلى تعرّض الاقتصاد الأمريكي إلى الإفلاس؛ ولأن كسب هذه الحرب عسكريًا أصبح أمرًا غير ممكن، ما يعني أنها ستكون (حربًا طويلة) تنتهي بكارثة للأجيال القادمة؛ لأن المصلحة الوطنية تحتّم تغيير المسار الحالي بإعادة القوات إلى الوطن، وليس من يطالب بذلك يعدّ (مع الإرهاب) كما صنّف الرئيس الأمريكي من لم يتبعه على مسار الحرب بل هو (ضد الإرهاب) الذي تنامى نتيجة السياسة المضلّلة التي يتبعها الرئيس الأمريكي حاليًا.

ويكشف المؤلفان كذب الادعاءات التي بررت بها الحكومة الأمريكية (المحافظون الجدد) شنّ الحرب على العراق، مستغلة مشاعر الأمريكيين المتأججة بعد أحداث 11 سبتمبر ،فروّج أعضاؤها لأكذوبة أن تفجير البرجين الأمريكيين من صنع الرئيس العراقي السابق (صدام حسين)، وأنه يعمل بشكل وثيق مع تنظيم القاعدة، مرورًا بأكذوبة أنّ العراق سيقوم باستخدام (طائرات بدون طيار) لرش المدن الأمريكية بجراثيم قاتلة أو بالغازات السامة؛ وصولاً إلى الفرية الكبرى وهي امتلاك العراق لأسلحة التدمير الشامل، والتي ظلت تتردد على ألسنة المسؤولين الأمريكيين أمام وسائل الإعلام، وفي المحافل الدولية، إلى أن تم الغزو والاحتلال في 20 أبريل 2003م، بل إنّ هذه الفرية ظلّت تُردّد بعد الغزو، حيث أعلن الرئيس الأمريكي نفسه في (29 5- 2003م) أن الأسلحة المزعومة قد وجدت بالفعل ويؤكّد المؤلفان أن الإدارة الأمريكية استمرت في سياسة التضليل تلك بعد غزو العراق، حيث إنها لم تكن تعلن للشعب الأمريكي ما تواجهه القوات في العراق من مقاومة ورفض شعبيين، كما أصدرت عبر وزارة الدفاع أمرًا يتضمن (ألاّ تُقام مراسم لاستقبال جثامين العساكر القتلى العائدة إلى قواعدها العسكرية أو المغادرة لها، وعدم تغطيتها إعلاميًا) ص20. كذلك أخفت الإدارة الأمريكية على شعبها ما كان يدور في سجون العراق من

عمليات تعذيب، إلى أن فضحتها فيما بعد وسائل الإعلام، كما أخفت خبر اختفاء مبلغ (9) بلايين من الدولارات تسلمتها السلطة الأمريكية من الأمم المتحدة، كمستحقات للشعب العراقي، لتستخدم في إعادة إعمار العراق، فضلاً عن صفقات مشبوهة بمليارات الدولارات، تمت لحساب شركات تتبع كبار المسؤولين الأمريكيين (ديك تشيني) دون تقديم عروض تنافسية.

ويذهب المؤلفان إلى أنَّ إخفاء الحقائق على الشعب الأمريكي كان أمرًا مُتعمَّدًا، ويستدلان على ذلك بأن القوات الأمريكية قد قيّدت وسائل الإعلام والصحفيين الذين رافقوها، فلم تسمح بنشر أية تقارير أو أخبار أو معلومات عن العراق قبل مرورها على السلطة العسكرية، كما حالت دون خروج من لم يرافقها من إعلاميين من الفنادق، بزعم مراعاة العامل الأمني وعدم تعرّضهم للمخاطر، من جهة أخرى قامت القوات الأمريكية بقصف المحطات الفضائية التي تقوم بتغطية الأحداث في العراق وتظهرها للمتابعين في أنحاء العالم، مثل محطة (الجزيرة) الفضائية، التي كانت تبث ما يكذّب الإدارة الأمريكية وما يتبعها من إعلام ممالئ ، مثل محطة (فوكس نيوز)، وإمعانًا في ذلك الأسلوب التضليلي، كان الرئيس الأمريكي يلتقي بعض المقاتلين الذين يُزعم أنهم مختارون عشوائيًا ليسألهم عن مشاعرهم بشأن ما يجري في العراق، فتأتي إجاباتهم مؤيدة لاتجاه الحكومة ورغبتها، ثم يكتشف فيما بعد أن تلك المجموعات كان يتم اختيارها بعناية، ويتم تلقينها ما سوف تقوله من إجابات أمام وسائل الإعلام، ويذكر المؤلفان في هذا السياق أنّ الحكومة الأمريكية قامت ب (تدمير الحياة المدنية) للمسؤولين الأمريكيين الذين خالفوها الرأي، وعارضوا توجهاتها، وصرّحوا بما حاولت إخفاءه على الشعب الأمريكي من حقائق ويقول المؤلفان بتوجيه العتاب واللوم إلى من عارضوا الحرب من الديمقراطيين في مجلس الشيوخ (وعددهم 22 عضوًا)، ومجلس النواب (وعددهم 126 عضوًا)، لأنهم لم يحوّلوا معارضتهم للحرب إلى معارضة فعّالة، ولم يخبروا الشعب الأمريكي بوقائع تلك الحرب وحقيقة ما يحدث فيها.

وعرف المؤلفان القارئ الأمريكي الموجّه إليه الكتاب أصلاً بجغرافية العراق الطبيعية، من حيث: الموقع، والمساحة، والمناخ، والبشرية، من حيث: عدد السكان،

وتنوعهم الديني (بين مسلمين، ومسيحيين، ويهود، وصابئة)، والعرقي (بين عرب، وكرد، وفرس، وترك)، ومذهبي (بين سنة وشيعة)؛ وتوزعهم في مختلف مناطق العراق.

وقد تتبعا التاريخ السياسي الحديث لدولة العراق منذ عام (1921م)، وهو العام الذي شهد تحوّل العراق من ثلاث ولايات تابعة للامبراطورية العثمانية، إلى دولة العراق الحديثة، ذلك التحوّل الذي تم على يد بريطانيا العظمى بعد هزيمة الأتراك في الحرب العالمية الأولى وتقسيم تركتهم بين الدول المنتصرة.

ويذكر المؤلفان أنه برغم ما يغلب على العراقيين من تنوّع ديني وعرقي ومذهبي، إلاّ أن دولتهم لا تعتبر دولة (مصطنعة) كما يصفها البعض لتبرير تقسيم العراق وتفتيت شعبه حتى لو كانت كذلك، فإن هناك كثيرًا من دول العالم ينطبق عليها هذا الوصف، فالصين تضم (56) أمة مختلفة، وروسيا تضم (20) أمة على الأقل، وكذلك فرنسا، بل إن أمريكا نفسها تفخر بأنها (أمة التعددية). وإذا كان العراق دولة (مصطنعة)، فإن هذه الصفة تنتفي عنها في ظل نظام الدولة ومؤسساتها كالجيش، والشرطة، ونظام الخدمة المدنية، والنظام الصحي، والمدارس، والجامعات، والإعلام، والعملة الموحّدة وغيرها من عرى الارتباط والتماسك، التي توحدت فيها كافة أطياف الشعب المتعددة ولذلك فإن الخطر الحقيقي الذي يتعرّض له العراق اليوم هو تمزيق هذه الشبكة من الروابط.

ويقارن المؤلفان بين ما قام به الإنجليز في العراق عند احتلاله عام 1921م وبين ما يقوم به الأمريكيون منذ احتلالهم عام 2003م، ويتوصلان من خلال المقارنة إلى أن الأساليب والإجراءات التي استخدمها الطرفان تكاد تكون متطابقة، فقد عمد البريطانيون عقب احتلالهم عام 1921م إلى وضع دستور للدولة، وسعوا إلى تنصيب ملك، وإقامة حكومة موالية لهم حيث كان لكل وزير في تلك الحكومة مستشاراً إنجليزيًا وشرعوا في تأسيس جيش للدولة يخضع في إعداده وتدريبه وتسلحه لهم، كما أنهم رتّبوا لإجراء انتخابات، لتبدو الحكومة الملكية حكومة ديمقراطية عبر برلمان وطني، وأنهم استخدموا آنذاك ورقة اختلاف المذاهب لترسيخ وجودهم، حيث قاموا بوضع أسفين بين السنة والشيعة، خصوصًا بعد الدور الذي لعبه الشيعة في ثورة

العشرين، ما جعلهم مصدر قلق وارتياب من الإنجليز، فتوجّهوا إلى السنة بشكل يكاد يكون كاملاً لتأليف الحكومة.

وقد حذا الأمريكيون حذو البريطانيين في العراق، فأنشأوا سلطة الائتلاف المؤقتة، ووضعوا دستورًا للبلاد بإشراف أمريكي، ودفعوا باتجاه البرلمان الوطني لاختيار الحكومات المتعاقبة، حتى يبدو الأمر ديمقراطيًا محضًا، ولم يخالف الأمريكيون البريطانيين في استخدام ورقة الخلاف المذهبي، إلاّ أنهم فضّلوا الاعتماد على الشيعة، نظرًا لما أبداه السنّة من مقاومة ورفض للتواجد الأمريكي، وراحوا منذ سقوط النظام السابق يطالبونهم بالخروج من العراق.

ويشير المؤلفان في سياق المقارنة إلى أنَّ الأمريكيين قد قاموا بتأسيس أربع قواعد عسكرية بعيدًا عن المدن الرئيسة داخل العراق، لتنطلق منها لإعادة السيطرة، فيما لو خرجت الحكومات العراقية في المستقبل عن النهج الأمريكي، وهو ما فعله البريطانيون قبل تسعة عقود تقريبًا، وللهدف ذاته.

ويلفت المؤلفان إلى فارق جوهري بين الحالتين، يجهله، أو يتجاهله الأمريكيون، وهو أنّ العراقيين أصبحت لديهم خبرة تاريخية اكتسبوها منذ الوجود البريطاني في بلادهم، وأنهم قد تعلموا من تلك الخبرة أنّ الأمريكيين قد جاءوا لاحتلال بلادهم وسلب خيراتهم، وأنهم كالانجليز تمامًا لن يخرجوا من العراق إلاّ إذا أُجبروا على ذلك إجبارًا.

ويرى المؤلفان أن العراقيين محقون تمامًا في تصورهم هذا، لأن ما يصرّح به المسؤولون الأمريكيون يؤكّده، وذكروا نموذجًا لذلك بتصريح لوزيرة الخارجية (رايس) الذي قالت فيه "إنّ تدخلنا في العراق هو التزام على مدى أجيال"، وما يقومون به على أرض الواقع يؤيده، فالقواعد العسكرية التي يتم إنشاؤها بملايين الدولارات، ومجمع السفارة الذي تتم إشادته على مساحة شاسعة في المنطقة الخضراء، دليلان على أنهم عازمون على البقاء طويلاً في العراق، وهو ما جعل الشعب يبادر إلى مقاومتهم لكي يخرجوا من العراق، مثلما فعل مع البريطانيين من قبل.

كما يلفت المؤلفان إلى أن موقف الشعب العراقي ممن قبل التجنيد في الجيش والشرطة العراقيين في ظل الاحتلال، هو الموقف ذاته الذي وقفه الشعب من العراقيين الذين قبلوا التجنيد في جيش العشرينيات، حيث اعتبرهم (المتمردون) كما يسميهم المؤلفان خونة لبلادهم وشعبهم، لأنهم قبلوا المشاركة في نظام حكم يسيطر عليه المحتلون، ومن ثم استباحوا مهاجمتهم.

ويشير المؤلفان إلى عامل هام يدفع العراقيين إلى عدم الثقة في الحكومة الأمريكية، واعتبار كل ما تدّعيه من "تحرير العراق،" و "نشر الديمقراطية"، و "توفيرالحياة الكريمة للعراقيين"، شعارات جوفاء، وألاعيب سياسية كاذبة، لأن ذاكرة العراقيين لم تزل تحتفظ بموقف حكومة الرئيس الأمريكي الأسبق (ريجان) وخلفه (جورج بوش الأب) أثناء الحرب العراقية الإيرانية، حيث دعما الرئيس العراقي السابق (صدام حسين) عسكريًا واقتصاديًا لتغيير مسار الحرب، التي كانت القوات العراقية على وشك الهزيمة فيها، فأنّى للعراقيين اليوم أن يصدّقوا مزاعم الأمريكيين وشعاراتهم التي يخفون وراءها نوايا الاحتلال واستنزاف خيرات العراق النفطية، وإثارة النعرات المذهبية بين شعبه لتبرير تفكيكه وتقسيمه وتتبع المؤلفان في الفصل الثالث ما أحدثه الأمريكيون بالعراق، منذ بداية عقد التسعينيات، عندما ورّطوا الرئيس العراقي السابق بغزو الكويت من خلال تصريحهم له على لسان سفيرتهم بالعراق آنذاك (ابريل غلاسبي) بأن الولايات المتحدة لن تتخذ موقفًا بصدد نزاعات الحدود بين الدول العربية، ما جعل الرئيس العراقي يتصوّر أنّ ذلك ضوءاً أخضر، فقام بغزو الكويت في الثاني من أغسطس 1990م، ويؤكد المؤلفان على دور الولايات المتحدة في توريط الرئيس العراقي بالقول "ربما أن تصريحاً واضحًا وقويًا مفاده أن أمريكا ستحمي الكويت، كان من شأنه أن يوقف صدام عند حَدّهٌ". ص 50.

وعندما وقع الرئيس العراقي في الفخ الأمريكي بغزوه للكويت، سارعت حكومة (بوش الأب) بتكوين ائتلاف دولي تحت قيادتها لتدمير القوات العراقية في الكويت، وإخراج ما تبقى منها بالقوة. وعندما انتهت الحرب العسكرية ضد العراق في 27 فبراير 1991م، أعقبتها حرب اقتصادية قاسية، أعلنها مجلس الأمن بتحريض من الولايات المتحدة في أبريل 1991م، واستمرت حتى بدأ الغزو العسكري الأمريكي في

أبريل 2003م. وقد تسبب الحصار الاقتصادي الذي ضرب على العراق في تردّي الأوضاع الصحية والاجتماعية والاقتصادية للشعب العراقي، فخلال مرحلة العقوبات، انحدر وضع العراق في عموم مسائل الصحة والتعليم والتنمية من المنزلة (50) إلى المنزلة (126) في قائمة الأقطار البالغ عددها (130) قطراً، وفقاً لمعلومات منظمة اليونيسيف.

وقد أدى الوضع المتردي للعراق إلى هجرة الكفاءات البشرية العراقية إلى الخارج وخصوصًا الأطباء والمهندسين أما من تبقى في الداخل فكان في حالة نفسية واجتماعية يُرثى لها، خصوصًا بعدما لجأ الرئيس العراقي نتيجة شعورة بالتهديد المستمر من المحيطين به، بمن فيهم أعضاء حزب البعث إلى تعيين عشيرته وذوي قرباه من (آل المجيد) في كافة دوائر الدولة، فاهتموا بمصالحهم الشخصية على حساب مصالح الشعب المقهور أصلاً.

ولم تقف الحرب الأمريكية على العراق في عقد التسعينيات عند حد تدمير قواته العسكرية، وتقويض قدراته الاقتصادية، وتجويع شعبه، وتعريضه لآفات المرض، ونسبة تصريحات كاذبة إلى أصهاره (الجنرال حسين كامل) الذي كان رئيسًا للتصنيع العسكري، (أثناء هروبه مع زوجته ابنة صدام حسين إلى الأردن) بأنه يملك برنامجًا نووياً؛ واتهامه من قِبل الرئيس الأمريكي (بوش الابن) بالشروع في قتل والده (بوش الأب) أثناء زيارته للكويت عام 1993م بل امتدت الحرب آنذاك لتشمل الهجمات الجوية المتواصلة على العراق لتدمير ما كان الرئيس العراقي يقوم بإصلاحه من منشآت وجسور ومستشفيات ونحوها، وذلك ليظل الشعب العراقي في حالة حنق داخلي ضد رئيسه الذي تسبب له في كل هذه المصائب، ومن ثم يسعى إلى الانقلاب عليه وخلعه من الحكم، وهو ما لم يحدث إلاّ في أعقاب التدخل العسكري الأمريكي عام 2003م على يد الأمريكيين أنفسهم.

ويتابع المؤلفان تقصّيهما لمصائب الشعب العراقي وخسائره البشرية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية جراء الغزو والاحتلال الأمريكي للعراق، فيذكران إحصاءً مروّعاً للقوة التدميرية التي استخدمت خلال ال (21) يومًا الأولى من القتال، والتي تسببت في إحداث خسائر مادية تقدر بمائة مليار دولار.

أما الخسائر البشرية فبلغت عشرة آلاف مدني عراقي على أقل تقدير بينهم ثلاثة آلاف طفل، إضافة إلى عشرات الآلاف من الجنود العراقيين الذين أبيدوا في مواقعهم. وقد أدت الحرب إلى تدمير شبكات المياه والكهرباء والاتصالات، فحُرم العراقيون من الشرب والإنارة والتواصل فيما بينهم. ولم يكن لديهم وسيلة للتخلُّص من النفايات، الأمر الذي أدى إلى موت ما يتراوح بين 20 إلى 40٪ من أبناء الشعب العراقي لإصابتهم بالأمراض المعوية، وعدم توافر المراكز الصحية للعلاج.

وهكذا وجد العراقيون أنفسهم في ظل الاحتلال أكثر سوءاً مما كانوا عليه من قبل، خصوصًا بعد ما قامت سلطات الاحتلال بحل الجيش والشرطة العراقيين ليجد منسوبوها أنفسهم مع أسرهم مشردين لا دخل لهم. كذلك توقفت عجلة الحياة كلها انتظاراً لما سوف تسفر عنه الأوضاع، التي كانت تنتقل من سيء لأسوأ، ما جعل العراقيين يخرجون في مظاهرات سلمية، مطالبين الأمريكيين بتوفير متطلبات الحياة الضرورية من مياه وكهرباء وطعام.

وحينما انطلقت هذه المظاهرات في (الموصل) و (الفوجة) و (بغداد)، أصيب الجنود الأمريكيون بالخوف، ففتحوا النار على المتظاهرين ليقتلوا منهم (15) عراقيًا، فكان هذا الحدث كما يقول المؤلفان هو الشرارة التي أضرمت نار المقاومة المسلحة في العراق مطالبة القوات الأمريكية بالرحيل.

قابلت سلطات الاحتلال المقاومة العراقية بالاستنكار، ووصفتها بالمتمردين، والمجرمين، وبقايا النظام البعثي السابق. لكن الهجمات على القوات الأمريكية سرعان ما اتسعت وأصبحت أكثر كثافة وانتظامًا واحترافية، ولم يعد يكفي إلقاء الاتهام واللوم على (بقايا البعثيين)؛ وبدأت السلطات الأمريكية تتصدى للمقاومة، مستخدمة قواتها البرية والجوية، التي راحت تدك المدن العراقية بقذائف المدفعية والصواريخ لتسويِّها بالأرض مثلما حدث في الفلوجة وتلعفر.. وغيرهما فضلاً عن استخدامها للأسلحة الكيميائية المحرّمة (كالفوسفور الأبيض) الذي يؤدي إلى إحراق جميع الموجودين في مدى (150) مترًا من محيط استخدامه. وحينما ووجه الأمريكيون بتلك الجريمة التي سجّلها أحد الإيطاليين بالصورة أنكروا استخدامهم له في البداية، ثم أقر ناطق عسكري باستخدامه من أجل الإضاءة الليلية؟!

أثارت هذه المجازر التي ارتكبتها القوات الأمريكية مشاعرالعراقيين، وولّدت لديهم الرغبة في الانتقام، خصوصًا بعدما انكشفت فضائح التعذيب في السجون العراقية. ومثلما فشلت سلطة الاحتلال المؤقتة بقيادة (بريمر) خلال العام الذي قضاه في حكم العراق في تحقيق الاستقرار والأمن وإعادة الحياة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال، فشلت أيضاً الحكومات العراقية المتعاقبة في تحقيق شيء من ذلك، بل زادت الأمر سوءًا بسياستها السلبية، فقد جاء في تقرير منظمة العفو الدولية الصادر في 9 مارس 2006م ما نصه "إنَّ الأمر لم يقتصر فقط على فشل الحكومة العراقية بتوفير الحد الأدنى من الحماية لمواطنيها، بل إنها اتبعت سياسة الاعتقال والتعذيب للأبرياء من الرجال والنساء. إن عدم معاقبة الذين اقترفوا التعذيب قد فاقم من تدهور حكم القانون" ص 66.

وعندما نضيف إلى ما سبق أن معدّل البطالة الذي يقدر بين (30) و (50)٪ (بحسب المناطق المختلفة) نجد أن هناك بيئة خصبة لارتكاب الجرائم بوتائر مرتفعة غير مسبوقة على مدى تاريخ العراق، ويؤدي هذا الوضع المتردّي إلى زيادة أعداد المهاجرين العراقيين، سواء داخل أو خارج العراق إلى الدول المجاورة، بحثًا عن الأمن والاستقرار المفقودين إلى أجل غير مسمى في بلدهم، خصوصًا وأنّ القوات الأمريكية مازالت تلجأ إلى استخدام القوة العسكرية بكثافة شديدة ضد مناطق يُقال إنها تأوي (متمردين). ولم تعد تلك الاعتداءات العسكرية الأمريكية تميّز بين ديار السكن أو دور العبادة، ففي 28 مارس 2006م، تم الهجوم على مسجد شيعي في بغداد، فأدى إلى مقتل (37) مصليًا ممن كانوا يؤدون صلاة المغرب داخل المسجد، وهو ما اعتبره العراقيون اعتداء على حضارتهم ودينهم، يُضاف إلى الاعتداء على شعبهم وبلادهم وثرواتهم النفطية، التي أوضح المؤلفان مظاهر استغلالها من قِبل الأمريكيين منذ بدء الاحتلال وحتى وقت تأليف هذا الكتاب.

وينتقل المؤلفان في الفصل الرابع إلى بيان الأضرار التي أحدثتها الحرب على العراق في أمريكا، فيذكران أولاً الأضرار البشرية، حيث بلغ عدد الوفيات حتى 29 يوليو 2006م (2،578) قتيلاً، فيما بلغ عدد الجرحى والمعاقين (17،381) حتى كتابة هذا الكتاب،ويلفت المؤلفان إلى أنه على الرغم من كثرة عدد المصابين إلاّ أنه

يبقى في الحدود الدنيا قياسًا بحروب مماثلة حدثت في الماضي نظراً لتوافر المساعدة الطبية المتقدمة جدًا تقانياً، والتي يتم تهيئتها خلال دقائق معدودة لعلاج المصابين. ويذكر المؤلفان أن نصف المصابين سيعانون باقي عمرهم من الإعاقة نتيجة إصابتهم؛ وأن أكثر من (50) ألفًا ممن شاركوا في تلك الحرب سيعانون بعد ثلاث سنوات من (الرضّة المخيّة) نتيجة ارتجاج لم يتم التنبؤ بحدوثه أثناء القتال. كذلك ستظهر فيما بعد آثار الإصابة باليورانيوم المنضب، لأن جميع الجنود الذي يتواجدون في أماكن استخدامه سيتعرّضون إلى الإصابة بإشعاعاته التي تحملها الرياح. واستشهد المؤلفان لذلك بحالات الإصابة بإعاقة دائمة، التي يعاني منهم (169) ألف جندي ممن شاركوا في حرب تحرير الكويت. ويذكر المؤلفان أن بعض الجنود قد أصيبوا منذ الآن بالسرطان.

ولا تقف إصابات الأمريكيين عند الإعاقة البدنية، بل إن كثيرًا منهم سيعاني من الإصابة النفسية، فقد نشر تقرير (الجرّاح العام) لشهر ديسمبر 2005م أن أكثر من ثلث الجنود ومشاة البحرية الذين خدموا في العراق يراجعون لطلب المعالجة الطبية العقلية، وتتنوع إصاباتهم بين إيذاء أجسادهم، أو التفكير في الانتحار، أو الكوابيس المفزعة أثناء النوم، وفقدان السيطرة على النفس، والرغبة في إيذاء الآخرين. ويشير التقرير المذكور إلى أن عددًا قليلاً فقط من أولئك المصابين النفسيين هم الذين يتلقون العلاج، الذي يكلّف دائرة شؤون المقاتلين القدماء ثلاثة مليارات ومئتي مليون دولار سنوياً.

أما الأضرار المالية للحرب، فرغم أنها (تستعصي على الدقة في التقدير) كما يقولان إلاّ أنهما أوردا عدة تقارير، أعدّها متخصصون بارزون في الميزانية والإحصاء، يشير أحدها إلى أن (كلفة الغزو والاحتلال عام 2003م تقدر بمئات المليارات (سنويًا)، وهي تبلغ الآن نحو (1،7) سبعة مليارات ومئة مليون دولار

السيناتور الأمريكي تشاك شومر

قال في تصريح له امام كاميرات وسائل الاعلام إن خسائر أمريكا في الأرواح والمال مأساوية على نحو غير مسبوق بسبب الحرب في العراق **الجنرال السير مايكل روز**

قال ان قوات التحالف تواجه وضعاً مستحيلاً في العراق واضاف ليس هناك طريق نمضي فيه للفوز في هذه الحرب، يجب أن ننسحب ونقبل بالهزيمة، لأننا ماضون إلى خسارة الحرب صحيفة **الواشنطن** بوست اظهرت في استفتاء بأن 51٪ من الأمريكيين توقعوا هزيمة بلادهم في حرب العراق.

السيناتور الديمقراطي مورم ريكس

قال لا يوجد تقدم سياسي في العراق في ظل الاحتقان السياسي وعدم إحراز تقدم.

وفي تقرير صدر من البنتاغون أعده اندرو يبينيفتيس

جاء فيه ان الجيش الأمريكي لا يستطيع تحمل معدلات الانتشار بسبب المقاومة العراقية مشيراً إلى التدهور في معدلات التجنيد للجنود الأمريكان وخوفهم من أتون نار المقاومة العراقية، رغم الحوافز والعلاوات لإقناع الجنود على التوجه إلى محرقة العراق وخلص أن الإجهاد بدأ يدب في أوصال الجيش الأمريكي في العراق **توني جيرسكي** قال ان العدو يقصد المقاومة موجود في أي مكان، وفي كل مكان، نحن نواجه عدواً لا نعرفه، ولا يتبع خطوطاً قتالية ثابتة.

محررة الواشنطن بوست سوان ليفين

قالت لقد أصبح من المعتاد والطبيعي بالنسبة لنا استمرار ورود الجرحى يومياً ، ويقول الطبيب ماثيو هيمان بأن هذا الوضع هو أبشع كابوس يواجهني دائما ويصف عقيد أمريكي واقع الحال بقوله لقد تعبت كثيراً من رؤية الجرحى من أبناءنا أجسادهم ممزقة أنني ابحث عن أشخاص مبتورة أطرافهم، ومن كثرة هذه المشاهد بات من الغريب أن لا أراها يومياً ، إنني استشعر بأنني احترق من داخلي يأتي ذلك في الوقت الذي لم يتجاوز المتمردون على الخدمة العسكرية في حرب الخليج الأولى عام 1990 (102) جندي فأنها بلغت قبل منتصف عام 2007(20) ضابطا و(200) جنديا ونشرت شبكة أمريكية بأن عدد المنتحرين من الجنود بلغ (5000) جنديا.

لجنة ديمقراطية في الكونغرس

قالت أن تكاليف أمريكا في حربها في العراق وأفغانستان بلغت(5,1) تريليون دولار كما أفادت دراسة أعدها البنتاغون بأن(19) ألف من الجنود الأمريكان يعانون من مشاكل نفسية بعد العودة من جبهة العراق منها الإرهاق النفسي والاكتئاب والإفراط في تناول الكحول والمخدرات وذكر معهد المجلة الأمريكية للجمعية الطبية بأن من أصل (88235) جندي خضعوا للفحص فأن 11,7٪ منهم تلقوا علاجاً منظمة طبية امريكية اسمها **(من اجل مسئولية اجتماعية).**

قالت وعلى لسان السيناتور الديمقراطيباني موراي بأن تكلفة الرعاية الصحية للجنود الأمريكان ومعوقي الحرب تجاوزت التكلفة المخصصة لها والبالغة(650) مليار دولار ، مؤكداً من جانب آخر بان الصدمة العقلية والنفسية للجنود العائدين من العراق ستستمر معهم طوال حياتهم صحيفة **u.s.a today** ذكرت بأن أكثر من (1100) محارب من العائدين من العراق وأفغانستان يعانون من إصابات خطيرة في العيون بسبب القنابل المزروعة على جانبي الطرق وقنابل الهاون واعتبرتها أعلى نسبة إصابة يتعرض لها الجنود منذ الحرب العالمية الأولى وهي بحق رحلة نحو الظلام.

صحيفة لوس انجلوس

ذكرت بأن عدد الجنود الفارين من الخدمة العسكرية في عام 2007 زاد بنسبة 80% عما كانت عليه عام 2003 بمعنى(4698) جندي في حين كان العدد عام 2006 (3301) (جندي ومعظمهم هرب إلى كندا والمكسيك، علماً إن معظم الهاربين من قوات المارينز وهي القوات التي يتفاخرا لأمريكان بقوتها وبأسها وفاعليتها في الحروب، وقوة تسليحها وتجهيزها ومستواها القتالي المتطور ، لكن غالبا ما تكون تذاكر الرحلة إلى المستنقع العراقي ذهاب فقط لأن العودة من العراق ستكون بشكل نعش فالرحلة غير مشجعة لانطوائها على المجازفة، وذكر أحد الجنود الفارين بصراحة لا أريد أن يكتب على قبري مات مخدوعاً في العراق ،وقال آخر،أن ذهابي للقتال في العراق يعتبر خطيئة مميتة رغم معرفته أن رواتب وحوافز خدمة سنة في العراق تعني الحصول على (120) ألف دولار وهذا ما يحلم به أي أمريكي.

وفي هذا الصدد اشار تقريرللبنتاغون عن وجود صعوبة بالغة في تجنيد المزيد من القوات بالرغم من الإغراءات المادية والحوافز والعلاوات التي تقدم لهم، ويعزي معد التقرير) اندرو كريبيتفتش (الأمر بسبب المقاومة العراقية الشديدة، وهو الأمر الذي أكده أيضا) جورج غولوان (القائد السابق لحلف شمال ألأطلسي، فقد أيد وجهة نظر أندرو بقوله إذا أردنا أن نعرف هل فعلاً سينهار الجيش الأمريكي أم لاعلينا أن نقول الحقيقة الآتية بأنه إذا استمررنا في هذا الحال فسيكون جيشنا معرضاً للانهيار.

اما السيناتور الديمقراطي آدم سمي فقد وضع رأسه بين يديه متسائلاًإننا لا نستطيع تحمل الاستمرار في إنفاق(200) مليار سنوياً ونبقي أكثر من (100) ألف جندياً إلى أمد مجهول

أما صحيفة نيوستا تسمان الأمريكية، فقد نقلت عن عدد من الخبراء الاقتصاديين أعدوا دراسات اقتصادية أكدت أن تكلفة الحرب علي العراق تبلغ 2.5 تريليون دولار خاصة أن علاج الجنود المصابين سيستغرق عدة عقود الأمر الذي يرفع تكاليف الحرب. وأشارت الدراسة التي أعدتها الخبيرة الاقتصادية 'ليندا بيلمز' رغم محاولات البنتاجون لاسكاتها إلي أن إدارة الرئيس بوش تمارس خداعا آخر بشأن عدد الجنود المصابين في حرب العراق، حيث خصصت الإدارة الأمريكية جهازين منفصلين لإحصاء عدد الجنود المصابين أحدهما داخل البنتاجون وتستعين به وسائل الإعلام في احصاء عدد القتلي والمصابين من الجنود الأمريكيين، أما الجهاز الآخر فيتمثل في قسم شئون المتطوعين وهو إدارة حكومية منفصلة عن وزارة الدفاع الأمريكية.

وكشفت الاحصاءات المتباينة بين الجهازين عن خداع الإدارة الأمريكية حيث اعلن البنتاجون في بداية هذا العام عن إصابة 32 ألف جندي أمريكي في حين أكد قسم شئون المتطوعين أن عدد المصابين من الجنود أكثر من 05 ألف مصاب.

وكانت 'بيلمز' معدة الدراسة التي كانت تعمل في إدارة الرئيس السابق بيل كلينتون قد كتبت مقالا في صحيفة 'لوس انجلوس تايمز' أكدت فيه أن عدد الجنود المصابين في الحرب علي العراق يزيد علي 50 ألف مصاب، الأمر الذي اغضب البنتاجون كما تشير صحيفة 'نيوستا تسمان' مما أدي إلي أن أحد المسؤولين رفيعي المستوي قام بالاتصال بها مستفسرا عن الرقم ومن أين حصلت عليه فقالت له إنها

جاءت به من قسم شؤون المتطوعين وأرسلت له بنسخ من الوثائق الرسمية التي تؤكد ما كتبته.

ولكن خداع إدارة بوش لم يقف عند هذا الحد، بل طال قسم شؤون المتطوعين المستقل عن البنتاجون والذي يديره روبرت جيمس نيتولسون رئيس الحزب الجمهوري السابق ومن أكثر المؤيدين لسياسة بوش حيث قام بتغيير الرقم الذي كان علي موقع قسم شؤون المتطوعين علي النت من 50508 مصابين إلي 21649 مصابا.

واكتشفت بيلمز في دراستها أن البنتاجون لا يسجل عدد الجنود المصابين من جراء حوادث الطرق أو حتي المرض منهم في العراق وأفغانستان علي الرغم من أنهم يحتاجون إلي نفس الرعاية التي يحتاجها الجنود المصابون نتيجة العمليات العسكرية عند عودتهم إلي بلادهم.وأكدت الدراسة أن أكثر من 200 ألف جندي مصاب نتيجة الحرب في العراق وأفغانستان تم علاجهم بالمراكز الطبية التابعة لقسم شئون المتطوعين بالإضافة إلي أن 20 ٪ من هؤلاء العائدين يعانون أمراضا عقلية خطيرة.. وكذلك 02 ٪ من الجنود المصابين تم بتر عضو أو أكثر من أجسادهم وأن علاج أي من هذه الحالات يستغرق عدة عقود الأمر الذي يجعل تكلفة هذه الحرب طويلة الأمد. وأوضحت الدراسة أن 48.4 ٪ من المتطوعين أثناء حرب الخليج الثانية عام 1991 مازالوا يبحثون عن رعاية طبية حيث يعاني 44 ٪ العجز.. كما يتلقي 611729جنديا أمريكيا شارك في حرب الخليج تعويضات ورواتب نتيجة العجز الذي لحق بهم أثناء الحرب، وتعاني نسبة كبيرة منهم أمراضا نفسية وعقلية.

وأشارت الدراسة إلي أن العناية بالجنود المصابين العائدين من العراق وأفغانستان ستلتهم أموال دافعي الضرائب في الحاضر والمستقبل حيث تبلغ تكاليف علاج هؤلاء الجنود أكثر من 536 بليون دولار.

وأوضحت الدراسة أن تكلفة جندي واحد مصاب بإعاقة ذهنية تصل إلي 4.3 مليون دولار بحد أدني.

وأكدت الدراسة أنه يوجد أكثر من 400 ألف طلب من المتطوعين العائدين للحصول علي معاشات وتعويضات ومن المتوقع أن تزيد هذه الطلبات حتي تصل إلي 478 ألف طلب خلال هذا العام و930 ألف طلب عام 2008.

وألمحت الدراسة إلي أن تكاليف تبعات الحرب المتمثلة في البطالة والعنف الأسري والجريمة وادمان المخدرات والكحوليات تضاف إلي تكلفة تلك الحرب التي بلغت 2.5 تريليون دولار، بالإضافة إلي تكلفة تزويد الجيش بالمعدات العسكرية حيث تنتشر 40 ٪ من معدات الجيش الأمريكي علي أرض العراق وهو أيضا ما اعترف به رامسفيلد في مارس 2005 عندما قال: إن الدبابات وطائرات الهليكوبتر تستهلك بمعدل 6 مرات عن المعدل الطبيعي.

كما يتم تدمير كميات كبيرة من هذه المعدات حيث فقد الجيش الأمريكي أكثر من 082 ألف قطعة أساسية من معداته بمناطق القتال وفي فبراير من العام الماضي دمرت 20 دبابة من نوع ابرامز (105M) سيارة مدرعة و20شاحنة و20 مدرعة من نوع (113M) ناقلة الجنود و250سيارة هامفي وأكثر من مائة طائرة معظهما هليكوبتر.

وتقول الدراسة إن هناك شيئا آخر لم يأخذه البيت الأبيض في الاعتبار عندما كان يحصي خسائره في حرب العراق ألا وهو النفط، ففي عام 2002 كان معدل سعر البترول للبرميل الواحد هو 23.71 دولار أما اليوم فبلغ سعر البرميل اكثرمن 50 دولارا أمريكيا.

وأضافت الدراسة: أنه إذا زاد سعر النفط بمعدل 5 دولارات فقط فسيضيف إلي تكاليف الحرب علي العراق 150 بليون دولار.

ولفتت الدراسة إلي وجود أشياء أخري غير محسوبة يجب أن تضاف إلي فاتورة الحرب علي العراق وهي نشر مئات الآلاف من جنود الاحتياط مما يستنزف الاقتصاد الأمريكي.

وأكدت الدراسة أن 44 بالمائة من قوت الشرطة الأمريكية تسلموا أرقامهم بالجيش كجنود احتياط في العراق فيما يقوم آخرون في أمريكا بمهامهم وهناك أيضا

من يذهب للقيام بأعمال رجال المطافئ وضمن الفريق الطبي.. ولذا يوجد الكثير من المصابين بأمراض في المستقبل وهذه الأمراض ربما لم تتضح حتي الآن.

وأشارت الدراسة إلي أن المواد الكيماوية التي استخدمها الجنود الأمريكان في حربهم علي فيتنام مابين أعوام 19611971 مازالت لها تأثيرات سلبية علي صحة القوات الأمريكية التي شاركت في الحرب حتي الآن.وألمحت الدراسة إلي توافر الكثير من الأدلة التي أثبتت أن التعرض لغاز اليورانيوم المنضب الذي تستخدمه دبابات(1M) وطائرات الهجوم(10A-) الأمريكية يسبب السرطان وداء البول السكري والعقم كما أن الكثير من الجنود العائدين يعانون أمراضا عدة نتيجة استجاباتهم غير المواتية للتطعيم ضد غاز الانتراكس أو للوقاية من المواد الكيماوية الأخري.

وأضافت الدراسة أن التكاليف طويلة الأمد للعناية بهؤلاء المصابين بالإضافة إلي تلقي الأرامل من زوجات الجنود الذين لقوا حتفهم في الحرب تعويضات تصل إلي 100 ألف دولار وقد يبلغ التعويض 6.5 مليون دولار إذا كان الجندي المتوفي يبلغ 25 عاما فضلا عن معاشات الجنود التي تصل إلي 500 ألف دولار.

وقالت صحيفة نيوستا تسمان: إن وحدة التخطيط العسكري بوزارة الدفاع الأمريكية المعروفة ب(سنتكوم) تنبأت في خطتها للغزو بأن الحرب في العراق تحتاج إلي خمسة آلاف جندي أمريكي فقط في نهاية 2006 بينما كان نائب وزير الدفاع وقتها بول ولفويتز أكثر تفاؤلا عندما قال إن العراق سيمول مشاريع إعادة اعمارهوأضافت الصحيفة أن وزير الدفاع السابق رامسفيلد نفسه أشار إلي أن الحرب ستتكلف حوالي 50 بليون دولار بينما حذرت (لاري ليندس) مساعدة الرئيس في مجال السياسات الاقتصادية بالبيت الأبيض من أن الحرب ستتكلف 200 بليون دولار.

وأشارت الصحيفة إلي أن الاحصائيات الرسمية الموجودة بمكتب ميزانية الكونجرس المستقل أكدت أن الحرب علي العراق تتكلف 200 مليون دولار يوميا أو 6 بلايين دولار شهريا.

وأضافت الصحيفة أن الدراسة التي أعدتها بيلمز أشارت إلي وجود ثلاثة سيناريوهات كان لا يتخيلها كل من بوش ورامسفيلد وولفويتز في نهاية عام 2003.. السيناريو الأول: يستهدف قطع الطريق علي التكاليف طويلة الأمد للحرب علي العراق وطبقا له تبدأ القوات الأمريكية في الانسحاب العام الحالي 2007 وتكون خارج العراق بحلول عام 2016 بينما يقترح السيناريو الثاني انسحابا تدريجيا للقوات الأمريكية يكتمل عام 2015 أما الأخير فيتوقع مشاركة 2 مليون جندي إذا استمرت الحرب فيما بعد عام 2016.

وأكدت الدراسة أنه بتقييم التكاليف بعيدة الأمد للحرب حتي إذا وقع السيناريو الثاني المعتدل إلي حد ما فستصل تكلفة الحرب إلي 2.5 تريليون دولار ويشمل هذا المبلغ تكاليف العمليات القتالية وتزويد المعدات العسكرية ورعاية المتطوعين. كما تحتوي علي تكلفة رواتب جنود الاحتياط التي تختلف عما يدفع لهم وهم في وظائفهم المدنية.

وخلصت الصحيفة إلي أن بيلمز معدة الدراسة باتت من أبرز النساء المعروفات لدي إدارة بوش حيث تم استدعاؤها للمشاركة في ندوة للحديث عن تكلفة الحرب علي العراق بإدارة شئون المتطوعين وفجأة لم تكن من المدعوين.

وهذه اللائحة التي صاغها زولتان غروسمان عن التدخلات العسكرية الأميركية على امتداد قرن. ونشرت في كتاب "لماذا يكره العالم أميركا" ؟ لضياء الدين سرادار وميريل واين ديفيز (دار فايار).

داكوتا الجنوبية- 1890

قوات أرضية قتل 300 هندي الأكوتاس في واندو ودكني.

الأرجنتين - 1890

قوات أرضية. حماية المصالح في بوانيس أيرس.

تشيلي 1891

قوات أرضية. مواجهة بين البحرية والمتمردين المحليين.

هايتي، 1891

قوات أرضية، قمع ثورة العمال السود في جزيرة ناقاسا من قبل الولايات المتحدة.

أيدهو، 1892

قوات أرضية، الجيش يقمع المضربين في مناجم الفضة.

هاواي، 1893؟

قوات بحرية، قوات أرضية. ضم المملكة المستقلة.

شيكاغو، 1894

قوات على الأرض. قمع المضربين في سكك الحديد – 340 قتيلا

نيكاراغو، 1894- 1895

قوات أرضية. احتلال "بلوفيلد" لمدة شهر.

الصين 1894- 1895

القوات البحرية، قوات أرضية، دخول قوات المارينز.

كوريا، 1894- 1896

قوات أرضية، توقيف لقوات مارينز في سيول أثناء النزاع.

باناما، 1895

قوات أرضية، قوات بحرية. دخول المارينز إلى الريف الكولومبي.

نيكاراغوا، 1896

قوات أرضية، دخول قوات المارينز إلى مرفأ كورينتو؟

الصين، 1898- 1900

قوات أرضية. القوات الأجنبية تحارب الـ"بوكسيرز".

الفيلبين، 1898- 1900؟

قوات بحرية، قوات أرضية. الاستيلاء على الفيلبين، الممتلكات الأسبانية 600 ألف قتيل فيلبيني.

كوبا 1898- 1902؟

قوات بحرية، قوات أرضية. الاستيلاء على كوبا، ممتلكات إسبانية. صمود قاعدة بحرية.

بورتو ريكو 1898؟

قوات بحرية، قوات أرضية. الاستيلاء على بورتوركيو، ممتلكات إسبانية، استمرار الاحتلال.

غوام 1898؟

قوات بحرية، قوات أرضية. الاستيلاء على غوام.ممتلكات إسبانية. لا تزال مستعملة كقاعدة.

مينيزوتا، 1898

قوات أرضية، الجيش يواجه هنود الـ"شيبيواس" في لييش لايك.

نياكاراغو، 1898

قوات أرضية، دخول المارينز إلى مرفأ "سان خوان ديل سور".

أيداهو، 1899- 1901

قوات أرضية. الجيش يحتل منجم"كوردالين"dAlene coeur

أوكلاهوما، 1901

قوات أرضية. الجيش يقمع ثورة هنود "الكريكس".

باناما، 1901- 1904

قوات بحرية، قوات أرضية. فصل باناما عن كولومبيا في عام 1903، وضم منطقة القناة عام 1914 وضم منطقة القناة عام 1914، ولغلية عام1991.

هندوراس 1903

قوات أرضية. تدخل المارينز في الثورة

جمهورية الدومينيك، 1903- 1904

قوات أرضية ، حماية المصالح الأميركية المهددة من الثورة.

كوريا 1904- 1905

قوات أرضية. دخول قوات المارينز أثناء الحرب بين اليابان وروسيا.

كوبا، 1906- 1909

قوات أرضية. إنزال قوات المارينز في الوقت الذي كانت البلاد تجري فيه انتخاباتها الديموقراطية.

نيكاراغوا، 1907:

قوات أرضية. نشوء بروتوكول "دبلوماسية الولار".

هوندوراس، 1907

قوات أرضية. إنزال قوات المارينز اثناء الحرب مع نيكاراغوا.

باناما، 1908:

قوات أرضية. تدخل قوات المارينز أثناء مواجهات انتخابية.

نيكاراغوا، 1910

قوات أرضية. إنزال قوات المارينز في بلوفيلدز وكورينتو.

هوندوراس، 1911.

قوات أرضية. حماية المصالح الأميركية المهددة من قبل الحرب الأهلية.

الصين 1911- 1941

قوات بحرية، قوات أرضية. احتلال دائم مع وقوع انفجارات قوية.

كوبا، 1912

قوات أرضية. حماية المصالح الأميركية في هافانا.

باناما، 1912

قوات أرضية. إنزال قوات المارينز اثناء الإنتخابات.

هوندوارس، 1912

قوات أرضية، قوات المارينز تحمي المصالح الاقتصادية الأميركية .

نيكاراغوا، 1912،1933

قوات أرضية، قصف دائم. عشرون سنة من الاحتلال.

معارك مع الثوار.

مكسيك، 1913

قوات بحرية. إخلاء القوات الأميركية أثناء الثورة.

جمهورية الدمينيك، 1914

قوات بحرية. معارك إلى جانب الثوار للاستيلاء على السان دومينيك.

كولورادو، 1914

قوات أرضية، الجيش أوقف إضراب عمال المناجم.

المكسيك، 1914- 1918

قوات بحرية، قوات أرضية. سلسلة تدخلات ضد الوطنيين.

هايتيي 1914- 1934

قوات أرضية، قصف متواصل. تسعة عشر عاما من الاحتلال تلت محاولات التمرد.

جمهورية الدمينيك، 1916- 1624

قوات أرضية. 8 سنوات من الاحتلال من قبل المارينز.

كوبا، 1917- 1933

قوات أرضية. احتلال عسكري، خضوع لنظام الحماية الاقتصادية.

الحرب العالمية الأولى: 1917- 1918

قوات بحرية، قوات أرضية. معارك ضد ألمانيا.

روسيا، 1918- 1922

قوات بحرية، قوات أرضية. خمس إنزالات بحرية لمحاربة "البولوشفيين".

باناما، 1918- 1920

قوات. أرضية. "عمليات بوليسية" تلي المشاكل التي أعقبت الانتخابات.

يوغوسلافيا، 1919

قوات أرضية، إنزال المارينز في "رالماسي" لمساعدة إيطاليا في مواجهتها مع صربيا.

هوندوراس، 1919

قوات أرضية. إنزال قوات المارينز أثناء الحملةالانتخابية.

غواتيمالا، 1920

قوات أرضية. 15 يوم من التدخلات ضد الاتحاديين.

فيرجينيا الغربية، 1920- 1921

قوات أرضية، قصف متواصل. الجيش يتدخل ضد عمال المناجم.

تركيا، 1922

قوات أرضية. معارك ضد الوطنيين في "سميرن" (إيزمير)

الصين، 1922،1927

قوات بحرية، قوات أرضية. نشر القوات أثناء الثورة الوطنية.

هوندوراس، 1924- 1925

قوات أرضية. إنزال المارينز مرتين أثناء المعركة الانتخابية.

باناما، 1925

قوات قمع الإضراب العام من قبل المارينز.

الصين، 1927- 1934

قوات أرضية. انتشار المارينز في جميع أنحاء البلاد.

سلفادور، 1932

قوات بحرية. بعث معدات حربية أثناء ثورة فابريانو مارتي.

واشنطن، 1932

قوات أرضية. الجيش يضع حد لمظاهرة قدامى المحاربين في الحرب العالمية الأولى المطالبين بتعويضات مالية.

الحرب العالمية الثالثة: 1941- 1945

قوات بحرية، قوات أرضية، قصف دائم، قنبلة نووية.

ديترويت 1943

قوات. الجيش يقمع" ثورة السود"

إيران، 1946

تحذير نووي. وجوب انسحاب القوات السوفياتية من الشمال (الازير بايجيان الإيراني).

يوغوسلافيا، 1946

قوات بحرية، استنفار أميركي بعد إنزال طائرة أميركية.

أوروغواي، 1947

تهديد نووي. نشر القوات المسلحة للتخويف

اليونان، 1947، 1949

الولايات المتحدة توجه اليمين المتشدد أثناء الحرب الأهلية.

الصين، 1948، 1949

قوات أرضية. قوات المارينز تخلي المنطقة من الأميركيين قبل انتصار الشيوعيين.

ألمانيا 1984

تهديد نووي. مسلحون أميركيون ذوو تجهيزات نووية يحمون الجسر الجوي في برلين

الفليبين، 1948،1954

الـ"آي أي" توجه المتمردين "الهوكس".

بوتكوريكو، 1950

قمع المتمردين الاستقلاليين في "بوتس"

كوريا، 1950- 1953

قوات أرضية، بحرية، قصف، تهديد نووي. حالة مسدودة بين الولايات المتحدة وكوريا الجنوبية من جهة والصين وكوريا الشمالية من جهة أخرى. تهديد باللجوء للقنبلة(A) عام 1950، وجود قواعد أميركية حتى يومنا هذا.

إيران 1953

الـ"سي أي أي" تسقط الديموقراطية وتضع الشاه على رأس السلطة.

فيتنام 1954

تهديد نووي. اقتراح بتقديم قنابل للفرنسيين المحاصرين.

غوانتلاما، 1954

قصف، تهديد نووي. الـ"سي أي أي" ترأس عملية إنزال المنفيين بعد تأميم أراض تابعة لشركات أميركية من قبل الحكومة الجديدة. نشر مسلحين في نيكاراغوا.

فيتنام، 1960،1975

قوات أرضية، قوات بحرية، قصف، تهديد نووي. معارك ضد الـ"فيت- كونغ" في الفيتنام الجنوبية وضد الفيتنام الشمالية: مليون إلى مليوني قتيل في أطول الحروب الأميركية. التهديد باللجوء إلى القنبلة النووية، بين 1968- 1967

كوبا، 1961

فشل محاولة إنزال المنفيين المعادين لكاسترو، والتي قادتها ال"سي أي أي".

ألمانيا 1961

تهديد نووي. حذر عالمي أثناء أزمة جدار برلين.

كوبا، 1962

تهديد نووي، حصار بحري اثناء أزمة الصواريخ. تجنب الحرب مع روسيا في اللحظة الأخيرة.

لاووس، 1962

تنام النفوذ العسكري اثناء حرب العصابات.

مصر، 1956

تهديد نووي، قوات أرضية. الطلب من السوفيات عدم التدخل في أزمة السويس. قيام المارينز بإخلاء المنطقة من الجانب.

لبنان، 1958

قوات ارضية، قوات بحرية. قمع المارينز لثورة المتمردين.

العراق، 1958

تهديد نووي. إنذار العراق بعدم اجتياح الكويت.

الصين، 1958

تهديد نووي، مطالبة بعدم التحرك ضد تايوان.

باناما، 1958

قوات أرضية. مظاهرات ضد رفع العلم تؤدي إلى مواجهات عنيفة.

باناما ، 1964

قوات أرضية. باناميون يفتحون النار لاسترجاع القناة.

إندونيسيا ، 1965

مليون قتيل في الإنقلاب الذي دعمته الـ"سي أي أي".

جمهورية الدمينيك، 1965،1966

قوات أرضية. إنزال لقوات المارينز أثناء الحملة الانتخابية.

غواتيمالا ، 1966،1967

الـBERETS~VERTS يتدخلون ضد المتمردين.

ديترويت 1967

قوات أرضية. مواجهة بين الجيش والواطنين السود ، 43 قتيلا

الولايات المتحدة ،1968

قوات أرضية. انتشار 61 ألف جندي في البلاد بعد اغتيال مارتن لوثر كينغ

كمبوديا ، 1969، 1975

قصف، قوات أرضية ، قوات بحرية. مليونا قتيل خلال 6سنوات من القصف، المجاعة والفوضى السياسية.

عمان، 1970

الولايات المتحدة تقود عملية إنزال القوات البرية الإيرانية.

لاوس، 1971، 1973

الولايات المتحدة تقود عملية اجتياح الفيتنام الجنوبي. "سجادة قنابل" في المناطق الريفية.

داكوتا الجنوبية، 1973

الجيش يقود حصار لاكوتاس في واونديد كني.

الشرق الأوسط، 1973

تهديد نووي. حذر عالمي أثناء حرب 1973

التشيلي، 1973

الـ"سي أي أي" تدعم انقلابا أسقط الرئيس الماركسي المنتخب سلفادور الليندي.

كامبوديا، 1975

قوات أرضية، قصف، غاز. تفتيش مركب بحري، وقوع 28 قتيلا في حادث هليكوبتر.

أنغولا، 1967، 1992

الـ"سي أي أي" تساعد المتمردين المدعومين من قبل إفريقيا الجنوبية.

إيران، 1980

قوات أرضة، تهديد نووي، فشل نحاولات القصف. محاولة تحرير الرهائن في السفارة. سقوط 8جنود في حادث هليكوبتر. إنذار السوفيات بعدم التدخل في الثورة.

لبيا، 1981

jets بحرية.

سلفادور 1981- 1992

قوات أرضية. بعث مستشارين، تحليق جوي لدعم الحرب على المتمردين. اشتباكات قصيرة بسبب الرهائن.

نيكاراغوا، 1981- 1990

قوات بحرية. الـ"سي أي أي" تدير عملية إنزال المبعدين المعاديين للثورة وتزرع الغاما ضد القوات الثورة.

لبنان، 1982- 1984

قوات بحرية، قصف، قوات أرضية. قوات المارينز تطرد منظمة التحرير الفلسطينية وتساعد ميليشيا الكتائب. المواقع السورية تخضع لقصف القوات البحرية المسلحة.

هوندواس، 1983- 1989

قوات أرضية. المساعدة على بناء قواعد بالقرب من الحدود.

غرانادا، 1983- 1984

قوات أرضية، قصف، دخول الجزيرة بعد 4 سنوات من الثورة.

إيران، 1984

تحليق طيران، إسقاط طائرتين إيرانيتين في الخليج الفارسي.

ليبيا، 1986

قصف، قوات بحرية. ضربات جوية لإسقاط الحكومة الوطنية.

بوليفيا، 1986

قوات أرضية. الجيش يساهم في الحملة ضد الكوكايين.

إيران، 1987- 1988

قوات بحرية، قصف. الولايات المتحدة تتدخل لصالح العراق خلال الحرب.

ليبيا، 1981

jet بحرية

الجزر العذارى 1989

قوات أرضية. مشاكل مع السكان السود.

الفيلبين، 1989

تحليق طيران، غطاء جوي لحماية الحكومة من خطر الانقلابات.

باناما، 1990،1989

قوات أرضية، قصف، 27 ألف جندي يطردون الحكومة الوطنية، توقيف القادية، أكثر من 200 قتيل.

ليبيريا، 1990

قوات أرضية. إخلاء المنطقة من السكان الأجانب.

السعودية، 1990- 1991

قوات أرضية، طيران. احتجاج على العراق بعد غزوه لدولة الكويت، 54 ألف جندي إلى عمان. قطر، البحرية، الإمارات العربية المتحدة وإسرائيل

العراق، 1990

قوات بحرية، قصف، قوات أرضية حصارات المرافئ العراقية والأردنية، ضربات أكثر من 200 ألف قتيل عملية غزو العراق والكويت، إنشاء منطقة حظر جوي في الشمال الكردي والجنوبي الشيعي. تدمير شامل للقوة العسكرية العراقية.

الكويت، 1991

قوات بحرية، قوات أرضية، استعراش العائلة الملكية الكويتية.

لويس أنجلوس، 1992، 1992

قوات أرضة. الاستعانة بالجيش والمارنز لقمع الفتنة ضد الشرطة.

الصومال، 1992- 1994

قوات أرضية، قوات بحرية، قصف. احتلال من قبل الأمم المتحدة بطلب من الولايات المتحدة خلال الحرب الأهلية. حملة على الفتنة في مقاديشو.

يوغسلافيا، 1992- 1994

قوات بحرية. حصار حلف الأطلسي لصربيا ومونتينغرو.

البوسنة، 1993- 1995

طيران، قصف منطقة حظر جوي خلال الحرب الأهلية. إسقاط طائرات. قصف على الضرب.

هايتي، 1994- 1996

قوات أرضية، قوات بحرية. حصار على الحكومة العسكرية. بعث قوات الرئيس ارتيزيد إلى الحكم بعد الانقلاب.

كرواتيا، 1995

قصف، الاعتداء على المنطقة الجوية الصربية في كاراجينا قبل الهجوم الصربي.

زائير (كونغو) 1996- 1997

قوات أرضية. بعث قوات المارينز إلى مخيمات اللاجئين الهوتسي في رواندا، في المنطقة التي بدأت فيها الثورة الكونغولية.

ليبريا، 1997

قوات أرضية. الجنود يطلقون النار أثناء إخلاء الأجانب للمنظمة.

ألبانيا، 1997

قوات أرضية الجنود يطلقون النار أثناء إخلاء الأجانب للمنظمة..

السودان، 1998

صواريخ. الهجوم على مصنع أدوات صيدلة، اعتقد أنه مصنع "إرهابي" لتصنيع مادة النوروتوكسيك

أفغانستان، 1998

صواريخ الهجوم على مخيمات تدريبية سابقة للـ"سي أي أي" استولت عليها جماعات إسلامية أصولية متهمنة بالعمليات ضد السفارات الأميركية.

العراق: 1998

قصف، صواريخ. أربعة أيام من القصف الجوي المكثف بعدما بالسماح لهم بدخول بعض المواقع.



الفصل الرابع

كذب الرؤساء

تعريف الكذب :

يقول الإمام النووي رحمه الله: الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه سواء تعمدت ذلك أم جهلته لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد. [الأذكار: ص474]

وعرف علماء النفس والسلوك ان الكذب هو صفة ملازمة للشخص المصاب باضطرب الشخصية المضادة للمجتمع.Antisocial P.D وتتمثل مظاهرالشخصية المصابة بهذا النوع من الامراض الاضطرابية في عدم الاهتمام وكسر القواعد وانتهاك القانون والفشل في الامتثال للمعايير الاجتماعية والمخادعة والكذب وتضليل الآخرين والتحرر من المسئولية والفشل في الاستمرار في عمل ثابت لفترة طويلة وغياب الشعور بالذنب.وتتصف هذه الشخصية باضطراب علاقاته بالأسرة والآخرين ، كما أنه قد يتصف بالاندفاعية والتهور والعدوانية والتهجم على الآخرين ولا يستطيع أن يؤجل إشباع حاجاته ولا يخطط لسلوكه ولا يقدر عواقب أفعاله المنحرفة ، كما يتصف أحياناً بالخداع والانبساطية المتطرفة والعداء والغيظ والاستياء مع السخرية والتهكم والدخول في صدام مع القانون كما يشعر في أوقات كثيرة بالسأم والفراغ ، مع ميوله التخريبية للممتلكات العامة .

الاسلام كبقية الاديان يحرّم الكذب. يقول القرآن فى سورة غافر 28:40 **"إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب"**. ويقول نبى الإسلام فى الحديث "كن صادقاً فالصدق يؤدى إلى الصلاح والصلاح يؤدى إلى الجنة. احذر الكذب فالكذب يؤدى إلى الضلال والضلال يؤدى إلى النار"

فالكذب أمره خطير وشره مستطير، انتشر في كل مكان وظهر في كل زمان - إلا ما رحم الرحمن - فهو من كبائر الذنوب وفواحش العيوب، أبغض الأخلاق إلى كل الأنبياء، صاحبه في قلق واضطراب وحيرة وارتياب، ممحق للبركات، مكثر للسيئات، مفتاح لكل الموبقات، مغلاق لكل الخيرات، موجب للعذاب، طارد من الجنات إلى جحيم المهلكات.

مما يبكي العين ويدمي القلب أن مرض الكذب متغلغل في بعض النفوس كالسرطان الخبيث ويقع للأسف الشديد من الآباء أمام الأبناء، ومن المعلمين أمام المتعلمين، فصار المجتمع مريضًا - إلا ما رحم الله - بهذا المرض العضال، فكان لابد من وقفة للعتاب.

تعريف الكذب: يقول الإمام النووي رحمه الله: اعلم أن مذهب أهل السنة أن الكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه سواء تعمدت ذلك أم جهلته لكن لا يأثم في الجهل وإنما يأثم في العمد. [الأذكار: ص474] فالكذب: هو أن يخبر الإنسان بخلاف الواقع، فيقول: حصل كذا وهو كاذب، أو قال فلان كذا وما أشبه ذلك فهو الإخبار بخلاف الواقع. (رياض الصالحين ص560) التخويف من الكذب: حديث القول عن الكذب: الكذب من السلوكيات المذمومة التي حذر منها القرآن في 283 آية من كتاب الله عز وجل. [المعجم المفهرس ص598] هناك آيات تحمل التهديد الأكيد والوعيد الشديد، ومن الخوف المزيد لمن كان الكذب سلوكه وخلقه ومسلكه من هذه الآيات:

1) **الحرمان من نعمة الهداية:** قال تعالى: إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب [غافر: 28]، في هذه الآية تهديد وتخوف من الكذب لأن الكذاب محروم وبعيد عن هداية الله تعالى بعيد عن الصراط المستقيم لأنه اختار الطريق المعوج المظلم طريق الكذب.
2) **الطرد من رحمة الله تعالى:** قال تعالى: لعنة الله على الكاذبين [آل عمران: 61]. الكذاب مطرود من رحمة الله تعالى، هذه الرحمة يتمناها كل صاحب عقل وقلب رشيد.

حديث السنة عن الكذاب: السنة النبوية المطهرة فيها أحاديث تشيب لها الولدان من شدة الخوف والتحذير من الكذب فعلى سبيل المثال:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا».

[البخاري 6094، ومسلم 2607]

نلاحظ في هذا الحديث لهجة التحذير والتخويف في قوله: «إياكم»، لماذا ؟ لأن الكذب يؤدي إلى الفجور.

ما معنى الفجور ؟ قال الراغب: أصل الفجور الشق، فالفجور شق في ستر الديانة ويطلق على الميل إلى الفساد وعلى الانبعاث في المعاصي وهو اسم جامع للشر.

[فتح الباري 524/10] والفجور: هو الميل عن الحق والاحتيال في رده، ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : «إياكم والكذب» يعني: ابتعدوا عنه واجتنبوه، وهذا يعم الكذب في كل شيء ولا يصح قول من قال: إن الكذب إذا لم يتضمن ضررًا على الغير فلا بأس به فإن هذا قول باطل، لأن النصوص ليس فيها هذا القول والنصوص تحرم الكذب مطلقًا يعني إذا كذب الرجل في حديثه فإنه لا يزال فيه الأمر حتى يصل إلى الفجور والعياذ بالله هو الخروج عن الطاعة والتمرد والعصيان. [شرح رياض الصالحين 19/14]

3) **الكذب مفتاح النفاق:** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خلة منهم كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر». [البخاري 34، ومسلم 58]معنى خلة: خصلة أو صفة.

قال الإمام النووي رحمه الله: الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار: أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم، فإن النفاق هو إظهار ما يبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال قوله صلى الله عليه وسلم : «كان منافقًا خالصًا». معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال. [شرح مسلم 236/2] قال الحافظ ابن حجر: المراد بإطلاق النفاق الإنذار والتحذير عن ارتكاب هذه الخصال.

[فتح الباري 113/1]

4) **الكذب خيانة كبيرة:** عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كبرت خيانة أن تُحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق وأنت له كاذب».

[قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (147/3): رواه أحمد والطبراني بإسناد جيد]

قيل في منثور الحكم: الكذب لص لأن اللص يسرق مالك والكذب يسرق عقلك، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الكذاب كالسراب.

[أدب الدنيا والدين ص264]

آفات الكذب:

للكذب آفات وأضرار متوالية في الليل والنهار لا تنتهي إلى أن تقوده إلى النار، من هذه العقوبات والآفات:

أولاً: في الدنيا:

1) **انعدام الراحة والأمن:** عن أبي الحوراء السعدي قال: قلت للحسن بن علي: ما حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة». [صححه الألباني في صحيح الترمذي 2518] الريب: القلق والاضطراب.

[جامع العلوم والحكم ص169]

معنى ذلك: أن الكذب شك واضطراب قلق وإزعاج وانعدام طمأنينة النفس عدم هدوء البال وانشراح الصدر.

الكذب: جماع كل شر وأصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لأنه ينتج عنه النميمة والنميمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤول إلى العداوة وليس مع العداوة أمن ولا راحة.

[أدب الدنيا والدين ص267]

2) **الكذب يمرض القلب:** الكذب يؤدي إلى مرض القلب والقلب المريض لا يشعر بالاطمئنان والسكينة ونجد ذلك بوضوح في قوله تعالى: ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (8) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (9) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون [البقرة: 8 - 10].

فالكاذب مريض القلب؛ لأن الكذب نقيض الصدق والصدق يهدي إلى البر والكذب يهدي إلى الفجور والإنسان الفاجر يحيا في الآلام النفسية بما تصوره له نفسه الأمارة بالسوء على أنه سعادة. [الكذب آفة العصر ص13].

3) **دنيا الكذاب جحيم: قال الإمام ابن القيم:** لا تحسب أن قوله تعالى: إن الأبرار لفي نعيم (13) وإن الفجار لفي جحيم [الانفطار: 13 - 14] مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة كذلك، أعني دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار، فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب القلب ؟!

وأي عذاب أشد من الخوف والهم والحزن وضيق الصدر وإعراضه عن اللّه والدار الآخرة وتعلقه بغير اللّه وانقطاعه عن اللّه بكل وادٍ منه شعبة وكل شيء تعلق به وأحبه من دون اللّه فإن يسومه سوء العذاب فكل من أحب شيئًا غير اللّه عُذب به ثلاث مرات. [الجواب الكافي ص106]، وصدق اللّه إذ يقول: ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا [طه].

4) **زوال البركة والنماء:** عن حكيم بن حزام رضي اللّه عنه عن النبي قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذاب وكتما مُحقت بركة بيعهما».

المعنى: إن كتما وكذبا: كتم البائع وأخفى عيوب السلعة فكذب وحلف بالأيمان المغلظة بأن سلعته سليمة وذكر ثمنًا مرتفعًا جدًا لا تستحقه السلعة وكذب المشتري بأن أعطى البائع ثمن أقل ما تستحقه هذه السلعة مستغلاً صدق البائع نتيجة الكذب: ترتب على الكذب في البيع والشراء زيادة في الثمن أو زيادة في المبيع فإنه سحت والعياذ باللّه لأنه مبني على الكذب والكذب باطل وما بني على باطل فهو باطل.

[شرح رياض الصالحين 192/4]

وبسبب شؤم التدليس والخداع والكذب: يزيل اللّه عز وجل بركة هذا البيع وبركة المكسب فترى الكذاب يزداد ربحه ولكن لا بركة فيه فيضيعه فيما لا فائدة فيه في المخدرات مثلاً ولا يبارك اللّه في حياته ولا أهله ولا أولاده.

كذب الرؤساء الامريكان

في مقال رئيسي على صفحات مجلة أتلانتك الأمريكية في عدد يناير/ فبراير 2007بعنوان لماذا يكذب الرؤساء للكاتب الصحفي الأمريكي كارل كانون، ترجمته الىالعربية ميسون البياتي ونشر في الحوار المتمدن العدد 2101 تاريخ 2007/11/16

حيث عرفت ميسون البياتي في مقدمته (كارل كانون) وتقول هو مراسل صحيفة ناسيونال جورنال في البيت الأبيض ، قبل عمله في هذه الصحيفة عام 1998 عمل في ست صحف مختلفة ما يزيد على عشرين عاما ، كتب في السياسة والقانون والشؤون المحلية والثقافة وتلك الصحف كانت تصدر في ولايات فرجينيا وجورجيا وكاليفورنيا .

كما أنه شارك بتغطية الحملات الرئاسية والأحداث السياسية منذ عام 1984 حيث عينته صحيفة بالتيمور سن مراسلا لها في البيت الأبيض . وبعد عام من انتقاله الى صحيفة ناسيونال تم تكريمه بجائزة جيرالد فورد عن تقاريره الصحفية الرئاسية المميزة . ومنذ العام 2004 إحتل كارل كانون منصب رئيس جمعية مراسلي الإعلام في البيت الأبيض ، ويعمل ايضا كمدرب خاص على الكتابة في صحيفة ناسيونال جورنال . ويحمل مؤهله في القيادة الصحفية من جامعة كولورادو ، يعيش حاليا في أرلنغتون مع زوجته شارون وثلاثة أطفال ، يعشق سباقات الخيل وصيد السمك في مونتانا ويلعب البيسبول في نادي للبالغين .

العنوان المذكور على غلاف العدد للمقال هو (لماذا يكذب الرؤساء ؟ ولماذا أسوأ كذباتهم تكون على أنفسهم ؟) . غير أن الصفحات الداخلية تضع المقال بالشكل التالي :

المقال :- ((من واشنطون الى روزفلت الى نيكسون ، الرؤساء كانوا يكذبون، فما الذي سيجعل جورج دبليو بوش مختلفا الآن ؟)) . كارل .

م . **كانون الكذبة ونتائجها** عام 1944 سأل السيناتور أوين ستار صديقه وزميله هاري ترومان عما يمكن أن يكون عليه فرانكلين روزفلت حقا؟ ترومان لم

يكـــن يعرفـــه معرفـــة حقـــة ، لكنـــه قـــال ودون تـــردد : إنـــه يكـــذب . المقصود بالكذب هو أن روزفلت لم يكن صادقا بشأن صحته ، كان يتدهور صحيا وطبيبه يعرف ، وهؤلاء الذين حوله في البيت الأبيض لا يتمكنون من فعل شيء لكنهم يلاحظون .

حين إفتتح الحلفاء جبهة القتال الثانية في أوربا والجزر الموعودة عبر المحيط الهادي ، روزفلت كان يعمل على الأغلب أربع ساعات يوميا ، وأحيانا ساعة أو ساعتين.

في 28 مارس ذلك العام قام طبيب روزفلت الدكتور هوارد . ج . بروين بتشخيص حالة الرئيس أنها هبوط في القلب وإلتهاب رئوي حاد ، وذكر فيما بعد الى جان كينيث هيرمان رئيس تحرير مطبوعة (نيفي مديسن) أن مرض الرئيس كان غضبا ربانيا .

لكن الشعب الأمريكي والعالم وصلهم إيحاء مختلف تماما مقدرة الرئيس الذي يحضر لسحق هتلر والإمبراطورية اليابانية حين سيشرف مباشرة على جبهة القتال ، ترومان تواطأ بسرعة لنشر هذه الخديعة ، ذهب للغداء في البيت الأبيض يوم 18 أغسطس وابلغ الصحفيين بعد ذلك : إن روزفلت يبدو جيدا وقد أكل وجبة أكبر من وجبتي .

لكن ترومان قال شيئا مختلفا لمساعده العسكري داخل مكتبه ((ليست لدي أي فكرة عن وضعه الطيب هذا)) مشيرا الى أن الرئيس حين كان يضيف الكريمة الى فنجان قهوته فأغلبها كان يذهب الى الصحن وليس الفنجان .

ونستون تشرتشل لاحظ بعينه المجردة تدهور صحة روزفلت منذ العام 1943 لكنه لم يبد تحفظا الى الإدارة الأمريكية التي تكابر بشأن أهمية روزفلت في الحرب.

نفس تلك السنة وفي مؤتمر عقد في طهران ناقش فيه الحلفاء موضوع فتح جبهة جديدة على ألمانيا النازية ، أكد تشرتشل على إبقاء الخطط سرية فأجابه جوزيف ستالين : في وقت الحرب تكون الحقيقة ثمينة الى درجة أنها ينبغي أن تحرس دائما بالأكاذيب .

شون ولنيتز أستاذ التاريخ في جامعة برنستون أخبرني هذا الصيف حين ناقشنا موضوع الجيش ومنفعة تضليل الحقيقة في البيت الأبيض ((الرؤساء يكذبون لمختلف انواع الأسباب)) ثم أضاف ((نيكسون كذب لأنه اراد الإحتفاظ بالرئاسة التي دمرها بإثمه ، فرانكلين ديلانو روزفلت ضلل الوطن بأشياء مثل مشروع ليند _ لياز وهو تجارة بيع السلاح الى كل دول العالم أثناء الحرب العالمية الثانية تحت شعار - سياسة حفظ العالم آمنا - وهو يعلم جيدا صعوبة تسويق هذه الفكرة سياسيا . الأمانة ليست ضرورية لصنع رئاسة فاعله ، وعلى الناس أن يحكموا بانفسهم فيما اذا كان الرؤساء يكذبون من اجل الصالح العام ؟! أم من أجل صالحهم الشخصي ؟!)) .

قول البروفيسور ولنيتز في هذه المسألة ليس أكاديميا بحتا ، ففي ديسمبر1998 كان قد تحدث بحماس في جمعية بيت القضاء لرد مواد إتهام أشرت ضد الرئيس كلينتون والتي كان أخطرها أنه كذب تحت القسم ، ولنيتز جادل خطيئة كلينتون كما لو أنها وجهت له بدوافع شخصية وليس بمؤشرات رسمية ، وأن الإتهام جاء من حساد شخصوا للكونغرس تلك الخطيئة . ثم قال ولنيتز للكونغرس ((كباحث تاريخي ، فإن من الواضح لي أن تسمية خطيئة الرئيس كلنتون ستسبب الإساءة الى مؤسسات الدولة والى مكانة القانون أكبركثيرا مما أساءته لهما الجريمة التي يتهم بها الرئيس كلنتون)) .

كلنتون ركز كل صراعه من اجل البقاء سياسيا على قضية صدقه ، ومتى يكون الصدق مطلوبا ؟ في حين قام محاموه بمجادلة ناجحة ليثبتوا أن المحلفين كانوا غاية في التشدد في محاولة تجريم تم إدعاؤها على موضوع يمس تصرفات خاصة جدا .

في فترة رئاسته الثانية واجه جورج دبليو بوش أزمة شخصية كبرى ، ففي الوقت الذي ربما لم يشاور مستشاريه المتواضعين وهو لا يملك عذرا في ذلك كأن نقول رغبته في حماية حياته الشخصية ، فإن بوش متهم بالغموض ليس بشأن حياته الخاصة ولكن بشأن واحد من أهم القرارات السياسية الرئيسية للدولة يمكن ان يتهمه به ديموقراطي : قرار أخذ الأمة الى حرب .

منذ عام ونصف أغلبية الأمريكان تراودهم الشكوك أن أسباب الرئيس بأمر الجيش لغزو العراق كانت ملفقة .

في ابريل 2005 وجد غالوب بول أن الغالبية العظمى من الأمريكان يؤمنون ان بوش خدع الأمريكان بشأن إنتاج العراق لأسلحة دمار شامل .

في مايس 2006 قال 46 ٪ من مشاهدي محطة أي بي سي نيوز من واشنطون عبر استفتاء أجرته المحطة عن إدارة بوش : نعرف الحقيقة عما يحصل في العراق ، في حين 52 ٪ قالوا : لقد تم خداع الشعب الأمريكي .

الموالون لبوش لاموا الإعلام على مثل هذه الأقوال ، ولكن جرعات ثقيلة من مشاعر عدم تقبل بوش على الأنترنت أو في نشرات الأخبار وبيوت النشر جعلت الكثيرمن الأمريكان يصرحون عن آرائهم بالرجل القابع في البيت البيضاوي .

وعلى كل حال فإن مكانة بوش التاريخية لن تعتمد على كونه كذب على المواطن الأمريكي ، فكل الرؤساء وبلا جدال يكذبون ، لكنها ستعتمد على (كيف) قام الرئيس بالكذب ؟! وما هي الأمور التي حفظتها أو أهدرتها أكاذيبه وكم كانت مسؤوليته عن ذلك . لاحقا سيحكم على الرئيس الحالي ولكن بفظاظة ، ليس تبعا لمقدار قوله الحقيقة ولكن تبعا لمعرفته الحقيقة من عدمها !؟ .

لماذا يكذب الرؤساء ؟ وهل يكذبون أكثر من بقية البشر ؟ وهل أكاذيب خاصة الناس تشبه أكاذيب عامتهم ؟ وماذا عن الرؤساء الذين تساهلوا في قول أشياء غير حقيقية ؟ من هم اذا جاز القول (المدانون) !!؟ وهل هذا الأمر أو ذاك إستحق الكذب ؟ هل يستطيع الرؤساء أن يكونوا مؤثرين بفاعلية دون كذب ؟ أم هناك وقت عليهم ببساطة أن يكذبوا فيه ؟ وإذا كان الأمر كذلك، فمتى ؟ وكيف سيعرف عموم الشعب عما إذا كان الرؤساء يمتهنون أو يستغلون ذلك الإمتياز !! ؟؟ .

الإجابة الاولى عن هذه التساؤلات ستكون : الرؤساء يكذبون لأنهم بشر ((كل الناس تكذب)) يقول جارلس فورد بروفسور جامعة ألباما في برمنجهام ومؤلف كتاب سايكولوجية الخداع . ثم يتابع ((الخداع جزء من الطبيعة البشرية وحالة عامة في مملكة الحيوانات ، على كل حال فبعض البشر يكذبون قسريا حتى عندما تخدمهم الحقيقة أكثر)) .

الإعتراض على الكذب قديم قدم الحضارة الغربية نفسها ، فالوصية التاسعة من الوصايا العشرة وهي تتحدث عن مضار الكذب ، أضيفت الى مقررات الرئاسة بواسطة كاتب سير الرؤساء وهو شخص اسمه ماسون لوك ويمس الذي لم يختبر ثقافة أن الرؤساء لا يقولون الحقائق فقط ، ولكن يفعلون بالإتجاه المعاكس تماما لما كانت تلمح له القصة الشهيرة غير القابلة للإثبات ((حكاية شجرة الكرز)) التي تحكي عن جورج واشنطون ، منذ تلك القصة لقن أطفال المدارس الأمريكان تصورا عن رؤسائهم أنهم لا يكذبون _ ولا يستطيعون الكذب _ حتى حين كانوا أولادا في السادسة من أعمارهم .

قيل إن إبراهام لنكولن كان عليه السير أميال حين كان كاتب مخزن في إلنوي ليعيد عدة سنتات معدنية . واسمه الحركي(أونست آبي) أي (راعي الأمانة) الذي سبقه الى القصر الرئاسي ، كان امتيازا جعل المعارض ستيفن دوغلاس مدفوعا الى السخرية بتسمية لنكولن (أبو وجهين) . لكن لنكولن علق على ذلك بالقول ((أنا أترك الأمر للمشاهدين ليحكموا إن كان لي وجه آخر . هل تظنون أني ألبس وجها آخر ؟)) .

مارك توين تجاهل تماما أن الأمريكيين وضعوا رؤساءهم في مكانة لا يستحقها إلا القلة من البشر حين قال ((أنا مختلف عن جورج واشنطون ، عندي قناعة عالية تؤكد أن جورج واشنطون لا يستطيع الكذب ، بينما انا أستطيع ، لكني لن أفعل)) .

جنوح الرؤساء للكذب ربما يكون : مرض ، قلة أدب ، وطنية ، خجل تلقائي، إعلاء للنفس ، دوافع عدم أمان ، أو حتى مقدمات لأغراض نبيلة أخرى.

الرؤساء يملكون مسؤليات لا يشعر بها أغلبنا كالحفاظ على سلامة الأمة، وأن حرفة القيادة العالية الأداء تتطلب مهارة إخبار مجموعات متباينة من البشر ما يرغبون سماعه ، وقول الحقيقة لن يكون الحل العملي في زمن الحرب أو الكوارث الوطنية .

الأكاذيب كالرجال غير متساوية ، والفلاسفة منذ أرسطو طاليس وحتى رانهولد نايبر أشروا فروقا جوهرية بين مختلف انواع الكلام الباطل . اذا كان (الكذب الأبيض) يقال لأسباب إجتماعية أو حرصا على المشاعر ، فأن (العذر) هو نصف حقيقة نبرر به سلوكياتنا .

الأكاذيب تقال أثناء الأزمات ، وتقال للكذابين ، والأكاذيب الوطنية تقال لحماية الناس الذين نحرص عليهم ، والأكاذيب تقال من أجل الصالح العام وتسمى (الأكاذيب النبيلة).

عالم القيادة ريتشارد نورتن سميث أشار الى ان محددات الدستور الأمريكي لصلاحيات الرئيس ما كانت تسمح لتوماس جيفرسون بشراء ولاية لويزيانا من الحكومة الفرنسية التي كانت مالكة لها ، لذلك فسر جيفرسون الدستور بطريقته ولم يلتزم مكتبه عندها بالدستور ، ولم يتراجع جفرسون عن تمطيط الكلمات لمضاعفة حجم أمريكا بملايين قليلة من الدولارات .

((ولكن عند الحديث عن الدوران حول العالم فإن نيكسون هو من ذهب الى الصين وذلك على الأغلب تراجع يفوق التناسق الآيديولوجي لطموحات الشعب الأمريكي الذي نحت رأس جيفرسون فوق قمة جبل مونت رشمور)) كما أكد نورتن سميث .

إبن العم الأول للكذبة البيضاء هو التفاخر . القول إن الرؤساء والمرشحين للرئاسة (يتفاخرون) هو قول متسامح لوصف متطلبات منصب يبدو محتاجا الى الكذب بشأن أجداد الرئيس أو المرشح وإنجازاته ، كطريقة لنيل رضا الناخبين والتاثير عليهم بالقول (أنا عندك) .

عام 1840 وفي حملة وليم هنري هاريسون ، ترشح للرئاسة كقروي بسيط من مرتبة قياسية ، يصرح في كل اجتماعاته عن مشاركته حشود الأمريكان في الحرب الهندية ، لكن الحقيقة كانت أن المرشح اليميني هاريسون هو سليل عائلة كولونيل ووالده هو الموقع على قرار الإستقلال وحاكم لولاية فرجينيا لثلاث فترات متتالية ، وإبنه العسكري المحترف كان يقرأ الكتب الكلاسيكية ويتمتع بحياة جيدة .

هذا النوع من البرقشة الشخصية نجده ايضا عند جون كينيدي ، ساقه بوجه حلفائه وعموم شعبه ، حين قال لمحرر مجلة التايم هيوج سايدي : أنه يستطيع قراءة 1200 كلمة في الدقيقة . هكذا ببساطة طير الرئيس رقم 1200 في الهواء .

ليندون جونسون هتف مخاطبا الجنود الأمريكيين المتواجدين في كوريا مدعيا أن جده الأعلى الأعظم أستشهد في معركة ألامو ، وعمه الأعلى الأعظم حارب في معركة سان جاسينتو لكنه لم يقتل ، وهذه أقوال كلها غير صحيحة .

أما بيل كلينتون فقد إدعى أنه سمع عن مؤتمر أيوا التحضيري منذ كان ولدا صغيرا ، لكن المؤتمر التحضيري في الحقيقة كان قد عقد جلسته الأولى حين كان كلينتون طالب ثانوية .

أما آل غور فقد أخبر الجموع العمالية أن والدته كانت متعودة في طفولته على مناغاته لينام بأغنية ((أنظر الى علامة الإتحاد)) وهي أنشودة كتبت عام 1975 عندما كان آل غور في السابعة والعشرين من العمر .

فلتة غريبة أخرى فلتت حين أخبر رونالد ريغان رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق شامير والطيار النازي سيمون ويستتثال كل على إنفراد عند زيارته في مكتبه البيضاوي ، أنه وكجندي شاب في الجيش الأمريكي أثناء الحرب العالمية الثانية ، كان قد صور تحرير أسرى معسكرات الموت النازية . لكن الحقيقة أن ريغان لم يخدم في أوربا إضافة الى أن عمله في الجيش لم يكن (تصوير) بل (نقل) أفلام صورت بواسطة الجيش والمراسلين الحربيين ، ملأت البيت الأبيض ما يزيد على عقد من الزمان .

جمعت الكثير من مفاخرات الرؤساء هذه لكن أقواهن ، والمفضلة عندي هي حين أخبر بيل كلينتون طاقم تحرير مطبوعة (موينس ريجستر) أنه كان الوحيد من الرؤساء الذي يعرف شيئا عن الزراعة قبل وصوله الى الرئاسة ، قافزا بذلك القول فوق رؤساء فلاحين مثل واشنطون ، جيفرسون ، ترومان وجيمي كارتر ، إضافة الى إبن حقول أيوا ، هربرت هوفر .

جورج دبليو بوش يمارس الآن نفس هذه الأشياء . خلال زيارته الى غرب فرجينيا في يناير 2002 ، وأثناء لقائه الديمقراطي بوب كيس المتحدث بإسم المجلس التشريعي للولاية ، قال له في حوار عام : ((أنا شاركت في حرب ، وأوكد أنه لو كان لي الخيار مرة اخرى ، فإني أفضل الذهاب الى الحرب)).

هذا قول مضحك ، عدا عن أن بوش كان يملك خيار الخدمة في حرب فيتنام لكنه لم يفعل .

أي مرشح للرئاسة يرغب حث الناخبين بوعود طيبة ، وأول ما يتم التخلي عنه أثناء الحملة الرئاسية هي الحقيقة . وهذه الظاهرة ليست جديدة . في أيام حملة 1932 ، فرانكلين روزفلت وعد الحشود في بتسبرغ بموازنة الميزانية الفيدرالية وتخفيض الإنفاق الحكومي بنسبة 25٪ لكنه تصرف بحكمة ولم يفعل ما وعد . وبعد أربع سنوات عندما تهيأ لخوض حملة تجديد رئاسته التالية في بنسلفانيا الغربية ، سأل كاتب خطاباته سام روسنمان عما يمكن أن يقوله إذا سأل عن وعوده السابقة !!؟ فقال كاتب الخطابات : أنكر أصلا أنك ذهبت الى بتسبرغ .

نصيحة روسنمان مضحكة وتتطلب مقاطعة كاملة للحقيقة ، يسوقها لنا الرئيس وكاتب كلماته ، ويبقى علينا نحن معرفة الحقيقة .

بعض الزيف ، مثل أكاذيب الإنتخابات غير المؤذية التي تلمع الصورة إضافة الى إعلاء وحماية فعالية وسياسة الرئيس أو المرشح والتي نستطيع تسميتها (أكاذيب حكومية) لها نتائج تحتاج أحكاما قاسية مثل التي أطلقت على حرب فيتنام أو فضيحة ووتر غيت . بعد إنقضاء عقد من الزمان فإن تلك الأكاذيب لن تجلب نتائج مذلة عن حرب مكروهة وسقوط رئيس ، ولكن تبدلا في طاعة الناس ووسائل الإعلام وتسامحهم مع المكتب البيضاوي .

ديفيد وايس المراسل السابق للبيت الأبيض قدم تقريرا عن الأكاذيب الرئاسية سماه (سياسات الكذب) طبع عام 1973 قال فيه ((حتى عام 1972 فإن سياسات الكذب غيرت كل سياسة أمريكا ، وبدلا عن الثقة هناك انتشار كبير لحالة عدم الثقة ، وعوضا عن الصدق هناك تكذيب وشك بالنظام والقيادة)) .

حين جاءت فضيحة ووتر غيت قال ليندون جونسون عن روبرت مكنمارا أنه كان يخادع بوجود هجوم محتمل على السفن البحرية الأمريكية من قبل قوارب حراسة فيتنامية شمالية في خليج تونكين ليبرر إرسال أعداد كبيرة من الجنود الأمريكيين الى هناك .

عام 1975 حين سقطت سايغون فإن 69٪ من الأمريكان أجابوا مؤكدين أن الرؤساء كانوا يكذبون عليهم طيلة العشر سنوات الماضية .

إضمحلال الثقة دفع سيسلا بوك لأن تكتب مؤلف (الحالة المعنوية مع الكذب في السر والعلن) ومنذ نشر هذا الموضوع عام 1978 ، صار مطلوبا من أولئك الذين يبتغون التحقق من الأكاذيب واثرها على المجتمع . ناقشت سيسلا بوك أن هناك مناسبات نادرة يمكن أن تبرر بها الأكاذيب ، وأن استغفال الناس (الذي يتراوح ما بين كذب المجاملات الإجتماعية _ حتى الأكاذيب القوية المصممة التي تكاد تقتل عن عمد) هذا الإستغفال يستند الى شيء واحد هو (عدم احترام قول الحقيقة) .

كتاب بوك الذي انتشر معتمدا على بحوثها الخاصة في الأخلاق لم يركز على أكاذيب الساسة على الرغم من أنهم ينشرون أكاذيبهم هنا وهناك. لكن هاجسها العميق حول تراجع الثقة جعلها تخاطب الساسة والمؤسسات والمعاهد الثقافية وتدعو الى توخي الحقائق في التعامل مع الناس .

ريتشارد نيكسون انتخب رئيسا عام 1968 حين قدم نفسه كمرشح يدافع عن السلام ، عندها قال مدير العلاقات القادم الى البيت الأبيض هربرت كلايت : الحقيقة ستكون ثقبا في إدارة نيكسون .

وحين غادر نيكسون البيت الأبيض حامت حوله الشكوك : ماذا كان الرئيس يعرف ومتى عرف ؟

جيرالد فورد الذي أعقب نيكسون قال معرفا الحقيقة : إنها الصمغ الذي يجمع أعضاء الحكومة جميعا.

لكن جيمي كارتر وعد الشعب الأمريكي وعدا أفضل حين قال : لن أخون ثقة أي واحد منكم بي.

من عدة زوايا تعد إدارة كارتر أكثر إنفتاحا وشفافية وأكثر صدقا من أغلب الإدارات التي سبقته أو لحقت به ، لكن ستيفن بريل يعطي أمثلة على اكاذيب كارتر التعيسة.

واحد من هذه الأمثلة قول كارتر ((إذا كان لديك سؤال أو رأي .. فقط أكتب على الظرف : جيمي كارتر _ جورجيا . لأني أفتح كل الرسائل بنفسي وأقرأها كلها)) . وهذا أمر مستحيل لكنه قال ذلك لتدعيم حملته الإنتخابية في أتلانتا.

كتب تي . إس . إليوت ((الجنس البشري لا يحتمل الواقعية المفرطة)) وبعد أربع سنوات من حكم كارتر لم يكن هناك استثناء بين الأمريكان ، كلهم كانوا مكذوبا عليهم ، ربما لأنهم لايتحملون الواقعية المفرطة.

استاذ التاريخ في جامعة الينوي البروفسور جورج هوبكنز يرى ((أن كل الرؤساء يكذبون ولأسباب بسيطة ، لأنهم إن لم يفعلوا ذلك فلن ننتخبهم ، نحن السبب وعلينا ان ننظر في المرآة جيدا)).

ريغان وبخ كارتر أثناء تقاعده على تحريفه سجلاته وميله الى تمطيط الحقيقة لعمل نسيج حكايات محكم ، لكن شهود عيان يضحكون من كذبة فرقعها ريغان عن دوره في فريق كرة القدم عندما كان في الثانوية .

إدعى أن لاعبي مدرسة ميندوتا أخبروا الإدارة بأن ريغان الذي يلعب معهم ضد مدرسة ديكسون سدد ضربة جزاء قوية لا توصف ، وعلى الإدارة سؤاله عنها . قال ريغان فيما بعد : لقد أخبرتهم الحقيقة .. أنا ضربت الكرة فجعلت مدرسة ديكسون تخسر اللعب .

ليو كانون كاتب سيرة ريغان الذاتية تحقق من هذا فإكتشف عدم وجود صحة لهذا الإدعاء عدا عن أن مدرسة ميندوتا خسرت أما مدرسة ديكسون في تلك اللعبة أربعة وعشرين هدف ضد لاشيء .

نقطة الإرتكاز في هذا الموضوع ، أن ريغان ربما يكذب ليبرهن كم هو صادق !!!! .

في نوفمبر 1986 أخبر ريغان الشعب الأمريكي أن إدارته لن تصدر أسلحة أو أي شيء آخر الى ايران على خلفية المحتجزين الأمريكان في لبنان .

لكنه بعد ثلاثة أسابيع قال في خطاب إذاعي ((دعوني أقول فقط إنه لم يكن هدفي المتاجرة مع آية الله روح الله خميني لتبادل السلاح مقابل المحتجزين)) .

وبعد ثلاثة أشهر قال ريغان في المكتب البيضاوي ((قبل عدة اشهر أخبرت الأمريكيين أنني لن أبادل المحتجزين بالسلاح ، وقلبي وملكاتي تقول لي ذلك ، لكن الحقائق والشهادات تثبت عكس هذا)) .

شعبية ريغان بدأت تتراجع قبل بداية فترة رئاسة بوش الأب ، كما أنه أصبح (خارج قوس) بسبب فضيحة ايران كونترا التي امضى المحقق الخاص لورنس والاش أربع سنوات في عهد بوش الأب لتفحصها ، وقبل يومين من إنتخابات 1992 أصدر وثيقة أظهرت أن بوش الأب أيضا كان قد حضر اجتماعات ايران _ كونترا ، ووافق على خطتها .

أكاذيب بيل كلينتون كرئيس أو المستشار المستقل كينيث ستار كانت تدفع انتخابات عام 2000 ليحصل بها الشعب على رئيس جديد ، ينتظر منه ان يكون صادقا كما وعد .

كتبت سيسلا بوك في مقدمة الطبعة المنقحة من كتابها (الكذب) الذي صدر عام 1999 ((ليس مهما كيف ستقيم المرحلة التي نعيشها ، ، فنحن نعيش عصر نتائج الكثير من الأكاذيب الكبرى التي قيلت في السابق)) .

جون مكنن كتب على باص حملته الإنتخابية (الكلام المباشر السريع) ، وإدعى في رالياته الى القصر الرئاسي ((أنه وكرئيس ، سيخبر الأمريكان الحقيقة حتى لو كانت اخبارا سيئة)) .

جورج بوش قال في الإنتخابات العامة نفس هذه الفكرة أيضا ، ففي مناظرته الكلامية الثالثة مع آل غور قال ((إن الوطن محتاج الى شخص يشغل المكتب الرئاسي ويكون صادقا)) والعبارة لم تكن ملاحظة عابرة بل كلاما مبيتا لخدمة حملة بوش

_ تشيني الى الرئاسة . عندها تسلم بوش الإبن المكتب الرئاسي بسمعة (قوال حقيقة) حتى بين الأمريكان الذين لا يدعمون سياسته أو يظنون أنه ليس بذلك البريق .

قبل شهرين من 9/11 فإن 69٪ من الأمريكان وهذا العدد يزيد بنسبة 21٪ عن عدد الناخبين الذين اوصلوا بوش الى القصر الرئاسي ، كانوا قد أجابوا أن بوش (صادق ومستحق للثقة) . فقط 20٪ من الإجابات لم توافق على هذا الوصف .

كيف تحول بوش في عيون الناس من (قوال حقيقة) الى (الرئيس المراوغ) ؟ طبقا لأقوال محللين ليبراليين وفي كتب مثل كتاب :

- (أكاذيب جورج بوش) تأليف ديفيد كورن .
- (الأكاذيب والكاذب الذي يقولها) تأليف آل فرانكلين .
- (لماذا نقاتل ؟) تأليف إيوجين جاريك .
- (فهرنهايت 11 / 9) تاليف ميشيل مور .

وكذلك في العديد من المواقع الألكترونية ، ومحطات البث الإذاعي والتلفزيوني إضافة الى كبرى الصحف الوطنية (نيو يوركر) التي ركزت ومعها العديد من الكتاب على موضوع الحرب في العراق مثل :

- (الفشل التام) تاليف توماس .إي . ريكس
- (نهايتنا في العراق) تاليف بيتر جالبرث
- (دولة الأكاذيب) الجزء الثالث تأليف بوب ودورد وهو ثلاثية عن إدارة بوش .

انتقاد بوش انه ليس صادقا سبب إمتعاض الذين يعملون معه ، إثنين من مساعديه الذين يحترم رأيهم ونزاهتهم بشدة وهما : ميشيل جيرسون كاتب خطابات بوش السابق الذي وصف الرئيس انه (قوال حقيقة ملتزم) . جيرسون من البراءة أنه لم يتمكن من إخفاء تبرمه عندما كان عليه كتابه خطاب لايود كتابته .

الشخص الثاني هو بيتر وينر مدير مكتب المبادرات الستراتيجية في البيت الأبيض ، الذي جادل فكرة بوش حول أسلحة الدمار الشامل التي ينتجها العراق ، أنها فكرة لا معقولة في حقيقتها ، وأن الذين يتهمون بوش بالكذب ليسوا مخطئين .

أسس بوش وبنجاح سجلا حافلا بالأكاذيب وانصاف الحقائق وهناك عدة أدلة تدعم قولنا :

أولا : في خطبته عام 2006 الى الأمة وصف بوش العراق وافغانستان كنموذجين للديمقراطية المتقدمة ، وإدعى أن عدد الدول الديمقراطية في العالم إزداد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية من دوزنتين الى 122 حاليا . لكنه لم يشر فيما اذا كانت الحكومة التي يشرف عليها تعد العراق وأفغانستان من ضمن العدد أم لا !!

ثانيا : أشار الرئيس وبدقة الى ان الإقتصاد الأمريكي وفر 4,6 مليون وظيفة جديدة خلال السنتين والنصف الحالية لكن الرئيس فشل في ملاحظة أن الإقتصاد خسر 2,6 مليون من هذه الوظائف خلال تلك السنتين والنصف .

ثالثا : في مارس 2003 أصر بوش على أنه كان (أمرا حقا) أن التحالف الذي جمعه لغزو العراق ضم عددا من الدول أكبر من ذلك التحالف الذي قاده والده على العراق عام 1991 . ولكن كتاب (الفشل الكامل) لتوماس . إي . ريكس ، يدحض هذا الإدعاء بالإشارة الى أن معظم الدول التي شاركت بوش الإبن كانت دولا مترددة في قرارها (عدا بريطانيا) . البولونيون قاتلوا مستائين ، والإيطاليون لم يغادروا عرباتهم القتالية على الطريق ، أما اليابانيون فلم يخرجوا من معسكراتهم أصلا وفي الحقيقة لم يقوموا حتى بحراسة وحداتهم ، الألمان حرسوها لهم .

رابعا : في يونيو 2004 وعندما سأل الرئيس عن أحمد جلبي العراقي المنفي الذي فعل الكثير لحث الإدارة الأمريكية على غزو العراق لكنه فشل في الحصول على إستحسان القيادة العسكرية الأمريكية ، تصرف بوش كما لو انه يعرف اسم الشخص بسطحية ((جلبي ؟؟ لقاءاتي معه كانت سريعة جدا ، وأعتقد أني

التقيته في مقر الإتحاد ، ولم يكن أكثر من عمل على ربط خطوط ، وربما جاء مع مجموعة من القياديين ، لكن ليست لي معه أي محادثات واسعة)) .
الحقيقة أن جلبي لم يكن محصورا بعملية ربط خطوط ، لأنه وفي العام 2004 كان البيت الأبيض قد اعتبره (ضيفا خاصا) عند السيدة لورا بوش ومقعده مباشرة جنب مقعدها .

خامسا : بعد فوز الديمقراطيين في انتخابات منتصف الفترة عام 2006 أعلن الرئيس : ((الديمقراطيون سيدعمون جنودنا كما يفعل الجمهوريون)) . وان الديمقراطية نانسي بيلوسي وهاري ريد ((يحرصان على اسرار هذا البلد مثلما افعل أنا)) .
هذه العبارات اللطيفة كانت معاكسة تماما لشعارات حملته الإنتخابية قبل أيام قليلة من هذا الكلام حين تحدث عن العراق قائلا ((لو تحقق فوز الديمقراطيين فإن الإرهاب سيفوز وتخسر أمريكا)) . وفي الثامن من نوفمبر علل بوش في مؤتمر صحفي كل ذلك بأنه ((كلام إنتخابات مراوغ ، وربما يعني معنى مختلفا)) .

سادسا : في نفس المؤتمر الصحفي أكد بوش ببساطة أنه كذب على ثلاثة مراسلين للبيت الأبيض كانوا سألوه في مقابلة الأسبوع الماضي عن بقاء وزير الدفاع دونالد رامسفيلد . أكد الرئيس للمراسلين أن رامسفيلد سيبقى . لكنه الآن يصرح بتفاصيل حقيقة مختلفة وهي قراره بطرد رئيس البنتاغون ، وأن الصحافة حين سألته عنه فإنه كان قد إتخذ القرار بمن سيكون بديل رامسفيلد . ثم أعطى بوش بعض التفاصيل : أكد أنه لا يرغب إضافة قرار مهم الى موضوع الحرب في العراق خلال فترة حملته الإنتخابية ، كما قال إنه لم يكن كاذبا على الصحفيين ، لأنه لم يباحث رامسفيلد نهائيا بعد ، ولم يحادث روبرت غيتس شخصيا .

الرؤساء نادرا ما يقولون الحقيقة وسط العمليات العسكرية ، أثناءالحرب العالمية الثانية على سبيل المثال قامت الحكومة بحملة متقنة لتغطية تفاصيل (يوم ـ دي) تلك الملحمة التي تسميها سيسلا بوك ((نموذج أصلي للكذب العلني بالرغم من مشروعيته)) .

كينيدي وأثناء فترة رئاسته صرح أن الحكومة ((لها الحق في الكذب على الناس)) . قال ذلك اثناء فترة أزمة الصواريخ الكوبية ، بدأت الحكاية بأكاذيب صغيرة حول صحة كينيدي ، عندما صرح مستشاره الصحفي بيير سلنجر أن زيارة الرئيس الى شيكاغو ستقطع بسبب إصابته بالبرد . لم يفهم سلنجر السبب الذي قد يدعو أحدا للسؤال عن سبب عودة الرئيس الى واشنطون عام 1962 .

لكن سكوت ماكلين مستشار بوش الصحفي عندما سأل عن رحلة الشكر التي قام بها بوش الى العراق قال ((الرحلة بالتاكيد ، أنا واثق ، لرفع الروح المعنوية لجنودنا)) .

يقول ديفيد وايز هل على الحكومة أن تكذب حتى لا تتكشف الأمور؟ الجواب : لا . لأن الحكومة حين تكذب فذلك يجلب الضرر لمعقولية الحكومة ومعقولية الرئيس نفسه . ثم يقول وايز : كنت رئيس هيئة مراسلي البيت الأبيض عندما قرر بوش القيام بزيارة شكر الى العراق وأخذ معه وفدا صحفيا صغيرا ، لم يعترض أحد على ذلك على الرغم من أن الوضع الأمني في العراق كان شديدا ، لكن بوش أهمل دعوة والديه الى تلك الرحلة على الرغم من انهما كانا يسافران الى كراوفورد وتكساس في إجازات عشاء . فاذا كان الذهاب الى العراق له دلالة شاعرية فإنه مع السبب الذي أعطاه البيت البيض ستكون له دلالة رمزية ايضا فلماذا لم يدع والديه لمرافقته !!؟؟

قيل ولأسباب مختلفة إن الرؤساء الأمريكيين يظنون انهم متحدثين حتى لو كان كلامهم مجرد أكاذيب ، وهناك أوصاف تطلق عليهم عندما يمثلونها ببراعة مثلما قال بوب كيري عن بيل كلينتون انه ((كذاب ممتاز غير عادي)).

جرب فرانكلين روزفلت تجاهل أطبائه الذين يؤكدون على تراجع حالته الصحية ، وذلك النوع من التجاهل جربه رونالد ريغان المعروف كممثل دراماتيكي .

في الكتاب الذي عنوانه (سنواتي الثلاثين مع رونالد ريغان) قال مايك ديفز انه لم يسمع ريغان يكذب ولا مرة واحدة وأنه يظن من المستحيل أن يفعل ريغان ذلك وكتب ((إنه يقول الحقيقة للأمريكان)) .

مساعدو جورج بوش يقولون اشياء شبيهة عنه ، ويا للعجب ، بعض أقسى منتقديه يفعلون ذلك ايضا . ديفيد كورن مؤلف كتاب (أكاذيب جورج بوش) الذي يعرف الكثير عن الرئيس يضع لنا النقاط التالية:

أولا : إن بوش يعتبر نفسه قوال حقائق .

ثانيا : على الرغم من وجود أشياء قالها بوش كرئيس وأثبتت أنها كاذبة فإن بوش يصدق انها حقائق حين يقولها .

ثالثا : إن كلمات بوش حتى عندما تتعارض مع الحقائق فإنه يبقى مصرا عليها كحقائق .

إذا كنت تسأل عن أن الرئيس مازال يكذب ؟ فالجواب أن بوش يقول الأشياء بطريقة عنيدة في تجاهل الحقيقة ، وهذا معادل تمام للكذب ، حتى عندما تظن أن شيئا كان صادقا (عند قوله) فإنه يصبح كذبا عندما تتم معاملته بعكس ما يتطلب.

مهما تكن قناعات بوش بشأن غزو العراق فإنه ولحد هذا اليوم لا يعلم يقينا تخريجته البلاغية لهذا الغزو . قبل ليلتين من الغزو أعطى تبريرا بأن الإستخبارات وحكومات الدول ليس لديها شك أن النظام العراقي مستمر بإمتلاك وتطوير وإخفاء أسلحة قاتله لم تعرف من قبل .

وفي خطابه الى الأمة يوم 24 يناير 2003 أخبر بوش أن وكالة المخابرات الأمريكية تقدر أن صدام حسين يمتلك ما يزيد على 30000 قطعة سلاح قابلة لحمل مواد كيمياوية وأن لجان التفتيش لم تعثر إلا على 16 قطعة منها فقط . وبعد شهرين من الغزو ، إدعى ببساطة ((إننا عثرنا على أسلحة دمار شامل)) .

لكن ما عثرت عليه القوات الأمريكية خلال ثلاث سنوات من الغزو هو فقط 500 صاروخ وقذيفة مدفع مدعمه بغاز الخردل أو غاز الأعصاب مدفونة في أماكن متفرقة من العراق .. وبعضها تالف .

كما لم تجد قواتنا ما يشير الى تطوير أو تشغيل للبرنامج النووي العراقي .
في كتاب (دولة الأكاذيب) إقتطع لنا ودورد تسجيلا دار بينه وبين بوش لمده 5 دقائق يوم 11 ديسمبر 2003 أعلمه فيه الفشل في العثور على أسلحة دمار شامل في العراق لكنهم بوش وكبار الحكومة تحت إدارته أكدوا ببساطة عثورهم عليها ، وفي أوقات اخرى أنكروا ببساطة أنهم قالوا ذلك رغم أن أقوالهم مثبتة في مواد فلمية .
حين سأل بوش في مايس 2002 عن مخبأ أسامة بن لادن قال ((أنا لا أعرف أين هو وأكرر ما قلته ، وحقيقة أنا لست ذاك المهتم به)) . في أكتوبر 2004 وخلال مناظراته النهائية مع جون كيري فإن المحادثة التالية دارت بينهما :

كيري : ستة أشهر بعد قوله إن أسامة بن لادن يجب أن يقبض عليه حيا أو ميتا ، هذا الرئيس سأل عن مكانه فقال أنا لا أدري وانا لا افكر به كثيرا .. أنا لست ذلك المهتم .

بوش : يا إلهي .. أنا لا أعتقد أنني قلت أني غير مهتم بشأن أسامة بن لادن . الأمر كان مجرد كلام .

في مقابلة مع أي . بي . سي نيوز سنة 2006 جورج ستيفن بولص سأل بوش عن مفاضلته في العراق بين وضعية (بقاء) أو (إضرب وانسحب) فكان رد بوش ((حسنا يا هذا .. اسمع ، أبدا لن نبقى)) .

عندها قام بعض الليبراليين الفرحانين بسرعة بوضع مونتاج لهذه العبارة على موقع (يوتيوب) مكررين العبارة عدة مرات واضعين تحتها عنوانا (رئيس الولايات المتحدة لا يقول الحقيقة) .

مسؤول اتصالات البيت الأبيض دان بارتليت تحدث في 18 تموز 2003 عما يعرفه الرئيس ، ومتى عرف ، اعتمادا على تقارير مخابراتيه بريطانية عن وكلاء لصدام حسين يجوبون أطراف أفريقيا بحثا عن يورانيوم .

ولم يتوقع أحد من بوش أن يفعلها . لكن الذي توقعوه هو أن الرئيس الذي سيدخل الوطن في حالة حرب ، يعرف ما يتكلم عنه عندما يعدد أسباب تلك الحرب، مما يجعل السؤال المركزي حول جورج بوش : إن كانت مدة خدمته في البيت

الأبيض قد أعطته أي مؤشر يجعله يشك بنزاهته ؟ ولماذا رئيس أول دولة في العالم لا يبدي إنقيادا أفضل للحقيقة ؟

هناك نظريات حول أخلاق بوش ، واحدة منها تقول : إن الرئيس رجل (لايملك) أو (لايريد) معلومات كافية ليتخذ قراراته عن إطلاع . لأن الفترة الأخيرة من حياته التي صار فيها متدينا أعطته سلاما داخليا وقناعات قريبة من المطلق ، وأن ذلك هو ما يضعف أسلوب (هات _ خذ) الذي يحتاجه الرؤساء ، ولهذا فمساعديه الذين يقدمون النصائح والمعلومات التي لا تتماشى مع إرادته يصبحون أعضاء خارج الفريق .

العديد من مساعدي البيت الأبيض السابقين والحاليين يقولون ببساطة أن من الخطأ أن تتصور أن المحيطين ببوش يحذرون من إطلاعه على أخبار سيئة أو أفكار مضادة ، قال لي ميشيل جيرسون ((أبدا لم أخف من ذلك)) ، أما السكرتير الصحفي السابق آري فليزجر فقال : في تموز 2003 قال الرئيس قولته سيئة السمعة (أهن العراقيين) أخبرت الرئيس وبتأكيد ان ذلك يعني أن جنود أطفال سيأخذون أمهاتهم معهم الى حربنا في العراق .

بوش صار الآن يبدي دهشته المتزايدة من أحداث تقع في حرب سببها هو بنفسه وبغياب أي تبرير معقول يعطيه هو أو مناصروه .

تاريخ مرحلتنا الذي يكتب من قبل النقاد والمعارضين فقط ، حين يصلون الى موضوع العراق فإن حقيقة صارخة تتعلق بحقيقة بوش تصبح لديهم إيمانا ثابتا . عام 2003 قال بوش الى برت هيوم في مقابلة مذاعة أنه لا يقرأ الصحف ، دفع هذا القول هيوم الى الإرتياب به مباشرة ، أي رئيس هذا الذي لايقرا الصحف للإطلاع على آراء الناس !!؟؟

الحديث عن أكاذيب محددة وواقعية ربما ستجعل بوش يكشف عن حقيقة مهمة عن نفسه ، فعن عدم قراءته لعمود أو مطبوع كان قد اخبرنا نحن مجموعة الصحفيين ((لأنه يريد أن يبقى متفائلا)) . لكن هناك فرق كبير بين التفاؤل والوهم.

عام 2004 واثناء حملة إعادة إنتخابه ذهب الى مؤسسة دفاع صاروخي في بنسلفانيا ليقول ((نحن نقول لهؤلاء الطغاة الذين يظنون أن بإمكانهم إبتزاز أمريكا

والعالم الحر أننا سنطفيء ما تشعلون)) لكن تصريحه هذا كان أفكارا حالمه وخاليه من الواقعيه العسكرية وضع فيه مصداقية مساواة بينه وبين هؤلاء الطغاة بما فعله عام 2000 حيث تسبب بالعديد من صفوف القبورالمعروفة جدا لرجال نالوا حتفهم بعقوبات كبرى قال عنهم بوش ((أي شخص أعدم في تكساس هو مجرم بالجريمة التي أدين بها)) وربما كان مؤمنا بذلك لكنه في أوستن وقع على الكثير من احكام الإعدام التي لم يوقع عددها أي حاكم في تاريخنا الحديث ، فعل ذلك في ولاية ليس فيها غير محاكم استئناف أولية وليس فيها الكثير من فروع المحاكمات الخاصة .

في سبتمبر 2006 قال بوش ((علينا بدل الإجراءات الصارمة أن نضمن هؤلاء المحتجزين في خليج غوانتانامو لأنهم في سجن)) .

حالات مثل هذه من التفاؤل المفرح تعبر من تحت سياسة بوش الحالية في العراق ونتائجها وخيمة . فكما يقول بيتر . دبليو . جلبرث مؤلف كتاب (نقد إدعاآت بوش في الحرب) الذي أهداه بعبارة : ((مع الإحترام للعراق)) ذكر فيه أنه في عام 2003 وتحت راية ما يسمى الآن (المهمة البارعة) أعلن بوش ((العراق تحرر)) وأن العمليات العسكرية الرئيسية في العراق إنتهت . ولكن بعد أربع سنوات من ذلك القول ما زال العديد من العراقيين يموتون كل يوم والبلد على حافة حرب أهلية والقوات الأمريكية دخلت حربا غير معلومة النهاية ((الخطة الستراتيجية كانت كذبة)) كتب ودورد في الفقرة الخيرة من كتابه (دولة الأكاذيب) ثم أضاف ((مع كل كلام بوش المتحمس وتفاؤله لكنه لم يخبر الشعب الأمريكي عن حقيقة ما صار اليه حالنا في العراق)) .

مساعدو بوش توقفوا عند مثل هذه العبارات ولكنهم عندما تم سؤالهم عن سبب رفض الرئيس التراجع وتصحيح اخطائه ؟ واين الخطأ؟ ولماذا الخطأ ؟ ، فإنهم يترددون ويتراجعون . يقول فلزجر ((السياسي الأحمق هو الذي ينظر الى الخلف ويتمرغ في المصاعب لكن السياسي الجيد هو الذي ينظر الى الأمام . إنه الفرق بين التفاؤل والتشاؤم وبين الخاسرين والفائزين وبين جيمي كارتر وجورج بوش .

في خطابه الى الأمة عام 2006 تكلم الرئيس بنفس العاطفة في تسمية نقاد حربه على العراق فقال ((أن تفهم الحدث بعد وقوعه ليس حكمة ، كما أن تخمين النتيجة ليس ستراتيجية)) . لكن التفاؤل حين تتعالى أصوات الإحتجاج ليس ستراتيجية

أيضا ويشبه حالة فهم الأحداث بعد وقوعها تماما . وسيتسبب ذلك التفاؤل في عدم تقديم خطة بديلة .

بالنسبة للفشل في العثور على أسلحة الدمار الشامل في العراق قال جيرسون : إن العاملين في البيت الأبيض نفسه لم يتم إخبارهم بسبب ذلك الفشل ، لكني كمعترض على الخداع أقول إنه عندما لم تعثر قواتنا على ذلك السلاح فأعتقد أن الناس صدموا لأن الموضوع أبعد من تصديقهم .

عند إنتهاء إنتخابات منتصف الفترة خمن البعض أن الإدارة ستكون أكثر صراحة وأقل ديكتاتورية بشأن موضوع العراق . لكن بعض مخرجات هذه الإدارة الذاتية المكر لم تكن بتلك الصورة .

أثناء بحثه عن مادة كتابه (الفشل التام) قال توماس ريكس : تحدثت الى عدد من ضباطنا في العراق الذين تركوا آلاف الأطنان من الأسلحة التقليدية التي لم تلمس بعد ، في المستودعات دون حراسة حين تقدموا الى بغداد في أول أيام غزوهم للعراق . لم يكن لديهم كفاية من الجند لحراسة هذه الكمية الضخمة من السلاح ، كما أنهم لم يتجرأوا على تدمير هذه الأسلحة مخافة إحتوائها على عتاد كيمياوي أو بايولوجي ، حين تجاوزوا المستودعات وإنتشروا ، أصبح المتمردون قادرين على تسليح انفسهم في هذا الوقت الضايع .

القول إن الأجيال القادمة ستكرم النصر في العراق ليس صحيحا بالطبع . لو أن الهزيمة لحقت (يوم _ دي) فإن روزفلت لم يكن سيذكر كرئيس بطل في زمن حرب ، بل كشخص تراجيدي خدم نفسه بالكذب حول وضعه الصحي مطولا حربا وحشية ومعرضا النصر فيها للخطر.

ولو إن اليابان لم تستسلم حتى بعد أن دكت قنابل نووية سكان مدنيين في إثنتين من مدنها فإن الرئيس ترومان كان سيلقب بالجزار .

بنفس الطريقة ، لو كانت القوات الأمريكية قد عثرت على حكاية أسلحة الدمار الشامل في العراق ، فهل كانت نزاهة بوش ستكون تحت المسائلة ؟ ربما لا.

بالنسبة للرؤساء تكون قضية النتائج أكثر من حقيقة واقعة ، ومؤكد بوش يفهم ذلك ، ويحلم أن يحكم عليه بإيجابية عبر التاريخ لكنه اليوم متردد في حساباته ليس بشأن الوضع الذي وصل له ولكن أيضا بالنسبة الى النتائج التي ستترتب على ذلك الوضع .

الرئيس كينيدي ربما كذب على الناس في الأسباب التي دعت الروس الى سحب صواريخهم من كوبا ، لكنه كان يعرف الحقيقة بشكل جيد وكافي ليناقش أسلوب المساومة الذي أدى الى إزالة الصواريخ .

لكن بوش يبدو غير راغب بفهم أن واقعية الموقف في العراق لا تبرهن صحة رؤيته . وأخطر الكاذيب التي يمكن أن يكذبها أي رئيس هي الأكاذيب التي يقولها لنفسه.

الرئيس بوش على لسان زبيغنيو بريجنسكي

اجرت مجلة (شتيرن) الألمانية حوارا مع المستشار الامني الامريكي الاسبق زبيغنيو بريجنسكي ويقول مترجم المقال - منذ عقود طويلة لم يغير المستشار الامني الاسبق زبيغنيو بريجنسكي استراتيجيته ومواقفه المبدئية المتعلقة بالسياسات الخارجية والاستراتيجية للادارات الامريكية المتعاقبة التي عايشها ، فهذا الخبير السياسي الامريكي الذي عمل في ظل العديد من الادارات الديمقراطية الامريكية السابقة وكان اخرها في ظل ادارة جيمي كارتر، لم يتوان لحظة عن الدفاع عن مواقفه وعن توجيه الانتقادات الى السياسات والتوجهات الخاطئة التي مارستها الادارات السابقة، وبخاصة الادارة الحالية برئاسة جورج بوش وفي مقدمة هذه الاخطاء شن الحرب على العراق وما نجم عنها من تداعيات خطيرة وانقسامات جوهرية على الصعيدين الداخلي الامريكي والخارجي والدولي، ووجه بريجنسكي اصابع الاتهام الى ادارة بوش من خلال الشعارات الديماغوجية التي تميزت بجنون الاضطهاد والعظمة من ناحية وجنون الارتياك والشك بالاخرين من جهة ثانية واوجد عداوات لا حصر لها للولايات المتحدة وعمّق الفجوة بينها وبين حلفائها واصدقائها في مختلف انحاء العالم، ويرى بريجنسكي انه في الوقت الذي لا تزال فيه ادارة بوش متورطة ومنهمكة في المستنقع

العراقي وفي حربها التي لا نهاية لها على الارهاب الدولي، فإنها لا تزال تمارس نفس السياسات ونفس الاخطاء وتحاول فرض سيطرتها وارادتها على المزيد من مناطق التوتر في العالم وبخاصة ايران.

مقتطفات من الحوار

سؤال - منذ اكثر من عشرين عاماً وايران تعمل بشكل متواصل على تطوير برنامجها النووي وصولاً الى تصنيع اسلحة نووية، فمتى ستكون ايران قادرة على امتلاك القنبلة النووية؟

جواب - لا يزال امام ايران ما يقارب السنتين او ثلاث سنوات لتحقيق هذا الهدف وحتى تكون قادرة على تصنيع اسلحة نووية.

سؤال - لكن المستشار الامني الاسرائيلي غيورا ايلاند يحذر منذ الان من ان الايرانيين قد اصبحوا على وشك امتلاك هذا النوع من السلاح.

جواب - انا اعلم ذلك جيداً، فأنتم تعتمدون على نفس المصادر التي ساهمت في توريط ادارة بوش عندما اعلنت وبناء على نفس هذه المصادر بأن العراق كان يمتلك اسلحة دمار شامل، وتبين فيما بعد عدم صحة مثل هذه الادعاءات. ونحن رأينا الان مدى خطورة ديماغوجية هذا الموضوع المثار حالياً.

سؤال - ومع ذلك، ماذا يمكن ان يحصل اذا ما امتلكت ايران السلاح النووي؟

جواب - انا اعتقد جازماً بأن التهديد القادم من ايران غير موجود وسيكون محدوداً للغاية في حالة وجود مثل هذا التهديد، وادارة بوش تعلم ذلك جيداً، ولكن يبدو ان لهذه الادارة اجندتها الخاصة بها بالنسبة لايران التي سبق لها ان اعتبرتها احد اركان »محور الشر«.

سؤال - لكن ما تراه الحكومتان الامريكية والالمانية يبدو مختلفاً، حيث تريان بأن مثل هذا الاحتمال قائم ووارد!

جواب - انظروا مثلاً الى القوتين النوويتين الحديثتي العهد الهند وباكستان فكل الادعاءات السابقة بان امتلاك البلدين الجارين والمتنافسين لاسلحة نووية سيساهم في اندلاع حرب جديدة بينما، اثبتت عدم صحتها، بل ان ما حدث يدل على ان العكس هو الصحيح. فوجود السلاح النووي لدى البلدين ادى الى تخفيض حدة المواجهة بينهما.

سؤال - لكن البلدين كانا اكثر من مرة على وشك اندلاع حرب بينهما.

جواب - هذا صحيح، ولكن منذ دخولهما النادي النووي، اصبحتا اكثر حذراً وحرصاً وانتباها، فكل منهما تدرك بأن اية حرب جديدة بينهما ستكون مأساوية ومدمرة بسبب وجود السلاح النووي لديهما.

سؤال - هذا يقودنا الى سؤال مهم وهو: متى تكون الاسلحة النووية بالفعل مصدر امن واستقرار وسلام؟ ولماذا يعارض العالم كله تقريباً طموحات ايران لامتلاك القنبلة النووية وتطوير برنامجها النووي لاغراض سليمة؟

جواب - ان ايران تعتبر بلداً مهماً للغاية في منطقة مضطربة وتعج بالازمات. كما انها محاطة بقوى نووية وبدول مجاورة تمتلك قدرات نووية. ولهذا تسعى هي الاخرى لامتلاك هذا النوع من القدرات، بالرغم من ان هذه المسألة غير مرغوب فيها. فالمنطقة بحاجة الى الاستقرار بدلاً من التوترات.

سؤال - اسرائيل هي القوة النووية الوحيدة في منطقة الشرق الاوسط التي تمتلك حوالي 200 قنبلة نووية حتى الان. فكيف تعلق على ذلك؟

جواب - ولهذا يمكن لأي انسان ان يتفهم اقتناع الايرانيين بضرورة امتلاك السلاح النووي لاحداث توازن في المنطقة. فطموحات ايران النووية تهدف بين امور اخرى الى البحث عن وسيلة لتحقيق توازن الرعب في المنطقة. وايران بحد ذاتها لا تعتبر من الدول المعروفة او المشهورة بالعدوانية. واذا ما اردنا بالفعل ان تنظر القيادة الايرانية الى مخاوفنا وهمومنا بنوع من الجدية، فنحن علينا ايضاً ان نظهر تفهمنا لما تسعى اليه تلك القيادة من طموحات.

سؤال - لكن اشارات التهديد والوعيد والشعارات المناهضة الصادرة من واشنطن تشير وتركز في معظمها على القول بان امتلاك ملالي ايران المتشددين لقنابل نووية يشكل تهديدا للامن والاستقرار في العالم فهل تؤيد مثل هذا القول وهذه الشعارات؟

جواب - انها جميعها اقوال وشعارات مضللة وخبيثة وتعكس حالة من حالات جنون العظمة والاضطهاد وجنون الإرتباك والشك بالاخرين والتي تميزت بها ادارة المحافظين الجدد في واشنطن بصورة خاصة فمثل هذه الادعاءات والشعارات المثيرة للجدل تذكرنا بديماغوجية الشك التي حاولت ادارة بوش ترويجها قبل بدء الغزو الامريكي للعراق وقبل واثناء وبعد شن الحرب على نظام صدام حسين، وذلك في محاولة من جانب صقور هذه الادارة لاضفاء شرعية وعدالة شن الحرب على العراق من خلال استخدام القوة العسكرية ضده.

سؤال - لكن الحديث في البنتاغون وفي بعض اقسام وزارة الخارجية تغير وانتقل الى ما اصبح يعرف »بتغيير الانظمة« وبالنسبة للرئيس بوش فان ايران تنتمي الى »محور الشر« تماما كما كان عليه الحال بالنسبة للعراق في عهد صدام حسين فهل يعني ذلك بان ادارة بوش تسعى في المرحلة القادمة الى اسقاط نظام الملالي في طهران وتغيير النظام الحاكم فيها، كما فعلت في العراق حين نجحت في اسقاط نظام صدام حسين.

جواب - بالتأكيد يوجد هنا اناس يؤيدون ويناصرون ويحملون مثل هذه الفكرة فبعد اعادة انتخاب بوش لفترة رئاسية ثانية، فان هذا الرئيس سيسعى بالتأكيد الى تشجيع مثل هذه الافكار ومواصلة سياسة تغيير الانظمة في الدول التي لا تسير في الركب الامريكي وهذا ينطبق بالدرجة الاولى الان على ايران.

سؤال - يبدو واضحا الان بان الولايات المتحدة اصبحت مكروهة في العالمين الاسلامي والعربي على حد سواء فما هي تبعات وتداعيات مثل هذه السياسة؟

جواب - المنطقة برمتها تبدو مهددة بالثوران ولكن مع مرور كل يوم جديد في العراق تتنامى ايضا في واشنطن القناعة والمعرفة والاستدلال، بان استمرار تلك السياسة المناهضة لايران من شأنها ان تزيد من لهيب نار هذا الثوران، الامر الذي سيرتب على ذلك عواقب ونتائج خطيرة وجدية للغاية.

سؤال- مثل ماذا؟

جواب - في العراق وفي افغانستان على سبيل المثال، سيكون بامكان ايران تغذية الجماعات الدينية المتشددة المؤيدة لها وتحويلها الى اداة ضد المصالح الامريكية في مناطق التوتر والازمات.

سؤال - وكيف يمكن ايقاف ايران في هذه الحالة؟

جواب - ان ايران ترغب بابقاء كل خياراتها النووية مفتوحة فامتلاك القدرات النووية والاسلحة النووية يعني بالنسبة لايران الهيبة والمكانة الدولية ولهذا ينبغي ان لا نسمح لانفسنا لوحدنا مطلقا بان نعتمد فقط على قوتنا العسكرية وينبغي لنا في المقابل الشروع في انهماك حقيقي وجاد في مواجهة مثل هذه المسألة.

سؤال - كيف؟

جواب - انني اطلق على ذلك، سياسة الانهماك الاختياري والانتقالي وعلى الولايات المتحدة ان تقوم بالخطوة الاولى في هذا الاتجاه لكن الولايات المتحدة فرضت عقوبات على ايران منذ حوالي مئة عام.

سؤال - ولهذا ينبغي لامريكا ان تكون مستعدة لكن في حوار ثنائي مع طهران ويمكن لمثل هذا الحوار ان يكون في البداية بشكل غير رسمي بحيث يتم مناقشة العديد من قضايا المصالح الامنية بين البلدين.

جواب - مثل هذه المحادثات والحوارات التي اجريت مع كوريا الشمالية، كان مصيرها الفشل والاخفاق حتى الان كما تم طرد وابعاد كل المفتشين الدوليين عن اسلحة الدمار الشامل من تلك الدولة واليوم تمتلك كوريا

الشمالية على الارجح القنبلة النووية فلماذا تطالب الان فيما يتعلق بالمسألة الايرانية، بانتهاج سياسة التهدئة؟

سؤال - ارجو الا تخلطوا بين مصطلحين: الانهماك والتهدئة عبر ابجديات خاطئة فنحن مطالبون الان ببناء جسور من الثقة والاحترام مع الاخرين الذين يتخذون خطا مغايرا لنا، ونحن لم نصل بعد الى مثل هذه القناعة ومنذ فترة طويلة سابقة من الزمن والرأي او القرار الاخير بشأن البرنامج النووي الايراني لم يتخذ بعد.

جواب - ما هو الدور الذي تلعبه اوروبا من المنظور الامريكي؟ فالرئيس الايراني السابق علي هاشمي رافسنجاني سبق له ان اعلن مؤخرا بان الصواريخ الايرانية تستطيع الوصول الى اهداف تبعد حوالي 2000 كيلو متر عن ايران وتصل الى العمق الاوروبي.

واوروبا مستهدفة ايضا، فهي اقرب الى ايران منها الى امريكا ولكن من المنظور السياسي فان اوروبا لا تزال غير متواجدة وهذه تعتبر مشكلة كبيرة بحد ذاتها بريطانيا وقفت الى جانب الولايات المتحدة في الحرب على العراق فيما تعاون الاسبان والايطاليون معها.

اما الالمان والفرنسيون فانهم شكلوا جبهة الرفض والمعارضة في هذه الحرب وهذا يعني ان دول الاتحاد الاوروبي لا تستطيع الاتفاق فيما بينها على استراتيجية موحدة ولهذا فانه لا يهم من يكون العراق الذي يقوم بالتفاوض مع الايرانيين طالما ان الولايات المتحدة لم تشارك في هذه المفاوضات.

سؤال - الان وبعد ان استجابت ايران لمطالب الوكالة الدولية للطاقة الذرية بتجميد برنامجها النووي ووقف انتاج اليورانيوم المخصب، بجهود ثلاث دول اوروبية هي المانيا وفرنسا وبريطانيا، فهل يعني ذلك ان ادارة بوش قد تخلت عن خيارها العسكري ضد ايران؟

جواب - كونوا على قناعة بان الولايات المتحدة لا تستطيع القيام بأي عمل عسكري ضد ايران وهذه قناعتي الذاتية فانا مقتنع تماما بان شيئا دراماتيكيا لن يحصل بين واشنطن وطهران.

سؤال - هل سينفذ الاوروبيون تعهداتهم التي قطعوها لايران بتزويدها بالوقود النووي اللازم لتشغيل مفاعلاتها النووية بعد ان اعلنت طهران تجميد برنامجها النووي؟

جواب - انه من السابق لأوانه الحديث الان عن مكافأة ايران على خطوتها الاخيرة، ولكن طالما اننا لا نريد ان نرى ايران وهي تمتلك اسلحة نووية في يوم من الايام، فاننا مطالبون في المقابل بان نوفر الى طهران الامكانية لتطوير وامتلاك الطاقة الذرية لاستخدامها في الاغراض السلمية والاهم من ذلك كله يمكن في اعطاء الايرانيين الشعور بان تنعم بالامن والامان والاستقرار بعيدا عن اية تهديدات في المستقبل.

بوش تحت المجهر؛ جولة داخل عقل الرئيس
boush tht almjhr; joulah dakhl a'kl alra'is

تأليف :جوستن أ. فرانك

ترجمة، تحقيق: سعيد الحسنية

الناشر الأصلي Harper Collins Publishers :

والذي اعادت نشره باللغة العربية الدار العربية للعلوم–ناشرون

يقول الناشر بقي جورج دبليو بوش مع كل بساطته ولطافته، واقتباساً لقول السير ونستون تشرشل، "لغزاً مبطناً بأحجية". وفي هذا الكتاب "بوش تحت المجهر" يقوم الدكتور جوستن أ.فرانك، وهو محلل نفسي معتبر في واشنطن العاصمة وأستاذ لمادة علم النفس، بفك الأحجية، جامعاً صورة نفسية شاملة للرئيس بوش. يبني فرانك قضيته دون وجل، باستخدام مبادئ علم النفس التطبيقي - وفرويد هو رائد مدرسة تحليل نفسيات الشخصيات العامة والتاريخية- ويصل لاستنتاجات مقنعة تسبب في الوقت نفسه قلقاً عميقاً.

ومن خلال تحليل دقيق لسلوك بوش وتصريحاته العلنية، بالإضافة إلى استخدام سجل تاريخي وفره الصحفيون وكاتبو السير الذين عرفوا الرئيس جيداً، يتتبع فرانك تطور شخصية بوش من الطفولة إلى يومنا الحاضر . وعن طريق التفحص الدقيق والذي الرئيس، وعلى الأخص باربرا بوش وهي النظامية المشهورة والتي يمكن أن تكون حالة عدم الأمان لديها قد منعتها من رعاية ابنها بالشكل الكافي. يجد فرانك جذور الانفصام النفسي الشديد في طفولة بوش، والذي ما يزال له تأثير مسيطر على نظرته للعالم. ويجادل فرانك بأن هذا الانفصام قد أعاق قدرة بوش على السيطرة على عواطفه، عن طريق تغذية نفسيته بقلق مضطرب وتكييف هذا القلق حتى يستطيع النظر إلى العلم بشروط الأبيض والأسود والتي كان من الواضح بأنها قد شكلت معالم إدارته.

ومن بين المواضيع الأخرى التي يتفحصها فرانك: إحساس بوش المغلوط بالقدرة المطلقة، والمغروس في داخله أثناء مرحلة طفولته والذي لقي تشجيعاً عن طريق انغماسه العميق في تعاليم الدين الأصولي. إدمان الرئيس على شرب الكحول كما ورد في

سجله والذي ترك بدون علاج، والمسائل التي يثيرها هذا الأمر حول الإنكار، والإفساد، ولمحات التأهيل في حضارتنا.

الدليل الشائع المتنامي حول احتمال إصابة بوش باضطرابات القراءة والتهجئة، والاضطرابات الناتج عن النشاط المفرط ADHD، واضطرابات فكرية أخرى. ارتياحه الناتج عن العيش خارج القانون، ومن تحدي القانون الدولي خلال رئاسته، وذلك بنفس الجرأة التي تحدى فيها ذات مرة اللوحات التي تحذر من القيادة تحت تأثير الكحول وقوانين الحضور العسكرية. علاقة المحبة- الكراهية مع والده، وكيف أنها أطلقت مزيجاً معقداً وخطراً من المشاعر بما فيها الحنين، المنافسة، الغضب، والسادية. أنماط بوش الفكرية الجامدة والمبسطة، جنون الاضطهاد، وجنون العظمة، وكيف دفعته لاختراع خصوم يمكنه تحطيمهم.

كتاب "بوش تحت المجهر"، هو لوحة لشخصية جورج دبليو بوش، واتهام يدين سياساته في الوقت نفسه، يلقي ضوءاً جديداً وتدهشا على إدارة يعتمد سجلها الحافل بالعنف والقسوة على النفسية المتقلبة لرجل يقف في وسطها. كما أن كتاب "بوش تحت المجهر" المتعمق والواضح والشجاع والمثير يعالج سؤالاً لا يبدو أن أحداً يريد أن يسأله: هل أن رئيسنا مؤهل نفسياً كي يدير البلاد؟

التحليل النفسي للرؤساء الأميركيين

التحليل النفسي والأنماط السلوكية للرؤساء الأميركيين

هذه دراسة تفصيلية اعدها المركز العربي للدراسات المستقبلية ، غطت مختلف الجوانب السلوكية بتحليل نفسي دقيق للرؤساء الامريكيين وتقول الدراسة :. سيغموند فرويد هومن قام بمحاولة التحليل النفسي للرؤساء الاميركيين .

فقد قام فرويد بإعداد دراسة حول شخصية الرئيس الأميركي وودرو ولسون. مستندا" في ذلك الى معطيات قدمها له أحد المقربين من ولسون وهو السفير بوليت. ونشر النص بعد وفاة فرويد لذلك فهو غير متداول كغيره من النصوص الفرويدية . في دراسة معمقة للمركز العربي للدراسات المستقبلية يقول كاتبها ، مهما يكن فإن قراءة النص توحي بوجود أوجه شبه عديدة بين ولسون وبين لرئيس الأميركي ووكر بوش. وبالنظر الى حراجة اللحظة السياسية العالمية الراهنة فقد رأينا ضرورة ترجمة هذا النص الى العربية. مع تذييله بهوامش توضح وجوه الشبه المشار لها أعلاه.

لكن علم النفس السياسي المعاصر يتخطى التحليل النفسي الى تطبيق نظريات نفسية أخرى في الميدان السياسي، ومنها النظرية السلوكية حيث بعض التاس يعتقدون أن البشر يقسمون إلى فئتين: منغلق ومنفتح. وبعضهم يعتقد بوجود نسبية في الإنفتاح والإنغلاق، أما البقية ،وأنا منهم، فهم لايعتقدون بإمكانية تقسيم البشر وتوزيعهم على فئات، وهذا الموقف يقوده أساسا" أتباع التحليل النفسي الذين يصرون على رأي فرويد القائل بأن الموضوعية الحقة هي الإهتمام بالذاتية. لكن ذلك لم يمنع فرويد من تمييز فئات نفسية خاصة، ولم يمنع أتباعه من تحديد أنماط تحليلية قد تكون مخالفة للأنماط السلوكية لكنها في الخلاصة تصنيف مفترض للشخصيات، والسلوكيون لا يقدمون مثل هذا التصنيف لأنهم يحصرون إهتمامهم بسلوك الشخص وتصرفاته وليس بدوافعه الكامنة وشخصيته عامة، لذلك فإن الأنماط السلوكية هي عبارة عن قوالب سلوكية يكونها الشخص وفق خبرته ويتصرف من خلالها والنمط السلوكي هو عبارة عن علاقة بين الفعل والإنفعال، التي نلاحظها ، لدى الأشخاص يخوضون صراعا" دائما" بهدف الحصول ، وبأقل وقت ممكن، على عدد معين من الأهداف

والأشياء. ويختلف هذا النمط عن حالات القلق العادية من حيث تحديده لأهدافه وإصراره عليها. و ذلك على عكس القلق الذي يتراجع ليطلب النصح إذا ما أحس أن زمام الأمور بدأ يفلت من يده.

هذا بالنسبة للأنماط الطبية – النفسية (السيكوسوماتية) أما بالنسبة للأنماط السياسية فهي مختلفة لجهة إعتمادها معايير مختلفة. كما لجهة إنحسارها في فئة محدودة جدا" هي فئة السياسيين، ويهمنا في هذا السياق تحديدا" فئة الرؤساء الأميركيين وأنماطهم السلوكية .

- الأنماط السلوكية للرؤساء الأمريكان

إن النمط المميز لهيكلية جهاز القيم الأميركي، يجعل من قضية الأخلاق قضية جاذبة للرأي العام، وخصوصا" في فترة الإنتخابات. التي تشهد التركيز على الحياة الخاصة للمرشحين، وعلى العلاقة بين هفوات المرشحين وبين أدائهم الرئاسي في حال فوزهم.

قضية الأخلاق هذه كانت مدخل الجمهور الأميركي لاستكشاف شخصية الرئيس كلينتون، بدءا" بعلاقته مع زوجته الصعبة المزاج (لدرجة الاضطراب أحيانا")، مرورا" بعلاقاته النسائية التي تكللت بفضيحة التحرش الجنسي، والدعوى التي أقامتها باولا جونز على كلينتون، وأيضا "مرورا" بـ "وايت ووتر"، وانتحار أحد المستشارين وما أشيع عن علاقة بينه وبين زوجة كلينتون، وصولا" إلى الديون التي تثقل كاهل الرئيس، الخ من الهفوات التي أتاحت للجمهور الأميركي تكوين فكرة عن الملامح الرئيسية لشخصية كلينتون، لكن التركيز على هذه الهنات لا يعني أنها غير مسبوقة، فقد كان لغاري هارت مغامراته العاطفية مع العارضة دونا رايس، كما اتسم سلوك بات روبرتسون بالعبث الشبابي، ولم يكن جون كينيدي بعيدا" لا عن المغامرات العاطفية، ولا عن اضطراب تفاهمه الزوجي، الخ. من القضايا التي كان قد أثارها عالم النفس(في جامعة كاليفورنيا)، كيث سيمونتون مؤلف كتاب" لماذا ينجح الرؤساء"، وفيه يقول: " إن الكثير من القضايا الأخلاقية المثارة لا تملك الأهمية في موضوع اختيار الرئيس وانتخابه". وبمعنى آخر فإن أداء الرئيس في غرفة النوم لا

علاقة له بأخلاقه. ويذكر سيمنتون أن لغالبية الرؤساء الأميركيين مغامراتهم العاطفية خارج فراش الزوجية، دون أي فارق بين الناجحين وبين غير الفاعلين منهم.

أما عالم الشخصيات روبرت هوغان، فيعارض ذلك إذ يقول إن الشخصية هي مجموعة متكاملة من السمات مثل الذكاء والمرونة ودرجة الحياء والكبت عند الشخص، الخ وهذه السمات هي التي تحدد سلوك الشخص سواء كان رئيس عمال في ورشة، أو كان في البيت الأبيض رئيسا ويدعم هذا الرأي عالم السياسة "جيمس دافيد باربر". مؤلف كتاب: "الأخلاق الرئاسية – التنبؤ بمستوى الأداء في البيت الأبيض"، إذ يقول: أن من يدرس أحوال الرئاسة في القرن العشرين، سيصل للإستنتاج القائل، بأن لأخلاق الرئيس أهمية وتأثير أكيد في مجريات الأمور. بل أن أخلاق المرشح أصدق إنباء عن شخصيته وأدائه من كل الوعود والاقتراحات الانتخابية التي يطرحها أثناء حملته. ويعطي باربر مثالا" على ذلك " ليندون جونسون"، فيقول بأن قصة جونسون مع حرب فيتنام هي أكثر الأمثلة إثارة للرعب في العصر الحديث. فقد كان يدعي بأنه مرن ومحب للسلام، ولكنه لم يلبث أن تحوّل إلى التصلّب في سياسته العسكرية الفاشلة، وذلك بسبب سلوكه القهري المتصلّب. ويتابع باربر بأن دوايت د.ايزنهاور يمثّل نموذجا" للشخصية السلبية) ينسحب من المواجهة لأسباب أخلاقية تاركا" حل المشاكل للآخرين) ومن هنا فشله في محاربة المكارثية، والمشكلات التي انبثقت في أيامه كانحلال الحياة في المدن ومظاهر الشغب العرقي. وهنا علينا أن نلاحظ تكرار هذه الملامح في عهد ووكر بوش منذ الاشهر الأولى لولايته. حيث الشغب العرقي المندلع في سينسيناتي في 2001/4/1 وحيث التورط في قصف افغانستان وصعوبة الانسحاب منها. إضافة للرغبة القهرية لدى بوش بتوجيه ضربة أخرى للعراق.

التصنيف النفسي – السياسي للرؤساء الأميركيين

يطرح باربر تصنيف الرؤساء الأميركيين، وفق خطين قاعديين: خط الفاعل و خط المنفعل) أي القدر من الطاقة الشخصية الذي يبذله المرء في عمله في مقابل العاطفة الايجابية – السلبية أو موقفه من نتائج عمله ومدى تقبله لهذه النتائج. وعلى هذا الأساس يحدد باربر أنماطا" أربعة لشخصية الرئيس الاميركي وهذه الانماط هي :

أ) النمط الفاعل – الإيجابي

هذا النمط من الرؤساء يستثمر قدرا" كبيرا" من الطاقة الشخصية في عمله، وهو يستمتع بذلك. وتكون لدى مثل هذا الرئيس أهداف تحكم توجهاته .كما تكون لديه مرونة. لكنه قد يواجه مشكلات في التعامل مع المواقف العاطفية وغير العقلانية في السياسة. ومن الرؤساء المنتمين الى هذا النمط: روزفلت، وترومان وكينيدي.

ب) النمط الفاعل – السلبي

يملك صاحب هذا النمط طاقة شخصية عالية، لكنها موجّهة في كفاح قهري لا متعة فيه، وليس له سوى مردود عاطفي محدود .ويواجه أصحاب هذا النمط صعوبة في كبت وضبط مشاعرهم العدائية. من أهم أمثلة هذا النمط الرؤساء ولسون وجونسون ونيكسون.

ج) النمط المنفعل – الإيجابي

يمتاز هذا النمط بأنه مساير ومتعاون أكثر منه صاحب شخصية وحيوية قوية. مع مسحة تفاؤل مهيمنة على سلوكه. وهذا النمط يفاوض بشكل جيد، ولكنه يحيط نفسه بأصدقائه القدامى الذين يجلبون له العار. ومن أمثلة هذا النمط هوارد تافت وريغان، "الذي يقول عنه سيمونتون: "ها نحن نجد ريغان يوقع صفقة أسلحة مهمة وفي الوقت نفسه تنفجر حوله الفضائح في كل مكان". كما ينتمي الى هذا النمط الرئيس كلينتون.

د) النمط المنفعل – السلبي

يدخل أصحاب هذا النمط الى ميدان السياسة إنطلاقا "من حسّ الواجب والخدمة وليس لتحقيق المتعة. وهم لا يجنون من الرئاسة سوى القليل من القناعة والرضى. وهم يميلون لتجنّب الصراعات، والانسحاب منها معتمدين على بيانات مبادئ غامضة كما فعل كوليدج وايزنهاور.

على ان هذا التصنيف يجب ألا يدفعنا إلى تجاوز العوامل الفردية، التي تميز الفرد عن الآخرين، بحيث لا يمكن إدراج شخصيته بصورة حصرية في واحد من هذه الأنماط لوحده، بل هو مزيج يهيمن عليه أحد هذه الأنماط .

3) **التحديات التي تواجه الرؤساء الأميركيين**

يرى عالم السياسة "بروس بوكانان" من جامعة تكساس، أن الرؤساء الأميركيين يواجهون أربعة تحديات أساسية تعترض مدة إقامتهم في البيت الأبيض هي:

1- **المجد المفرط** : هو التحدي الأول حيث يكثر المادحون والمتزلفون، بحيث تتحول معارضته إلى مفاجأة يستجيب لها البعض بالغضب) يزداد الغضب مع ازدياد القناعة بأقوال المادحين.

2- **إجهاد القرارت** : ان التحدي الثاني، الذي يواجه الرئيس، هو العراقيل والحواجز المؤدية للإحباطات وكيفية تعامل الرئيس معها. فهل هو يعرف متى يحارب ومتى ينسحب؟ وهل هو قادر على تحمّل الفشل وهضمه؟.

3- **التوفيق بين أجنحة ادارته:** وهو التحدي الثالث في مواجهة الرئيس .و هو أسلوب الإدارة التي غالبا" ما تواجه الرئيس بمطالب متناقضة، حيث يجب أن يملك الرئيس القدرة على التوفيق بين هذه القدرة المتناقضات. هذا التوفيق الذي فشل فيه جيمي كارتر لتدخّله الزائد لدرجة التورط. كما فشل فيه ريغان بسبب تراجعه وعدم تدخله بالمستوى المطلوب.

4- **الإغراءات الضخمة** : وهي التحدي الرابع للرئيس. ويعطي بوكانان على هذا التحدي مثال جونسون الذي رغب في تحقيق برامجه الإجتماعية (مشروع المجتمع الكبير) وبأن ينتصر في فييتنام في آن معا". لكن الكونغرس لم يكن مستعدا "لتمويل الاثنين معا". كما أن ريغان كان مستميتا" لتحرير الرهائن الأميركيين ولم يكن مستعدا" لاجراء أية مقايضة مع الزعماء الإيرانيين. وفي كلتا الحالتين فإن فشل الرئيسين في تحقيق إغراء الحصول على هدفين في آن واحد قد دفعهما إلى الكذب .

و في حالة الرئيس جورج ووكر بوش يلاحظ أن هذه العوامل إتخذت طابع الحدة. بحيث أصبحت موازية للعوامل الرئيسية في أهميتها وفي تأثيرها على قرارات الرئيس .

4) النمط السلوكي لجورج ووكر بوش

بعد هذا الشرح المختصر والمبسط للتصنيف السلوكي للرؤساء الأميركيين علينا أن نقوم بتحديد النمط السلوكي للرئيس جورج ووكر بوش. فإلى أي من هذه الأنماط السلوكية الأربعة ينتمي. فتحديد نمط بوش من شأنه مساعدتنا على تبين العلائم السلوكية المسيطرة على تصرفاته الرئاسية وعلى خياراته. أيضا" يسمح لنا هذا التحديد بعقد المقارنة بينه وبين الرؤساء السابقين من ذات نمطه السلوكي. بحيث يساعدنا ذلك على التنبوء المستقبلي بإتجاهات الرئيس وخياراته. وهنا لابد من التذكير بأن القانون الأميركي (ومعه السياسة) يعتمد مبدأ السابقة. وعليه فإن الرئيس الأميركي يفتش عن السوابق في تاريخ أسلافه للإستناد إليها في قراراته الصعبة. ومن الطبيعي أن يميل الرئيس إلى السوابق والحلول المنسجمة مع نمطه السلوكي. وعليه فإنه يختار من بين السوابق سوابق الرؤساء المشاركين له في نمطه السلوكي. ومن هذا المنطلق رأينا بوش الإبن يتجه نحو التوحد بريغان متجنبا" التوحد بوالده. ولهذا التجنب سبب ظاهر هو محاولة الإستقلال عن ظل أبيه. وسبب آخر خفي هو إختلاف النمط السلوكي بين الأب) فاعل - ايجابي) والإبن. لكن إختيار الإبن التوحد بالرئيس ريغان لم يكن موفقا" كون النمط السلوكي لريغان مناقضا" لنمط ووكر بوش فإعجاب بوش بريغان وحده لا يكفي للوصول به إلى أداء مماثل لأداء ريغان كما سنرى. إذ ينتمي ريغان الى النمط المنفعل الإيجابي. ومراجعة سلوك ووكر بوش تؤكد بعده التام عن هذا النمط. وتكفي هنا مراجعة الملامح المشتركة بينه وبين جونسون (اشرنا اليها اعلاه) لنتبين انتماء ووكر بوش الى النمط الفاعل- السلبي. ويتدعم انتماءه لهذا النمط بمقارنتنا لسلوكه مع سلوك نيكسون وولسون.

ولهذا النمط من الرؤساء الأميركيين سماتهم السلوكية المشتركة التالية :

1. سهولة التأثر بمستشاريهم ومقربيهم وأعضاء ادارتهم. مع سهولة شبيهة في الإنقلاب على هؤلاء.

2. نقص في المعلومات الضرورية لاتخاذ القرارات. سواء بسبب نقص ثقافي أو بسبب حجب المعلومات عنهم بحجة عدم أهميتها. بحيث يبدو كلا" منهم مخدوعا" في أحد المواقف المفصلية في ولايته.

3. الاندفاع غير المدروس في إتجاهات استراتيجية خاطئة. وهو احتمال يزداد مع انحياز هذا النمط للفريق المتطرف في ادارته.

4. عدم إستساغة الجمهور الأميركي لهذا النمط من الرؤساء وتخليه عنهم في ورطاتهم.

5. الرغبة المفرطة في التمتع بالمجد والجبروت الرئاسي.

6. عدم القدرة على تحمل الإحباطات ومواجهة المواقف الصعبة. مما يدفعهم للإرتماء أكثر فأكثر في أحضان فريقهم ومستشاريهم. مع إتباعهم للسلوك الهروبي.

7. الوقوع بسهولة ضحية الاغراءات الضخمة. ومحاولة الجمع بين الأهداف المتناقضة. دون ملكية المرونة الكافية لوضع جدول اولويات يتيح لهم التركيز على الأهداف الأهم والتخلي عن الأقل أهمية. وهي سمة مشتركة بين الرؤساء السلبيين فاعلين أو منفعلين.

جورج بوش الابن

لقد أصيب بالاكتئاب بسبب ظروفه المادية. وتصاحب اضطرابه المزاجي مع إقباله على معاقرة الخمر وتعاطي الكوكايين. ومن الوجهة الطبيه النفسية تعتبر هذه الحالة أزمة عابرة بحيث يمكننا أن نصدق بأن بوش قد تخطاها. خصوصاً بعد الأرباح التي جناها من ارتفاع أسعار النفط بسبب توقف تدفق نفط الخليج مطلع التسعينيات وعقب تفجر حرب الخليج ثانية. في المقابل فإن نقطة الضعف الحقيقة في شخصية بوش تكمن في عجزه عن تخطي ظل أبيه وتأثيره وفشله في تخطي سطوة هذا الأب وبناء هوية مستقلة عن هذا الأب.

وهذه المعطيات تدفعنا لتصنيف بوش الابن في خانة النمط السلوكي المعروف بالفاعل- السلبي (الأب مصنف في خانة الفاعل- الإيجابي) وسمات هذا النمط هي الآتية :إنه يملك طاقة شخصية عالية. إلاّ أنها موجهة فيك فاح قهري لا متعة فيه. وليس له سوى مردود عاطفي محدود- كما يواجه صاحب هذا النمط صعوبة في كبت مشاعره وضبط عدوانيته .ومن أمثلة هذا النمط نذكر الرؤساء ويلسون وجونسون ونيكسون .

آل غــور

ولهذا المرشح نقاط تساؤل عديدة تتعلق بلياقته النفسية. وهي تتعلق بالنواحي الآتية:

أ) الشك في قدرته على تأسيس شخصيته الخاصة وبقاؤه أسيراً لصورة أبيه السياسية وخصوصاً في ملامحها المؤيدة لإسرائيل.

ب)آثار الصدمة المترتبة عن تعرض ابنه لحادثة نجا خلالها من الموت بأعجوبة. مما أدى بزوجته إلى وضعية اكتئابية وخضوعها للعلاج. من دون أن تظهر علائم أكيدة مماثلة لدى آل غور نفسه.

ج) شخصيته التجنبية، بحيث يبدو قريباً ومحباً في دائرة ضيقة من الأشخاص المقربين في حين يبدو متصنعاً ومتعالياً في الأوضاع التي يحاول أن يظهر فيها ودوداً. أما في الدوائر الأوسع فهو يبدو تجنبياً وبعيداً عن كسب المودة، وكنا قد تعرضنا

لشخصية آل غور في مقالة" الإسرائيليون يدعمون آل غورن- راجع "الكفاح العربي" بتاريخ 2000/3/30 ونشرنا فيها تحليل شخصيته وانتماءه إلى نمط "المنفعل السلبي" وسماته هي الآتية: إنه يدخل إلى السياسة انطلاقاً من حس الواجب (أو بدفع أشخاص مؤثرين فيه) وليس لتحقيق المتعة. وهو لا يجني من الرئاسة سوى القليل من القناعة والرضى. ما أنه يميل لتجنب الصراعات والانسحاب منها. وبعض أصحاب هذا النمط يلجأون للموقف غير الحاسمة ولإعلانات مبادئ غامضة على غرار ما فعله كوليدج وايزنهادر. والاثنان ينتميان إلى هذا النمط.

الرؤساء الأميركيون السابقون.

أبراهام لنكولن: كان يعاني الاكتئاب والسوداوية وكان يحاول علاجهما بطرق مختلفة. وهنالك روايات حول ممارسته للشذوذ الجنسي.

جون كوينسي آدامز: كان يعاني حالة اكتئاب مزمن- دوري وكان يعالجها بتناول جذور الشاي والكينين (منشطات كانت تستخدم في حينه قبل ظهور الأدوية مضادة الاكتئاب).

تيودر روزفلت: لديه ملف طب- نفسي غير معلن. لكن بوادر وأسباب اضطرابه معروفة من قبل المهتمين- نشرت النيويورك تايمز ملفاً خاصاً بهذا الموضوع- فقد كان روزفلت يعاني مشكلات زوجية معقدة ومعروفة كما كان يسلك سبلاً غير أخلاقية لتحقيق أغراضه ومنها تجديد فترته الرئاسية، وبعضهم يشبه كلينتون بروزفلت مع فارق أن الأول وجد تعويضاً في مغامراته النسائية.

ريتشارد نيكسون: باختصار فإن حاجة نيكسون العصابية لسلوك مسالك الخطر وتحدي الفشل هي التي ولدت له فضيحة "ووترغيت" حيث تفجر

اكتئابه وتبدى بتناوله الكحوليات بصورة مبالغة. هذا ويمكننا التشديد على وجود ملف نفسي لنيكسون من خلال مقاطع في كتابه "الأزمات الست" حيث يروي أسلوب مواجهته للأزمات بلهجة لا يمكنها إلاّ أن تكون مستعارة من أحد المعالجين النفسيين. ولقد ثبت في العام 1968 أن نيكسون قام بزيارة الطبيب النفسي "أرنولد هتشنيكير" لكنه أكد أنها للاطمئنان. لكن بصمات هتشنيكير تبدو واضحة في مذكرات نيكسو

الفصل الخامس

اسرائيل الأبنة الأمريكية المدللة

انحياز رؤساء امريكا الأعمى لأسرائيل

الكاتب والباحث الأميركي بيتر غروس في كتابه: "إسرائيل في ذهن أميركا يقول:

"إن كلاً من الولايات المتحدة وإسرائيل يضمهما عناق حميم في سياق علاقة خاصة، وسواء كانت إسرائيل بالنسبة إلى الولايات المتحدة الأميركية أصلاً استراتيجياً أو مشكلة استراتيجية فهي مثل أعلى مغروس بعمق في الفكر الأميركي منذ السنوات الأولى لظهور أميركا في العالم الجديد".

ما ان تم الاعلان عن قيام دولة اسرائيل الا وحظيت باعتراف أمها الرؤوم امريكا بعد مرور احدى عشرة ساعة فقط على الاعلان ، وحينما يقول هذا الرئيس الامريكي، ان الولايات المتحدة تدفع لاسرائيل خمسة عشر مليون دولار يوميا ، ليس شهريا ولا اسبوعيا ، وانما يوميا ، وهو مبلغ لا تحلم بالحصول عليه بعض الولايات المتحدة الامريكية الفقيرة، من الادارة الفيدرالية، فإن ذلك يعني ببساطة شديدة ان واشنطن معنية بضخ كل ما من شأنه ضمان تفوق اسرائيل عسكريا وتكنولوجيا على الدول العربية مجتمعة واستمرار دعمها للسياسات الاسرائيلية العدوانية ضد الامة العربية عموما ، والشعب الفلسطيني على وجه الخصوص ، لدرجة باتت معها اسرائيل تمتلك أكبر وأقوى ما كينة عسكرية في منطقة الشرق الاوسط، كما تمتلك ترسانة نووية رهيبة تمكنها من تهديد المنطقة بالكامل.

إسرائيل حالة استثنائية لدى زعماء امريكا ودولة فوق القانون فلها الحق أن تقتل وتعربد في فلسطين دون أدنى مسؤولية سياسية أو دولية أو أخلاقية ولها الحق أن تمتلك رؤساً نووية والدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث عموماً ليس من حقها حتى امتلاك الأسلحة التقليدية.

أن اليهودية ليست دينا من الأديان بقدر ما هي حالة مرضية تعتري الفطرة السوية فتخرجها عن إطارها الإنساني إلي دائرة الشياطين.

هذه الآية الكريمة في سياق الخطاب الإلهي إلي العصاة من بني إسرائيل وقد قست قلوبهم أمام كل صور الهداية الربانية التي أنزلت إليهم... فرفضوها، وكل النعم التي أفاء الله(تعالي) بها عليهم فكفروا بها ولم يشكروها، وكل الآيات والمعجزات المبهرة التي شاهدوها وجحدتها نفوسهم المريضة، ولم تتحرك بها قلوبهم القاسية التي تصفها الآية الكريمة بأنها كالحجارة أو أشد قسوة، وتضيف:

ويهود اليوم ألعن من يهود بني إسرائيل بملايين المرات، والآية تنطبق عليهم كما انطبقت علي العصاة من بني إسرائيل سواء بسواء ومن ذلك يتضح أن اليهودية ليست دينا من الأديان، بقدر ما هي حالة مرضية تعتري الفطرة السوية فتخرجها عن إطارها الإنساني إلي دائرة الشياطين، فكما كفر شياطين بني إسرائيل علي عهد موسي عليه السلام فعبدوا العجل، وكفروا علي عهد أنبيائهم فقاتلوهم وقتلوهم وتجرأوا علي دين الله فحرفوه وابتدعوا فيه، وكذبوا علي رب العالمين، وضللوا الملايين، ونقضوا كل العهود والمواثيق، وكتموا ما أنزل الله تعاليعليهم من كتاب، واشتروا به ثمنا قليلا، وتآمروا علي خيانة خلق الله،وإفسادهم،وإشاعة الفاحشة بينهم، من أجل ابتزازهم وسرقة أموالهم، وكفروا بالله علي عهد نبي الله عيسي ابن مريم عليه السلام فكذبوه، وطاردوه، وحرضوا عليه كفرة الرومان، وأساءوا إلي سمعته وحاولوا تلطيخ شرف أمه(شرفها الله)، كما حاولوا قتله وصلبه، وتشويه رسالته، وكفروا بالله علي عهد خاتم الأنبياء والمرسلين صلي الله عليه وسلم، فنقضوا كل عهودهم معه، وتآمروا مع عبدة الأوثان ضده، وألبوا كل أهل الكفر عليه، وحاولوا سمه وقتله، كما حاولوا الدس علي رسالته لولا أن الله تعالي قد تعهد بحفظها فحفظت.

والدليل علي أن اليهودية حالة من حالات الأمراض النفسية المستعصية أن متهودي اليوم وليسوا في غالبيتهم من سلالات بني إسرائيل لهم القلوب القاسية نفسها

التي تفوق الحجارة قسوة، فاشتهروا بالكفر والشرك والفسوق والعصيان، والكذب والتحايل، واللجاجة، والمناورة، والالتواء، والتآمر، والدس، والخديعة، والخيانة، والغدر، والظلم، والإرهاب، ونقض العهود والمواثيق، والتزوير والتزييف، وأكل أموال الناس بالباطل، وخيانة الأمانات، والقسوة البالغة، والغلظة المتناهية إذا كان بيدهم شيء من القوة، والتظاهر بالاستكانة والذلة والضعف حتي يتمكنوا إذا كانوا أمام من هو أقوي منهم، ولذلك لعبوا دور شياطين الإنس عبر التاريخ، في كل عصر وفي كل مصر، وأتقنوا التآمر في الظلام حتي ملكوا زمام العالم وأصبحوا يديرونه حسب أهدافهم الشريرة، ومطامعهم الكثيرة، ونفسياتهم المريضة، وليس أدل علي قسوة قلوب اليهود من جرائمهم التي ارتكبوها في حق كل الأمم التي احتضنتهم وآوتهم بدءا من دولة الخلافة الإسلامية التي أسقطوها، إلي الاتحاد السوفيتي الذي دمروه، إلي الولايات المتحدة ودول أوروبا الشرقية والغربية التي حطموا كل قيمة إنسانية وأخلاقية فيها، ويتعاظم إجرام متهودي اليوم علي أرض فلسطين، الدولة العربية الإسلامية لأكثر من أربعة عشر قرنا، والتي سرقها اليهود من أهلها، واغتصبوها من بين أيدي أبنائها بمؤامرة دولية حقيرة، وفجروا في معاملة المدنيين العزل، الذين يقاتلونهم اليوم بشراسة لم تعرف لها البشرية مثيلا في غلظتها وقسوتها، وتجبرها، واستعلائها، موظفين في ذلك أحدث الآلات العسكرية الأمريكية تطورا من الطائرات، والدبابات، والمصفحات، والمدافع، والصواريخ، وغير ذلك من الأسلحة المحرمة دوليا وغير المحرمة التي تستخدم في كل يوم لهدم المنازل، والمدارس، والمستشفيات، والمساجد، وغيرها من دور العبادات، كما توظف في تجريف الأراضي الزراعية وحرق كل ما عليها من الأشجار والثمار والمحاصيل، وفي حصار المدن وتدمير جميع بنياتها الأساسية، والخدمات الواصلة إليها، والحيلولة دون إسعاف المصابين، وتركهم ينزفون حتي الموت، ومنع علاج الحوامل والمرضي المزمنين، وحرمانهم من الإسعافات الأولية، والعلاجات الضرورية لهم، وقتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، والشبان، واعتقال من لا يقتلون منهم لتعذيبهم بوحشية بشعة في سجونهم ومعتقلاتهم فهم الذين أخبرنا الله عنهم في كتابه بقوله : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ . . الآية﴾ : المائدة64

-وهم الذين قالوا : (إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181) آل عمران

-وهم الذين ادّعوا الولد لله : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ) التوبة 30 ، تعالى الله عن قولهم (لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا).

-هؤلاء أنفسهم الذين قالوا في تلمودهم المزعوم : ليس الله - نستغفره سبحانه - معصوماً من الطيش والغضب والكذب .

-وفي تلمودهم أيضا : للحاخامات السيادة على الله ، وعليه أجْراء ما يرغبون فيه .

-ويقولون : يقضي الله ثلاث ساعات من النهار يلعب مع ملك الأسماك .

تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا : (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (18) سورة الأنبياء

-وفي تلمودهم : اليهودي أحب إلى الله من الملائكة ، فالذي يصفع اليهودي كمن يصفع العزة الإلهية .

-وقد أكذبهم الله فقال : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18) سورة المائدة

-**ومما قالوه في تلمودهم أيضا** : إن الله يستشير الحاخامات على الأرض حين توجد معضلة لا يستطيع حلها في السماء . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً

وهل يوجد شيء لا يقدر عليه الربّ ؟ سبحانه وتعالى وهو على كل شيئ قدير، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ(82) سورة يس.

-**وقالوا في التلمود بوقاحة فاجرة** : أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها أو تغييرها ولو بأمر الله .

سبحان الله وهو القائل عن اليهود : (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) التوبة 31 ، وهؤلاء الذين قال الله عنهم : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) التوبة

-هؤلاء اليهود الذين يرون أنفسهم كل شيئا ولا يعدّون غيرهم شيئا ، ومن أقوالهم في غير اليهود كما جاء في تلمودهم :

- نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات
- يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض لتبقى السلطة لليهود وحدهم .
- لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة في الأرض .
- الخارجون عن دين اليهود خنازير نجسة .
- أرواح اليهود عزيزة عند الله ، وبالنسبة لباقي الأرواح فالأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية تشبه أرواح الحيوانات .
- اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض غير اليهودية ، لأن كل عقد زواج عند غير اليهود باطل ، فالمرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة ، والعقد لا يقوم بين البهائم .
- لليهود الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات .
- الزنا بغير اليهود ذكورا كانوا أو إناثا لا عقاب عليه لأنهم من نسل الحيوانات.
- ليس للمرأة اليهودية أن تشكوا إذا زنى زوجها بأجنبية في بيت الزوجية .

- وليس بمستبعد أن يقولوا هذا الكلام وهم الذين قال الله فيهم : ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) سورة آل عمران

ومن اعتقادهم في مصير غير اليهود في الآخرة ما نصّوا عليه في تلمودهم :

·النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود .

وهذا موافق لما ذكره الله عنهم بقوله : (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111) سورة البقرة

وهؤلاء اليهود هم الذين قتلوا أنبياء الله وسبوهم وشتموهم وقالوا عن عيسى عليه السلام في تلمودهم : إنه ابن زنا وإن أمه حملت به خلال فترة الحيض وأنه مشعوذ ومضلل وأحمق وغشاش بني إسرائيل وأنّه صلب ومات ودفن في جهنم وأنه يعذّب فيها في أتون ماء منتن يغلي .

وقد قال الله تعالى في فريتهم على المسيح عليه السلام وأمه : (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (155) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا(156) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) سورة النساء

وهم الذين قالوا في تلمودهم في عداوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم : حيث أن المسيح كذاب وحيث أن محمدا اعترف به والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، يجب أن نقاتل الكذاب الثاني كما قاتلنا الكذاب الأول .

تعصب اليهود

ليست الأسفار وحدها هى الكتب المقدسة عند اليهود ، و إنما عندهم كتاب آخر ، يعتبرونه فى منزلة لا تقل عن منزلة التوارة ، و هذا الكتاب هو (التلمود) و التلمود إسم مأخوذ من كلمة (لامود) العبرية ، و معناها (تعاليم) و بهذا التلمود هو الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية و هو الذى يفسرها و يبسطها.

و يرى اليهود ان نص التلمود مقدس ، و موحى به من عند الله تعالى ، و يذكرون ان الله قد خاطب موسى عليه السلام ،و يستدلون على هذا بما جاء فى سفر الخروج حيث جاء (و قال الرب لموسى ، اصعد به الى الجبل وكن هناك ، فأعطيك لوحى الحجارة و الشريعة و الوصية التى كتبتها لتعليمهم).

يقول (سيمون بن لاكيس) فى تفسير هذا النص (إن المراد من الألواح : الوصايا العشر ، و الشريعة هى القانون المكتوب المنسوب الى الأنبياء ، و الوصايا هى التلمود ، أو (المشناة) أى أصل التلمود قبل شرحه ، و يتشهد بلفظة (كتبتها)على قاسة نص التلمود ، و انه من كتابات موسى المقدسة ، و أما لفظة (لتعليمهم) فتفيد قداسة شروح التلمود (الجمارا)لأن الشروح تاتى أثناء التعليم، و سواء صح هذا التفسير أم لم يصح فإنه يدل على إيمان اليهود بقداسة التلمود ، وهم يرون أنه ظل ينتقل شفاهة منذ عهد موسى عليه السلام جيلا بعد جيل حتى عرف بالقانون الشخصى المتداول مع العهد القديم (القانون المكتوب).

و يدعى اليهود أن التعاليم الشفوية انتقلت من موسى عليه السلام الى (جوشو) و هذا نقله الى الشيوخ السبعين ، وهم نقلوه بدورهم الى الرسائل الذين نقلوه الى كبير اليهود ، و اخذ ينتقل بين عدد من الرابين مشافهة حتى تمت كتابتها ، و فى خلال القرن الثانى الميلادى لوحظ ان معرفة اليهود بدأت تتناقص ، كما أن التلمود (القانون الشفهى) أخذ يندثر و يدخل فى عالم النسيان ، و ايضا فإن الشعب اليهودى نفسه اخذ يتشتت فى الأرض ، فى هذا القرن ظهر الرابى (جيهوذا) الملقب بالقديس و الأمير ، و لاحظ هذا الوضع فسعى الى معالجته للحفاظ على (القانون الشفهى) بمبادرته الى جميع اللوئح المشار اليها فى كتاب سماه (مشناه) أى (القانون الثانى) أو القانون المساعد ، و قد احتوى هذا الكتاب على ستة اجزاء رئيسية.

و على هذا يكون التلمود : هو الشفهى، و المنشاه هى الكتاب التلمودى المودن و قد اعتمد اليهود المشناه على اساس انه المرجع الرسمى الموثوق به، والتعبير الصادق عن قانونهم و لذلك تم توزيعه مكتوبا على الاكاديميات اليهودية فى كل مكان في اقليلات يهودية.

و اهتماما بكتا ب المشناه اخذ رجال القانون اليهودى فى شرحه وإقامة المناظرات حوله و الاجتهاد فى استخراج احكام جديدة منه، و حتى لا يضيع هذا الجهد كان يكتب و يدون مع المشناه و سمى المكتوب بـ (الجمارة) .

و كونت المشناة و الجمارة كتابا واحدا هو التلمود على اعتبار ان المشناة هى القنون الثانى المكوتب ، و الجمارة هى تحليل لأراء اليهود و و شروحهم المتصلة بالمشناه .

وان لم تتناول كل المشناه لكنها اعتربت جزءا من التلمود لانها صدرت من مدارس يهودية لا من فرد واحد و قد اشتهرت مدرستا(بابل و القدس) مع الجمارة حتى ظهر التلمود بنسختين هما (تلمود بابل) ؛ (تلمود القدس) ، (أرورشليم). كما ضم شروحا اخرى و تعليقات كذلك لرابى أشعيا و اشيرا و ألبيسك توسيفوث .

بين تلمود القدس و تلمود بابل.

(أدى اهتمام مدرسة القدس و مدرسة بابل المنشاة الى وضع شرحين لها و بالتالى ظهر تلمود القدس و تلمود بابل ويعرف تلمود القدس بتلمود القدس او اورشليم و قد تم جمعة سنة 400م بعد تعرض اليهود للإتهاض و التشهير و لا تعنى تسمية التلمود انه من وضع علماء القدس بل ان الواقع يؤكد ان علماء(قيصرية) هم الذين قامو بتدوينه بشكل رئيسى و كان الحاخام (يوحنان) على رأس القائمين بأمر تدوين هذا التلمود وقد اسهم عدد قليل من علماء القدس مع علماء قيصرية لذلك كانت نسبة (التلمود) الى القدس نسبة مجازية .

و قد طبع تلمود القدس لاول مرة فى البندقية سنة 1523م و توالت بعد ذلك الطبعات المتعددة بلغات كثيرة و لغة التلمود العبرية ، و تشغل القصص و الحكايات الخرافية ما يقرب من ربع التلمود .

اما تلمود بابل فقد تم تدوينه خلال مدة طويلة بدأت سنة 400م حيث قام الرابى (آشى) بتدوين تلمود بابل و استمر التدوين الى القرن الثامن الميلادى حيث أتم الأحبار هذا التلمود ووضعه له الصورة النهائية.

و قد تعرض تلمود بابل للحرق و التحريف من اعداء اليهود و بخاصة فى العصور الوسطى يوم ان كان المسيحيون يشعلون النيران احيانا فى العربات المحملة بالتلمود المطبوع و المخطوط .

و قد طبع تلمود بابل عدة مرات و ترجم الى اللغات العالمية الرئيسية و فىهذا التلمود من القصص و الحكايات ما يشغل ثلثه هذا و يفترق تلمود بابل عن تلمود القدس فى الكم و الكيف فتلمود القدس يبلغ ثلث تلمود بابل و ينقصه العمق المنطقى و الشمول الجامع اللذين يمتاز بهما تلمود بابل ، و تلمود القدس دون بالعبرية و تلمود بابل لغته آرامية شرقية.

التلمود فى نظر اليهود

تزعم اليهود انه كتاب منزل من عند الله مثل التوراة ، و منهم من يفضله عليها ، و قد ورد فى صحيفة من التلمود (ان من درس التوارة فعل فضيلة لا يستحق عليها مكافأة ، و من درس التلمود استحق حسن الجزاء و من احتقر اقوال التوراة فلا جناح عليه ، و من احتقر التلمود استحق الموت ، و جاء فى التلمود أن الله قد أعطى الشريعة و هى التوارة على طور سيناء ، و اعطى على يد موسى الكليم التلمود شفهيا ، حى إذا حصل فيما بعد تسلط أمة اخرى على اليهود يوجد بينهم و بين الوثنيين).

و قال احد الحاخامت (التفت يا بنى الى أقوال الحاخامت أمثر من التفاتك الى شريعة موسى).

و قال الرابى مناحم (إن الله يستشير الحاخامات على الارض عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها فى السماء) و فى كتاب اليهودى (كرافت) المطبوع سنة 1590م ما يأتى:

(أعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء ، فهى كالشريعة و هى مثل قول الله الحى ، فمن يجادل حاخامه فكأنه يجادل العزة الإلهية).

و قد أمر مؤلفوا التلمود بمايأتى(إن الحاخامات الذين ألفو التلمود يأمرون بالطاعة العمياء لهم، فيخطى من يجادل و هم لا يخطون ابدا ، و ان تناقضت اقوالهم، و قد قيل:

إن حمار الحاخام لا يأكل شيئا محرما ، و الحاخام معصوم من كل خطأ ، فيجب على اليهود تصديقه ، و العمل بأوامره مهما كانت.

اليهود يصفون التلمود أنه فوق التوراة والحاخام فوق الله ، و الله يقرأ و هو واقف على قدميه و ما يقول الحاخام يفعله الله ، ان تعاليم اللاهوتيين فى التلمود لهى أطيب من كلام الله (الشريعة) و الخطايا المقترفة ضد التلمود لهى اعظم من المقترفة ضد التوراة).

و يقولون أيضا (نعترف جهارا بسمو التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسية).

الله عز و جل فى التلمود.

جاء فى التلمود (أن النهار اثنتا عشر ساعة ، فى الثلاث الأولى يجلس الله و يطالع الشريعة ، و فى الثلاثة الثانية .. يحكم ، و فى الثلاثة الثالثة يطعم العالم ، و فى الثلاث الأخيرة يجلس و يلعب مع الحوت ملك الأسماك).

هذا هو رأى التلمود و عقيدة اليهود فى الله خالق الوجود ! ثم انطروة الى عقلية اليهود أو خبثهم و مكرهم.

يقولون (الله أخطاء – فى رأى التلمود – و خطيئة الله هى تركه لليهود تعساء، لذلك يبكى و يلطم كل يوم ، فتسقط من عينيه دمعتان فى البحر ، فيسمع دويهما من بدء العالم الى نهايته ، و تضطرب المياه و ترجف الارض فتحصل الزلازل).

و يقول التلمود) إن الله اذا حلف يمينا غير قانونية احتاج الى من يحله من يمينه) و لقد سمع احد الحكماء فى بنى سرائيل الله يصرخ بالشقائى!! من ينقذنى من قسمى هذا!؟؟.

كما قال (و كما ان الله حنث فى يمينه فقد كذب أيضا بقصد الإصلاح بين إبراهيم و زوجته سارة).

و بناء على ذلك يكون الكذب حسنا و سائغا لاجل الإصالح ، و من هنا تدرك سر نفاق و كذب اليهود.

و يقول التلمود (ان الله ليس معصوما من الطيش ، لان الله عندنا يغضب يستولى على الطيش كما حصل ذلك من يوم غضب على بنى اسرائيل فى الصحراء ، و حلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، لكنه ندم على ذلك عند ذهاب الطيش منه و لم ينفذ ذلك اليمين لأنه عرف أنه فعل ضد العدالة)!!.

و يقول ايضا (إن القمر يقول لله : لقد أخطأت حيث خلقتنى اصغر من الشمس ، فأذعن الله لذلك و اعترف بخطئه)!!.

و يقول كذلك) إن الله ندم لما انزله باليهود و بالهيكل ، و انه ظل يصرخ ، و يقول)! لويل لى ، لأنى تركت بيتى ينهب ، و هيكلى يحرق، و أولادى يشتتون)!!.

الأنبياء فى التلمود.

يقول التلمود عن بعض الأنبياء كلاما أشنع مما فى التوراة ، و منه على سبيل المثال :

بعض الشياطين نسل آدم ، لانه بعدما لعنه الله أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد نسلا تعيسا فحضرت له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما ، فولدتا شياطين ، و كانت حواء أيضا لا تلد إلا شياطين فى هذه المدة بيسبب نكاحهما من ذكور الشياطين)!!.

فهذا لنبى الله (آدم) بالزنا ، و هو اتهام حواء كذلك ، و أنه ملعون من الله، و من ذريته شياطين !

كان سليمان الحكيم يستخدم أمهات الشياطين المشهورات ، و هن أربع ، و يجامعهن بما عليهن من سلطان.

كان ابراهيم الخليل يتعاطى السحر ، و يعلمه ، و كان يعلق فى رقبته حجرا ثمينا يشفى بواسطته جميع الأمراض ، و اذا مس هذا الحجر طيرا أو سمكا ميتا تعود إليه الحياة.

و يقول التلمود فى خلق آدم : (أخذ الله ترابا من جميع بقاع الأرض و كونه كتلة و خلقها جسما ذات و جهين ثم شطره نصفين ، فصار أحدهما آدم ، و صار الآخر حواء ، و كان طويلا جدا رجلاه فى الأرض و رأسه فى السماء ، و اذ نام كانت رأسه فى المشرق و رجلاه فى المغرب ، و لما عصى آدم ربه نقص طوله حتى صار كبقية الناس).

إبراهيم أكل أربعة و سبعين رجلا و شرب دماءهم دفعة واحدة ، و لذلك كانت له قوة أربعة و سبعين رجل.

وفي دراسة قيمة للأستاذ الدكتور محمد أحمد نابلسي

أستاذ الطب النفسي – الجامعة اللبنانية

ورئيس مركز الدراسات النفسية و النفسية الجسدية - لبنان

يفكك في تحليلة الشخصية بين اليهودية والاسرائيلية ويقول ، أن الحديث عن شخصية إسرائيلية يصطدم بجملة مخالفات للمنطق العلمي. ذلك أن المجتمع الإسرائيلي هو خليط من مجموعة متنوعة من الثقافات. وهو مجتمع مهاجرين بمعنى انه ممكن التقسيم بحسب تاريخ الهجرة إليه . حيث نبدآ من طائفة السابرا وهم المولودين في فلسطين وننتهي بطائفة اليهود الروس وبعضهم لم يمض عام واحد بعد على قدومهم إلى إسرائيل . ومع أننا لا نريد الخوض في مسألة صراع الهوية الإسرائيلية إلا أننا مضطرون للإشارة إلى انعدام وجود هوية جامعة لهذا المجتمع . أو اقله عدم توصل الإسرائيليين للاتفاق على هوية موحدة لمجتمعهم. وهذا ما يدعونا إلى تسمية إسرائيل ب:اتحاد الحارات اليهودية. فقد ترك اليهود حاراتهم في بلدهم و جاءوا كي يعيدوا إقامتها في إسرائيل. حيث نجد ان لكل حارة لغتها الخاصة والحارة القوية تصدر صحفها بهذه اللغة وليس بالعبرية ونجد أن لها أيضا أحزابها ومؤسساتها الاجتماعية الخاصة. ولو أخذنا المهاجرين الروس مثالا لوجدنا أن ثلثيهم مشكوك بيهوديتهم. و لوجدنا أن صراعهم مع المتشددين قد بلغ حدود استعمال قنابل المولوتوف. ولوجدنا في المقابل أن لديهم حزبان ممثلان في الكنيست وان حجم هذا التمثيل في تزايد مستمر منذ بداية هجرتهم وحتى اليوم. فإذا ما نظرنا إلى خصائصهم الجمعية لوجدنا انهم يشكلون نماذج صادقة للشخصية الروسية.

أما عن اليهود العرب فان النكتة الإسرائيلية تقول بأن أجنبيا سأل اشكينازيا : ما هو سر كراهيتكم العميقة للعرب؟. أجاب الاشكينازي: لأنهم يشبهون اليهود العرب!.

فإذا مانحينا جانباً البعد الأيديولوجي الرافض مبدئياً لفكرة التسليم بوجود قومية إسرائيلية (تدعمه في ذلك الأسباب المبينة أعلاه) فان محاولة التورط في دراسة شخصية إسرائيلية تأتي مخالفة لكل قواعد البحث العلمي، حيث تقوم الدراسة على

البحث في الخصائص العامة المشتركة لدى الجماعة ومن ثم يتم البحث في العناصر الثقافية التي استعارتها هذه الجماعة . وهذا غير ممكن التطبيق في الحالة الإسرائيلية حيث العنصر الثقافي الوحيد الجامع هو اليهودية. بل إن هذا العنصر نفسه هو موضوع جدل مستمر. فالشكوك تطاول يهودية 90 ٪ من يهود العالم. حتى أن علمانيي إسرائيل يحاولون علمنة الديانة كي تتسع لعضوية أعضاء جدد يدعمون المشروع الصهيوني العلماني.

لهذه الأسباب مجتمعة نجد من المستحيل رصد ما يمكن تسميته بالشخصية الإسرائيلية مما يجبرنا على العودة إلى دراسة الشخصية اليهودية حيث سمات هذه الشخصية قد تكّون القاسم المشترك الوحيد بين يهود إسرائيل. وحتى في حال ورود مصطلح الشخصية الإسرائيلية فأننا ننصح القارئ وبناء على ما تقدم بترجمة المصطلح إلى يهودية بدلاً من إسرائيلية.

الدراسات السابقة.

افتتح فرويد هذه الدراسات في كتابه(1) المعنون " الطوطم والمحرم " الذي استند فيه إلى الأنثروبولوجي فريزر. إلا أن تطرقه لتحليل الشخصية اليهودية تأخر لغاية (1914) عندما نشر مقالته " موسى و مايكل انجلو " التي نشرها دون توقيع. ثم نشر بعدها الجزئين الأول والثاني من كتابه " موسى والتوحيد " عام 1937 أما القسم الثالث والأخير فنشره عام 1939. حيث قدّم في هذا الكتاب تحليلات عميقة للشخصية اليهودية(2). وإن كان بعضهم يرد دافع تأليفه لهذا الكتاب إلى محاولته التوحد بشخصية موسى.

اللافت في هذا الكتاب هو إصرار فرويد على انتزاع موسى من اليهود في الوقت الذي يتعرضون فيه لملاحقة النازي؟ وهم قد أعطوا جملة إجابات لا يمكن اعتبار إحداها مقنعاً!. فإذا ما نظرنا إلى هذا الانتزاع على ضوء المعارف السيكاترية الراهنة لوجدنا أن هذا النكران هو مظهر تفككي (Dissociativ). فإذا ما راعينا رغبة التوحد لدى فرويد أمكننا الاستنتاج بأن فرويد كان يعاني في هذه الفترة من هذا التفكك . وهذا تحديداً ما يجعله أقدر على تبيان عيوب الشخصية اليهودية

المرفوضة من قبله. وهو رفض يمكن رده إلى الجرح النرجسي الذي آصابه لاضطراره ، بسبب يهوديته ، للهرب من فيينا إلى لندن.

ونؤجل عرض آراء فرويد في الشخصية اليهودية لنذكر أن بعض اتباعه من المحللين حذا حذوه لجهة توظيف التحليل في الدراسات الأنثروبولوجية. ومن هؤلاء نذكر يونغ الذي عني بدراسة الآساطير ونشر كتاب " الإله اليهودي " وابراهام وريخلن وروهايم. ونسجل لهذا الأخير ملاحظة قيمة إذ يقول(3):"... ينبغي أن يكون للطابع القومي كينونة ثابتة عبر الأجيال. ترتكز على تكرار نفس الموقف الطفولي".

وإذا كنا في مجال استعراض الكتابات السابقة حول الموضوع فلا بد لنا من التوقف عند محطتين هامتين. الأولى مقالة للمرحوم مصطفى زيور بعنوان: " أضواء على المجتمع الإسرائيلي دراسة في التحليل النفسي ". (منشورة في الأهرام بتاريخ 1968/8/8) كما نتوقف عند مجموعة دراسات البروفسور قدري حفني. التي بدأها برسالة جامعية بعنوان "الشخصية الإسرائيلية الاشكينازيم". ولنا عودة إلى هذه الدراسات.

فرويد يحلل الشخصية اليهودية

توخيا للاختصار سنحاول إيجاز التحليل الفرويدي للشخصية اليهودية بنقاط محددة نختصرها كما يلي:

أ) إن الرواية اليهودية لقصة موسى لا تنسجم ومنطق الأمور. فالأصح هو أن يكون الفرعون قد حلم أن ابن ابنته سيكون خطراً عليه لذلك أمر بإلقائه في النيل فوجده اليهود وتعهدوا تربيته. وليس العكس كما تقول الرواية اليهودية. بذلك يكون فرويد من أوائل المشككين بالروايات التوراتية. وهو يدعم آراءه ببحوث مؤرخين جدد (لاحظ أن هذا المصطلح ليس جديداً كما يدعي المؤرخون الإسرائيليون الجدد) من أمثال ج.ه.بريستد ومايرِ وغيرهم.

ب) الرواية السابقة تؤكد مصرية موسى ولا عبرانيته. ويقول فرويد بأن ذلك يجب ألا يكون مدعاة للاستغراب فنابليون مثلاً لم يكن فرنسياً!. إلا أن نفي فرويد ليهودية موسى يعني نفي أسطورة الشعب المختار ليهوديته.

ج) يتهم فرويد اليهود بقتل موسى المصري لأن العبرانيين لم يستطيعوا الارتقاء إلى مستوى الروحانية التي يتضمنها دين موسى. وهو يدعم هذا الرأي بالاستشهاد بكتابات المؤرخ اليهودي أ.سيلن.

د) إن فرويد لا يشكك فقط بالتراث اليهودي بل هو يشكك أيضاً بالتوراة نفسها إذ يقول: "... إن النص التوراتي الذي بين أيدينا يحتوي على معلومات تاريخية مفيدة بل لا تقدر بثمن. لكن هذه المعطيات تم تحريفها بفعل مؤثرات مغرضة قوية. كما تم تجميلها شعرياً ". وبهذا يؤسس فرويد لمعارضة قراءة التاريخ انطلاقاً من المرويات التوراتية. وهو يدعم رأيه هذا بتباعد الفترات الزمنية لتدوين أجزاء التوراة الذي لم يكتمل إلا بعد ظهور موسى بتسعة قرون!.

زيور يحلل الشخصية اليهودية.

ركز زيور في تحليله لهذه الشخصية على انقلابها من الاستكانة والذل والاختناق في الغيتوات (حارات اليهود) وبين تحولها إلى الشراسة والإرهاب عبر عصابات شتيرن وارغون والهاغاناه وغيرها. ومن ثم عبر اتحاد هذه العصابات لتأليف جيش الدفاع الإسرائيلي . وهكذا تمحور بحثه حول إيجاد التعليل

لهذا التحول. لذلك رأى زيور في تجربة الأسر النازي صدمة نفسية شجعت آلية توحد اليهودي بالجلاد النازي. وأورد دراسات تناولت الناجين من الأسر تبين معاناتهم من مظاهر مرضية مثل: النقص في الحس الاجتماعي والأخلاقي الذي يعبر عنه بنوع من الحذر التوجسي (الشك) وثيق الصلة بتوجس مرضى البارانويا. وكان هؤلاء الناجون ، إذا ما أتيحت لهم حرية التعبير عن عدوانيتهم، يصلون إلى درجة الاندفاعات العدوانية المتوحشة. ويؤكد مينكوفيسكي هذه الوقائع لكنه يتبعها بالقول: "... قد يكون الامر انخفاضا في المستوى الأخلاقي. لكن يجب الحذر في استخدام الألفاظ.. وعلى أية حال فان المستقبل لا يبدو بالضرورة ميئوساً منه فقد استطاع الكثير من أطفال بوخنفالد أن يستعيدوا بعض الاتزان وخاصة في إسرائيل.".

ويعترض زيور على هذا التفسير الاعتباطي لمينكوفيسكي فيرى أن هذا الاتزان الظاهر أن هو إلا تنظيم جديد للتوحد بالمعتدي (أي مجرد تغيير في اتجاه العدوانية). فقد استنسخ اليهود سلوك النازي في مذابح دير ياسين وغيرها. ويعطي زيور مثال مناحيم بيغن الذي اكتملت فيه معالم شخصية السفاح ليكون أبرز أمثلة التوحد بالمعتدي النازي أما موشيه دايان فهو خير متقمص للعسكرية النازية. ولا يقصر زيور آلية التوحد بالمعتدي على خريجي المعتقلات النازية. بل هو يرى أن هذه الآلية قد انتشرت كالوباء بين اليهود عبر التعاطف مع الضحايا اليهود.

وينهي زيور تحليله بالتقرير بأن ما يجمع بين التجمعات اليهودية الإسرائيلية بالرغم من اختلافها في كل شيء إنما يتلخص بهذا التوحد بالمعتدي الذي أتاح لليهود التحول من المذلة إلى الطغيان ومن الخنوع إلى السفاحية. لذلك يستنتج المحلل الحاجة الإسرائيلية النفسية لممارسة العدوان. فشخصية المتوحد بالمعتدي تفقد تماسكها إن

هي توقفت عن العدوان. لأنه يطمئنها مانعاً تفجر موجات القلق والرعب فيها. وكأن لسان حالها يقول ما دمت أنا المعتدي فلا خوف علي من الارتداد إلى ما كنت عليه: يهودياً تائهاً رعديداً يفتك به الناس في كل مكان.

إحباط. كون الإحباط يصيب هذه الشخصية بالتهاوي والتفكك مهدداً بزوال الهوية الزائفة. لذلك فان القادة الإسرائيليين مجبرين على تأمين أفضل مستويات الروح المعنوية ليهودهم.

حفني يدرس شخصية الاشكينازي.

تناول حفني موضوعه من منطلق سيكولوجي معتمداً على الدراسات النفسية المنشورة حول التجمع الإسرائيلي

الاشكينازي. ومعتمداً المحاور البحثية التالية:

1. الاضطرابات الطفلية.
2. القدرات العقلية.
3. الاضطرابات السلوكية.
4. العدوانية
5. الانطوائية والتمركز حول الذات
6. التشاؤم والتشكك
7. انعدام الانفعال.

هذا وتكاد البحوث تتفق على عدم وجود فوارق ذات دلالة لدى أفراد هذا التجمع في معظم هذه المحاور. اذ يتركز الاختلاف حول المحاور السلبية وحدها وهي: العدوان والانطواء والشك والتمركز حول الذات والتشاؤم والتشكك والانفعال. وهذه الصفات السلبية يمكنها أن تفسر اضطراب الشخصية الاشكينازية وفشلها في الانفتاح حتى على بقية اليهود الإسرائيليين. إن الجهد الذي بذله البروفسور حفني في هذه الدراسة ساهم في إثارة الإشكالية وأذكى شجاعة مواجهة حقيقة الجماعات التي تعادينا. وهو أسّس بذلك لقائمة من الدراسات الهامة في المجال.

لو راجعنا توضيحات فرويد و إشاراته الصريحة للبارانويا اليهودية منذ ادعاء كون اليهود الشعب المختار للإله لوجدنا أن اليهود لم يكونوا بحاجة إلى النازي كي يتحولوا إلى البارانويا (جنون العظمة). وعليه فان الأسر النازي لم يفعل سوى إيقاظ البارانويا اليهودية الكامنة والمكبوتة في ذل الشتات اليهودي والمقنعة بمظاهر الخنوع.

ومع أننا لا ننكر آلية التوحد بالمعتدي التي ركز عليها أستاذ الأساتذة العرب مصطفى زيور إلا أننا نريد التذكير بأن تكرار المذابح اليهودية عبر التاريخ لم يكن من قبيل الصدفة. وهذا يردنا إلى مقولة روهايم: ينبغي أن يكون للطابع القومي كينونة ثابتة عبر الأجيال ترتكز على تكرار نفس الموقف الطفلي. حيث يمكننا اعتبار تكرار المذابح اليهودية مرتبطاً بهذا الموقف الطفلي. وهو الموقف المعتاد لمريض البارانويا حيث يجيد البدء من موقف الخنوع ثم يعمد إلى تعزيز موقعه تدريجياً حتى يصل إلى الموقع الذي يتلاءم مع تصوره المرضي. واجتياز هذه المراحل لا يمكنه أن يتم بدون تسخير كل أساليب الخداع الممكنة. لكن اليهودي يصر على الاستمرار في هذا الموقع المغتصب وهو يملك إيمان مرضى البارانويا بأن هذا الموقع هو حق من حقوقه فلا يتراجع عنه. لأن البارانويا تمنعه من مراجعة أساليبه الخاطئة بصورة موضوعية. ومن هنا إصراره على الموقع وعدم ملكيته لمرونة التراجع عند الحاجة فينتهي الأمر بذبحه.

وسنعرض بالتفصيل للنمط السلوكي اليهودي، المفسر لتكرار المذابح اليهودية عبر التاريخ ، في الفصول اللاحقة.

غاية القول أن التوحد بالنازي ليس سوى حلقة من حلقات البارانويا اليهودية. وبذلك يشهد التاريخ اليهودي. وعليه فإني أسمح لنفسي بمعارضة زيور في نقطة ثانية من تحليله فهو يقول ما نصه: " ... لست أزعم أن الإسرائيليين هم طغمة من مرضى النفس إن مثل هذا القول تنبو عنه الأمانة العلمية ، ويعتبر انزلاقاً وراء التحقيق الوهمي للرغبات... ".

من جهتنا فأننا نتبنى هذا الزعم لأنه حقيقة نربأ بها عن أن تكون تحقيقاً وهمياً للرغبات. ولهذه الحقيقة أسانيدها التي لا تقبل الضد. لذلك آثرنا عرض بعضها قبل آن نعرض لتحليلنا الشخصي للذات اليهودية. ومن هذه الأسانيد نذكر التالية:

أ) تشير دراسة الباحث اليهودي (هالفي) التي يذكرها زيور إلى ارتفاع نسب الإصابة بالشيزوفرانيا (الفصام) بين اليهود وسكان الكيبوتزات منهم بشكل خاص. وان كنا لا نؤمن بأن لمكان السكن علاقة بهذا المرض.

ب) تشير دراسة الباحث " كينيون "إلى آن اليهود هم الأكثر عرضة الإصابة بهجاس المرض (الهايبوكوندريا الذي يستند إلى اضطراب شخصية من نوع البارانويا).

ج) ان المراجعة التاريخية للمذابح اليهودية تبين أن الجمهور المتأذي من اليهود هو الذي يشجع على المذبحة. بل انه غالباً ما ينفذها بيده على غرار ما سمي ب" ليلة الكريستال". الدرجة الأولى لتصنيفهم في خانة البارانويا.

د) إن قدرة اليهودي على خيانة البلد الذي يحتضنه ويعطيه جنسيته ومواطنيته لصالح إسرائيل لهي دليل على فقدان اليهودي للحس الاجتماعي والأخلاقي.

ه) إن رغبة اليهودي في الخلاص من الحماية الخانقة للغيتو هو الذي دفع، ويدفع، بعشرات الملايين من اليهود للذوبان في المجتمعات الأخرى. فبدون هذه الرغبة بالخلاص لكان عدد اليهود المعاصرين عشرات أضعاف عددهم الراهن.

و) إن احتقار الأغيار (الشعوب غير اليهودية) هو من التعاليم التلمودية الأساسية غير القابلة للنكران أو التمويه

ز) إن المبدأ الأساسي للعلاج السلوكي المعرفي يركز على الأزمات التي يتعرض لها الشخص تكراراً لاعتباره آن لهذا التكرار سبب ما كامن في الشخص نفسه وليس في الآخرين. فهل نطبق هذا المبدآ على الشخصية اليهودية؟

ونكتفي بهذا القدر من الأسانيد لننتقل إلى عرض تحليلنا لنمط التربية اليهودية من وجهة تحليلية.

نمط التربية اليهودية وتحليله

يعيش الطفل اليهودي أجواء أسرية مليئة بالأساطير والبطولات والتراث المتعالي على الآخر. لكنه وعندما يخرج من الأجواء السامية يجد نفسه محتقراً على عكس إيحاءات التفوق التي آمده بها الغيتو. وهذا التناقض يولد نوعاً من التمرد النرجسي الذي يدفع بالطفل ، لاحقاً البالغ، اليهودي إلى خوض المنافسات العنيفة إثباتا لذاته وانتصارا لإيحاءات تربيته. في هذه المنافسات (الصراعات) ينظر اليهودي إلى اليهود الآخرين بوصفهم شركاء في المعاناة. وتمكن ملاحظة هذه القدرة التنافسية لدى أطفال اليهود من خلال المنافسة الدراسية. التي تتحول إلى ميدان للصراع و لإثبات الذات لدى الأطفال اليهود. وذلك بحيث تحولت المدارس اليهودية الاليانس مثلاً والجامعات مثلا هارفرد إلى رمز للتفوق الدراسي.

ولو نحن قرأنا هذه المنافسة على ضوء التحليل النفسي لتبين لنا أن الطفل اليهودي الذليل في المجتمع يحاول الدفاع عن " هوية الأنا " لديه. وهو لا يجد، ولا يقبل وفق تربيته، دفاعاً محايداً عن هذه الهوية. لذلك فهو ينخرط في هجوم عدواني مقنع (مستتر) على المجتمع الذي يحتقره. واستناداً إلى التراث اليهودي (الذي ربي الطفل على أساسه) فان أقصر السبل وأهونها هو جمع قدر أكبر من المال. إذ أن للمال سلطة موازية تمكن صاحبه من اختراق سلطة المجتمع. أما بالنسبة للطفل فان العلامات الدراسية هي بديل المال وهي المساعدة له للحصول على الاعتراف وبالتالي للتمرد على الاحتقار. وسواء تعلق الأمر بالمال أو ببدائله الرمزية فان اليهود يسلكون سلوك جمع المال بغض النظر عن أسلوب هذا الجمع وعن أخلاقية هذا الأسلوب. تدعمهم في ذلك أسطورة دينية تقول بأن كل أموال الأرض هي ملك لليهود. فإذا ما خرج بعض اليهود على قاعدة تجميع الأموال فهم يفعلون ذلك لتحقيق سيطرة وسلطة بديلة عن سلطة المال. على هذا الأساس يمكننا الاستنتاج بأن محركات الطموح اليهودي هي محركات عصابية واضحة. وهذا ما تمكن ملاحظته عند فرويد ذاته.

الأساطير المحددة لشخصية اليهودي.

يمثل الإيمان اليهودي عنصر الارتباط الوحيد بين اليهود المعاصرين. وذلك بغض النظر عما إذا كان هذا الايمان يقتصر على التبرع لإسرائيل (بوصفها تجمع شعب الله المختار) ام كان يصل إلى حدود التمسك المتشدد بتعاليم التلمود. فإذا كان البعض لا يستسيغ مصطلح الإيمان بحجة وجود ملحدين يهود فلا بأس من استخدام مصطلح التراث اليهودي كبديل. حيث نجد غلاة المتشددين يعترفون بفضل اليهود العلمانيين والملحدين في دعم إسرائيل خلال أزمتها في حرب يوم الغفران. وأقله نجد قبولهم تهويد كل من ولد لأم يهودية مهما يكن ماضيه وممارساته السابقة. وإذا كنا نتناول الموضوع من وجهة تحليلية فان علينا ألا نهمل مسألة الموت وهو منبع القلق الأساسي للإنسانية. ولا شك بأن الاعتقاد بالانتماء إلى الشعب المختار من قبل الرب يعطي شعوراً بالأمان تجاه قلق الموت. وذلك بغض النظر عن مستوى وعي الشخص لمثل هذا الشعور.

وعليه فان التعاليم اليهودية هي المحدد الرئيسي للأطر العامة للشخصية اليهودية. خصوصاً وان اليهودية هي ديانة تحدد بدقة أطر الحياة اليومية لمعتنقها وتضع القواعد الصارمة للسلوك اليومي للمؤمن.

ولنبدأ بمقطع من سفر الخروج (التوراة) وفيه وعندما ترحل لن تكون فارغ اليدين(بل إن كل امرأة سوف تقترض من جارتها) (ومن تلك التي تقيم في بيتها جواهر من الفضة وجواهر من الذهب وأثوابا) (وسوف تضعها على أجساد أبنائك وبناتك)(ولسوف تسلب المصريين)(سفر الخروج22:403).

وهذا المقطع يعكس سمة من السمات الرئيسية للشخصية اليهودية حيث تبرز نزعة التخصيص بحيث يكون اليهودي مسؤولاً أمام الإله عن الأذى الذي يلحقه باليهود الآخرين. لكن بإمكانه أن يغش أو يسرق أو حتى يقتل غير اليهود دون أن يكون مسؤولا أمام الرب ودون أن يعتبر ذلك انتهاكا لتعاليم الدين. وتترجم إسرائيل ذلك عمليا بتأمينها اللجوء والحماية لليهود الفارين من وجه العدالة في الدول الأخرى بما فيها الولايات المتحدة نفسها.

لكن النزعة اليهودية التخصيصية تتبدى بوضوح اكبر في التلمود الذي كتبه احبار اليهود ليجعلوه دستور الحياة اليومية لليهود. ففي التلمود نجد النزعة المادية النفعية أكثر بروزاً ووضوحاً ومنه نقتطف مثلاً: يكرم الفقير لمهارته والغني لثروته... الذهب والفضة يمكنان القدم من الثبات ... الثروة والقوة يفرحان القلب... الموت افضل من التسول ... سبع صفات تلائم الأخيار ومنها الثروة ... حين يقوم الإنسان بالصلاة عليه أن يتوجه في صلاته لصاحب الثروة والممتلكات لأنهما لا يتأتيا من العمل و إنما من الفضيلة ... إن الخيرين يحبون أموالهم اكثر من أجسادهم ... في وقت الشدة يتعلم الإنسان قيمة الثروة...

واستنادا إلى التوراة يقول نوبسنر (أستاذ اللاهوت اليهودي في جامعة بارد الأميركية) بأن المملكة التي تهم اليهودي ليست قائمة في السماء ولكنها تلك التي نتواجد فيها الآن. والتي تتطلب حفظ الحياة وتقديسها وتقديس حياة البيت والعائلة. إنها الحياة القائمة في الحاضر. إنها إلهنا والآن في حياة الجماعة والمجتمع... لذلك فان اليهود لم يكونوا يوماً قديسين جائعين أو متقشفين لا يغتسلون ، انهم يقبلون على طيبات الحياة بحماس...

من جهته يعتبر ماكس فيبر أن موقف اليهود من فكرة العالم الآخر هو الذي حولهم للإقبال على عالم المال والأعمال وصرفهم عن ركوب موجات الزهد. مما حولهم إلى أقلية متخصصة في التجارة والربا والصيرفة (ثم لاحقاً في البورصات).

وهذا النمط الفكري الحياتي أعطى لليهود خصوصية تأسست عليها طبقة اجتماعية وظيفية منسجمة مع وعي اليهودي لخصوصيته الدينية. وهذا ما جعل اليهود المعاصرين اعصياء على الذوبان في المجتمعات التي عاشوا فيها. ويرى العديد من الباحثين أن التعاليم اليهودية التي تمنع امتلاك الأرض والعمل في الزراعة قد لعبت دورها في منع الانصهار اليهودي.

ونعود إلى نوبسنر الذي يقدم تفسيرا لسؤال محير يتعلق بالموقف اليهودي من مفهوم الدين إذ يقول:... أننا نعلم من التاريخ اليهودي بأنه عندما يتضارب الدين مع المصالح الاقتصادية فإن الغلبة تكون للمصالح وليس للدين.

وهذا يقودنا لاكتشاف الدور الوظيفي للغيتو إذ انه كان ضرورة للمحافظة على هذه الطبقة التي شكلها اليهود بتقديمهم المادي على الحسي وبعدم استعدادهم للمخاطرة بمصالحهم آيا كانت الأسباب والظروف. حتى يمكن التأكيد على استحالة استمرارية اللاوعي اليهودي الجمعي بدون الغيتو. فإليه يرجع الفضل في حماية اليهود من تأثير العناصر الثقافية الخاصة بمجتمعات شتاتهم. وهذا ما يفسر إصرار إسرائيل على الاعتزال وإصرار مجموعاتها على حاراتها الخاصة. كما انه يفسر خوف اليهودي العادي من السلام ومن الذوبان في المحيط.

سمات الإله، وسمات اليهود.

يقول الدكتور محمد المهدي إن لسمات الإله في تصور أي شعب أثر كبير علي سمات ذلك الشعب، فإذا كان هذا الإله في تصورهم بارا عطوفا رحيما... الخ، انعكست هذه الصفات في سلوك الشعب المؤمن به، وإذا كانت صفات الإله تتميز بالقوة والجبروت والقهر انعكست أيضا هذه الصافات في سلوك الشعب وأصبحت مثلا عليا يسعى إليها الناس، أما إذا كانت صفات الإله هي مزيج من هذا وذاك فإننا أمام احتمالين:

الأول: أن تكون هذه الصفات تكاملية بحيث تجمع بين الجمال والجلال، وبالتالي تنعكس هذه الصفات التكاملية علي المؤمنين بهذا الإله.

الثاني: أن تكون هذه الصفات متناقضة، فيظهر هذا التناقض واضحا في سلوك الناس.

وفي العقيدة اليهودية نجد أن سمات الإله جاءت من مصدرين:

المصدر الأول: هو "آتون" ذلك الإله الذي دعا إخناتون إلي توحيده وعبادته، وقد خرج موسي عليه السلام ومن معه من مصر وهم يحملون عقيدة الإله آتون، وتقابلوا علي حدود فلسطين مع مجموعة من القبائل يعتنقون ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين"يهوه"، وتعاون الفريقان لفتح أرض كنعان، وبذلك كانت هذه القبائل العربية هي

المصدر الثاني: لتصور الإله عند اليهود، ولنري كيف حدث ذلك من خلال كتابات فرويد عالم النفس الشهير، وهو يهودي متعمق في دراسة أحوال اليهود التاريخية والنفسية.

يقول فرويد:-

لقد توصل إدوارد مبير إلي استنتاج مؤداه أن اليهود عند رجوعهم من مصر اتحدوا بقبائل كانت لهم بها تقريبا صلات نسب في المنطقة الواقعة علي حدود فلسطين، وشبه جزيرة سيناء وشبه الجزيرة العربية، وإنهم هناك في منطقة خصبة

تسمي قادش، وتحت تأثير قبائل مديان العربية، اعتنقوا ديانة جديدة هي عبادة إله البراكين يهوه، وبع ذلك مباشرة كانوا مستعدين أن يفتحوا أرض كنعان (فرويد 1955).

ومن المؤكد أن يهوه كان إلها بركانيا وبرغم كل التغيرات التي طرأت علي نص التوراة نستطيع أن نعيد – تبعا لميير – بناء الشخصية الأصلية للإله: إنه مارد مهلك متعطش للدماء يسير بالليل ويتجنب ضوء النهار (فرويد 1955).

"وربما يكون الإله يهوه الذي قاد إليه موسي الميداني شعبا جديدا، ربما لم يكن كائنا عظيما بأي حال من الأحوال فلقد كان إلها فظا، ضيق العقل، محليا، عنيفا، متعطشا للدماء، وكان قد وعد أتباعه أن يعطيهم "أرضا تفيض لبنا وعسلا"، وشجعهم علي أن يخلصوا البلد من سكانه الحاليين بحد السيف" (فرويد 1955).

هذه كانت صورة الإله عند اليهود خاصة أولئك المقيمين في كنعان وعندما قاد موسي اليهود المصريين إلي الخروج ووصلوا إلي كنعان حدثت هناك ازدواجية لصورة الإله فكما يقول فرويد: "ولجزء واحد من الشعب أعطي موسي المصري تصورا آخر أكثر روحية للإله إله يحتوي كل العالم، إله هو كل الحب، هو كل القوة، يبغض كل الطقوس والسحر، ويضع حياة ملؤها الحق والعدل أسمي للإنسانية"(فرويد 1955).

ولكن يبدو أن هذه الازدواجية في تصور صفات الإله كانت تتأرجح في العصور المختلفة، ولكن صورة الإله يوه (الإله البركاني الغاضب الباطش الذي وعدهم الأرض وشجعهم علي التخلص من سكانها بحد السيف) كانت أكثر حضورا في وجدان الشعب اليهودي، وهذا لا يمنع تمثل بعض فئاتهم للإله المحب القوي الذي بشر به موسي.

وصور فرويد الصراع بين صورتي الإله فيقول: "إن الشعب – ربما بعد من قصير جدا – نبذ تعاليم موسي وحاز الإله يهوه شرفا لم يكن يستحقه، ابتداءا مكن قادش فما بعدها، عندما أضيف التحرير الذي قام به موسي لشعبه إلي حساب الإله الذي احتل مكانه صار أقوي منه وفي نهاية التطور التاريخي ارتفع أعلي من كيانه كيان

إله موسي المنسيوليس بوسع أحد أن يشك أن فكرة هذا الإله الآخر وحدها هي التي مكنت شعب إسرائيل من أن يتغلب علي مصاعبه وأن يعيش حتى وقتنا" (فرويد 1955).

وقد أدي هذا التصور المزدوج للإله، بالإضافة إلي الطبيعة الجغرافية والتاريخية لشقي الشعب اليهودي (اليهود المهاجرين من مصر مع موسي، واليهود المقيمين في فلسطين) إلي ثنائية في التكوين اليهودي يعبر عنها فرويد بقوله:-

"وبهذا أصل إلي نهاية، فقد كان غرضي الوحيد أن أطابق صورة موسي المصري داخل إطار التاريخ اليهودي، وربما أستطيع الآن أن أعبر عن خاتمتي بأقصر صيغة، إلي الثنائية المعروفة لذلك التاريخ - شعبان يندمجان مع بعضهما ليكونا أمة واحدة، مملكتان اثنتان تنقسم إليهما هذه الأمة، اسمان اثنان للمعبود في مصدر التوراة – نضيف اثنين جديدين: تأسيس ديانتين اثنتين جديتين، الأولي تنحيها الثانية ومع ذلك تعاود الظهور منتصرة، مؤسسين دينين اثنين، يسميان بنفس الاسم، اسم موسي وعلينا أن نفصل بين شخصيتهما، وكل هذه الثنائيات نتائج ضرورية للنتيجة الأولي: أن قسما من الشعب مر بما يمكن أن يسمي تسمية صحيحة: تجربة أدوية traumatic Exerience أعفي الآخر منها (فرويد 2975).

وربما يفسر هذا وجود الصقور والحمائم في المجتمع الإسرائيلي الحالي، ويفسر أيضا وجود قادة الحركة الصهيونية العالمية بتخطيطهم الشيطاني الضار بالإنسانية كلها، ووجود علماء ومفكرين يهود أثروا التاريخ البشري باكتشافات واجتهادا علمية كبيرة وبعضهم يرفض فكرة الصهيونية.

ولو عدنا للعصور الأولي نستطيع أن نقول بجزم أن يهوه لم يكن أبدا يشبه إله موسي، فقد كان آتون مسالما مثل رسوله الذي بشر به علي الأرض – ومثل نموذجه الأرضي بمعني أصح – الفرعون إخناتون"(فرويد 1955).

وعن تطور سمات الإله بفعل الأحداث وأثر ذلك علي سمات الشعب اليهودي يقول فرويد: "ولقد سبق أن ذكرت - وفي ذلك تؤيدني آراء آخرين – أن الحقيقة المركزية لتطور الديانة اليهودية كانت: أن يهوه فقد سماته الشخصية علي مر الزمن

وصار أكثر فأكثر مثل آتون إله موسي القديم، وبقيت الاختلافات، هذا حقيقي، وهي اختلافات تبدو هامة للوهلة الأولي، ومع ذلك فتفسيرها سهل، لقد بدأ آتون حكمه في مصر في فترة آمنة سعيدة، وحتى الإمبراطورية قد بدأت تهتز من أساسها استطاع أتباعه أن يتحولوا عن المسائل الدنيوية وأن يواصلوا امتداح ما خلقه والاستمتاع به، أما الشعب اليهودي فقد قيض له القدر سلسلة من الامتحانات القاسية والتجارب المؤلمة، ومن ثم صار إلهه إلها صلبا قاسيا متدثرا بالكآبة كما كان في الواقع، واستبقي صفة الإله العلمي الذي يحكم كل الأراضي، والشعوب"(فرويد 1955).

مما سبق نلمح صورة الصراع بين إلهين من أجل الوجود، ولكن في أغلب الأحيان يستطيع الإله البركاني الغاضب "يهوه" اغتصاب مكانة الإله الطيب آتون، صراعا يؤدي إلي تصالح وتكامل وإنما صراع يؤدي إلي إلغاء أحد الآلهة للآخر، أو علي الأقل يحاول ذلك.

ولم تقتصر هذه الازدواجية علي صورة الإله وإنما امتدت لتطال صورة موسي في الديانة اليهودية فعلي الرغم من كونه نبيا جاء يدعو للخير فإن التصورات اليهودية قد أضفت عليه تصورات مناقضة لذلك تماما، يقول فرويد:

"ولسنا نرفض بالمثل أن كثيرا من صفات اليهود التي أدمجت في تصورهم المبكر للإله، عندما جعلوه غيورا ومتجهما ولا يسهل إرضاؤه، قد استمدوها أصلا من ذكراهم لموسي، لأنه في الحقيقة لم يكن الإله غير المرئي الذي قادهم خارج مصر، بل كان الإنسان موسي.. وتضفي قصة التوراة نفسها سمات معينة علي موسي، وهي تصفه كإنسان غضوب حاد الطبع – مثلما في حماته يقتل ملاحظ العمال الفظ الذي أساء معاملة عامل يهودي أو مثلما في استيائه من مروق شعبه يحطم الألواح التي أعطاها له الله فوق جبل سيناء" (فرويد 1955).

موسى والتوحيد، الترجمة العربية بعنوان "اليهودية في ضوء التحليل النفسي" ترجمة عبد المنعم

انحراف السلوك

فــي الطقوس اليهوديــة

اشـتهر اليهـود منـذ القـدم بـذبح الـنفس البشـرية بطريقـة موحشـة تـدل علـى انحـراف سـلوكهم وتقـديما قـرابين ومـص دمائهـا و مزجهـا في فطـائر يأكلونهـا في مناسـبات معينـة كعيـد الفصـح عنـدهم أو مايسمّى بعيـد الفطـائر ، وفي مراسـم ختـان أطفالهم بزعمهم أن تعاليم دينهم تأمرهم بذلك تقرباً إلى الالة "يهوه" . وبينت كثير من الدراسات أن السحرة اليهود كانوا يستخدمون دم الإنسـان لأتمـام طقوسـهم وشـعوذتهم وقد أوضح المؤرخ اليهودي "برنراد لافرار" في كتابه "اللاّسامية" أن هذه العادة ترجع إلى السـحرة اليهـود في الماضـي . ومعلـوم أن لليهـود عيـدين تقـدم فيهمـا الفطـائر المزوجـة بالـدماء البشـرية : الأول : عيـد "البـوريم" ، والثـاني عيـد الفصـح. ويـتم استنـزاف دم الضحية إما بذبحها كما تذبح الشاة وتصفية دمها في دعاء وإما بوضعها في برميل تثبت في جوانبه إبر حادة تغرس في جثة الضحية بعد ذبحها ، وإمـا بقطـع شـرايين الضـحية في مواضع متعددة ؛ليتدفق منها الدم الذي يجمع في وعاء ويعطى للحاخام الذي يستعمله في إعـداد الفطـير المقـدس . وفي مناسـبات الـزواج يقـدّم الحاخـام للـزوجين بيضـة مسـلوقة مغموسـة في رمـاد مشـرّب بـدم إنسـان ، وفي مناسـبات الختـان يضـع الحاخـام أصبعه في كـأس مملوءة بـالخمر المـزوج بالـدم ، ثم يدخلـه في فـم الطفـل مـرتين وهـو يقـول : إن حياتك بدمك

يقول الدكتور محمد فوزي في كتابه (اليهـود والقـرابين البشـرية)، انهـم هـم اليهود ،الذين تقول شرائعهما "اللذين لا يؤمنون بتعاليم الـدين اليهـودي وشـريعة اليهـود ، يجب تقديمهم قرابين إلى إلهنا الأعظم" ،وتقول "عندنا مناسبتان دمويتان (ترضينا) ألهنا يهوه ،إحداهما عيد الفطائر المزوجة بدماء البشرية ،والأخرى مراسيم ختـان أطفالنـا" وملخص فكرة (الفطيرة المقدسة) ،هو الحصول على دم بشرى ،وخلطه بالـدقيق الـذي تعد منه فطائر عيد الفصح.

وقد سـرت هـذه العـادة المتوحشـة ألـي اليهـود عـن طريـق كتبهم المقدسة ،الـتي أثبتـت الدراسـات أن اتبـاعهم لمـا جـاء فيهـا مـن تعـاليم موضـوعة ،كـان سـببا رئيسـيا للنكبات التي منى بها اليهود في تاريخهم الدموي ،وقد كـان السـحرة اليهـود في قديم

الزمان ،يستخدمون دم الإنسان من اجل إتمام طقوسهم وشعوذتهم ،وقد ورد في التوراة نص صريح يشير ألي هذه الغادة المجرمة ،حيث ورد في سفر "اشعيا" "أما انتم أولاد المعصية ونسل الكذب ،المتوقدون للأصنام تحت كل شجرة خضراء ،القاتلون في الأودية وتحت شقوق المعاقل ".

وقد اعتاد اليهود - وفق تعاليمهم ووفق ما ضبط من جرائمهم - على قتل الأطفال ،واخذ دمائهم ومزجه بدماء العيد ،وقد اعترف المؤرخ اليهودي "برنراد لازار" في كتابه "اللاسامية" بان هذه العادة ،ترجع من قبل السحرة اليهود في الماضي.

ولو انك اطلعت على محاريبهم ومعابدهم ،لأصابك الفزع والتقزز مما ترى من أثار هذه الجرائم ،فان محاريبهم ملطخة بالدماء التي سفكت من عهد من عهد إبراهيم حتى مملكة إسرائيل ويهوذا كما أن "معابدهم في القدس مخيفة بشكل يفوق معابد الهنود السحرة ،وهي المراكز التي تقع بداخلها جرائم القرابين البشرية" ،وهذه الجرائم عائدة إلى التعاليم الإجرامية لتي اقرها حكماؤها ،وفي عصر ما استشرى خطر هذه الجرائم ،واستفحل آمرها حتى صارت تمثل ظاهرة أطلق عليها اسم "الذبائح واليهود عندهم عيدان مقدسان لا تتم فيهم الفرحة إلا بتقديم القرابين البشرية أي (بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية) وأول هذين العيدين ،عيد البوريم، ويتم الاحتفال به من مارس من كل عام ،والعيد الثاني هو عيد الفصح ،ويتم الاحتفال به في أبريل من كل عام.

"وذبائح عيد البوريم تنتقي عادة من الشباب البالغين ،يؤخذ دم الضحية ويجفف على شكل ذرات تمزج بعجين الفطائر ،ويحفظ ما يتبقى للعيد المقبل ،أما ذبائح عيد الفصح اليهودي ،فتكون عادة من الأولاد اللذين لا تزيد أعمارهم كثيرا عن عشر سنوات ،ويمزج دم الضحية بعجين الفطير قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه".

ويتم استنزاف دم الضحية ،إما بطريق (البرميل الابري) ،وهو برميل يتسع لحجم الضحية ،ثبتت على جميع جوانبه ابر حادة ،تغرس في جثة الضحية بعد ذبحها، لتسيل منها الدماء التي يفرح اليهود بتجمعها في وعاء يعد لجمعها ،أو بذبح الضحية كما تذبح الشاة ،وتصفية دمها في وعاء ،أو بقطع شرايين الضحية في مواضع متعددة ليتدفق منها الدم...أما هذا الدم فانه"يجمع في وعاء ،ويسلم إلى الحاخام الذي يقوم

بإعداد الفطير المقدس ممزوجا بدم البشر ،(إرضاء) لأله اليهود يهوه المتعطش لسفك الدماء".

وفي مناسبات الزواج "يصوم الزوجان من المساء عن كل شي ،حتى يقدم لهم الحاخام بيضة مسلوقة ومغموسة في رماد مشرب بدم إنسان" وفي مناسبات الختان "يغمس الحاخام إصبعه في كاس مملوءة بالخمر الممزوج بالدم ،ثم يدخله في فم الطفل مرتين وهو يقول للطفل :إن حياتك بدمك"...والتلمود يقول لليهود :"اقتل الصالح من غير الإسرائيليين" ويقول"يحل بقر الاممي كما تبقر بطون الأسماك ،حتى وفي يوم الصوم الكبير الواقع في أيام السبوت" ثم يقرر(الثواب) على ذلك الإجرام بان من "يقتل أجنبيا - أي غير يهودي - يكافأ بالخلود في الفردوس والإقامة في قصر الرابع..وفيما يلي بعض الأمثلة لبعض لما اكتشف في هذه الحوادث البشعة ،حوادث قتل الأطفال واستخدام دمائهم في أعياد اليهود ،وهذا سجل لبعض مما أمكن اكتشافه - وهو حسب بعض التقديرات يصلا إلى 400 جريمة تم إكتشافها- ،أو قل لما أمكن جمعه مما أمكن اكتشافه ،وما خفي الله أعلم به ، وتوجد عدة شروط يجب أن تتوافر في الضحية لإتمام عملية الذبح:

1- أن يكون القربان مسيحياً

2- أن يكون طفلا ولم يتجاوز سن البلوغ

3- أن ينحدر من أم وأب مسيحيين صالحين لم يثبت أنهما ارتكبا الزنا أو أدمنا الخمر

4- ألا يكون الولد - القربان- قد تناول الخمر أى أن دمه صاف.

5- تكون فرحة يهوه (وهو الله عند اليهود) عظيمة وكبيرة إذا كان الدم الممزوج بفطير العيد هو دم قسيس لأنه يصلح لكل الأعياد!

(الممثلة الفرنسية العجوز بارجيت بادروو تقيم الدنيا كل عيد أضحى وتتهم المسلمين بالوحشية لذبحهم الأضاحي (أقصد هنا الماشية) فلماذا لم تقيمها وتهاجم الذين يقومون بذبح الأضاحي البشرية...واعجبي!

في مصـــر

في عام 1881 شهدت مدينة بور سعيد إحدى جرائم اليهود البشعة حيث قدم رجل يهودي من القاهرة إلى مدينة بور سعيد ، فاستأجر مكان في غرب المدينة وأخذ يتردد على بقال يوناني بنفس المنطقة إلى أن جاءه يوما وبصحبته فتاه صغيرة في الثامنة من عمرها ، فشرب خمراً وأجبرها على شربه مما أثار انتباه الرجل اليوناني ، وفي اليوم التالي تم العثور على جثة الفتاة وقد مثل بها بطريقة وحشية ، وتم قطع حنجرتها ، وأثار ذلك الحادث الأهالي في مصر آنذاك.

في سوريا

في سنة 1810 في حلب فقدت سيدة نصرانية و بعد التحري عثر على جثتها مذبوحة ومستنزفة دمها ، وقد أتهم اليهودي رفول أنكوتا بذبحها وأخذ دمها لإستعماله في عيد الفصح.

في يوم 5 فبراير 1840 إختطف اليهود إحدى الرهبان المسيحيين الكاثوليك والذي كان يدعى (الأب فرانسوا أنطوان توما) وذلك بعد ذهابه لحارة اليهود في دمشق لتطعيم أحد الأطفال ضد الجدري ، وبعد عودته من زيارة الطفل المريض تم اختطافه بواسطة جماعة من اليهود ، وقتلوه واستنزفوا دمه لإستخدامه في عيد (البوريم) أي عيد الفصح اليهودي.

وأيضا في دمشق في تم إختطاف العديد من الصبية وتم قتلهم للحصول على دمائهم ، ولعل أشهرهم على الإطلاق الطفل هنري عبد النور والذي خطفه اليهود في يوم 7 من ابريل من عام 1890 و الذي كتب فيه أبوه فيه قصيدة رثاء شهيرة.

في لبنان

في سنة 1824 في بيروت ذبح اليهود المدعو فتح الله الصائغ وأخذوا دمه لاستعماله في عيد الفصح ، وتكرر ذلك في عام 1826 في أنطاكية ، 1829 في حماه.

وفي طرابلس الشام حدث عام 1834 أن ارتدت اليهودية (بنود) عن دينها ، بعد أن رأت بعينيها جرائم ليهود المروعة ، و ذبحهم للأطفال الأبرياء من اجل خلط دمهم

بفطير العيد ، ودخلت الرهبنة وماتت باسم الراهبة كاترينا ، وتركت مذكرات خطيرة عن جرائم اليهود وتعطشهم لسفك الدماء وسردت في مذكراتها الحوادث التي شهدتها بنفسها وهي التي وقعت في أنطاكية وحماه وطرابلس الشام وفيها ذبح اليهود طفلين مسيحيين ، وفتاه مسلمة واستنزفوا دمائهم.

في بريطانيا

- في سنة 1144م وجدت في ضاحية نورويش(Norwich)جثة طفل عمره 12 سنة مقتولا ومستنزفة الدماء من جراح عديدة وكان ذلك اليوم هو عيد الصفح اليهودي مما أثار شك الأهالي في أن قاتلي الطفل من اليهود وتم القبض على الجناة وكان جميعهم من اليهود! وهذه القضية تعتبر أول قضية مكشوفة من هذا النوع و لا تزال سجلاتها محفوظة بدار الأسقفية البريطانية وفي عام 1160م ووجدت جثة طفل آخر في Glowcester وكانت الجثة مستنزفة الدماء بواسطة جروح في المواضع المعتادة للصلب ،وفي عام 1235م سرق بعض اليهود طفلا آخر من نورويش وأخفوه بغرض ذبحه واستنزاف دمه ، وعثر عليه أثناء قيامهم بعملية الختان له تمهيداً لذبحه ، وفي عام 1244 عثر في لندن على جثة صبي في مقبرة القديس(بندكت) خالية من قطرة واحدة من الدم الذي استنزف بواسطة جروح خاصةّ!
- وفي سنة 1255 خطف اليهود طفلا آخر من لنكولن Lincoln وذلك في أيام عيد الفصح اليهودي ، وعذبوه وصلبوه واستنزفوا دمه ، وعثر والداه على جثته في بئر بالقرب من منزل يهودي يدعى جوبن Joppin ، وأثناء التحقيق اعترف هذا اليهودي على شركائه ، وجرت محاكمة 91 يهودي أعدم منهم 18. •
- وتوالت جرائم اليهود في بريطانيا حتى عام 1290 حيث ذبح اليهود في أكسفورد طفلاً مسيحيا واستنفذوا دمه ، وأدت هذه الجريمة إلى إصدار الملك إدوارد الأول أمره التاريخي بطرد اليهود من بريطانيا!
- وفي عام 1928 في شولتون في مانشستر Chorlton, Manchester عثر على طفل يدعى أودنيل مذبوحاً ومستنزفة دماؤه ، ولم يتم العثور على قطرة دم واحدة وقد تمت هذه الجريمة قبل يوم واحد من أعياد اليهود.

وفي 1 مارس عام 1932 تم العثور على جثة طفل مذبوحة ومستنزفة دمه ، وكان ذلك أيضا قبل عيد الفصح اليهودي بيوم واحد وتم إدانة يهودي في هذه الجريمة.

في فرنسا

في سنة 1171 م في Blois بفرنسا وجدت جثة صبي مسيحي أيام عيد الفصح اليهودي ملقاة في النهر ،وقد استنفذ دمه لأغراض دينية ،ثبتت الجريمة علي اليهود واعدم فيها عدد منهم ،ثم في سنة 1179 م وجدت في مدينة Pontois بفرنسا جثة صبي آخر استنفذ دمه لاخر قطرة ،أما في برايسن Braisene فقد بيع شاب مسيحي إلى اليهود في سنة 1192 من قبل الكونتس أوف دور ،وكان متهما بالسرقة ،فذبحه اليهود واستنفذوا دمه ،وقد حضر الملك فيليب أغسطس المحكمة بنفسه وأمر بحرق المذنبين من اليهود.

ثم في سنة 1247 م عثر في ضاحية فالرياسValrias علي جثة طفلة من الثانية من عمرها ،ولقد استنفذ دمها من جروح من عنقها و معصمها و قدمها ،واعترف اليهود بحاجتهم لدمها ،ولم يفصحوا عن طريقة استخدامه في طقوسهم الدينية ، وطبقا لما جاء في دائرة المعرف اليهودية بأن ثلاثة من اليهود تم إعدامهم بسبب هذه الحادثة

وفي سنة 1288 عثر في ترويسTroyes على جثة طفل مذبوح على الطريقة اليهودية ، حوكم اليهود وأعدم 13 منهم حرقا ، اعترفت بذلك دائرة المعارف اليهودية الجزء 12 صفحة 267.

في ألمانيا

صورة من جريدة دير شتومر الألمانية في أحد أعدادها لسنة 1939 ، وكان هذا الاعدد مخصص للقرابين البشرية في الديانة اليهودية وكان على الغلاف صورة عن جريمة إرتكبها اليهود في إيطاليا وذبحوا طفلا لاستنزاف دمه

عثر في 1235م في ضاحية فولديت Foldit على خمسة أطفال مذبوحين ، واعترف اليهود باستنزاف دمائهم لأغراض طبية في معالجة الأمراض ، وانتقم الشعب من اليهود و قتل عددا كبيرا منهم ، ثم في سنة 1261 في ضاحية باديو Badeu باعت سيدة عجوز طفلة عمرها 7 سنوات إلى اليهود الذين استنزفوا دمها والقوا بالجثة في

النهر، وأدينت العجوز بشهادة ابنتها ، وحكم بالإعدام على عدد من اليهود ولنتحر اثنان منهم.

وفي سنة 1286 م في أوبرفيزل Oberwesel عذب اليهود في عيدهم طفلا مسيحيا يدعى فنر Werner لمدة ثلاث أيام ، ثم علقوه من رجليه واستنزفوا دمه لآخر قطرة ، وعثر على الجثة في النهر ، واتخذت المدينة من يوم صلبه 19 ابريل ذكرى سنوية لتلك الجريمة البشعة.

وتكرر في 1510 م في ألمانيا أيضا في ضاحية براندنبرج Brandenburg أان اشترى اليهود طفلا وصلبوه واستنزفوا دمه ، واعترفوا أثناء المحاكمة ، وحكم على 41 منهم بالإعدام ، أما في ميتز Mytez فقد اختطف يهودي طفلا يبلغ من العمر 3 سنوات وقتله بعد استنزاف دمه ،وحكم على اليهودي بالإعدام حرقا. وتكررت حوادث الاختطاف و القتل في ألماني وكان كل المتهمين في هذه الحوادث من اليهود ، مما أدى إلى نشوء ثروة عارمة بين أفراد الشعب الألماني في عام 1882 وقتل الكثير من اليهود.

وفي عام 1928 قتل شاب يبلغ من العمر 20 عاماً في جلادبيك Gladbeck وكان يدعى هيلموت داوب Helmuth Daube ووجدت جثته مذبوحة من الحنجرة ومصفاة من لدماء وأتهم يهودي يدعى هوزمان Huszmann بهذه الجريمة .

وفي 17 مارس من عام 1927 إختفى صبي عمره خمس سنوات ووجدت جثته مذبوحة ومستنزفة الدماء ، وأعلنت السلطات أن عملية القتل كانت لدوافع دينية دون أن يتهم أحدا.

وفي 1932 في بادربون Paderborn وجدت جثة فتاة مذبوحة ومستنزفة الدماء وأتهم جزار يهودي وإبنه في هذه الجريمة ، وأعلن أنها كانت لأغراض دينية

في اسبانيا

في سنة 1250 عثر على جثة طفل في سارجوسا Sargossa مصلوب ومستنزف دمه، وتكرر ذلك في سنة 1468 م في بلدة سيوجوفيا Segovia حيث صلب اليهود طفلاً مسيحيا واستنزفوا دمه قبل عيد الفصح اليهودي ، وحكم بالإعدام على عدد منهم.

وفي سنة 1490 في توليدو Tolido اعترف أحد اليهود على زملائه والذين كانوا قد اشتركوا معه في ذبح أحد الأطفال وأخذ دمه ، وأعدم 8 من اليهود في هذه القضية ، والتي كانت السبب الرئيسي في قرارا طرد اليهود من أسبانيا في عام 1490م

في سويسرا

في سنة 1287 في برن Berne ذبح اليهود الطفل رودلف في منزل يهودي ثري بالمدينة ، واعترف اليهود بجريمتهم واعدم عدد كبير منهم ، وصنعت المدينة تمثالا على شكل يهودي يأكل طفلا صغيرا ونصب التمثال في الحي اليهودي ليذكرهم بجرائمهم الوحشية.

في النمسا

في عام 1462 م في بلدة إنزبروك Innsbruk بيع صبي مسيحي الى اليهود فذبحوه على صخرة داخل لغابة ، واستعملوا دمه في عيدهم ، وصدرت عدة قرارات بعد تلك الحادثة تلزم اليهود بوضع رباطا أصفر اللون على ذراعهم اليسرى لتميزهم عن بقية السويسريين اتقاء لشرهم!

في ايطاليا

في 1475 في Trent بإيطاليا اختفى طفل عمره ثلاث سنوات يدعى سيمون ، و حينما اتجهت الأنظار إلى اليهود ، أاحضروا الجثة من ترعة ليبعدوا الشبهة عنهم ، وبعد التحقيق ثبت أن الطفل لم يمت غرقا ، بل من استنزاف دمه بواسطة جروح في العنق و المعصم و القدم ، واعترف اليهود بالجريمة ، وبرروا ذلك بحاجتهم للدم من أجل إتمام طقوسهم الدينية ، وعجن خبز العيد بالدم البشري و النبيذ ، أعدم سبعة من اليهود في هذه القضية.

وفي سنة 1480 في Venice أعدم ثلاثة من اليهود في قضية ذبح طفل مسيحي واستنزاف دمه .

وفي سنة 1485 في ضاحية بادوا Padua ذبح اليهود طفلا يدعى Lorenzion واستنزفوا دمه.

وفي سنة 1603 عثر في فيرونا virona على جثة طفل مستنزف دمه من جروح فنية ، وحوكم بعض اليهود في هذه القضية

في المجر

في سنة 1494 وفي مدينة تيرانان Teranan صلب اليهود طفلا واستنزفوا دمه واعترفت عليهم سيدة عجوز ، وأثناء المحاكمة اعترفوا بأنهم ذبحوا أربعة أطفال آخرين، وجمعوا دمائهم لاستعمالها في أغراض طبية.

وفي إبريل من سنة 1882 في ضاحية تريزا ايسلار Treza Eslarاختطف اليهود فتاة مسيحية تدعى استرسوبيموس وكان عمرها 14 عاماً ، واعترفت طفلة يهودية بأنها شاهدت أمها تدعوا الفتاة المسيحية الى منزلها ، ومن هناك اقتادها عدد من اليهود الى الكنيس ، واعترف غلام يهودي بأنه شاهد عملية ذبح الفتاة وجمع دمائها في إناء كبير ، واعترف عدد من اليهود باشتراكهم في عملية قتل الفتاة من أجل عيد الفصح اليهودي ، واتهم 15 يهودي في هذه الجريمة وبدأت محاكمتهم في 19 يونيو وكانت من أشهر المحاكمات التاريخية واستمرت الى 3 أغسطس ،واستطاع المال اليهودي أن يطمس الجريمة ، وبرأت المحكمة اليهود القتلة بالرغم من أن كل أدلة الاتهام كانت تشير إلى اشتراكهم في الجريمة! وأدت هذه الجريمة إلى ظهور حالة من العداء ضد اليهود انتشرت في أوروبا كلها.

في روسيا

في سنة 1823م في فاليزوب Valisob بروسيا ، فقد في عيد الفصح اليهودي طفل في الثانية ونصف من عمره ، وبعد أسبوع ، عثر على جثته في مستنقع قرب المدينة، وعند فحص الجثة ، وجدت بها جروح عديدة من وخز مسامير حادة في جميع أنحاء الجسم ، ولم يعثر على قطرة دم واحدة ، لأن الجثة كانت قد غسلت قبل إعادة الثياب إليها ، واعترفت ثلاث سيدات من اليهود باقترافهن الجريمة ،وتم نفيهن إلى سيبريا.

وتوالت عمليات الاختطاف التي قام بها اليهود في روسيا ،ففي ديسمبر من عام 1852 تم اختطاف غلام في العاشرة وأتهم اليهود بقتله واستنزاف دمه ،ثم في يناير 1853 تم اختطاف طفل في الحادية عشر من عمره وإستنزفت دماؤه وأتهم يهوديان بتلك

الجريمة . وفي مدينة كييف Kiev عثر عام 1911 على جثة الغلام جوتشسكي 13 سنة ، بالقرب من مصنع يملكه يهودي وبها جروح عديدة ، ولا أثر للدم في الجثة أو من حولها ، وقد أعتقل عدد من اليهود في هذه القضية وكان من بينهم صاحب المصنع ، وطالت أيام المحاكمة والي إسمر سنتان ، ثم ماتت الطفلتان الشاهدتان الرئيسيتان في القضية ، نتيجة لتناولهما لحلوى مسمومة قدمها لهم أحد اليهود!

في تركيا

في جزيرة رودس اختفى طفل يوناني في عيد البوريم اليهودي سنة 1840 ، وكان قد شوهد وهو يدخل الحي اليهودي في الجزيرة ، وحينما هاج اليونان وطالبوا بالبحث عن الطفل اضطر الحاكم التركي يوسف باشا الى تطويق الحي اليهودي وحبس رؤساء اليهود ، وتعترف دائرة المعارف اليهودية طبعة 1905 الجزء العاشر صفحة 410 أن وساطة المليونير اليهودي مونتفيوري في تقديم الرشوة للباب العالي الكونت كاموند والذي كان مديرا لأعمال البنوك في الحكومة العثمانية ، وهكذا استطاعت قوة المال اليهودي أن تطمس الحق في هذه الجريمة كما فعلت في جرائم عديدة غيرها.

دور الفنتازيا في تأسيس دولة صهيونية

الفنتازيا أو التخيل ،هي تعويض يأخذ شكل الأحلام الليلية وأحلام اليقظة ، ينجزمن خلاله أفعال معينة في الخيال تؤدي دوراً مهماً في الحياة الإنسانية لا سيما عندما تكون الظروف المحبطة حاضرة في الخبرة اليومية . ويمكن للفنتازيا أن تخلق ما لا وجود له ، وما هو ممكن وما هو غير ممكن ، فهي بذلك تمثل درجة أشد وأبعد من عملية الخيال وأحلام اليقظة ، ودرجة أقل من الاتصال بالواقع.

لقد قامت دولة اسرائيل على الفنتازيا ، احلام وهلوسات هيرتزل وتخيلاته الى جاءت نتيجة اضطهاد الجماعات اليهودية من قبل شعوب العالم كلها ، لما لهذا العنصر الشيطاني من مساوئ فلم يسلم من اذاه بلد في العالم كان له تجمعا او تكتلا فيه ولقد اشرت في سياق هذا الكتاب الى البلدان والشعوب التي عانت من الوجود اليهودي فيها عبر التاريخ ، واضع القارىء الكريم هنا في خلفية هرتزل وكيف تحققت تخيلاته التي صاغها وهو في حالة من الذعر والاضطهاد وهي نتاج النفسية اليهودية المنفطرة على الأوهام والتخيلات والسلوكيات الجانحة.

ولد هرتزل عام 1860 فى مدينة بودابست بالمجر ، لأسرة من الطبقة المتوسطة إتخذت من العادات و التقاليد الإصلاحية اليهودية نمطاً لحياتها .. و إلتحق بإحدى المدارس اليهودية لكنه لم يكمل تعليمه بها ، ثم إلتحق بمدرسة ثانوية فنية ، ثم بالكلية الإنجيلية حتى عام 1878 ثم إنتقلت أسرته إلى فيينا فأكمل دراسته بجامعة فيينا حيث حصل فيها على درجة الدكتوراه فى القانون الرومانى عام 1884 .

و كان هرتزل شاباً عادياً و لم يبد عليه أى إهتمام باليهودية و اليهود فى ذلك الوقت و لكن مما لا شك فيه أن ثقافته العبرية كانت مؤثرة فيه تأثيراً باطنياً ، كما كان متأثراً جداً بفكرة المسيح المنتظر .. و كان مثله الأعلى فى التقدم العلمى هو) فردناند دليسبس) الذى حفر قناة السويس.

و فى عام 1885 ترك هرتزل وظيفته كمحام و إتجه إلى الصحافة و الأدب لعلمه أنه – كيهودى – لن يصل إلى المناصب العليا.

إنتقل هرتزل إلى فرنسا عام 1891 و عمل مراسلاً صحفياً لصحيفة Vienna Neue Frei Presseفى باريس بين عامى 1891 و 1895 .. و فى ذلك الوقت كان إضطهاد اليهود فى أوروبا على أشده خاصة بعد تفجر فضيحة قناة بنما التى ظهر إضطهاد اليهود فيها جلياً .. و فى عام 1894 حدثت قضية دريفوس ، و يقال أن هذه الحادثة هى التى جعلت هرتزل يركز إهتمامه على فكرة الصهيونية و حل مشكلة اليهود فى أوروبا.

فأصدر فى فبراير من عام 1896 كتاب (الدولة اليهودية) ، و أصر على أن يضع لقبه العلمى (دكتوراه فى القانون) بجوار إسمه ليؤكد تمكنه من تنفيذ الإفكار التى وضعها فى كتابه .. و يتضمن الكتاب دعوة لإقامة دولة يهودية فى أى مكان على أن تكون هذه الدولة فى أوغندا أو موزمبيق أو الأرجنتين أو قبرص أو ليبيا ، مؤكداً أن هذا هو الحل الوحيد لليهود ليتخلصوا من الإضطهاد الذى يلاقونه فى أوروبا و غيرها من مناطق العالم .. و طالب ألا يُنظر للكتاب على أنه خيالياً و وصف مشروعه بإقامة دولة لليهود بأنه مشروع عملى و قابل للتطبيق وفق خطوات محددة وصفها بدقة فى كتابه ، فهو مشروع محدد و قوته الدافعة هى مأساة اليهود الذين يعاملون كغرباء .. و يقع الكتاب فى 65 صفحة فى نسخته الأصلية و أسلوبه سهل و واضح و لا يتسم بأى عمق أو تفلسف.

و بعد نشر الكتاب دعى هرتزل إلى عقد أول مؤتمر صهيونى و تم عقده فى مدينة بازل بسويسرا فى أغسطس من عام 1897 بحضور 204 مندوباً يمثل جزء منهم 117 جمعية صهيونية مختلفة منهم 70 مندوباً من روسيا وحدها .. و إفتتح هرتزل المؤتمر بخطاب قصير أكد فيه أن الهدف من هذا المؤتمر هو وضع حجر الأساس للبيت الذى سيسكنه الشعب اليهودى.

و حسم المؤتمر موقع الدولة التى يعتزم الصهاينة إنشاؤها و تقرر أن تقام هذه الدولة فى فلسطين و ليس فى أى مكان آخر فى العالم ، و فى المؤتمر تم إنتخاب هرتزل رئيساً للحركة الصهيونية ، و تم تصميم العلم ، و إختيار النشيد الوطنى لليهود .. و قد كتب فى مذكراته عن هذا المؤتمر : لو أننى أردت أن ألخص أعمال المؤتمر فى كلمة ففى بازل أسست الدولة اليهودية ، و قد يثير هذا القول عاصفة من الضحك هنا

و هنـاك ، و لكـن العـالم سـوف يشـهد بعـد خمسـين عامـاً مـن الآن قيـام دولـة يهوديـة.
و هـكذا كان المؤتمر الصهيونى الأول نقطة تحـول مهمـة لليهـود فـى تـاريخهم حيـث تم تجميـع يهـود العـالم لأول مـرة تحـت سـقف واحـد و توحيـد جهـودهم بعـد أن كانـت الصهيونية تمثل حلماً لليهود لسنوات طويلة.

سعى هرتزل إلى الحصول تأييد من إحدى الدول الكبرى لمشروعه حتى يضمن إقامة الوطن القومى لليهود فى فلسـطين ، فقابـل القيصـر الألمـانى عـام 1898 و عـرض عليـه القضيـة اليهوديـة و وجهـة نظـره فيهـا و أظهـر لـه القيصـر التأييـد لكنـه لم يعطـه الوعد الذى كان يريده.

رسالة هرتزل إلى السلطان عبد الحميد

و لأن هـرتزل كـان علـى علـم بالـديون التـى كانـت علـى الدولـة العثمانيـة فقـد آرسـل إلى السـلطان عبـد الحميـد الثـانى يعـرض عليـه قرضـاً مـن اليهـود يبلـغ 20 مليـون جنيـه إسـترلينى ، مقابـل تشـجيع الهجـرة اليهوديـة إلى فلسـطين ، و مـنح اليهـود أرض يقيمون عليها حكماً ذاتياً .. و فيما يلى نص الرسالة :

ترغب جماعتنا في عرض قرض متدرج من عشـرين مليـون جنيـه إسـترلينى يقـوم علـى الضـريبة الـتي يـدفعها اليهـود المسـتعمرون في فلسـطين إلى جلالتـه ، تبلـغ هـذه الضريبة التي تضـمنها جماعتنـا مائـة ألـف جنيـة إسـترلينى فـى السـنة الأولى و تـزداد إلى مليون جنيه إسترلينى سنوياً

و يتعلق هذا النمو التدريجى في الضريبة بهجرة اليهود التدريجية إلى فلسطين .

أمـا سـير العمـل فيـتم وضـعه في اجتمـاعـات شخصـية تعقـد في القسـطنطينية.
مقابل ذلك يهب جلالته الامتيازات التالية :

الهجرة اليهودية إلى فلسطين، التى لا نريدهـا غير محـدودة فقـط ، بل تشـجعها الحكومة السلطانية بكل وسيلة ممكنة . و تعطى المهاجرين اليهود الإستقلال الـذاتى المضمون فى القـانون الـدولى ، فـى الدسـتور و الحكومـة و إدارة العـدل فـى الأرض الـتى تقرر لهم . دولة شبه مستقلة فى فلسطين.

و يجب أن يقرر في مفاوضات القسطنطينية ، الشكل المفصل الذى ستمارس به حماية السلطات في فلسطين اليهودية و كيف سيحفظ اليهود أنفسهم النظام و القانون بواسطة قوات الأمن الخاصة بهم.

قد يأخذ الاتفاق الشكل التالي :

يصدر جلالته دعوة كريمة إلى اليهود للعودة إلى أرض آبائهم . سيكون لهذه الدعوة قوة القانون و تبلغ الدول بها مسبقاً.

و قد رفض السلطان عبد الحميد – الذى كان يعلم جيداً الأهداف الخفية لهرتزل – عرضه ، و رد عليه رداً قوياً فقال : إننى لست مستعداً لأن أبيع شبراً واحداً من إمبراطوريتى ، إذ أن الإمبراطورية ليست ملكاً لى ، و إنما هى ملك للمسلمين جميعاً ، و قد حصلت أمتى على هذه الأرض بدماء أجدادنا ، فليحتفظ اليهود بملايينهم فى جيوبهم ، فإذا قسمت الإمبراطورية يستطيع اليهود أن يحصلون على فلسطين دون مقابل ، و إنها لن تقسم إلا على جثتى.

و لم ييأس هرتزل و توجه إلى بابا الفاتيكان يطلب منه تأييداً لليهود فى إقامة وطن قومى لهم فى فلسطين ، و لكن البابا رفضه طلبه و لم يعطه التأييد.

و فى النهاية إستطاع هرتزل أن يحصل من الحكومة البريطانية على موافقة رسمية تسمح لليهود بإستيطان أوغندا و ليس فلسطين و لكن اليهود رفضوا.

و كان رأى هرتزل أن يسكن اليهود أوغندا موقتاً لتفادى الإضطهاد فى أوروبا خاصة فى أوروبا الشرقية عندما كان إضطهاد اليهود على أشده ثم يمكنهم بعد ذلك أن يأخذوا فلسطين و إستطاع أن يفرض رأيه على اليهود و شكلت لجنة للذهاب إلى هناك لمعاينة الأرض التى ستكون وطنناً لليهود .. و كان ذلك عام 1903.

و فى عام 1904 توفى هرتزل بعد أن غير مسار التاريخ اليهودى بشكل لم يسبق له مثيل و لم يفعله أحد من قبل ، و نقل اليهود جثمانه إلى فلسطين عام 1949 تنفيذاً لوصيته.

و كانت من أقواله " إذا حصلنا يوماً على القدس و كنت لازلت حياً وقادراً على القيام بأى شئ فسوف أزيل كل ما ليس مقدساً لدى اليهود و سوف أحرق الآثار التى مرت عليها عبر القرون.

كلما كثر عدد المهاجرين اليهود كلما سيطرنا على مساحات أكبر من أراضى فلسطين.

ظهر لى المسيح على صورة رجل مسن فى مظهر العظمة و الوقار ، فطوقنى بذراعيه ، و حملنى بعيداً على أجنحة الريح .. و إلتقينا على إحدى تلك الغيوم القزحية بصورة موسى ، فإلتفت المسيح إلى موسى مخاطباً إياه : من أجل هذا الصبى كنت أصلى ، إلا أنه قال لى : إذهب و أعلن لليهود بأننى سوف آتى عما قريب لأجترح المعجزات الكبيرة ، و أسدى الأعمال العظيمة لشعبى و للعالم هذه رؤيا إدعى هرتزل أنه رآها فى منامه و هو صغير .

إن نجح اليهود فى خلق دولتهم سيرحلون إليها فى هجرة تدريجية و عليهم أن يدركوا أنهم سوف يغادرون إلى دولة بها وحوش مفترسة لا ينفع لمواجهتها حمل الرمح و الحربة أو الذهاب فرادى إلى هناك لمطارده الدب الذى فى الإنتظار ، بل على اليهود أن يذهبوا إلى هناك فى جماعات كبيرة قادرة على سوق هذه الحيوانات أمامها و أن يقذفوا بقنابل شديدة الإنفجار وسط جموعها من وقت لآخر لإرهابها.

فنتازيا قيام الدولة والجرم الاسرائيلي

تشخص جاكلين روز استاذة الأدب الأنجليزي بجامعة كوين ماي البريطانية ، وهي يهودية ، الحالة اليهودية القائمة في دولة اسمها اسرائيل قامت على ارض الغير ظلما وعدوانا نتيجة لتخيلات هيرزتل المضطهد اطلق العنان لتطبيقها تجاوزا على كل القيم والاعراف والمباديء والأخلاق الانسانية / قامت جاكلين روز بزيارة الي دولة اسرائيل وهي الزيارة الأولى لها وما ان عادت الي لندن افردت لها صحيفة الأوبزرفر البريطانية صفحة كاملة لتروي قصتها ومشاهداتها الحية وانطباعها وقناعاتها وهي عالمة ولها عدد من المؤلفات من بينها كتاب اسمه(دول الوهم)

تقول مارلين ليك أستاذة التاريخ في جامعة لا تروب، ان روز تريد من خلال هذا الكتاب أن تضع كلمة الوهم ضمن مفرادات اللغة السياسية. فهي تري أن الوهم يلعب دورا أساسيا في العالم الحديث للدول والأمم، وان العلاقات الدولية مثلها مثل العلاقات الشخصية تكون أكثر وضوحا بارجاعها الي مبرارتها النفسية وينطبق هذا الأمر علي إسرائيل التي تتخوف من اقامة دولة فلسطينية. فإسرائيل يتملكها احساس بالخطر فيسيطر هذا الوهم علي توجهاتها السياسية وتعاملها مع قضية الشعب الفلسطيني. وتري روز ان إسرائيل دولة ترغب في أن يعود اليها مواطنوها اليهود من الشتات والمنفي بنفس الحماس الذي تبعد به سكان الأرض الأوائل عن حلمهم في دولة لهم.

واليوم تعود روز لزيارة إسرائيل بعد عشرين عاما من زيارتها الأولي لها من أجل اعداد فيلم وثائقي عنها، فتستعيد ذكري هذه الزيارة في عام1980 كشابة يهودية، تصادف جلوسها في الطائرة علي المقعد المجاور لديما حبش، ابنة شقيق جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، التي كانت تبلغ16 عاما. وحين اكتشفت ديما حبش ان روز يهودية بادرتها بالقول بانها بالطبع تعتقد ان إسرائيل ملك لليهود.

فما كان من روز الا ان انبرت بسرعة بالرد بالنفي الذي ادهش الفتاة الفلسطينية، مؤكدة ان إسرائيل ملك الفلسطينيين. وتضيف روز انها ليست إسرائيلية وهي لم تتفهم أبدا لماذا لمجرد كونها يهودية يكون من حقها أن تسلب الفلسطينيين حقهم في أرضهم. كما أنها لم تستوعب أيضا ادعاء الشعب اليهودي التاريخي الذي يعطيه الحق في اغتصاب حقوق العرب الذين عاشوا علي هذه الأرض مئات السنين، حتي ولو كان هذا الادعاء يغلفه رعب الهولوكوست. لقد ذهبت روز لإسرائيل بشعور الغريبة عن المكان لتري شقيقتها التي كانت تعيش من البدو في الخيام في سيناء المحتلة وقد رفضت أم ديما حبش مقابلة روز وشقيقتها لأنهما يهوديتان. بينما اندفعت النساء العربيات لتحيتهما وكانت الابتسامة تعلو وجوهن وان كانت تشوها الأسنان المهشمة، شاهدة بذلك علي انعدام الرعاية الصحية للاجئين في المخيمات وفي الوقت

الذي امتلأت فيه الشوارع بمياه المجاري، تراءت أمامها فوق التلال البعيدة، المستعمرات الإسرائيلية النظيفة والجميلة.

ووجدت روز شقيقتها ديانا قد بدأت تعلم نفسها اللغة العربية بدلا من أن تتعلم العبرية كما كانت رغبة والدها وتخطيطه لها. وقضت معها أسبوعا وجدت البدو يخبزون لها العيش ويعاملونها معاملة طيبة.

وتضيف روز أن نظرتها لإسرائيل قد تحددت في هذه الأيام الأولي التي قضتها هناك. ففي تل أبيب التقت بمجموعة من الشباب الإسرائيلي من الجيل الثاني المتمرد الذين يرفضون الانضمام للجيش، ويعيشون حياتهم بين الرقص والشرب. وبعد مرور عشرين عاما تعود روز مرة أخري لزيارة إسرائيل، وتراودها الذكريات القديمة وهي تقرأ الأوراق التي قدمها لها مكتب الصحافة الإسرائيلي في القدس والتي تنتهي بجملة ان إسرائيل بالنسبة لمعظم الإسرائيليين هي ببساطة: الأرض. وهي الفكرة المسيطرة علي العقلية الإسرائيلية.

وحين وصلت إلي رام الله وجدت الدبابات الإسرائيلية تملأ الشوارع والأطفال الفلسطينيين يلقون عليها بالحجارة. وفي احد الشوارع التي دخلتها كانت المراكز الصحية مغلقة وأكوام القمامة تملأ الشوارع. وفي طريقها للقدس توقفت سيارتها مع عشرات من السيارات خلف سيارة اسعاف متوقفة وتحولت الرحلة من رام الله الي القدس التي كانت تستغرق20 دقيقة، الي سبع ساعات. وهنا تذكر روز أحداث مسرحية لجماعة رام الله المسرحية عرضت في لندن من نحو شهر والتي يتندر فيها بأن أسرع وسيلة للسفر من رام الله الي القدس هي عن طريق انجلترا. وتضيف روز لقد أصبحت الأوضاع مرعبة في ظل اعادة الاحتلال كما في حالة مدن الضفة الغربية مثل رام الله، فالعنف الذي يستخدمه الجيش الإسرائيلي مع الفلسطينيين لا يقارن بما كان عليه في عام1980. وهنا تضرب المثل بعملية قتل صلاح شحادة قائد الجناح العسكري لحماس والتي مات فيها تسعة أطفال وهم نائمون وهتف بعدها شارون بانها عملية ناجحة. كذلك العمليات الانتحارية من جانب الفلسطينيين ضد إسرائيل والتي اتخذت شكلا جديدا ومرعبا. وهي تورد هنا كلمات يوسي بيلين،

مهندس أوسلو كما يطلق عليه، وهو يسعي لانشاء حزب سلام جديد حين قال: ان كل جانب يتعامل مع الجانب الآخر بأقصي درجات الجنون.

وعلي الجانب الآخر فقد استمعت روز لأصوات تنادي بحق كل من العرب واليهود في وطن لهم. فقد التقت في مقهي بالقدس مع أحد القادة العسكريين السابقين في حرب لبنان، أوفير شيلاش، والذي شرح لها كيف قادته هذه الحرب لإعادة تقويم نفسه وتقويم بلاده. فهو يري إم هذه الحرب علي عكس حربي1967 و1973 لا يمكن توصيفها بإنها كانت حربا من أجل أهداف دفاعية خالصة. وتؤكد روز أن هذا الرجل الذي فقد احدي عينيه في هذه الحرب، يتحدث بحماس شديد يجعلك تشعر وكأن عينيه الاثنتين فيهما بريق الحياة. وهو مازال يعيش الصدمة حتي يومنا هذا حين يستعيد الي ذاكرته فشل آخر جولة في مباحثات السلام في طابا في يناير من عام2001، ويري ان هذا الفشل قد حقق لإسرائيل أحلامها، فهذه الدولة تنتعش حين تتدهور فيها الأوضاع. فمن الأمور المتناقضة في إسرائيل انها تحيا باعتقادها بأن الصراع من أجل البقاء لن ينتهي ابدا. ان الناس يشعرون بالراحة في ظل الخوف، كما يقول أوفير شيلاش.

وكانت أكثر مقابلات روز اثارة هي مع نومي شازان عضو حزب ميريتز في الكنيست منذ عام1992، والنائب المتحدث السابق، واحدي ناشطات السلام.

والتي تري انه لا يمكن ان تسحق ارادة شعب بأكمله كما لا يعرف ذلك أحد أفضل من اليهود أنفسهم وتضيف شازان اننا نقع في فخ بين روايتين يعتقد الجانبان فيها بانهما متضاربتان وهما: الصراع الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي من أجل الاستقلال، وصراع إسرائيل المستمر من أجل البقاء. ففي الواقع ليس فقط ان كليهما حقيقة. وانما بعيدا عن الصدام بينهما فهما يحتاجان بعضهما بعضا. فالحكم الذاتي الفلسطيني لا يتعارض مع بقاء اسرائيل وانما هو الطريق لبقائها.

وتضيف شازان ان البقاء في حد ذاته ليس قيمة.. وانما التسامح، والمساواة، والسلام قيمة، فالبقاء قيمته في انه وسيلة لتحقيق هدف آخر.وهنا تعلق روز علي أقوال شازان بأنها لاتعتقد بأنها تعي أهمية ما قالته كشخصية يهودية. فما تقوله شازان بإيمان يؤكد لدي روز احساسها بالتزام شازان بتاريخ الشعب اليهودي، ولا يقلل هذا

من شأنه أبدا. وتتفق روز مع شازان في اعتقادها بأن مستقبل إسرائيل وفلسطين معتمد عليهما معا.

الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية

وفي دراسة تحليلية لكتاب (الشخصية اليهودية الاسرائيلية والروح العدوانية) للدكتور رشاد الشامي قدمها الاستاذ عمر كيلاني يقول أن المجتمع الإسرائيلي بحكم ظروف تكوينه منذ بداية الصهيونية في العصر الحديث أفرز نمطاً يهودياً عدوانياً ألقى بظلاله على مجمل السلوك العام لكل من ينتمي لهذا المجتمع.

وقد استعرض في فصول الكتاب الخمسة، الأطر التي تكونت فيها هذه الشخصية: أطر الانعزالية الجيتوية، والانعزالية الصهيونية، والجيتوية الإسرائيلية، كما استعرض بعض السمات الأساسية للشخصية اليهودية الاسرائيلية وجذور ودوافع روحها العدوانية تجاه العرب، مؤكداً أن الجيتو والصهيونية هما وجهان لعملة واحدة هي الانعزال اليهودي عن شعوب العالم والحياة داخل إطار وبناء عقائدي وتاريخي وسيكولوجي واجتماعي واقتصادي منفرد عن سائر الشعوب.

وهكذا تم خلق «إسرائيل» لأكبر جيتو يهودي في التاريخ والمكونة من خمس مجموعات هي: اليهود الاشكناز، والسفارديم، والصباريم، واليهود الروس، ويهود الفلاشا، ولذلك لا يمكن التحدث عن شخصية يهودية إسرائيلية واحدة. ويرى الكاتب أن شخصية الصبار (أي اليهود الاشكناز الذين ولدوا في «إسرائيل») تقدم مثالاً فريداً عن الكيفية التي يمكن بها للأيديولوجيا أن توجه كل شيء في حياة الإنسان وأن تتدخل في عمل الطبيعة وخصائصها في نمو الكائن البشري. فإذا كان هدف الايديولوجيا هو التغيير فإن الايديولوجيا الصهيونية ثم الايديولوجيا الإسرائيلية قد نجحت إلى حد كبير في تغيير شخصية اليهودي من اليهودي الجيتوي الى اليهودي العدواني. ويشير المؤلف إلى نوعين من الحقائق المدمرة للخصائص النفسية للشخصية الصبارية خاصة والإسرائيلية عامة:

الأول: حقائق خارجية لعل أهمها وجود شعب غير يهودي في فلسطين.

الثاني: حقائق متعلقة بحياة الإسرائيلي ذاته حيث عليه أن يقتل ويحتقر العواطف ويعتمد على القوة والغزو ليجني الأمان ويعيش في جيتو كبير منقسم بين اشكنازي وسفاردي.

ويخلص الكاتب من توصيفه لخصائص الشخصية اليهودية الإسرائيلية إلى القول: أن الفكر الصهيوني المعاصر يحرص على الاحتفاظ بعنصر رئيس من عناصر التكوين السيكولوجي الإسرائيلي المعاصر وهو أنه لا مكان في ذلك التكوين ليهودي منتصر، بل هناك فقط مكان ليهودي يرد اعتداء، او يستعد لحماية نفسه من اعتداء، وإذا لم يكن هناك في الواقع ثمة اعتداء أو تهديد باعتداء، عندئذ يكون من المحتم الايهام بكل ذلك حتى تذوي سريعاً صورة انتصار اليهودي ولتحل محلها صورة مخافة اعتداء العرب.

ويحصر د. الشامي جذور ودوافع العدوانية لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية تجاه العرب في العوامل التالية:

1. استلهام الروح العدوانية في التراث الديني اليهودي. فالتطرف الديني والعنصري في النظرة الصهيونية الجديدة تجاه غير اليهودي يعكس دمجاً فكرياً بين القومية المعادية للأجانب وبين التطرف الديني الضيق.
2. استلهام تقاليد الروح العدوانية في الفكر والسلوك الصهيوني، فالصهيونية فكراً وسلوكاً موبوءة بالتعصب العنصري والديني، والعنف هو الأداة التي يتوسل بها الصهاينة لإعادة صياغة شخصية اليهودي وقد جعلت الصهيونية من اللحم والدم العربي معهداً لتخريج خبراء القتل المجاني.
3. الفزع من ذكريات الأحداث النازية.
4. تمجيد القوة الاسبارطية كمثل أعلى.
5. عسكرة المجتمع الإسرائيلي.
6. الرفض العربي للوجود الإسرائيلي. فالإسرائيلي الذي اصطبغ بالروح العدوانية النابعة من عدم إحساسه بالأمان والذي يصرخ دوماً من أنه مهدد بالإبادة على يد

جيرانه العرب، إنما تتحكم فيه تلك العقدة العدوانية (عقدة ديموتليس) وهي التي تجعله لا يستسلم بسهولة لسلم أبدي أو طويل المدى، ذلك لأن الحرب هي التي تخلق بينه وبين سائر أفراد جماعته روح التماسك والتلاحم وهي التي تذيب التناقضات الداخلية.

وإذا كانت الصهيونية في مراحلها الأولى قد سعت إلى تحويل الاستقطاب الصهيوني إلى كيان عضوي من منطقة الشرق العربي فإن الرفض العربي قد حال دون هذا، ووضع الكيان الصهيوني في مأزق لم تحسب الصهيونية حسابه، وهو تحويله إلى جزيرة معزولة داخل المنطقة محوطة بمشاعر العداء والكراهية من العرب، مما سحب من تحت أقدامها إمكانية الخروج من مأزق اليهودية التاريخي الذي يتجلى في رفض المجتمعات لليهود. لقد رفضهم المجتمع المسيحي في الغرب كأفراد ورفضهم العالم العربي كدولة، مما كشف في الوجدان الإسرائيلي الاحساس بمشاعر العداء ذات الجذور التاريخية من الانحياز تجاهه، وهو ما يسبب لهم تمزقاً نفسياً عميقاً.

7. الطابع الامبريالي لـ«إسرائيل». فاستمرار الوجود الإسرائيلي والروح العدوانية التوسعية لـ«إسرائيل» يعتمد كلياً على قيامها بدور إمبريالي بالنيابة عن الولايات المتحدة الاميركية. فهي تتلقى المساعدات العسكرية المالية والاقتصادية الأميركية مقابل الحرب التي تشنها إزاء أي بادرة عربية لا تتسق مع المخطط الصهيوني التوسعي التسلطي من ناحية ومع المصالح الإمبريالية في المنطقة العربية من ناحية أخرى.

8. الاحساس بحتمية الحروب للوجود الإسرائيلي. فالحروب هي بمنزلة أسطورة مغلقة تدخل في إطار البنية العامة للعقيدة الصهيونية شأنها في ذلك شأن سائر الأساطير المغلقة التي يتعامل معها الفكر الصهيوني الغيبي، مثل أسطورة أرض الميعاد والشعب المختار. وقد أصبحت الحروب بمنزلة تجسيد ومتنفس حتمي وضروري للروح العدوانية لدى الشخصية اليهودية الإسرائيلية مهما حاولت العقيدة الصهيونية أو الإمبريالية الإسرائيلية أن تلبسها من أردية الشرعية المختلفة.

وإذا كان الاحساس بحتمية الحرب هو سياج لم يعد يجد الإنسان الإسرائيلي منه مفراً، فإن الوجه الآخر للعملة، وهو السلام، أصبح يشكل هو الآخر كابوساً مخيفاً لا يستطيع تصور وجوده لأن ما قر في الوجدان الإسرائيلي هو أن الحرب هي الحياة وأن السلام هو الطريق الى الزوال. ومن هنا جاء ذلك الفزع الذي يعيشه الإسرائيلي مع فكرة السلام. فالحقيقة الثابتة التي تحكم المجتمع الإسرائيلي وستظل تحكمه هي أن الخوف من السلام سيظل مسيطراً على الإنسان الإسرائيلي. فالشخصية الإسرائيلية بالرغم من نزوعها أحياناً للسلام تظل بشكل مستمر في حاجة إلى الشخصية القوية التي تختزن في داخلها كل مقومات العدوانية والقسوة لأنها هي الدرع الوحيدة التي يثقون بقدرتها على الدفاع عن وجودهم، ومن هنا كان هذا التنازع الرهيب في الشخصية الإسرائيلية بين الرغبة في السلام والخوف منه. وفي هذا الاطار يبرز تقويمان يقودان إلى نتيجة واحدة بالنسبة لاتجاهات «إسرائيل» تجاه الاحساس بحتمية الحرب:

الأول: يرى أن قادة «إسرائيل» المعاصرين قد تعرضوا لتجربة الحكم النازي ومازال هذا الجيل يفكر من زاوية الفلسفة العنصرية. ومن ثم فهو يتسم بالتطرف. لكن الجيل الجديد ليس مصطبغاً بصبغة الماضي وسوف يكون أقل تطرفاً حين يتولى السلطة، ومن ثم فإن كل شيء سوف يتغير في اتجاه مطرد نحو السعي إلى السلام مع العرب.

الثاني: يرى أن الجيل الجديد هو جيل أشد تطرفاً من الجيل القديم الذي كان يتسم بالتسامح لأنهم اجتازوا تجربة العيش مع العرب والشعوب الأخرى، ولكنه يلقن تلقيناً مطرداً، ومن هنا فسوف يظهر نمط جديد من اليهود أشد تطرفاً ونزوعاً للعنصرية، ومن ثم فإن الموقف سيزداد سوءاً بمرور الوقت.

سمات ومحددات الشخصية الصهيونية والعوامل المؤثرة فيها

يقول الاستاذ الدكتور محمد المهدي علي الرغم من التكوين غير المتجانس للشعب الإسرائيلي إلا أن هناك سمات مشتركة تجمع هؤلاء الذين يعيشون داخل إطار

إسرائيل أو حتى اليهود والمقيمين في الخارج والمؤمنين والمتحمسين لفكرة إقامة دولة إسرائيل.

فعلي الرغم من أن الناس في إسرائيل مختلفون جدا كالفرق بين اليميني الذي قتل رابين والأسترالي الذي أحرق المسجد الأقصى، اختلاف نتنياهو وجينولا كوهين، لكن يهود العالم مثل فرقة موسيقية تعزف علي آلات مختلفة لحنا واحدا، فلما اجتمعوا في مكان واحد أمام مايسترو واحد، كانت لهم سيمفونية واحدة أرض الميعاد أو الميعاد

ويبدو أن لفظة يهودي قد أخذت في أذهان أمم العلم معني كريها منذ وقت مبكر، فقد جاء في التلمود في الحديث عن قصة استير وعيد البوريم أن كل كافر في تلك الأزمان كان يدعي يهوديا وهكذا نرى أن كلمة يهودي قد بدأت حياتها في النفسية الإسرائيلية مصطلحا عنصريا يجمع بين العصبية العرقية والغرور السياسي، فكان رد فعل من الأمم الأخرى أنها استعملته وصمة عار وسبة وسخرية في وجه العبريين وراح اليهودي في كثير من بقاع الأرض يتهرب من هذه الصفة ويفضل عليها اسم الإسرائيلي.

ومع ذلك فإن وجود هذه المصطلحات المتقاربة قد أوقع هؤلاء الناس في حيرة كبيرة، فالإسرائيلي اسم له صفة العنصرية واليهودي أصبح اسم ينم في النهاية عن العصبية الدينية، كما أن صفة العبري أصبحت تقترن بذكريات عن عشائر قديمة جدا مندثرة، ولكن النفسية الإسرائيلية انتهت إلي تقسيم الموضوع تقسيما تحكميا اصطلاحيا :فجعلت للجنسية مصطلح الإسرائيلي، وللدين مصطلح اليهودي، وللثقافة مصطلح العبري.

ومن سمات هذه الشخصية الشعور بالانفصال عن البشر والتميز عن الأمم الأخرى عن طريق الأنساب والأعراق، وعن طريق الأساطير الدينية والسياسية والتاريخية التي تراكمت مع الزمن وتحولت إلي معتقدات راسخة في رؤوس اليهود يتصرفون علي أساسها ويوحي منها.

ومن سمات هذه الشخصية :الصراع ..فاليهود لم يستطيعوا أن يتعايشوا مع غيرهم علي مدي التاريخ، فسرعان ما كان ينشب الصراع، ولم يحدث هذا مع البشر فقط وإنما بدأ الصراع أول ما بدأ مع الله حيث تصور التوراة قصة صراع يعقوب مع رجل الليل) الإله (حتى أتعبه، ووصف يعقوب لابنه يهوزا– جد اليهود –بأنه شبل أسد – وأن يده علي نواصي أعدائه، " وأعداؤه هم كل الأمم من غير اليهود"، وهو يقول له صراحة" من صراع نشأت يا بني) التكوين (9 :49 والصراع لديهم يصل إلي أقصي درجات الدموية، فقد ورد في كتابهم المقدس أن يوشع بن نون أراد– بعد موت موسي – أن يدخل بقومه إلي فلسطين فعسكر حول مدينة أريحا وأمر بالنفخ في الأبواق "فلما سمع الشعب صوت البوق هتف الشعب هتافا عظيما فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلي المدينة كل أمريء لمواجهته وأخذوا المدينة، وأبادوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف،) يشوع : 20 :6 .(21وقصة شمشون وصراعه مع أعدائه ومبالغته في التنكيل بهم التقي بأسد قوي فتي، وإذا به يصارعه بدون سلاح، حتى إذا تمكن منه فسخه نصفين، وألقي برمته علي الأرض)

وكارل ماركس الذي نشأ في بيئة يهودية متعصبة، بني فلسفته الماركسية علي فكمرة الصراع بين الطبقات وذاعت الفكرة بسبب بريقها الخادع وأدت إلي إبادة أعداد هائلة من البشر ثم فشلت النظرية وانهار الاتحاد السوفيتي ومعه الكتلة الشيوعية انهيارا مدويا.

وفي التراث الأدبي والتاريخي اشتهر اليهودي بأنه مراب وأنه بخيل) تاجر البندقية (وما زالت هذه الصورة قائمة حتى الآن، فاليهود في كل المجتمعات يعمدون إلي ناصية المال فيمتلكونها ثم يتحكمون في مصادر الاقتصاد والثروة ويقرضون المحتاجين بالفوائد ويسيطرون علي البنوك الربوية والبورصات وأسواق المال، وقد أكسبهم هذا الموقف كراهية وبغض المجتمعات التي عاشوا فيها ومارسوا إذلال أصحابها من هذه الناحية، ويتصل بذلك محاولتهم شراء الذمم بالمال والمتاجرة بالأعراض وفي كل شيء، والاحتيال لكسب المال لتحصيل مزيد من السيطرة علي السياسة والاقتصاد والإعلام.

ولم يكن اليهود يرحمون المسيحي إذا تعامل معهم أيضا ، وكان سلاحهم هو إقراضه المال بالربا الفاحش، حتى أن البابا أنوسنت الثالث(1216 -1198) م أصدر أمرا بأن يكون القرض الذي يأخذه المقاتل الصليبي من اليهود بدون فوائد ، واليهودي المخالف يعاقب بالحرمان المطلق من التعامل مع المسيحيين، واتخذ هذا الأمر البابوي صفة القانون في مجمع لاتران المقدس الرابع سنة1215 م وتفنن اليهود مع ذلك في التلاعب بأرزاق المسيحيين وأموالهم، وكان لابد من التفكير في طريقة يعرف بها اليهودي من غيره في المدن والأسواق، وظهرت في السنوات الأولي من القرن الثالث عشر أوامر رسمية تفرض علامات مميزة علي ملابس اليهود ، وكان أشهر هذه العلامات "العجلة "وهي حلقة يثبتها اليهودي علي صدره، وقد سهلت هذه العلامة تعرض اليهود للإهانة والعنف في الطريق، حتى استنجدوا بالبابا غريغوريوس التاسع-1227) (1241م الذي أمر بالتسامح معهم، وتجديد القوانين الرحيمة بهم التي صدرت في عهد البابا أونوريوس الثالث والبابا اسكندر الثالث(1990)

ومن السمات المميزة للشخصية اليهودية - العنصرية والتعصب والاستعلاء والعزلة والشعور بالاضطهاد

واليهود اشتهروا في التاريخ بأنهم قتلة الأنبياء؛ فعلي يديهم قتل النبي يحي عليه السلام وقتل عيسي عليه السلام وغيرهم كثير السلام. وهم قوم مشهورون بالجدال والمناورة، وقد ورد في القرآن الكريم تصوير لهذه الصفات في صورة البقرة حيث أمرهم الله أن يذبحوا بقرة فدخلوا في جدال طويل مع نبي الله موسي حول شكلها وصفاتها ولونها. ونقض العهود صفة أصيلة في اليهود علي مر تاريخهم، وتؤكده الأحداث اليومية حتى يومنا هذا والآيات القرآنية الدالة علي ذلك كثيرة يمكن الرجوع إليها بسهولة.

بسبب هذه السمات وغيرها ، صار اليهود مشكلة علي مر التاريخ، والنصوص الدينية في التوراة والإنجيل والقرآن تصور اضطراب علاقة اليهود بربهم وآبائهم والناس جميعا في مختلف العصور وتحت مختلف الظروف.

وقد رفعت إلي نابليون شكاوى كثيرة في حق اليهود وكان هذا سببا في انشغاله بالتفكير في المشكلة اليهودية. فقد تقدم بالشكاوى إليه وفد من المواطنين

والألزاس عند مروره بمدينة استرا اسبورج عائدا من حربه في اوسترليتز، يومي22 ، 23يناير1806 م، وكان علي رأسهم محافظ الإقليم" كليرمان "وجميع وجهاء المحافظة، وقد ورد في شكواهم من اليهود:

أنهم يغزون كل ميادين الوساطة التجارية والتجارة، ويخربون بيوت الفلاحين بالربا ونزع الأملاك ويخشى عما قريب أن يكونوا وحدهم المالكين الألزاس وعلي أثر ذلك كتب نابليون إلي وزيره للشئون الدينية بورتاليس أمرا بالدعوة إلي مؤتمر يهودي للبحث في هذه المشكلة وأمثالها، جاء فيه :

وأشير من جديد إلي أنه لا أحد يشكو من البروتستانت ولا من الكاثوليك كالشكاوى من اليهود، مما يبين أن الأذى الذي يرتكبه اليهود لا يأتي منهم كأفراد بل من وضع هذه الأمة نفسه فهم حشرات وجراد يدمرون فرنسا.

من صفات اليهود

1. معرفة الحق وكتمانه والتواصي فيما بينهم على ذلك، قال تعالى: " وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ(76) ". البقرة
2. البخل الشديد، ويشكو من ذلك كل من خالطهم مباشرة، بل وحتى من دخل معهم فيما يسمى (مفاوضات السلام!!) قال تعالى: " أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا(53) " النساء.
3. والنقير هو نقطة سوداء في أعلى نواة التمرة.
4. الإكثار من أكل أموال الناس بغير حق من ربا واحتيال وخداع بشتى صوره، واليهود هم سادة العالم في ذلك.. قال تعالى: " وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(62) " المائدة.

5. ومن ذلك أيضاً: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ(34) " التوبة.

6. ومنه: " وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا(161) "النساء.

7. جبنهم الشديد، فقد تحملوا الحياة أذلاء في أحياء فقيرة معزولة (الجيتو) " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ(96) " البقرة.

8. المهم عند اليهودي أن يحيى حياة، ولا يهمه أي حياة. وكثيرا ما نقل المجاهدون العرب كيف كان جنود اليهود يربطهم قادتهم بالجنازير داخل دباباتهم كي لا يهربون في حروبهم مع العرب!!

9. لذا: " قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ(24) " المائدة.

10. حتى أنهم اخترعوا المستوطنات والقرى العسكرية المحصنة والجدار الفاصل: " لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ(14) " الحشر.

11. خيانتهم للعهود، فهم أصحاب عبارة: " لا يوجد وعود مقدّسة" وكثيراً ما اشتكى الوفد الفلسطيني المفاوض معهم من إعادة مناقشة قضايا سبق الاتفاق عليها، ثم إعادة مناقشة ما نوقش ونوقش وهكذا.. قال تعالى: " أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ(100) " البقرة.

تحريفهم للكلام سواء كان مكتوباً أو مسموعاً أو مقروءاً، فنقالة سيارة الإسعاف أقسموا جهد أيمانهم انها صاروخ (القسام)!! وصواريخ حزب الله أقسموا أنها أغرقت سفينة مصرية مقابل طرابلس !!! وهكذا..

12. قال تعالى: " مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا(46) " النساء.

13. الإفساد في الأرض، ولهذا فهم في جميع استطلاعات الرأي أكثر الشعوب في العالم إثارة للمشاكل.. قال تعالى: " وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا(4) ". الإسراء

14. قتلهم خيرة الناس من علماء ودعاة.. قال الله تبارك وتعالى: " وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ(21) " آل عمران.

لكن الحق جل جلاله، الذي صدق في كل ما قال عنهم، نؤمن أنه سيصدق في وعده " يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ(32) " التوبة.

الوساوس اليهودية وكراهيتهم لبعض

نستدل على كره وحقد اليهود لبعضهم البعض من كثرة الأحزاب والحركات والمنظمات التي قاموا على تشكيلها مما يعكس الحالة النفسية المريضة والفوضى العارمة التي تعيشها النفس اليهودية وهذا التعدد لا يعكس الحالة الديمقراطية، كما تحاول "إسرائيل" تسويقه، بل هو نتيجة لتعدد الجماعات اليهودية دينياً وسياسياً واجتماعياً والأختلاف في المبادىء ووجهات النظر ، فيهود كل دولة من الممكن أن يشكلوا حزباً أو حركة، وحتى مجموعة قادمة من دولة ما نراها تشكل حزباً ،كما هو حال اليهود الروس أو الرومان أو" الفلاشا "أو القادمين من الدول العربية

و فيما يلي الأحزاب والحركات وبعض المنظمات داخل وخارج "إسرائيل" منذ عام 1948 إلى اليوم حزب الماباي :(حزب عمال أرض إسرائيل) : تأسس عام 1937 ، نتيجة لدمج حركتي (ها بوعل هاتساعير) وتعني (العامل الفتي) و(واحدوت هاعافودا) وتعني (اتحاد العمل) وهو أكبر حزب سياسي آنذاك وأدى دوراً أساسياً في الهجرة والاستيطان وتجنيد اليهود للخدمة العسكرية إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية. أسسه: (دافيد بن غوريون وهو يهودي بولوني) أبرز زعمائه: (شمعون بيريز - موشيه شاريت- اليعازر ليفنه - أبا إيبان - بنحاس لافون) وهذا الحزب كان لا يقبل إلا الشباب حسب نظرية بن غوريون.

شارك في أول كنيست عام 1949 وحصل على 40 مقعداً من أصل 120 مقعداً واستمر حتى عام 1965 ثم توحد مع حزب العمل عام 1973 وكانت تتزعمه غولدا مائير ، وكان من أهم سياساته فصل الدين عن الدولة وتوسيع المستوطنات وخاصة الزراعية ودعم سياسة الهجرة.

*** حزب المابام (حزب إسرائيل الموحد):**

وأسس عام 1947 من المنظمات الإرهابية "الناحل - شاحال - جدناع" وقسم كبير من عناصر البلماح، اعتنق في البداية النظرية الماركسية على أساس صهيوني، وقد تأثر غالبية أعضائه بالفكر الشيوعي، لذا قاموا بتأسيس "الكيبوتس" في فلسطين، وكان على عداء مع التيار الديني اليهودي ، أسسه مايريا أري ، قائد الناحل ومعه نائبه يعقوب حزان قائد الشاحال ، ثم ترأسه فيما بعد مائيريا عاري قائد الجدناع، انضم إلى حزب العمل عام 1965 الذي كانت تتزعمه غولدا مائير (التي أسست نجمة داود الحمراء - سلاح النساء) شارك في أول كنيست وحصل على 19 مقعداً.

- **حزب حيروت (الحرية)** : أسسه عام 1948 الإرهابي مناحيم بيغن وهو من عناصر منظمة أرغون - وتسفي لؤمي الإرهابيتين ،وفيما بعد انضم إليهما بعض عناصر البلماح ، شارك في أول كنيست وحصل على 14 مقعداً.

كان مناحيم زعيماً ومؤسس عصابات البلماح ونائبه شامير الذي انفصل عنه وأسس عصابات الأرغون، انقسم عام 1965 إلى قسمين "الجاحال" بقيادة بيغن و"الأحرار" بقيادة موشيه كول من زعماء عصابة "تسفي لؤمي" .من أعمال هذا الحزب اغتيال الكونت برنا دوت وفق اعتراف ابن بيغن في مذكرات أبيه مناحيم بيغن .للحزب قيادة أركان حرب خاصة به للقيام بأعمال إرهابية ضد السكان العرب.

*** حزب الصهيونيين العموميين:**

أسسه حاييم وايزمن أول رئيس للكيان الصهيوني ورئيس المؤتمر الرابع الصهيوني عام 1922 ورئيس قسم الإعلام في حركة "بيتار" الإرهابية التي تدعو إلى "إسرائيل الكاملة" وبالقوة والعنف، شارك في الكنيست الأولى وحصل على سبعة مقاعد ويقال إنه حزب الرأسماليين لأنه كان يضم غالبية أصحاب المصانع والمعامل والشركات الكبرى والأغنياء..

من أشهر زعمائه (ناحوم غولدمان - بروتسكي - روكاخ- جابو تنسكي سوكولوف - سافير سيرلين). كان عناصر هذا الحزب يتولون وزرات التجارة والمال والصناعة دائماً.

*** حزب أغودات هاعافودا (اتحاد العمال) :**

أسسه يغال ألون عام 1950 من عناصر "البلماح" التي انسحبت من حزب ماباي ونائبه غيلي وبعد ألون تزعمه اللواء موشي كارمل الذي يعد من مؤسسي "الجدناع" علماً أن هذا الحزب أسس أول مرة في مدينة - فرانكفورت - الألمانية عام 1922 من مجموعة حاخامات اعتبروا التوراة أساس الشريعة، وعقد الحزب العديد من المؤتمرات في ألمانيا بعد ذلك تحولوا إلى العمل في نطاق الهجرة مع الوكالة اليهودية حصل في الكنيست الأولى على تسعة مقاعد.

*** الحزب الديني القومي (الوطني) :**

في عام 1957 اتفق كلٌ من حزب "هامزرحي" وحزب "هابوعيل" وبعض الهيئات الدينية على الاندماج وتكوين حزب واحد هو (الحزب الديني القومي) بزعامة موشي

شابيرا الذي أسس(منظمة هاشومير) يرفض التيار العلماني وتحول فيما بعد إلى حزب المفدال فاز في أول كنيست بـ 11 مقعداً.

*** الحزب الصهيوني التقدمي :**

أسس عام 1948 ،برئاسة موشيه كول الذي أصبح فيما بعد وزير حرب ،وعمل سابقاً الموجه السياسي والنفسي لعصابات "الأرغون"، ومعروف بصداقته مع الإرهابي شامير ،شارك في الكنيست الثانية وفاز بمقعدين ،ومن زعمائه البارزين بنحاس روزن الذي تولى حقيبة العدل في حكومة بن غوريون.

*** حزب اغودات يسرائيل (راية إسرائيل) :**

حزب ديني ،أسسه مجموعة من المتدينين عام 1950 ،بزعامة يتسحاق ليفين الذي شغل منصب وزير في أول حكومة إسرائيلية وله فروع في الأوساط اليهودية في كل أنحاء العالم وخاصة في بريطانيا وأميركا والأرجنتين.

*** الحزب الشيوعي الإسرائيلي :**

أسسه صموئيل ميكونس عام 1949 ،كسائر الأحزاب الشيوعية في العالم وطرح حلول عديدة للصراع العربي - الصهيوني ضمن الرؤية الصهيونية وإمكانية العيش المشترك ،وكان يعقد مؤتمراته في الاتحاد السوفييتي السابق، شارك في الكنيست الأولى والثانية فقط ،بعد ذلك دب فيه الضعف نتيجة العداء الصهيوني لمواقف الروس أحياناً لذا ظل قائماً حتى عام 1975 ،ثم انحل تماماً وأصبح مجرد حركة غالبيتها من العرب وفقد أي دور سياسي .

*** حزب رافي :**

أسسه بن غوريون أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني عام 1965 ،بعد انسحابه من الحياة الحزبية من أجل نشر أفكاره.

*** حزب العمل الصهيوني (الحمائم) :**

تأسس عام 1965 ،من الأحزاب (مباي + أحدوت هاعافودا) بزعامة ليفي اشكول - صاحب فكرة المجالس المحلية هو أول من دعا إلى إقامة اتصالات مع المنظمات الفلسطينية وطرح فكرة السلام والحدود.

في عام 1969 ،تم تشكيل ائتلاف من الأحزاب التالية (مباي + أحدوت هاعافودا + مابام) برئاسة غولدا مائير التي شكلت فيما بعد حكومة إسرائيلية وشغلت مناصب عديدة أهمها وزارة الخارجية ، وهي التي أسست المنظمات النسائية الإسرائيلية . في عام 1973 شكلت الأحزاب التالية (مباي + أحدوت هاعافودا + رافي) حزب العمل الصهيوني وخاضت الانتخابات معاً وحققت فوزاً ساحقاً بزعامة غولدا مائير.

في عام 1977 الأحزاب نفسها وضمن ائتلاف (مباي + أحدوت هافودا+ مابام) برئاسة ليفي اشكول خاضت الانتخابات معاً ونتيجة الانتصارات هذه تم الاتفاق على تسمية الحزب (العمل) وذلك عام 1980تترأسه إسحاق رابين - شمعون بيريز - إيهود بارك - بنيامين بن اليعازار وحالياً بيريز .

*** حزب الليكود (الصقور) :**

أسس عام 1974 ،بزعامة الإرهابي مناحيم بيغن مؤلف من دمج الأحزاب والكتل التالية:

جاحال - حيروت - كول - الأحرار - (ركاخ الذي أسسه موشي دايان فيما بعد) وفاز في الكنيست التاسعة بـ43 مقعداً ،وهو حزب يميني متطرف جداً في سياساته العدوانية وهو ضد السلام مع العرب وضد عودة الجولان أو إجراء أية محادثات ويعتبر الحديث عن السلام مجرد عمل تكتيكي لكسب الوقت وشارون خير مثال ليس على الفكر الصهيوني فحسب ،بل على حزب الليكود. من زعمائه موشيه أر ينز - إسحاق شامير(من 1981 حتى 1991) نتنياهو - شارون.

❖ حزب الوسط : أسسه دان مريدور المنشق من حزب الليكود ونائبه إسحاق مردخاي وزير الحرب السابق الذي (أدين من قبل المحكمة العسكرية باغتصاب مجندة كانت

تعمل في مكتبه) وهو من حزب العمل لكن مردخاي سعى إلى تأسيس هذا الحزب من أجل دعم باراك صديقه الشخصي واستقطاب عناصر جديدة من الحزبيين الليكوديين.

***الأحزاب الأخرى :**

- **حزب تسوميت (الصهيونية التقدمية)** : حزب يميني منشق من حركة هتحيا - ترأسه عام 1988 ،الإرهابي رفائيل آيتان رئيس أركان الجيش الإسرائيلي عام 1982 ، وكان وزيراً للزراعة في حكومة نتنياهو .
- **حزب غيشر :ويعني الجسر)** : يرأسه الوزير السابق ديفيد ليفي من أصل مغربي وهو زعيم سياسي وتقليدي لليهود المغاربة شغل منصب وزير الخارجية في حكومة نتنياهو واستقال منها بسبب الخلافات الشديدة معه ،أسس هذا الحزب عام 1990 ،نتيجة الخلافات مع القيادة الليكودية للحزب التي كانت لا تعير اليهود الشرقيين أي اهتمامات ولا تمنحهم مناصب هامة - نائب رئيس الحزب مكسيم ليفي شقيق ديفيد ليفي زعيم الحزب.
- **حزب شاس (حراس التوراة)** : يتزعمه الحاخام اريية درعي المتهم بالرشوة والفساد والذي حكم عليه بالسجن خمس سنوات ، غالبية أعضائه من اليهود الشرقيين ، أسس عام 1983 ، حزب ديني ذو طابع شرقي. الزعيم الروحي لحركة شاس الحاخام عوفديا يوسف الذي يعرف بالحقد والكره للعرب وهو من وصف العرب بـ "الثعابين والأفاعي" وهو حزب خاص باليهود الشرقيين حقق نجاحات في الانتخابات، ففي الكنيست الرابعة عشرة حصل على 17 مقعداً ، والكنيست الخامسة عشرة حصل على 10 مقاعد.
- **حزب المفدال (الحزب الديني الوطني)** : يشكل جزءاً من التركيبة العنصرية اليمينية المتطرفة في "إسرائيل" ، أفرز العديد من الكتل والحركات العنصرية المتطرفة مثل : غوش أمونيم - كاخ - هاتحيا - وهذه الحركات مارست ومازالت تمارس كل أنواع الإرهاب والقتل ضد العرب ،داخل وخارج الأراضي العربية. يتزعمه الوزير إسحاق ليفي وزير المواصلات السابق ، ويطلقون عليه اسم حزب "المتدينين الوطنيين" أسس عام 1956 .

- **حزب يهودا هاتورا الموحد (يهودية التوارة الموحدة)** :مؤلف من حزب ديغل هـا توره ، وحزب يهودت هـا توره بزعامة مائير روش .

- **يسرائيل بعاليا (حزب المهاجرين الروس)**: أسس عام 1996 من قبل وزير الصناعة والتجارة في حكومة نتنياهو ناتان شار انسكي وهو مهاجر يهودي روسي .

- **حزب الطريق الثالث** :أطلق عليه هذا الاسم لتمييزه عن حزبي العمل والليكود أسسه الوزير افيغدرو كهلاني(عميد احتياط) ،أبوه سياسي معروف بفكره الصهيوني قتل في الجولان عام 1973 شغل منصب وزير الأمن الداخلي في حكومة نتنياهو.

- **حزب ميرتس**: تشكل من بقايا ثلاثة أحزاب هي(مبام - راتس - رافي) تزعمه عضو الكنيست يوسي ساريد أسسه عام 1992 ، يؤيد حزب العمل ويعد داعم قوي لسياساته.

- **حزب موليدات (الوطن - المولد)** :حزب ديني متشدد ومتطرف جداً ، أسسه عضو الكنيست رحبعام زئيفي الذي قتل بعملية استشهادية جريئة أثناء الانتفاضة ،وهو الذي دعا إلى إجبار العرب بالداخل على وضع إشارة صفراء على أيديهم ،أسس عام 1996 ، يدعو إلى إقامة "إسرائيل الكبرى" على اعتبارات دينية ويعتبر التوراة مصدر لكل التشريعات.

- **حزب هتيشفوت (الاستيطان)** : حزب يميني متطرف يشابه موليدت ، أسسه اليعيزر ليفنجر، همه الوحيد زرع المستوطنات في المناطق كلها وخاصة في الجولان.

- **حزب موريشت أفوت (ميراث الآباء)**.حزب ديني متطرف انشق عن موليدت نتيجة الخلاف بين زئيفي والحاخام يوسف با جاد .

- **حزب موكيد (تعني الموقد)**: حزب ديني مؤلف من يهود اليمن أسسه الحاخام زهران لطوف عام 1980 ، لم يشارك في أي نشاط سياسي أو حكومي ، حل نفسه عام 1985 ، وانضم إلى حزب شاس الديني.

- **حزب ماكي:** أسسه موشيه اسنيه عام 1988 ، لم يشارك في النشاط السياسي والحكومي ، حل نفسه وعاد إلى حزب العمل عام 1989 .

- **منظمة العمل الديمقراطي (داعم):** حزب يهودي يساري ، مناصر للعرب ، أسسه خطيب سامية ، ويدعم حزب العمل، يتزعمه أساف أديب منذ عام 1992 ، شارك في الكنيست الرابعة عشرة .

- **حزب التحالف التقدمي (العربي الجديد):** أسسه مكرم مخول، ومحمد زيدان .

- **متقاعدون إسرائيل (أو كوح لحبلائيم جيل) :** أسسه نافيه أراد عام 1996 ، هدفه العمل من أجل المتقاعدين والمعوقين وضحايا الحروب وشارك في الكنيست الرابعة عشرة وحصل على أربعة مقاعد .

- **حزب شينوي (مختلف) :** انشق عن حركة ميرتس ويتزعمه يوسف ليبيد الصحفي المشهور.

- **حزب راعش:** أسسه أمنون افيعاد من أجل الحفاظ على حقوق الرجل في العائلة، ليس له نشاط سياسي ، بل نشاطات اجتماعية ينادي بالمساواة بين الرجل والمرأة .

- **يسرائيل أحات (إسرائيل واحدة) :**ائتلاف بين العمل وغيشر وميماد حزب داعم لحزب العمل في الانتخابات يتزعمه :(ايهود باراك). رئيس الوزراء السابق .

- **حزب الاتحاد من أجل الهجرة:** حديث النشأة ،يهتم بأوضاع المهاجرين وخاصة الجدد ،أسسه افرايم جور ونائبه العميد فيمايمبلوم ، دخل الانتخابات مع حزب يسرائيل بعاليا الذي يترأسه شارنسكي وشكلوا قائمة خاصة بالمهاجرين في الكنيست الرابعة عشرة .

- **يسرائيل بتينو (إسرائيل بيتنا):** يتزعمه اليهودي المتطرف أفيغدور ليبرمان عام 1999 والمشهور بعدائه للعرب وحبه للقتل والإرهاب وهو مستشار نتنياهو وصديقه الشخصي ،وشكل هذا الحزب رداً على مسيرة السلام ، يؤيد الفصل العنصري وإقامة الجدار العازل وعزل العرب أو طردهم للخارج.

- **حزب تيلم ايمونا (الالتزام بالعقيدة)**: أسسه يوسف عزران المنشق من شاس وأربعة من أهله (زوجته- وابنه - وابنته- وكنته) - عام آحاد(شعب واحد): يتزعمه عضو الكنيست وزعيم الهستدروت (المنظمة العمالية) عامير بيريتس الذي أعلن أنه سيدافع عن حقوق العمال .

- **صوت البيئة**: تتزعمه المديرة العامة لوزارة البيئة ناحا ما دونيم. وهو للدفاع عن البيئة.

- **حزب هيروكيم (الخضر)**: يتزعمه فاد فيشر ونائبه دادي تسوكر ويدعي أنه سيعمل ويكافح من أجل نظافة البيئة وكبح جماح التلوث .

- **حزب عتيد** : يتزعمه روني ميلر مستشار نتنياهو السابق ويدعي بأنه سيكون لكل "أبناء إسرائيل" ومستقبل أطفالها.

- **حزب مهاجري إثيوبيا(الأمل)** : يتزعمه أفريم يونا ونائبه اديسو مسالا الذي قال إنه: سيدافع عن الطائفية عن أبناء طائفته الفلاشا (الإثيوبيون) .

- **حزب النقب(مفليكت هانيكيف)**: أسسه ويتزعمه فيني بداش الذي أعلن أنه سيعمل من أجل تطوير النقب.

- **حزب كازينو (فليكت كازينو)** : أسسه ويتزعمه عيزرا تيسونا ، يطالب بإضفاء الشرعية على محلات القمار والنوادي الليلية ويؤيد إقامة محلات القمار ويطالب بتنزيل الضرائب حتى 20٪ فوراً

- **عيلا يروك(الورقة الخضراء)**: يتزعمه بوعز منحتل ويدعو للسماح بشكل علني باستخدام الحشيش والمريغوانا الخفيفة والسماح ببيعها في المحلات وتوفير الأصناف الجيدة والسماح بتعاطي المخدرات وفتح النوادي للشذوذ ونوادي العراة علماً أنه يوجد أكثر من عشرة نوادي في حيفا ويافا .

- **حزب قانون الطبيعة(حوك هاطيفع)**: أسسه رؤوفين زلينكويسكي يدعو لخلق مجتمع نظيف وبيئة نظيفة وحرية العبادة في الدين اليهودي .

- **ماركو بعاليا**: أسسه أبراهام نسولين وهو خاص بالمهاجرين من شمال أفريقيا.

- **حزب المركز التقدمي** : أسسه البرفيسور (أدريان يونو بيتش) وهو خاص باليهود الرومانيين .

- **حزب الخلاص** : أسسه عاموس برنس ، يدافع عن حقوق النساء .
  - حزب هاتكوما (النهوض): أسسه أوري ارئيل، يدعو إلى جيل بعيد عن الطائفية وحرية العبادة.

- **حزب ميماد (اختزال - دولة يهودية ديمقراطية)** : في عام 1988 عقد الحاخام يهودا عميتال المدير العام للمدارس الدينية في ألون يشيفوت لقاء مع الجماعات الدينية - الشجاعة- السلام من أجل السلام- نعم للقدس الموحدة- واتفق جميعهم على إعلان هذا الحزب ، ميماد هدفه المساواة بين اليهود الشرقيين والغربيين والسير في طريق الاعتدال نحو السلام. مع الرفض لقيام دولة فلسطينية مستقلة.

- **حزب هذه أرضنا(زي هارتسينوا)**:حزب متطرف ظهر بعد توقيع اتفاقات أوسلو والخليل واتخذ موقفاً معادياً من هذه الاتفاقات عبر سلسلة من مسيرات الاحتجاج والتنديد وأعمال العنف والتهديد بالقتل ،أسسه موشيه فايجلين ونائبه شموئيل ساكت بمباركة الحاخام بني الوني .

- **حزب يا حد(معا)**: أسسه حديثاً الوزير يوسي بيلين وزير العدل السابق الذي انفصل عن حزب العمل بتاريخ 5/4/2004 وأعلن أنه مع إيجاد حل منطقي للقدس وإقامة الدولة الفلسطينية وهو من واضعي "وثيقة جنيف " مؤخراً ويسعى إلى فتح قنوات حوار مع العرب.

- **حزب فنينسا روزنبلوم(بزعامة اي في بليتسنكوف)** : للدفاع عن حقوق المرأة.
  - حزب المركز (بزعامة ادريان ينوبتش) : للدفاع عن حقوق اليهود القادمين من رومانيا وتحصيل حقوقهم في "إسرائيل" وفي رومانيا ودفع التعويضات لهم .

- **حزب مهاجرون من أجل "إسرائيل" (ليف)**: بزعامة فتحوت عوفديا من أجل حل مشكلات المهاجرين الجدد.

- **حزب تكفا:** بزعامة اليكس تانشر من أجل الزواج الحر والمختلط والمدني والعمل على دمج العائلات اليهودية معاً.

* أحزاب عربية :

- **حداش(جديد):** حزب عربي يضم أكثر من 550 عضواً أبرزهم : **محمد بركة** (السكرتير العام للحزب وعضو كنيست 2)- أسامة سعدي- عصام مخول- وليد الفاهوم- ويضم بعض اليهود الشرقيين الذين يؤيدون الحقوق العربية والمساواة منهم: الدكتور أيلان بابة- الدكتور تمار جوجنسكي- الدكتور عافور اغبارية.

- **التجمع الوطني الديمقراطي:** ولد بزعامة الدكتور عزمي بشارة ومعه سعيد نفاع - سعيد زبارقة- جمل زحالقة وكلهم أعضاء كنيست .

- **الحركة العربية للتجديد :** بزعامة الدكتور احمد الطيبي عضو الكنيست ومستشار عرفات، مدافع عن الحقوق العربية وخاصة عرب 1948 .

- **القائمة العربية الموحدة** (مداع) : وقع ممثلو الجناح الجنوبي للحركة الإسلامية والحزب العربي الديمقراطي (مداع) وجبهة الوحدة الوطنية برئاسة هاشم محاميد قائمة مشتركة ، شاركوا فيها بالانتخابات للكنيست الخامسة عشرة وضمت كلّ من أعضاء الكنيست وهم طلب الصانع(مداع)- هاشم محاميد (الوحدة الوطنية) توفيق الخطيب (الحركة الإسلامية) محمد كنعان- فضل نعامنة- إبراهيم عمور - حسن راوي.

- **حزب العربي الجديد :** بزعامة مكرم مخول ويعمل في المجالات الاجتماعية والاقتصادية بصورة رئيسة.

المنظمات الإرهابية في " إسرائيل"

في "إسرائيل" العديد من المنظمات السرية و العلنية ، والسرية لا تعني أن السلطات لاتعلم بها ، بل تتغاضى عنها من أجل إرهاب الآخرين سواء في الداخل أو الخارج .

- منظمات تتدعى السرية .
- منظمة بنوءة (النبوة).
- منظمة فاكيام (حرف - غير الاتجاه - فرمل) : يقودها الحاخام (يوئيل ابن نون).
- منظمة السيريكيم (الملتصقين):يقودها ضابط شرطة سابق يوئيل اولار .
- منظمة حيرف دافيد(سيف داود): تضم هذه الحركة العديد من ضباط الجيش والشرطة المسرحين من الخدمة .
- منظمة أمناء جبل البيت: حركة دينية متطرفة ، مهمتها الأساسية تهويد منطقة المسجد الأقصى، ومركزها القدس يمولها ، يهود متطرفون في كاليفورنيا وزعيم هذه الحركة "يهودا بيرح" المتطرف الديني ومعاونه "جيئول كارمن".
- منظمة موكيد ياهف(العطاء) : مجموعة إرهابية عنصرية متطرفة ومتشددة يتزعمها "يهودا مائير" ، وهو عقيد في الشرطة المدنية سابقاً ، طرد من الخدمة لقيامه بأعمال غير أخلاقية وغير قانونية.
- منظمة التاج القديم ، حركة دينية متطرفة هدفها تذكير اليهود بإعادة بناء" الهيكل" ، رئيسها الحاخام افيفدور نفتسال الملقب بحاخام المدينة القديمة ، وهي من أشهر المنظمات السرية التي تغذي النفسية اليهودية بالأفكار التوارتية والميراث اليهودي المزعوم والقصص والخرافات التي اخترعت من قبل الحاخامات للسيطرة على العقول ومسؤولة عن تصنيع الأدوات الدينية الخاصة بالهيكل .
- منظمة حيرف جدعون(سيف قاطع): إرهابية اعتمدت أسلوب إصدار المنشورات ضد السكان العرب و تدعوهم إلى الرحيل فوراً .

- منظمة غليتستا (الطاعة- الامتثال): برئاسة المتطرف الديني (زئيف انسيخ) مدير المدارس الدينية التابعة إلى المنظمة المشهورة بتعصبها والتي تدعو إلى إقامة دولة يهودية دينية فقط وليس أكثر .
- منظمة عطيرت كوهانيم(تاج كهنة يهود): أسسها (بار أيلان) مستشار نتنياهو .

وهناك منظمات سرية كثيرة داخل المستوطنات لم يتم نشر معلومات عنها مثل: منظمة قمع الخوانة، القدس لنا، "إسرائيل الكاملة" ، شباب القدس ، منظمة (دوف).

المنظمات الإسرائيلية الإرهابية العلنية(داخل إسرائيل)

- **منظمة الوطن** : أسسها عضو الكنيست رجعبام زئيفي المقتول وحالياً يقودها نائبه بني ألون .
- **منظمة هتحيا (النهضة)** : تعد هذه الحركة الأكثر عنصرية وتطرفا في "إسرائيل"وهي منظمة سياسية واجتماعية يمينية ، يتزعمها عضو الكنيست" شافح فايس" وتدعو إلى أرض "إسرائيل" الكاملة والتمسك الايديولوجية الصهيونية الخالصة، وللمنظمة ثلاثة أعضاء في الكنيست وفي الحكومة .
- **منظمة كاخ**(هكذا - لذلك): إرهابية ، يمينية ،متشددة ، متطرفة ، ممثلة في الكنيست ، تدعو إلى معالجة المواقف مع العرب ، زعيمها مائير كهانا الإرهابي المشهور الذي ولد وقتل في نيويورك بظروف غامضة لم يتم الكشف عنها لأنها كانت تصفية حسابات بين المنظمات الصهيونية ، وقد أستمرت هذه المنظمة بعده بزعامة ولده كهانا الثاني على الرغم من أنها محظورة قانونياً لكنها تمارس نشاطها علناً وخاصة بعد وصول نتنياهو إلى السلطة .
- **منظمة كهانا حي** : إرهابية ، متطرفة ، مشابهة لمنظمة كاخ تماماً ، مركزها في مستوطنة كفار تبوح يتزعمها الابن الثاني إلى كهانا (بنيامين كهانا) البالغ من العمر 26 عاماً .

تنظيمات ومنظمات المستوطنين:

هناك تنظيمات خاصة للمستوطنين حسب اللغة والمكان الذي أتوا منه وغالبيتها تكون في أطر حزبية معروفة ، وذلك للاستفادة من أموال الأحزاب ، ولها قدرة تأثيرية قوية في المستوطنات كافة وأهمها :

- تنظيم مجلس المستوطنات : تأسس عام 1980 .
- تنظيم غوش امونيم(اسم مستوطنة): تأسس عام 1974 .
- تنظيم رابطة بيشا (امتداد - توسع): تنظيم استيطاني أقيم عام 1979 .
- منظمة الشجاعة: منظمة دينية جديدة بزعامة الحاخام عمينئيال .
- منظمة طريق السلام: تتبع إلى رؤساء المستوطنات برئاسة أوري ارئيل .
- منظمة رابطة الشعب الحر : نشأت بين التيار العلماني ، وتدعي أنها سترد على الأعمال الإرهابية التي يمارسها التيار الديني في "إسرائيل " نشأت في عام 2000، في أعقاب قيام المتدينين (الحر ديين) في إحراق مطعم وكازية في مستوطنة نتانيا ، عائدة إلى مجموعة يهود أغنياء من العلمانيين، وقد لاقت تشجيعاً كبيراً بين الإعلاميين والفنانين وأصحاب الملاهي الذين أعلنوا عن تقديم الدعم المادي اللازم لها.
- منظمة ووجاك(المنظمة العالمية لليهود المولودين في الدول العربية): تأسست عام 1975 من قبل اليهود المولودين في الدول العربية أي الشرقيين ، أسسها الوزير السابق مردخاي بن بورات .
- منظمة القوس الشرقي الديمقراطي: يتزعمها البروفيسور يهودا شنهاف وهي أيضاً للدفاع عن اليهود الشرقيين .
- منظمة نفس بنفس : ترعى حقوق اليهود القادمين من أميركا ، يتزعمها اليهودي زهاف لؤمان . المنظمات اليهودية في مختلف دول العالم:

الولايات المتحدة الأميركية:

1. إيباك : تعد أم المنظمات الصهيونية والمسؤولة عن التنسيق ووضع برامج العمل لكل المنظمات في أميركا وخارجها والمسؤولة عن جمع التبرعات وتقديم الدعم لـ "إسرائيل" .

2. مؤتمر الرؤساء .
3. مجلس الاتحاد اليهودي - الفدرالية اليهودية.
4. ناكراك .
5. الحركة الصهيونية الأميركية .
6. المجلس اليهودي العالمي .
7. اللجنة اليهودية الأميركية .
8. عصابة منع الازدراء .
9. المجلس اليهودي الأميركي - منظمة صندوق الشباب الصهيوني.
10. منظمة الأميركيين لصالح أمن "إسرائيل"
11. منظمة الأميركيين لصالح السلام .
12. منظمة اتحاد الصهيونية الإصلاحية في أميركا - المركز .

منظمات يهودية في هولندا :

تعد الساحة الهولندية مركز نشاطات للمنظمات اليهودية ولا تقل أهمية أبداً عن المنظمات التي تعمل في أميركا ومنها :

- منظومة المعلومات والوثائق الإسرائيلية : مقرها في العاصمة السياسية- لاهاي- و هي من أخطر المنظمات الصهيونية في العالم لأنها تتدخل في سياسات الدول سواء في هولندا أو غيرها .
- اتحاد المنظمات اليهودية : يضم تحت لوائه الجمعيات والمؤسسات اليهودية والصهيونية في هولندا كافة وينظم لهم الاجتماعات والمؤتمرات السنوية ويشرف على تطبيق قرارات إيباك أو التوجهات الإسرائيلية ويضع الخطوط العريضة لسياساتهم .
- الفيدرالية الصهيونية الهولندية : التي هي جزء هام من المنظمة الصهيونية العالمية ومهمتها حماية المصالح الإسرائيلية العليا مباشرة .
- منظمة Ajoedath (آغودات): يهودية ، أرثوذكسية ، متطرفة ، متشددة ، تحاول فرض التعاليم التوارتية والتلمودية على اليهود في هولندا .

- منظمة Agalah -Israel(آجله إسرائيل): تتبنى وترعى ما تسميه بمصالح وحقوق (ضحايا) يهود هولندا .
- منظمة Aliyah departement (ألياه ديبارتمنت): عملها الأساسي الإشراف على تهجير اليهود من هولندا إلى "إسرائيل"وتسهيل سفرهم سواء للزيارة أو للإقامة، وتنظيم رحلات مجانية للشباب اليهود في هولندا ، وتستقبل الطلبة اليهود القادمين من "إسرائيل" للدراسة في هولندا وتعمل على جمع التبرعات للمستوطنات اليهودية في الأراضي الفلسطينية المحتلة .
- منظمة Mesterdam synagogaal koor(أمستردام سايانا غوغال كوور). منظمة اجتماعية مهمتها تعليم الموسيقا اليهودية وإقامة الحفلات في المناسبات اليهودية والمشاركة في الاحتفلات الهولندية باسم اليهود و"إسرائيل" إضافة إلى جمع التبرعات لصالح الجمعيات اليهودية.
- منظمة Ana frank(آنا فرانك): ولها خمسة فروع في كبريات المدن الهولندية مهمتها طباعة الكتب للأطفال .
- منظمة Rza nader land (أرزا نادر لاند): وهي جزء من المنظمة الليبرالية الصهيونية اليهودية العالمية.
- منظمة Baht (بيت): مهمتها رعاية المسنين والمرضى ولها ستة فروع في هولندا. -

منظمة المؤتمر اليهودي العالمي (فرع الأرجنتين): مقرها بيونس ايرس وتتبع لها المنظمات اليهودية كلها في الأرجنتين ، يتزعمها الدكتور أيلان شتاينبرغ الموالي لحزب الليكود (الصقور) وهذا معروف بعدائه للعرب والفلسطينيين خاصة ويصدر مجلة نصف شهرية(دوف لافان) أي الصفحة البيضاء ناطقة باسم اليهود ولدعم "إسرائيل" .

منظمات صهيونية متعددة ومتنوعة وموزعة :

1. أفوكا : منظمة طلابية صهيونية في أميركا ، تابعة إلى نقابة الطلاب اليهود الدراسين فيها ، لها نشاطات ثقافية سياسية اجتماعية ، تأسست عام 1957 .

2. **اغودات حالول:** اسم مختصر لمنظمة - السيف لشعبنا ولبلدنا - أسسها الحاخام صموئيل هلفرن.

3. **الأرثوذكس اليهود في ألمانيا:** أسسها الحاخام شمشون هيرش لرعاية المصالح اليهودية في ألمانيا.

4. **اورات :** (الأحرف الأولى باللغة الروسية لاسم - شركة توزيع العمل بين اليهود).

5. **ازيع :**(الأحرف الأولى باللغة الروسية لشركة الحفاظ والدفاع عن صحة اليهود) مقرها الأساسي روسيا ولها فروع في كل دول أوربا الشرقية سابقاً ،تهتم وتشرف على العيادات والمشافي الخاصة باليهود في هذه الدول .

6. **أحفا:** منظمة مسؤولة عن شراء المنتجات الزراعية والصناعية التي تنتج في المستوطنات الإسرائيلية .

7. **امهوت عوفدوت:** (**الأم العاملة**) : منظمة نسائية ، مهمتها الإشراف على دور الحضانة ورياض الأطفال .

8. **بني بريت:** خاصة لليهود الشباب الذين ولدوا في" إسرائيل "(تسابريم).

9. **بني عاكيفا:** حركة الشبيبة الدينية وتتبع للمدارس الدينية وتشرف على نشر الفكر الديني في المدارس . 10 - اتحاد اليهود التقدميين : من أكبر المؤسسات اليهودية بلجيكا ، يتزعمها الحاخام هنري فانلبوم .

10. **جؤولا (إنقاذ)** : تشرف على جلب المهاجرين ونقلهم إلى "إسرائيل" وتقنع الرافضين العودة إلى "إسرائيل"بالعودة .

11. **جوردونيا (الحركة الشبيبة الصهيونية العالمية)** مهمتها إقامة علاقات مع المنظمات الشبيبة العالمية في العالم .

12. **درور: صهيونية داعمة لأفكار حزب العمل الإسرائيلي** ، لها فروع في روسيا وبولندا وأميركا .

13. **أبطال الهيكل (طمبلريم)** : منظمة شباب المبكى هدفهم نشر ثقافة دينية فيما يخص " الهيكل" المزعوم في القدس والإشراف على ما يسمونه "حائط المبكي " والتذكير بالعادات والطقوس اليهودية ، ولديهم شركة باسم شركة الهيكل ، وذلك لتوزيع أدوات الهيكل وصوره، وتعليم اليهود الجدد " طقوس المبكي " .

14. كفاح وتمرد: مهمتها العمل على طرد عرب 1948 من أراضيهم (ترانسفير) .

15. ناطوري كارتا (حراس المدينة): اسم يطلق على طائفة متعصبة من اليهود المتشددين دينياً .

16. نيلي (خلود إسرائيل): قديمة ،في البداية كانت مهمتها التجسس على البريطانيين لصالح العصابات الصهيونية ، وعلى الأتراك والعرب ، والتخطيط لعمليات إرهابية إجرامية ضدهم ،وبعد ذلك، أصبحت منظمة سياسية مهمتها تمتين العلاقات مع الدول الغربية وفتح سفارات "إسرائيلية" في دول العالم



كذب اليهود وعدم أحقيتهم في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل

كذب اليهود وعدم أحقيتم في أرض فلسطين بموجب ما جاء في التوراة والإنجيل وفي آي التنزيل

في دراسة علمية تحليلية سلسة للاستاذ الدكتور ربيع بن محمد بن علي الاستاذ في الجامعة الإسلامية يبين فيها كذب وادعاءات اليهود وعدم احقيتتهم في أرض فلسطين

يقول الدكتور ربيع ان أول ما تستدعيه الذاكرة المؤمنة عندما تذكر فلسطين المسجد الأقصى والقدس الشريف، والسر في ذلك ببساطة شديدة يكمن في ارتباط هذين المكانين بمعتقدات المسلمين وبعباداتهم، وبجهادهم وبقرآنهم وبنبيهم، كما يَمْثل في ارتباطهما بوحدة الدين وانتقال السيادة والإمامة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لكونها ونبيها أولي الناس بإبراهيم عليه الصلاة والسلام ، الذي طلب ذلك لذريته عندما قال له ربه (إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي)، فأجابه سبحانه: (قال لا ينال عهدي الظالمين .. البقرة/ 124).

لكن ويتبجح منقطع النظير يتردد دائماً وأبداً علي ألسنة زعماء أبناء صهيون وحاخاماتهم، أن بيت المقدس ملك لشعب يهود ، وأن القدس الشريف عاصمة دولتهم المزعومة ، ونذكر ضمن هذه التصريحات ما جاء على لسان أحد رؤساء وزرائهم السابقين وهو إيهود باراك الذي لم يكتف بالقول بأن "ستكون هناك أورشليم أكبر مما كانت عليه منذ الملك داود ، وستكون موحدة ومعترفا بها من العالم كعاصمة لإسرائيل" ، حتى أتبع القول بالعمل فسمح وقت أن كان رئيساً للوزراء لزعيم الحزب المتطرف المعارض والذي أضحى رئيساً للوزراء فيما بعد آريل شارون، باعتباره أول زعيم يهودي يتعامل مع قضية القدس بجدية ويسعى للقضاء على الوجود العربي والإسلامي بها ، بإرسال كتيبة من العسكر يبلغ قوامها ثلاثة آلاف، لحمايته أثناء اقتحام المسجد الأقصى في غرة رجب1421هـ الموافق 29سبتمبر لعام 2000م، أي في ذكرى تحرير صلاح الدين للقدس في رجب 583هـ سبتمبر 1187م، ومنذ تلك اللحظة والعالم يشهد - دون أن يحرك ساكناً- حرب الإبادة الجماعية الذي يتعرض له الشعب الفلسطيني المسلم، وحجم التدمير الذي تتعرض له بلاده بكل همجية وعنصرية ، كما

يرقب الانحياز الأمريكي الأعمى والصمت الغربي المريب لإسرائيل وما تقوم به من أعمال عدوانية حتى على الأطفال والنساء والعجزة في بقعة هي من أطهر بقاع الأرض.

والأمر الذي ينبغي أن يعيه كل مسلم، أن رفع شعار (أن تكون القدس عاصمة لإسرائيل الموحدة) والعمل من ثمّ على تحريرها من سكانها العرب والمسلمين .. إنما ينبع لدي أولئك الساسة ورجال الدين من منطلق عقدي هو أنها الأرض التي وعدوا بها على ألسنة رسلهم، وقد تم التخطيط لهذه الانطلاقة منذ بداية هذا القرن على يد (هرتزل) الذي فكر في إقامة دولة يهودية سياسية، ثم عدل عن ذلك لما بدى له معارضة مؤتمر الحاخامات، وعدم رغبة يهود العالم في النزوح عن بلادهم التي استقروا فيها، الأمر الذي دعاه لأن يعمل على تحويل الموضوع من قضية سياسية إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود، وقد رأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، باعتبارها حسب ما تقضي به عقائد اليهود الباطلة (أرض الميعاد) .

وانتصرت فكرة (هرتزل) التي تضمنت – على ما جاء في وقائع المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في مدينة (بازل) السويسرية في سبتمبر من عام 1898 – قيام دولة إسرائيل في فلسطين بعد خمسين عاماً، وقيام إسرائيل الكبرى التي تشمل على حد زعمهم الحدود التاريخية والدينية الممتدة من النيل إلى الفرات بعد مائة عام- وهي ما تسعى الآن جاهدة في سبيل تحقيقه من خلال غزو العراق عن طريق حلفائها من الأمريكان والغرب المدعومين من حكام العرب الخونة وأنظمة حكمهم المستبدة المذعورة- ودعا هرتزل في سبيل تحقيق فكرته لإزاحة السلطان عبد الحميد الثاني خليفة المسلمين، الذي كان يمثل العقبة الكؤود أمام تحقيق الحلم الصهيوني، وكان لهرتزل فيما بعد ما أراد، فقد احتضن المؤتمر اليهودي العالمي فكرته عام 1905 أي بعد وفاته بسنة واحدة وعمل اليهود من ساعتها على تقويض الخلافة الإسلامية، و ساعدهم في كل هذا ولازالت قوى كبرى حاقدة على الإسلام والمسلمين.

ومن يوم أن وعد (بلفور) وزير خارجية بريطانيا يهود العالم بإقامة وطن قومي لهم في فلسطين في 1917/11/2 ليعطي من لا يملك من لا يستحق، والأحداث تتواصل بسرعة مذهلة، فما أن أقامت إسرائيل دولتها في 1948/5/15 واعترفت بها روسيا بعد ثمان دقائق، وأمريكا بعد نصف ساعة، وقررتا أن إسرائيل خلقت لتبقى .. حتى دخلت

في 1967/6/5م في حرب مع جيرانها من العرب، استولت خلالها على القدس الشريف والضفة الغربية وغزة وجنوب لبنان ومرتفعات الجولان وأرض سيناء.

ثم ما لبث أن فجع العالم الإسلامي بعدها بـ (مناجم بيجن) يضيف إلى البعد السياسي الذي انتزعه الصهاينة دون أي مستند لوضع القدس، بعداً آخر دينياً وذلك أثناء تعقيبه على خطاب الرئيس (السادات) أمام الكنيست حيث قال مؤكداً هذا الحق المزعوم:

"إن حق إسرائيل في فلسطين حق أبدى تاريخي تشهد له الكتب، ومنها القرآن نفسه"، وبعد استدلاله بقول الله تعالى على لسان موسى: (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين .. المائدة/ 21)، أردف يقول "إن الله فرض لنا الأرض المقدسة دون سائر الخلق فلا يجوز لأحد دينيا أن ينازعنا فيها" .

ونسى هذا وكل من يردد قوله أن (الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.. الأعراف/128)، ومصداقه في كتب القوم ما جاء في سفر (لاويون25: 23) من قول الرب في خطابه لبني إسرائيل: "والأرض لا تباع بتةً. لأن لي الأرض وأنتم غرباء ونزلاء عندي"، كما نسي هو وكل من قال بقوله أن سنة الله تقضى بألا يمكن إلا لمن يقيم العدل في الأرض، ويشيع الصلاح بين جنباتها، كي تنسجم حركه الكون مع من فيه، وبذا يعمر الكون بذكر الله، ويشدو من فيه بتوحيده، إذ الكون وما فيه ومن فيه ما خلق إلا لهذا (وإن من شيء إلا يسبح بحمده.. الإسراء/44)، (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون.. الذاريات/56).

كما نسي هؤلاء أو تناسوا أن تاريخهم الأسود بماضيه البائس وحاضره اليائس، ملطخ بدماء الأبرياء ومليء بانتهاك حرمات رب الأرض والسماء، ومفعم بالتآمر على أنبياء الله والصلحاء من عباده ومترع بكتمان وتحريف الكلم عن مواضعه وحافل بضروب الظلم ومختلف الجرائم، وتلك أمور تحول- من دون شك ووفق سنن الله في خلقه- دون التمكين في الأرض أو التمايز عن الخلق، ذلك أن الذي فضلهم في وقت من الأوقات على العالمين، ووعدهم- إن هم أقاموا عهده- بالتمكين، هو الذي قضى على ألسنة رسله وفى جميع كتبه- ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه- ألا

يمكن إلا لعباده الصالحين، وألا ينال عهده الظالمين، يقول الأعمش سألت سعيد بن جبير عن قول الله تعالى: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون .. الأنبياء/105)، فقال: الزبور: التوراة والإنجيل والقرآن، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الزبور: الكتب التي نزلت على الأنبياء، والذكر: أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك، وبمثله قال ابن جرير والثوري ومجاهد .

وإذا كان أبناء صهيون يدَّعون أن نصوص كتبهم بل ونصوص قرآننا المتبرئ منهم ومن فعالهم تشير إلى وعد قطعه الله على نفسه أن يمكن لإبراهيم ولنسله من بعده في أرض فلسطين (أرض الميعاد)، فإن هناك مجموعة من الحقائق المهمة التي تجدر الإشارة إليها والتذكير بها وتتمثل في:

الحقيقة الأولى:

تعليق موعود الله لبنى إسرائيل على استيفاء شروط: إن وعد الله بالسيادة والإمامة كان بالنسبة لبنى إسرائيل وعداً مشروطاً بتنفيذ التعاليم، وبصون أوامر الرب وبحفظ العهود والمواثيق التي أخذت عليهم، وذلك بعد أن أتى الله إبراهيم رشده وكان عالماً ببره وإيمانه، وبعد أن منحه أرض الميعاد وجعلها في بنيه وذريته من إسحاق وإسماعيل قائلاً له .."اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة. وأبارك مباركيك، ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض. فذهب أبرام كما قال له الرب".. هكذا كانت البداية على حد ما جاء في سفر التكوين- أحد أسفار العهد القديم في الكتاب المقدس- الإصحاح 12 العدد 1- 4.

ولقد أوضح القران ما أوضحته الكتب السماوية الأخرى، أن استخلاف الأرض - سيما أرض الميعاد- لأيٌ، له ثمن لا بد من دفعه وتحمله، وينحصر ذلك الثمن- باختصار شديد- في عبادة الله وحده وصون أوامره واجتناب نواهيه، وذلك قوله سبحانه: (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً.. النور/55)، ولا يبعد أن تكون الإشارة

بالاستخلاف لمن قبلنا في الآية، لبني إسرائيل، بل هذا ما جزم به القرطبي وابن كثير وغيرهما وترجح لدى الآلوسي وغيره.

كما ذكر لنا المولى في غير ما سورة، تفاصيل ما كان لذرية إسرائيل بن إسحاق من تمكن إبان فترة صلاحهم، وكيف أن الله أورثهم - بعد أن كانوا مستضعفين- مشارق الأرض ومغاربها، وبوأهم - بعد ذل وقهر من فرعون وملئه- مبوأ صدق، ومكنهم من أرضهم وديارهم وجناتهم، وإن كانت بالنسبة لبني إسرائيل- على ما يبدو - تجربة قاسية وامتحاناً صعباً كشف عن جزعٍ ولؤمٍ في طباع سوادهم الأعظم أحس به موسى عليه السلام حينما بثوا شكواهم إليه من جراء ما عايشوه من بطش قال الله في شأنه: (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون❖ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين❖ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون .. الأعراف/126- 129).

والقصة باختصار أنه لما طال مقام موسى – عليه السلام - ببلاد مصر وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون.. دعا عليهم بقوله: (ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم.. يونس/88).

وشاءت إرادة الله أن يجيب دعاءه فأمره أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً من مصر وأن يمضي بهم خفية حيث يؤمر، دون إذن من فرعون، الأمر الذي أثار حفيظته، وكان هذا الفرعون الجبار العنيد قد تسلط عليهم، يستعملهم في أخس الأعمال ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع ذلك أبناءهم ويستحي نساءهم إهانة لهم واحتقاراً، وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته منه، فيكون هلاكه وذهاب دولته على يديه .

وقد كان، فقد أغرقهم الله في اليم الذي فرقه لموسى فجاوزه هو ومن معه من بني إسرائيل، وأقرّ أعينهم وهم ينظرون إلى فرعون وإلى جنده وقد أغرقوا في صبيحة يوم واحد، كما قال تعالى: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم❖ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون .. البقرة/49، 50)، وأورثهم بعد ذلك ديارهم وأموالهم وملكهم بعد أن أخرجهم الله منها كما قال تعالى: (فأخرجناهم من جنات وعيون❖ وكنوز ومقام كريم❖ كذلك وأورثناها بني إسرائيل.. الشعراء/57- 59)، وقال: (كم تركوا من جنات وعيون❖ وزروع ومقام كريم❖ ونعمة كانوا فيها فاكهين❖ كذلك وأورثناها قوما آخرين.. الدخان25-28)، وأسبغ الله عليهم - بعد ذلك- نعمه الظاهرة والباطنة والدينية والدنيوية، واستقرت الدولة الموسوية على بلاد مصر بكمالها- وإن لم يعودوا إليها بعد خروجهم - وبلاد الشام مما يلي بيت المقدس ونواحيه كما قال تعالى: (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.. الأعراف/137)، وقال: (ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات.. يونس/93)، وتمت إرادة الله الحاصلة في تمكين أهل الحق وإهلاك أهل الباطل والماثلة في قوله سبحانه: (ونريد أن نمنّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين❖ ونمكن لهم في الأرض ونريَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون.. القصص/5، 6) .

ولكن ظلت نفوس بنى إسرائيل مع كل ذلك مشرأبة ومتطلعة وطالبة بلاد المقدس التي قصدها من قبل جدهم إبراهيم عليه السلام، مهاجراً من وطنه الأصلي بالعراق ووعدهم ضمن من وعدهم بها، وجاءت الأوامر إثر ذلك تترا على يد وعلى لسان نبيهم موسى عليه السلام على ما ورد في نصوص كتبهم من نحو ما جاء في الإصحاح 6 العدد17، 18من سفر التثنية أن "احفظوا (أي إن كنتم تريدون ذلك) وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التي أوصاكم بها . واعمل الصالح في عيني الرب لكي يكون لك خير وتدخل وتملك الأرض الجيدة التي حلف الرب لآبائك"، وما جاء في

الإصحاح السابع منه في العدد 11- 16"احفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها. ومن أجل أنكم تسمعون هذه الأحكام وتحفظون وتعملونها يحفظ لك الرب إلهك العهد والإحسان اللذين أقسم لآبائك. ويحبك ويباركك ويكثرك ويبارك ثمرة بطنك وثمرة أرضك.. ونتاج بقرك وإناث غنمك على الأرض التي اقسم لآبائك أنه يعطيك إياها. مباركاً تكون فوق جميع الشعوب لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك. ويرد الرب عنك كل مرض وكل أدواء مصر الرديئة التي عرفتها لا يضعها عليك بل يجعلها على كل مبغضيك. وتأكل (أي وتفني) كل الشعوب الذي الرب إلهك يدفع إليك".

ومما يتضح منه كذلك أن الوصية بالوعد بتوريث الأرض مشمولة بالوعيد إذا انقلبوا، ما جاء في الإصحاح 4 من العدد 25- 27من سفر التثنية "إذا ولدتم أولاداً، وأولاد أولاد، وأطلتم الزمان في الأرض وفسدتم وصنعتم تمثالاً منحوتاً صورة شيء ما، وفعلتم الشر في عيني الرب إلهكم لإغاظته. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض أنكم تبيدون سريعا عن الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها. لا تطيلون الأيام عليها بل تهلكون لا محالة. ويبددكم الرب في الشعوب فتبقون عدداً قليلاً بين الأمم التي يسوقكم الرب إليها"، وما جاء في الإصحاح8 العدد17- 20من نفس السفر: "لئلا تقول في قلبك: قوتي وقدرة يدي اصطنعت لي هذه الثروة. بل اذكر الرب إلهك أنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يفي بعهده الذي أقسم لآبائك كما في هذا اليوم. وإن نسيت الرب إلهك وذهبت وراء آلهة أخرى وعبدتها وسجدت لها أشهد عليكم اليوم أنكم تبيدون لا محالة. كالشعوب الذين يبيدهم الرب من أمامكم كذلك تبيدون لأجل أنكم لم تسمعوا لقول الرب إلهكم".

ونظير ذلك نطقت به التوراة السامرية، وفيها على غرار ما جاء في نص العبرانية الأخير: "ولئلا تقول في سرك حيلي وعظم يدي اصطنعت لي الأيسار هذا. بل تذكر الله إلهك أنه المعطي لك القدرة على اكتساب الغنى حتى يثبت عهده الذي أقسم لآبائك، لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب كاليوم هذا. وتكون إن نسيان تنسى الله إلهك فتضل في اتباع آلهة آخر وتعبدها وتسجد لها، أشهدت عليكم اليوم، أن هلاكا تهلكون. كالشعوب الذين الله مهلك من قدامكم كذلك تهلكون جزاء أن لم

تسمعوا من أمر الله إلهكم"، وفى الإصحاح التاسع منها 4- 6 "لا تقل في سرك إذ يدفع الله إلهك إياهم من بين يديك قولاً: لزكاتي أدخلني الله لوراثة الأرض هذه، ولفجور الشعوب هؤلاء الله قارضهم من بين يديك. ليس بزكاتك ولا بسلامة قلبك أنت داخل لوراثة أرضهم، بل لفجور الشعوب هؤلاء الله قارضهم من بين يديك وحتى يثبت الأمر الذي أقسم لآبائك لإبراهيم ولإسحاق وليعقوب. فاعلم أن ليس لزكاتك الله إلهك معطيك الأرض الحسنة هذه وراثة إذ شعب قاسي العرف أنت"، وفي العدد الأول من نفس النسخة والسفر والإصحاح: "كل الوصايا التي أنا موصيك اليوم تحفظون للامتثال حتى تبقوا وتكثروا وتدخلوا وترثوا الأرض التي أقسم الله لآبائكم".

وفي مثيلها من التوراة العبرانية: "جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكي تحيوا وتكثروا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم"، وفي الإصحاح 11عدد8، 9تثنية: "احفظوا كل الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم لكي تتشددوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرض التي انتم عابرون إليها لتمتلكوها. ولكي تطيلوا الأيام على الأرض التي أقسم الرب لآبائكم أن يعطيها لهم ولنسلهم أرضاً تفيض لبناً وعسلاً".

وفى سفر اللاويين 20: 22- 24 "تحفظون جميع فرائضي وجميع أحكامي وتعملونها لكي لا تقذفكم الأرض التي أنا آت بكم إليها لتسكنوا فيها. ولا تسلكون في رسوم الشعوب التي أنا طاردهم من أمامكم، لأنهم قد فعلوا كل هذا فكرهتهم. وقلت لكم ترثون أنتم أرضهم وأنا أعطيكم إياها لترثوها أرضا تفيض لبناً وعسلاً، أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب".

وليس هناك أكثر صراحة في تعليق الجواب علي الشرط وتوقف التمكين - سواء الذي حدث لهم أيام موسى وما أعقبها أم في عهد سليمان- على أمر الطاعة وحفظ الوصايا، مما جاء في سفر الملوك الأول9: 3- 9في مخاطبة الله لسليمان بن داود عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وفيه: "قال له الرب قد سمعت صلاتك وتضرعك الذي تضرعتَ به أمامي، قدستُ هذا البيت الذي بنيتَه لأجل وضع اسمي فيه إلي الأبد وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام. وأنت إن سلكت أمامي كما سلك داود أبوك بسلامة قلب واستقامةٍ وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضي

وأحكامي. فإني أقيم كرسيَّ ملكك على إسرائيل إلى الأبد كما كلمت داود أباك قائلاً: لا يعدم لك رجل عن كرسيِّ إسرائيل. إن كنتم تنقلبون أنتم أو آبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي – فرائضي- التي جعلتها أمامكم بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلا وهزأة في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة، كل من يمر عليه يتعجب ويصفُرُ ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت. فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر".

وفي سفر التثنية 30: 15- 20على لسان موسى عليه السلام: "أنظر، قد جعلتُ اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر. بما أنى أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها. فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها. فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون، لا تطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر الأردن لكي تدخلها وتمتلكها. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض، قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك والذي يُطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لآبائك إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يعطيهم إياها".

والسؤال: هل وفى بنو إسرائيل بعهودهم ومواثيقهم؟ وهل نفذوا تعاليم دينهم؟ وهل التزموا بأوامر أنبيائهم؟ وهل تغير حال أشياعهم .. في واقعنا المعاصر عن حال أسلافهم في الأزمان الغابرة؟

الحقيقة الثانية:

إخلال بني إسرائيل بشروط موعود الله:

إن الجواب المنصف عن الأسئلة - سالفة الذكر - والبعيد عن كل تعصب، يدعونا لأن نسوق - لإثبات نقض سوادهم الأعظم لجميع المواثيق وخرقهم لجميع العهود وعصفهم بجميع الأوامر وتآمرهم على جميع الأنبياء - طرفاً مما جاء في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم، ذلك أن ما أحدثه الله لبنى إسرائيل من نعم وتمكين ومن إنجاء وتفضيل على العالمين، كان ينبغي أن يقابل بالشكر والاعتراف بالجميل والانكباب على عبادة الله وحده وعدم الإشراك به، لكن ما حدث منهم كان على العكس من ذلك تماماً فقد وقع منهم ما أحس به موسى عليه السلام وما تخوف منه، فما أن تجاوزوا معه البحر قاصدين ما اشرأبت إليه نفوسهم وتطلعت إليه أفئدتهم من دخول الأرض المقدسة، حتى تناسوا كل ما أوصاهم به ربهم على لسانه، وراحوا وهم في صحبته يؤملون أنفسهم بعبادة الأصنام بل وشرعوا - دون ما حياء ولا استحياء - يطلبون ذلك منه، وفي ذلك يقول سبحانه: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون❖ إن هؤلاء متبّرٌ ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون❖ قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين .. الأعراف/138- 140).

وبعد أن قال لهم موسى كلمته ووعظهم بأن ما يطلبونه يعد جهلاً فاضحاً يجب أن يربأوا بأنفسهم عنه، وبعد أن أوصاهم وأرشدهم لما فيه صلاحهم، تعجل الذهاب لملاقاة ربه تحرقا وشوقا وطلبا لرضاه، واستخلف عليهم أخاه هارون ورجاه الترفق بهم ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، لكن أنى لهارون ولا لمئات أو حتى لآلاف من مثله أن تفلح دعوتهم مع قوم يجرى الكفر وإغاظة الرب به في نفوسهم مجرى الدم في العروق، لقد تحدثت جميع الكتب السماوية عما جرى من بنى إسرائيل عقب ذلك وذكرت أنه ما أن ذهب موسى لميقات ربه حتى أعلمه سبحانه من هناك بأن قومه اتبعوا السامري واتخذوا العجل معبوداً لهم من دون الله ، وذلك بعد أن فشلت معهم دعوة هارون وبعد قوله لهم: (يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري .. طه/90)،

وبعد أن كان جوابهم له (لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى .. طه/91)، الأمر الذي أوقع هارون في حرج مع أخيه موسى ظناً من الأخير أن هارون قصر في نهيهم عن عبادة العجل أو لم يحسن تنفيذ ما كلفه به في قوله: (اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين .. الأعراف/142)، أو خشية أن يقول له: (فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي .. طه/94).

وكان حاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورعوا عن زينة القبط فألقوها عنهم وعبدوا العجل! وذلك بعد أن صاغوه من الذهب والحلي الذي استلبوه من مصر واصطحبوه معهم، وكان هارون قد أشار عليهم أن يلقوا به في حفرة فيها نار فيجعلونه سبيكة واحدة حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء ، لكن كان ما حكاه القرآن في قوله سبحانه: (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً)، أي أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وإظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله، وقيل هو ما وعدهم به سبحانه من الوصول إلى جانب الطور الأيمن، وما بعد ذلك من الفتوح في الأرض والمغفرة لمن تاب وآمن، وغير ذلك مما وعد الله تعالى أهل طاعته، (أفطال عليكم العهد)، بنسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي .. طه/86) ، وكان الغضب الذي أصابهم بإرادتهم وافترائهم أن أذلهم الله ولم يقبل منهم توبة حتى يقتل بعضهم بعضاً كما قال تعالى: (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم .. البقرة/54).

وجاءت تصريحات التوراة والإنجيل والقرآن بعبادة القوم ومن تلاهم من الأبناء والأحفاد لغير الله وبقتلهم الأنبياء بغير حق وبنقضهم المواثيق التي أخذها الله عليهم في معظم فترات حياتهم، مما يعنى أن ما حُكى عنهم في هذا الصدد مما لا يستطيعون إنكاره أو تكذيبه هو الذي أدي بهم إلى إيقاع وعيد الله بهم من تشتيت ومحق كانوا هم السبب فيه.

ففي سفر الملوك الثاني 17: 11- 20 "عملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب. وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم عنها لا تعملوا هذا الأمر. وأشهد الرب على إسرائيل

وعلى يهوذا - أي بنيهما - عن يد جميع الأنبياء وكل راء قائلا: ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياي- فرائضي- حسب كل الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم عن يد عبيدي الأنبياء. فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم. وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين وعملوا سواريَ وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل. وعبّروا بنيهم وبناتهم في النار وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر في عيني الرب لأغاظته. فغضب الرب جداً على إسرائيل ونحاهم من إمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده. ويهوذا أيضا لم يحفظوا وصايا الرب إلههم بل سلكوا في فرائض إسرائيل التي عملوها. فرذل الرب كل نسل بني إسرائيل وأذلهم ودفعهم ليد ناهبين حتى طرحهم من أمامه"، فهل بعد تحدي الرب وإغاظته وإعلان الكفر به وعبادة العجل والأصنام وجند السماء وغير ذلك من دونه، من ذنب؟.

وعلى لسان موسى كليم الله ورد في سفر التثنية 9: 23، 24 "عصيتم قول الرب إلهكم ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله. قد كنتم تعصون الرب منذ يوم عرفتكم"، وفيه31: 27- 30 يقول: "إني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة، هو ذا وأنا بعد حيّ معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحريّ بعد موتي. اجمعوا إليّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليكم السماء والأرض .لأني عارف أنكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق ألذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم. فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه"، وأقام عليهم بذلك حجة الله.

وعلى لسان عيسى روح الله جاء في إنجيل متى 23: 31- 33 "أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء . فاملأوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم".

وما بين هذين النبيين من أولي العزم، من زمن امتد بهم عشرات القرون، و ضم خلاله مئات بل آلاف الأنبياء، (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلون .. المائدة/70).

ونذكر مما ورد على لسان بعض أولئك الأنبياء وفي أسفارهم ما جاء في سفر يشوع 7: 10- 11من قول الله له: "قال الرب ليشوع: قم لماذا أنت ساقط على وجهك. قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به بل أخذوا من الحرام بل سرقوا بل أنكروا"، وسفر الملوك الأول 19: 9- 10من قول الرب لإيليا (إلياس عليه السلام): "ما لك ههنا يا إيليا. فقال: قد غرت غيرة للرب إله الجنود لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك، ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف، فبقيت أنا وحدي وهم يطلبون نفسي ليأخذوها"، وسفر إشعياء وعلى لسانه 28: 14- 15 في عبارات تحمل البشارة بمقدم النبي محمد صلي الله عليه وسلم منقذ البشرية من شرورهم: "اسمعوا كلام الرب يا رجال الهُزء ولاةَ هذا الشعب الذي في أورشليم. لأنكم قلتم قد عقدنا عهداً مع الموت وصنعنا ميثاقاً مع الهاوية، السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش استترنا"، "آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع. لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم، شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر. ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق يتكلمون على الباطل ويتكلمون بالكذب.. أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم. أرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدماء الزكي، أفكارهم أفكار إثم، في طرقهم اغتصاب وسحق. طريق السلام لم يعرفوه وليس في مسالكهم عدل، جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة كل من يسير فيها لا يعرف سلاماً. من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل" إشعياء59: 2- 4، 6- 9، وسفر إرمياء 2: 4- 5- 7- 9- 10 وعلى لسانه في عبارات تحمل أيضاً الإشارة والبشارة بمقدم رسول الرحمة وخاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه ونبي من هم أهل لحمل رسالة الله وتنفيذ أوامره ووصاياه: "اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل.

ماذا وَجد في آباؤكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً .. وأتيت بكم إلى أرض بساتين لتأكلوا ثمرها وخيرها فأتيتم ونجستم أرضي

وجعلتم ميراثي رجساً.. لذلك أخاصمكم بعد يقول الرب، وبني بنيكم أخاصم. فاعبروا جزائر كتيم وانظروا وأرسلوا إلى قيدار"، يعني جد النبي محمد من جهة إسماعيل، كناية عن إرساله- صلى الله عليه وسلم - وتحول النبوة إليه بدل بني إسرائيل، و(تكتم) اسم بئر زمزم سميت بذلك لأنها كانت اندفنت بعد جرهم، فصارت مكتومة حتى أظهرها عبد المطلب، وفي حديث زمزم: (إن عبد المطلب رأى في المنام قيل: احفر تكتم بين الفرث والدم) .

وفي أرميا 3: 20- 21 حكاية عن جرائمهم: "حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل يقول الرب..عوّجوا طريقهم نسوا الرب إلههم"، وفي 5: 19- 21- 22- 23- 25منه "تقولون لماذا صنع الرب إلهنا بنا كل هذه، نقول لهم كما أنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم هكذا تعبدون الغرباء في أرض ليست لكم .. اسمع هذا أيها الشعب الجاهل والعديم الفهم الذين لهم أعين ولا يبصرون، لهم آذان ولا يسمعون. أإياي لا تخشون.. وصار لهذا الشعب قلب عاص ومتمرد، عصوا ومضوا .. آثامكم عكست هذه وخطاياكم منعت الخير عنكم"، وفي 19: 5- 6- 7- 11- 15 منه "وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أبنائهم بالنار- يعني جهنم لأنهم تسببوا لهم في ذلك- محرقات للبعل الذي لم أوصِ ولا تكلمت به ولا صعد على قلبي. لذلك ها أيام تأتي .. أنقض مشورة يهوذا وأورشليم في هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم وبيد ظالمي نفوسهم وأجعل جثتهم أُكلاً لطيور السماء ولوحوش الأرض .. هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يُكسر وعاء الفخاري بحيث لا يمكن جبره بعد، وفي توفة يدفنون حتى لا يكون موضع للدفن.. هاأنذا جالب على هذه المدينة وعلى كل قراها كل الشر الذي تكلمت به عليها لأنهم صلبوا رقابهم فلم يسمعوا لكلامي".

وفي سفر حزقيال 22: 3- 9، 12، 15، 16خطاباً لمن سكن منهم أورشليم القدس: "أيتها المدينة السافكة الدم .. الصانعة أصناماً لنفسها لتتنجس بها. قد أثمت بدمك الذي سفكت ونجست نفسك بأصنامك التي عملت وقربت أيامكِ وبلغت سنيّكِ فلذلك جعلتكِ عاراً للأمم وسخرة لجميع الأراضي. القريبة إليك والبعيدة منك يسخرون منك يا نجسة الأمم يا كثيرة الشغب. هو ذا رؤساء إسرائيل كل واحد حسب

استطاعته كانوا فيك لأجل سفك الدم. فيك أهانوا أباً وأماً، في وسطك عاملوا الغريب بالظلم، فيك اضطهدوا اليتيم والأرملة.ازدريتِ أقداسي ونجست سبوتي. كان فيك أناس وُشاةٌ لسفك الدم وفيك أكلوا على الجبال، في وسطك عملوا رذيلة.. فيك أخذوا الرشوة لسفك الدم، أخذتِ الربا والمرابحة وسلبت أقرباءكِ بالظلم ونسيتني.. أبددك بين الأمم وأذرِّيك في الأراضي وأزيلُ نجاستك منك. وتتدنسين بنفسك أمام عيون الأمم، وتعلمين أني أنا الرب"، وبداهة أن يكون الكلام لمن يقطنونها من بني إسرائيل.

وفي سفر دانيال وعلى لسانه9: 4- 9، 11 جاء قوله "صليت إلى الرب إلهي، واعترفت وقلت: أيها الرب .. أخطأنا وأثمنا وعملنا الشر وتمردنا وحدنا عن وصاياك وعن أحكامك. وما سمعنا من عبيدك الأنبياء .. كل إسرائيل قد تعدى على شريعتك وحادوا لئلا يسمعوا صوتك، فسكبت علينا اللعنة والحلف المكتوب في شريعة موسى عبد الله لأننا أخطأنا إليه.."، وفي سفر هوشع وعلى لسانه 4: 1- 3: "اسمعوا قول الرب يا بني إسرائيل، إن للرب محاكمة مع سكان الأرض لأنه لا أمانة ولا إحسان ولا معرفة الله في الأرض. لعنٌ وكذب وقتل وسرقة وفسق يعتنقون، ودماء تلحق دماء. لذلك تنوح الأرض ويذيل كل من سكن فيها مع حيوان البرية وطيور السماء، وأسماك البحر أيضا تنتزع".

وفي سفر عاموس2: 4 "رفضوا ناموس الله ولم يحفظوا فرائضه وأضلتهم أكاذيبهم التي سار آباؤهم ورائها"، وفي سفر يونان بن أمتّاي(يونس بن متى) عليه السلام 1: 1 قال له الرب: "قم اذهب إلى نينوى المدينة العظيمة وناد عليها لأنه صعد شرهم أمامي"، وفي سفر ميخا 3: 9- 11وعلى لسانه: "اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب وقضاة بيت إسرائيل الذين يكرهون الحق ويعوجون كل مستقيم. الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم. رؤساؤها يقضون بالرشوة، وكهنتها يعلمون بالأجرة".

وفي سفر حبقوق 2: 12 "ويل للباني مدينة بالدماء وللمؤسس قرية بالإثم"، وفي سفر صَفَنْيَا 3: 1- 4 "ويل للمتمردة المنجسةِ المدينة الجائرة. لم تسمع الصوت لم تقبل التأديب لم تتكل على الرب لم تتقرب إلى إلهها. رؤساؤها في وسطها أسود زائرة قضاتها ذئاب مساء لا يبقون شيئاً إلى الصباح .. كهنتها نجسوا القدس خالفوا الشريعة"، وفي سفر زكريا: 7: 9- 12، 14 "اقضوا قضاء الحق واعملوا إحسانا

ورحمة، كل إنسان مع أخيه. ولا تظلموا الأرملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير ولا يفكر أحد منكم شراً على أخيه في قلبكم. فأبوا أن يُصغُوا وأعطوا كتفاً معاندة وثقلوا آذانهم عن السمع. بل جعلوا قلبهم ماساً لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله رب الجنود بروحه عن يد الأنبياء الأولين فجاء غضب عظيم من عند رب الجنود.. وأعصفهم إلى كل الأمم الذين لم يعرفوهم، فخربت الأرض ورائهم لا ذاهب ولا آئب فجعلوا الأرض البهجة خراباً".

وفي سفر ملاخي 2: 8، 9، 17 وعلى لسانه: "أما أنتم فحدتم عن الطريق وأعثرتم كثيرين بالشريعة.. فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب كما أنكم لم تحفظوا طرقي بل حابيتم في الشريعة.. لقد أتعبتم الرب بكلامكم وقلتم بم أتعبناه، بقولكم كل من يفعل الشر فهو صالح في عيني الرب وهو يسرّ بهم. أو أين إله العدل"، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وعلى غرار ذلك وردت آيات كثيرة توضح هي الأخرى نقض بنى إسرائيل للمواثيق والعهود، بل وتنص على كثير مما تضمنته تلك المواثيق من بنود كم كانت ستعود عليهم بالخير والنفع في أمور دينهم ودنياهم وأخراهم لو أنهم أقاموا حكم الله فيها، لكن لتوليهم وعصيانهم عوقبوا من الله بما استحقوا، نذكر من ذلك قوله تعالى: (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون❖ ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين❖ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين .. البقرة/63- 65)، (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلاً منكم وأنتم معرضون❖ وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون❖ ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان.. البقرة/83- 85)، (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم.. البقرة/93)، (ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لا تعدوا في

السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً❖ فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير الحق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً ❖ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيماً❖ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.. النساء/154- 157)، (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجرى من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل❖ فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم .. المائدة/12- 13)، والآيات في ذلك في القرآن وفي الأسفار أكثر من أن تعد، وحسبنا منها ما ذكرنا.

فأنى لقوم لم يحققوا في أنفسهم فعل الشرط أن يتحقق لهم من قِبل الرب أو ينتظروا منه جوابه وجزاءه؟.

الحقيقة الثالثة :

(موعود الله لبنى إسرائيل موقوت بفترة زمنية محددة)

وكما كان وعد الله لبنى إسرائيل مشروطا بوصايا وبعهود لم يصونوها، ومنوطا بتعاليم ومواثيق لم يراعوها.. فقد كان مرهوناً كذلك وموقوتا بفترة زمنية محددة، شاء الله لها أن تختم بنبي الله عيسى عليه السلام الذي تآمر بنو إسرائيل على قتله هو الآخر وصلبه- كما تآمروا على قتل غيره- لولا أن رفعه الله إليه وألقى شبهه على غيره.

لذا كان مجيء عيسى عليه السلام- بعد أن تناوب عليهم ومن بنى جلدتهم لكن دون جدوى عدد غير قليل من الأنبياء والمصلحين - كان مجيئه محاولة أخيرة لإرجاعهم إلى سابق عهدهم حتى ينزعوا إلى صبغة الله، ولا يرغبوا عن ملة آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وتمهيداً في الوقت ذاته لمرحلة جديدة يتوقف عندها وحي السماء إلى الأرض، وتستمر بالتالي إلى الأبد، الأمر الذي ينذر بخطورة ما وصل إليه

القوم من ختم على القلوب من جراء غلقها أمام كل خير، ويؤذن بفقدان الأمل في إرجاع الأمر على يد هؤلاء مرة ثانية إلى ما كان عليه، ويعني كذلك- وهذا هو الأهم- أن انتهاء مدتهم التي قدرها الله لهم لوراثة الأرض والنبوة له ما يبرر.

ويفسر لنا ذلك- أعني فقدان الأمل في إصلاح بن إسرائيل - سر تركيز دعوة عيسى عليه السلام على التبشير بنبي آخر الزمان ففي إنجيل يوحنا 14: 15- 17، 26، 29، 30وما بعدها يقول لحوارييه: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي.

وأنا أطلب من الأب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم .. وأما المعزى الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم... وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون. لا أتكلم أيضاً معكم كثيراً لآن رئيس هذا العالم يأتي وليس له في شيء"، وفيه15: 26- 27"متى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء"، وفيه على لسان المسيح عليه السلام 16: 5- 8، 12- 14 "أما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي. لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن انطلق لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يوبخ العالم .. إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم" .

فقول عيسى عليه السلام: إن الآب "يعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد"، إنما يكون لما يدوم ويبقى معهم إلى آخر الدهر، ومعلوم أنه لم يرد بقاء ذاته فعلم أنه بقاء شرعه وأمره، وهذا يبين أن المبشر به المشار إليه بقول عيسى: (معزياً آخر)، صاحب شرع لا ينسخ بل يبقى إلى الأبد بخلاف المتحدث بذلك وهو عيسى نفسه الذي أعلن عن انتهاء مهمته التي أوكلها إلى صاحب البشرى صلى الله عليه وسلم، كما يبين أن هذا الآخر المزمع مجيئه لم يكن معهم في حياة عيسى وإنما يكون بعد

ذهابه وتوليه عنهم، وذلك كله- بالطبع- مما لا ينطق إلا على محمد صلوات الله عليه، القائل عن نفسه: (أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخي عيسى)، كما ينطبق على أمته وعلى كل من آمن من أهل الكتاب بدعوته.

ومصداق ذلك فيما جاء في كتب القوم ما ورد في سفر التكوين49: 10 "لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب"، أي يزول الملك من اليهود بأسرهم بعد فترة من الزمان وعلى وجه التحديد بعد تمام حكم موسى وعيسى - عليهما السلام- وإلى أن يتم ذلك فسيظل ملك اليهود في سلالة يهوذا أكبر أبناء سيدنا يعقوب وسيكون آخر عهدهم بالملك والنبوة على يد (المشترع) إشارة إلى المسيح عيسى- عليه السلام- فإذا جاء بنى الإسلام (شِيلون) الذي استعلن – بالفعل- من جبال فاران والذي اجتمعت إليه - حقاً - بعد انتظار، شعوب العالم، والذي خضعت له – صدقاً- عن طريق الفتوحات سائر الأمم .. يزول ملك بني إسرائيل ويبطل العمل بالتوراة .

وابتناء على ما سبق فإرسال محمد بن عبد الله عليه السلام يعد من دلائل صدق عيسى وموسى- عليهما السلام - ولو لم يظهر لبطلت نبوتهما بل ولبطلت نبوات الأنبياء لتبشيرهم جميعا بنبوته عليه السلام، وذلك قوله تعالى: (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ..آل عمران/81)، فظهور نبوته - صلى الله عليه وسلم -

تصديق لنبوآتهم وشهادة لها بالصدق، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى في قوله: (بل جاء بالحق وصدق المرسلين.. الصافات/37)، فإن المرسلين بشروا به وأخبروا بمجيئه، فمجيؤه تصديق لهم إذ هو تأويل ما أخبروا به، كما أن تصديقه المرسلين شهادة منه بصدقهم وإيمان بهم، وعليه فصدقهم كان بمجيئه وبشهادته، ومثل هذا قول المسيح لبني إسرائيل: (إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديه من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد.. الصف/6)، فإن التوراة لما بشرت بعيسى عليه السلام وبنبوته، كان نفس ظهوره تصديقاً للمرسلين من قبله، ثم لما بشر عيسى عليه السلام برسول يأتي من بعده اسمه (أحمد) كان ظهور هذا الأخير المبشر به

تصديقاً لعيسى، كما كان ظهوره تصديقاً كذلك للتوراة، فعادة الله في رسله أن السابق يبشر باللاحق، واللاحق يصدق السابق ، والله سبحانه لا يخلف وعده ولا يكذب خبره .

وقد أدرك هذه الحقيقة كل من آمن من أحبار اليهود وقساوسة النصارى وغيرهم من دعاة الحق والخير والصلاح والإصلاح بل وشهد لهذه الحقيقة ذاتها كل من أقر بنبوته ممن لم يدركه، أو سمع به وكان مانعه من الإيمان به الحقد والبغي والحسد، أو خوف ضياع الملك والسيادة .

ونذكر من ذلك فيما يخص قضية انتقال موعود الله لبني إسماعيل، ما جاء عن يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن جده قال: قال يونس، وكان نصرانيا فأسلم: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى أهل نجران: (بسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمد النبي رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران، سلم أنت، إني أحمد إليكم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، أما بعد:-

فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد ، فإن أبيتم فالجزية فإن أبيتم فقد آذنتكم بحرب.. والسلام)، فلما أتى الأسقف الكتاب وقرأه فظع به وذُعر ذُعراً شديداً ، فبعث إلى رجل من أهل عمان يقال له شرحبيل بن وداعة ، وكان من همدان، ولم يكن أحد يدعى إلى معضلة قبله، فدفع الأسقف كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شرحبيل فقرأه، فقال الأسقف: ما رأيك يا أبا مريم؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة .. إلى آخر ما جرى بينهما.

ونظيره ما جاء عن محمد بن سعد قال: أخبرنا علي بن محمد عن أبي عبيدة بن عبد الله، وعبد الله بن محمد بن عمار بن ياسر وغيره عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات، فلما كانت ليلة ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في مجلس من مجالس قريش: هل كان فيكم من مولود هذه الليلة؟ قالوا: لا نعلمه، قال: انظروا يا معشر قريش وأحصوا ما أقول لكم، ولد هذه الليلة نبي هذه الأمة أحمد، وبه شامة بين كتفيه فيها شعرات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يعجبون من حديثه، فلما صاروا في منازلهم ذكروه لأهاليهم، فقيل

لبعضهم: ولد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً فأتوا اليهودي في منزله، فقالوا: علمنا أنه ولد فينا غلام، فقال: أبعد خبري أم قبله؟ فقالوا: قبله واسمه محمد، فقال فاذهبوا بنا إليه، فخرجوا حتى أتوا أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره فغُشي على اليهودي، ثم أفاق، فقالوا: ما لك؟ ويلك! فقال: ذهبت النبوة من بني إسرائيل وخرج الكتاب من أيديهم، ففازت العرب بالنبوة، أفرحتم يا معشر قريش؟ أما والله ليسطون بكم سطوة يخرج نبؤها من المشرق إلى المغرب" ، وهذا هو دأبهم مع الحق وأهله، يعرفون الحق ويكيدون لأهله بغياً وحسداً من عند أنفسهم غير مكتفين بكفرهم به.

وفي إنجيل متى 21: 33وما بعدها "كان إنسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى بُرجاً وسلمه إلى كرامين وسافر. ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره، فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً. ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين، ففعلوا بهم كذلك. فأخيراً أرسل إليهم ابنه قائلاً: يهابون ابني. وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث، هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه. فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين. قالوا له: أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار في أوقاتها. قال لهم يسوع: أما قرأتم قط في الكتب. الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب، كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره".

فالكرم- كما هو بيّن في هذا المثل المضروب ومؤيد بنصوص أخرى في أسفار العهد القديم والعهد الجديد من الكتاب المقدس - كناية عن الأرض المقدسة، والكرامون والبناؤون هم بنو إسرائيل الذين أرسل الله أنبياءه (عبيده) إليهم المرة تلو المرة، فاعتدوا عليهم بالقتل والجلد والرجم، إلى أن أرسل الله عيسى عليه السلام الابن والوارث ليعقوب بن إسحاق بن إبراهيم في الأرض المقدسة ليكونوا معه فيذعنوا له ويؤمنوا به ويتبعوه، لكنهم بدل ذلك أخذوه خارج الكرم وقتلوه بحسب فهمهم أنهم قتلوا المسيح.. والحجر الذي رفضه البناؤون كناية عن سيدنا إسماعيل

وأولاده من أمة العرب التي على رأسها ومن خيارها محمد صلى الله عليه وسلم، ذلك أن إسماعيل رفضته السيدة سارة امرأة أبيه رفضته هو وأمه، لكن الزمان يدور في نهاية الأمة الإسرائيلية ويعود بنو إسماعيل والمسلمون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فيصيرون هم رأس الزاوية في الأهمية بالنسبة لله .

وهنا يستطرد السيد المسيح مصرحاً بذلك وكاشفاً عما يرمى إليه هذا المثل وموجهاً الكلام إلى تلامذته الذين هم من بنى إسرائيل، فيخبرهم بأن ملكوت الله المتمثل في إرث الأرض والنبوة سينزع من بنى إسرائيل ليعطى لأمة إسماعيل لتعمل أثماره، ولتصير رأس الزاوية من قِبَل الرب، وفى ذلك بيان شافٍ كافٍ لمن يستحق الوعد ويخلف بنى إسرائيل فيه من بعد انقضاء مدتهم في مكنون علم الله سبحانه.

فهل يعقل معشر يهود وفى مقدمتهم أولئك الزاعمين ملكية بيت المقدس من الحاخامات ومن والاهم من المتعصبين والمتشنجين، هذا المثل المضروب لهم، فيكفوا عن المطالبة بما ليس لهم بموجب ما جاء في الكتاب المقدس وعلى ألسنة أنبيائهم؟ وهل حان الوقت لكي يعِ أولئك المعتدون على الحرمات والمقدسات وأصحاب الأرض، ما جاء في كتبهم وما شهد به كبراؤهم وأحبارهم ممن زامنوا بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ورأوا فيه من العلامات ما جعلهم يقرون ويعترفون بحقيقة الأمر؟ أم أن ما فشل فيه الأسلاف الذين رفضوا الإذعان لأمر موسى بدخول الأرض المقدسة - التي هي في الأصل أرض عربية - قائلين له: (أنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا أنا ههنا قاعدون .. المائدة/24)، يريد الخارجون على تعاليم الرب والمتمردون على أوامره من الأحفاد عن طريق القتل والتشريد والمذابح الجماعية وسفك الدماء وإهلاك الحرث والنسل أن يحرزوا بعد فوات الأوان قصب السبق في سلبه ونهبه؟.

على أن موعود الله لبني إسرائيل لم يكن مقصوراً على ذلك الوعد الموقوت بامتلاك الأرض وتوريث النبوة، الذي كان لهم قبل تحوله عنهم، فقد وعدهم الله كذلك بمحبته إن هم آمنوا به وحفظوا وصاياه، كما وعدهم إن هم فعلوا ذلك وآمنوا برسله وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، بالرزق الوفير وبتكفير السيئات وبدخول الجنة، سواء كان ذلك قبل انتقال موعوده لهم بالأرض والنبوة وتحوله عنهم أم بعده، جاء ذلك على لسان كل من عاصرهم من الأنبياء، فغير ما ذكره موسى مما سقنا بعضه في

صورة الشرط والجزاء، جاء على لسان عيسى عليه السلام في إنجيل يوحنا 14 : 15 "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي"، وفي القرآن الكريم قوله جل ذكره: (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم .. البقرة/40)، وقد نقل القرطبي عن الحسن وقتادة أن المراد بالعهد قوله: (ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار .. المائدة/12)، ونظيره ما جاء في قوله: (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم.

ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم .. المائدة/65، 66)، والجمهور على أنه عام في جميع أوامره ونواهيه ووصاياه، ويدخل في ذلك – بالطبع- الإيمان بمحمد الذي ورد ذكره في التوراة والإنجيل والذي لا يصلح لهم إيمان بغيره ولا تكتب لهم نجاة بسواه .. وعليه فالذي كان من الواجب أن يكون محط اهتمام بني إسرائيل منذ بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وإلى يوم أن يرث الله ومن عليها سيما مدعي التدين منهم ممن هم الآن على قيد الحياة وأخص بالذكر منهم حاخاماتهم ومن أطلقوا على أنفسهم أمناء الهيكل، هو إنفاذ ما تبقى من هذه العهود والوفاء بها، حتى ينالوا الحظوة عند الله، بدلاً من أن يخسروا بفعالهم وعنادهم وجحودهم واعتداءاتهم أجري الدنيا والآخرة بل ويستحقوا مع ذلك وعيده لهم فيهما.

الحقيقة الرابعة:

تفضيل بنى إسرائيل كان مرده التمسك بعهد الله: نفيد مما سبق أن النصوص الدالة في آي الذكر الحكيم على تكريم بنى إسرائيل وتفضيلهم على عالمي زمانهم وتحقيق موعود الله لهم وجعلهم أو بعضاً منهم أئمة يهتدى بهم .. إنما جئ بها- على ما نطقت به آي التنزيل ونصوص الكتاب المقدس- في معرض الامتنان على بنى إسرائيل إبان التزامهم بما كان يأمرهم به الرب سبحانه، وفي غير أوقات انحرافهم أو إقامتهم على المعصية أو إعلانهم الكفر والتأبي على أحكام الله وأوامر أنبيائه .

كما جيء بها كذلك في معرض الحديث عن تميز الطائفة الظاهرة على الحق- والتي عادة ما تكون قليلة العدد- عن الكثرة المنحرفة، وذلك للإعلام- على ما يقتضيه العدل الإلهي والإنصاف- أنه بقدر غلبة الحق وانحسار الباطل والتمسك بعهد الله وميثاقه والإذعان لأوامره وأحكامه والكف عن معاصيه، بقدر ما يكون التفضيل والتمكين.

ومن الآيات التي يتراءى فيها جانب الاصطفاء وإسباغ النعم في ضوء ما ذكرنا، قول الله تعالى: (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين.. البقرة/47)، وقوله: (وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى. البقرة/57)، وقوله: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين.. المائدة/20)، وقوله: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون.. السجدة/24)، وقوله: (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين.. الجاثية/16).

ومن مظاهر تكريم الله لهم على ما ذكر المفسرون أن ناداهم باسم أبيهم الذي هو منشأ فخارهم وأصل عزهم، وأكثر فيهم الأنبياء والملوك وأعطاهم من الفضل والزيادة ما لم يعط غيرهم من شعوب الأرض حتى الأمم ذات الحضارات كالمصريين وسكان الأراضي المقدسة، ومن مظاهره أن جاوز بهم البحر وأخرجهم من مصر بعد أن أنقذهم من بطش فرعون وأشياعه العتاة، وما ذلك كله إلا لنفس الأسباب التي سبق ذكرها.

كما عمّهم سبحانه برحمته وبدعاء صالحيهم حتى في تيههم الذي استمر أربعين سنة والذي كان بين مصر والشام، وذلك عندما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين وقتالهم إثر أمر الله لهم بذلك بناءاً على رغبتهم في دخول الأرض المقدسة، بل وعقب قولهم لموسى بكل جرأة: (إنا لن ندخلها أبداً ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون.. المائدة/24) .. وعندما شكوا إلى موسى ما أصابهم في الصحراء من حر شديد ومن قلة الطعام والشراب، أرسل الله إليهم الغمام يظللهم، وأنزل عليهم المنّ الذي يشبه العسل فكانوا يمزجونه بالماء ويشربونه، وكانت السُّمانى

تـأتيهم فيأخـذ كـل واحـد منهم مـا يـكفيـه إلى الغـد، وأوحـى الله إلى نبيـه موسـى أن يضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بقدر قبائلهم، ومع كل هذه النعم التي تستوجب الشـكـر والامتثال، فقـد قابلوهـا بـالنكران واستبدلوا الـذي هـو أدنـى بالذي هو خير، وعلى الرغم من كل هذا فقد فتح لهم سبحانه باب توبته لهم ووعدهم إن هم دخلوا الأرض المقدسة سجداً طالبين المغفرة بأن يحط عنهم خطاياهم، إلا أنهم ظلوا على ما هم عليه من عدم مراعاة تعاليم الرب ووصاياه، بل استهزءوا بها، وبدل أن يدخلوا باب بيت المقدس منحنين خاضعين دخلوه على أستاههم زاحفين، وبدل أن يقولوا (حطة) أي (حط عنا خطايانا)، قالوا: (حنطة)، وارتكبوا من المعاصي على إثر ذلك ما حجب عنهم تمكينه تعالى من بيت المقدس، وكان ما أخبر الله به في قوله: (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين❁ فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون .. البقرة/58، 59).

وفي النظم الكريم ما يشعر ويومئ من طرف خفي إلى تمايز القلة المتمسكة بأوامر الرب ووصاياه عن الذين ظلموا أنفسهم وبدلوا (قولاً غير الذي قيل لهم)، فقد قرر أهل التأويل أنه لم يدخل الأرض المقدسة المعبر عنها في الآية الكريمة بـ (القرية) من بعد موسى سوى قلة تمثلت- مع النواشئ من ذرياتهم- في يوشع ورجلين أنعم الله عليهما بالإيمان به تعالى والخوف منه، ولم يدخلها أحد ممن قال: (لن ندخلها أبداً)، بل لم يكتف سبحانه بأن حرم عليهم دخولها حتى أهلكهم بالطاعون الذي غدا بسبعين ألف منهم وقيل بأربعة وعشرين ألفاً فجعلهم أثراً بعد عين.

وهنا نبصر من خلال شواهد القرآن الأخرى المتعلقة بهذه الواقعة وكذا شواهد السنة الصحيحة عدل الله المطلق، حيث حرّم سبحانه دخول الأرض المقدسة على الذين نكصوا على أعقابهم على الرغم من أنهم كانوا في صحبة موسى وهارون عليهما السلام وعلى الرغم من دعوة هذين النبيين المباركين لهم ونصحهما إياهم بل وتحايلهما عليهم، في حين مكن ليوشع بن نون الذي قام بالأمر بعد كليم الله موسى عليه السلام فخرج ومعه من تبقى من بنى إسرائيل ممن تشجعوا لدخولها ولم يتفوهوا بما تفوه به سابقوهم، فقصد بهم بيت المقدس، بل وأحدث الله له ولهم من الكرامات

ما أعانهم على دخولها في الموعد الذي أرادوه، حتى أن يوشع لما حاصرها بمن معه، وهم بافتتاحها ودنت الشمس للغروب، وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر، فخشي إن دخلت ليلة السبت أن يسبتوا، نادى الشمس وقال: إنك مأمورة وإني مأمور فوقفت حتى افتتحها ووجد فيها من الأموال ما لم يُر مثله قط .. وهكذا.

الأمر الذي يعني التنبيه على أن سنة الله في التفضيل ثابتة لا تتغير ولا تتبدل لكونه سبحانه لا يفضل بعد الإعذار إلا الفئة المؤمنة الصابرة، إذ حاشاه- جلت قدرته وتعالت حكمته- أن يساوي بين من امتثل لأمره ومن عدل عنه، أو أن يحابى أحداً على حساب أحد، وإنما يتأتى ذلك ممن اختلت عقولهم وموازين العدل عندهم من البشر.

وعليه فدعاوى السابقين من بنى إسرائيل أنهم أبناء الله وأحباؤه، واللاحقين منهم بأنهم شعب الله المختار على ما هم عليه هؤلاء وأولئك من كفر ومعصية، دعاوى زائفة ولا أساس لها في ميزان العدل الإلهي، لذا يقول سبحانه في دحضها: (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما وإليه المصير .. المائدة/18).

ومصداق ذلك فيما يدينون به ما جاء في سفر التثنية7: 6، 9- 11 "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض .. فاعلم أن الرب إلهك هو الله الإله الأمين الحافظ العهد والإحسان للذين يحبونه ويحفظون وصاياه إلى ألف جيل. والمجازي الذين يبغضونه بوجوههم ليهلكهم، ولا يمهل من يبغضه، بوجهه يجازيه. فاحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا أوصيك اليوم لتعملها".

وفي الإصحاح الثامن من نفس السفر 1- 3 جاء في خطاب الله لموسى ولمن اعتزم صحبته إلى أرض الميعاد ما نصه: "جميع الوصايا التي أنا أوصيكم بها اليوم تحفظون لتعملوها لكي تحيوا وتكثروا وتمتلكوا الأرض التي أقسم الرب لآبائكم. وتتذكر كل الطريق التي فيها سار بك الرب إلهك هذه الأربعين سنة في القفر لكي يُذِلّكَ ويجرّبك ليعرف ما في قلبك أتحفظ وصاياه أم لا . فأذَلّكَ وأجاعك وأطعمك المنّ

الذي لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك لكي يعلّمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الإنسان".

ولما كان ما كان من أمر نكوصهم "قال له الرب- يعني لموسى- هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها، قد أريتك إياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبُره. فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب" تثنية 34: 4- 5، أما من كانوا في صحبته عليه السلام فقد كان السبب في حرمانهم دخولها "أن بني إسرائيل ساروا أربعين سنة في القفر حتى فني جميع الشعب رجال الحرب الخارجين من مصر الذين لم يسمعوا لقول الرب الذي حلف الرب لهم إنه لا يريهم الأرض التي حلف الرب لآبائهم أن يعطينا إياها، الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً. وأما بنوهم فأقامهم مكانهم"سفر يشوع 5: 6- 7.

وعن مجازاته سبحانه لمن استنهضهم يوشع بن نون بما يستحقونه من موعوده، جاء في سفر يشوع 21: 43- 45 "فأعطى الرب إسرائيل جميع الأرض التي أقسم أن يعطيها لآبائهم فامتلكوها وسكنوا بها. فأراحهم الرب حواليهم حسب كل ما أقسم لآبائهم ولم يقف قدامهم رجل من جميع أعدائهم بل دفع الرب جميع أعدائهم بأيديهم. لم تسقط كلمة من جميع الكلام الصالح الذي كلم به الرب بيت إسرائيل بل الكل صار"، وإنما كان لهم ما أرادوا- فيما يشبه النحو على آبائهم باللائمة أن خالفوا ما أمر به موسى عليه السلام- لأن الذين كانوا مع يشوع "أجابوا يشوع قائلين، كل ما أمرتنا به نعمله وحيثما ترسلنا نذهب. حسب كل ما سمعنا لموسى نسمع لك، إنما الرب إلهك يكون معك كما كان مع موسى. كل إنسان يعصي قولك ولا يسمع كلامك في كل ما تأمره به يقتل"، كذا هو نص يشوع 1: 16- 18.

الحقيقة الخامسة:

لا محاباة في أن عهد الله لا يناله الظالمين:

واتّباعاً لهذه السنة الماضية- سنة تفضيل الله وإنجائه للطائفة المؤمنة، قليلة العدد والعدة- واستكمالا للحديث عن الشق الثاني منها والذي جاء ذكره في مثل قول الله تعالى: (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله.. الأنعام/116)، وقوله: (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين.. يوسف/103)، وقوله: (فأبى أكثر الناس إلا كفوراً.. الفرقان/50)، وقوله: (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين.. الصافات/71)، إلخ.. نقول أن جرائم بنى إسرائيل التي تعدت كل وصف وفاقت- كماً وكيفاً- كل حد، لا تخفى على ذي لب.

والسؤال ماذا يفعل الله بقوم تركوا ملة آبائهم التي أمروا ألا يعيشوا إلا في كنفها وألا يموتوا إلا عليها، وبدلاً من أن يقيموا التوحيد فيما بينهم، راحوا يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير وطفقوا يلتمسون الهدى في عبادة العجل تارة وفى العقائد الباطلة التي برأ الله منها ساحة خليله إبراهيم وبنيه من الأنبياء جميعاً، تارة أخرى، راغبين بذلك عن وصاياهم وضاربين بكلامهم جميعاً عرض الحائط؟.

يقول سبحانه مبيناً ما وصل إليه حال تلكم الكثرة من بنى إسرائيل: (إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين.. الأعراف/152)، (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به.. المائدة/13)، ويحكى عنهم سلفاً وخلفاً قولهم: (كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا.. البقرة/135)، ويأتي الرد على ذلك والتحذير منه والتنديد به في قوله بعد: (قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين❁ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون❁ فإن آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.. البقرة/135- 137)، (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم

الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون.. البقرة/140)، قال الحسن البصري فيما رواه ابن كثير 188/1: "كانوا يقرءون في كتاب الله الذي آتاهم إن الدين عند الله الإسلام وان محمداً رسول الله وان إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برءاء من اليهودية والنصرانية، فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك".

لقد ارتكبوا بصنيعهم هذا، الخيانة التي تستوجب استبدال غيرهم بهم، وأقيمت عليهم وبنص كتبهم الحجة، وقد علمنا قبلاً كيف "عملوا أموراً قبيحة لإغاظة الرب. وعبدوا الأصنام التي قال الرب لهم لا تعملوا هذا الأمر"، وكيف حذرهم موسى عليه السلام من مغبة ذلك قائلاً لهم: "ارجعوا عن طرقكم الردية .. فلم يسمعوا وصلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم. ورفضوا فرائضه وعهده الذي قطعه مع آبائهم وشهاداته التي شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل.. وتركوا وصايا جميع الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلين.. وعبدوا البعل" على حد ما جاء في سفر الملوك الثاني 17: 11وما بعدها، كما جاء في سفر التثنية32: 21 "هم أغاروني بما ليس إلهاً، أغاظوني بأباطيلهم، فأنا أغيرهم بما ليس شعباً، وبشعب جاهل أغضبهم"، وإليه الإشارة بقوله: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلل مبين.. الجمعة/2).

ويلاحظ في آيات سورة البقرة التي سبق ذكرها في الحقيقة الرابعة، تلك الآيات التي تناولت قصة دخولهم الأرض المقدسة وتحدثت عن تبديل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم، وكيف أن ذلك كله جاء في إطار الحديث عن مدى عفو الله وفضله، وعن حلمه سبحانه وصبره اللذين عادة ما كانا يقابلان بالمزيد من الإقامة على المعصية والاستهانة بأوامر الله وأحكامه، فقد جاءت الآيات عقب الحديث عن إنجائهم من آل فرعون الذين كانوا يذبحون أبنائهم ويستحيون نسائهم ويسومونهم سوء العذاب، فراحوا- بدل أن يشكروه- يتخذون العجل معبوداً لهم من دونه، وبعد اعتذارهم المشوب بالمكر وعدم الصدق في التوبة، وبعد عفو الله عنهم، أذن سبحانه لخيارهم بالخروج مع موسى فراحوا- وهم المختارون- يطلبون منه رؤية من لا تدركه الأبصار- سبحانه- وهو يدرك الأبصار، وبعد أن أخذتهم الصاعقة من جراء

طلبهم ما يستحيل العقل إدراكه، بعثهم مرة أخرى لعلهم يشكرون، وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى ورزقهم من الطيبات، وكانوا في كل مرة كعادتهم يقابلون نعم الله بالجحود ويبدلون نعمة الله كفراً، ثم كلفهم فيما بعد ونزولاً على رغبتهم بدخول الأرض المقدسة فراحوا يتلكأون ويسيئون الأدب مع الله.. إلى آخر ما تبع ذلك من ليهم ومكرهم الذي عادة ما كان يقابل بحلم الله عليهم وقبوله توبتهم، بل وأحياناً بتفضيله لهم على سائر الخلق كلما بدت منهم سابقة خير وبادرة توبة.

ومن المواطن التي أشارت إلى هذا النمط في حياتهم ونصت على إصرارهم وصلابة رقابهم وعلى عنادهم وجحودهم كلما حلت بهم نعم الله، وعلى سعة رحمته بهم أملا في إصلاح أمرهم لكن دون جدوى.. ما جاء في مناجاة نبيهم نحميا عليه السلام في الإصحاح التاسع العدد 11 وما بعده وفيه: "وفلقت اليم أمامهم وعبروا في وسط البحر على اليابسة وطرحت مطارديهم في الأعماق.. ونزلت على جبل سيناء وكلمتهم من السماء وأعطيتهم أحكاما مستقيمة وشرائع صادقة..عن يد موسى عبدك. وأعطيتهم خبزاً من السماء لجوعهم، وأخرجت لهم ماء من الصخرة لعطشهم، وقلت لهم أن يدخلوا الأرض التي رفعت يدك أن تعطيهم إياها. ولكنهم بغوا هم وآباؤنا وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا لوصاياك. وأبوا الاستماع ولم يذكروا عجائبك التي صنعت معهم وصلبوا رقابهم .. فلم تتركهم. مع أنهم عملوا لأنفسهم عجلاً مسبوكاً وقالوا هذا إلهك الذي أخرجك من مصر وعملوا إهانة عظيمة. أنت برحمتك الكثيرة لم تتركهم في البرية.. ولم تمنع منّك عن أفواههم وأعطيتهم ماء لعطشهم. وعُلتهم أربعين سنة في البرية.. وأعطيتهم ممالك وشعوباً.. وأكثرت بينهم كنجوم السماء وأتيت بهم إلى الأرض التي قلت لآبائهم أن يدخلوا ويرثوها. فدخل البنون وورثوا الأرض.. فأكلوا وشبعوا وسمنوا وتلذذوا بخيرك العظيم. وعصوا وتمردوا عليك وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم.. فدفعتهم ليد مضايقيهم فضايقوهم، وفي وقت ضيقهم صرخوا إليك وأنت من السماء سمعت، وحسب مراحمك الكثيرة أعطيتهم مخلّصين خلّصوهم من يد مضايقيهم.

ولكن لما استراحوا رجعوا إلى عمل الشر قدامك فتركتهم بيد أعدائهم فتسلطوا عليهم ثم رجعوا وصرخوا إليك وأنت من السماء سمعت وأنقذتهم حسب مراحمك الكثيرة أحيانا كثيرة. وأشهدت عليهم لتردهم إلى شريعتك، وأما هم فبغوا

ولم يسمعوا لوصاياك وأخطأوا ضد أحكامك التي إذا عملها الإنسان يحيا بها، وأعطوا كتفاً معاندة وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا".

وفي المزمور78: 40 وما بعده "كم عصوه في البرية وأحزنوه في القفر.. لم يذكروا يده يوم فداهم من العدو. حيث جعل في مصر آياته وعجائبه في بلاد صُوعن. إذ حوّل خلجانهم إلى دم.. أرسل عليهم بعوضاً فأكلهم وضفادع فأفسدتهم.. وهداهم- يعني بني إسرائيل- آمنين فلم يجزعوا.. وطرد الأمم من قدامهم.. فجربوا وعصوا الله العليّ، وشهادته لم يحفظوا. بل ارتدوا وغدروا مثل آبائهم، انحرفوا كقوس مخطئة. أغاظوه بمرتفعاتهم وأغاروه بتماثيلهم. سمع الله فغضب ورذل إسرائيل جداً..".

وفي سفر حزقيال20: 5وما بعده يقول الرب ممتناً على بني إسرائيل: "رفعتُ يدي لنسل بيت يعقوب وعرفتُهم نفسي أرض مصر ورفعت لهم يدي ..لأخرجهم من أرض مصر إلى الأرض التي تجسّستُها لهم تفيض لبناً وعسلاً هي فخر كل الأراضي. وقلت لهم اطرحوا كل إنسان منكم أرجاس عينيه ولا تتنجسوا بأصنام مصر .. فتمردوا عليّ ولم يريدوا أن يسمعوا لي .. فقلت إني أسكب رجزي عليهم لأتم عليهم سخطي في وسط أرض مصر. لكن صنعت لأجل اسمي لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين هم في وسطهم.. فأخرجتهم من أرض مصر وأتيت بهم إلى البرية. وأعطيتهم فرائضي وعرفتهم أحكامي التي إن عملها إنسان يحيا بها.. فتمرد عليّ بيت إسرائيل في البرية، لم يسلكوا في فرائضي ورفضوا أحكامي .. فقلت إني أسكب رجزي عليهم في البرية لإفنائهم. لكن صنعت لأجل اسمي لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم.. ورفعت أيضا يدي لهم في البرية بأني لا آتي بهم إلى الأرض التي أعطيتهم إياها تفيض لبنا وعسلاً.. لأنهم رفضوا أحكامي ولم يسلكوا في فرائضي بل نجسوا سبوتي لأن قلبهم ذهب وراء أصنامهم. لكن عيني أشفقت عليهم عن إهلاكهم فلم أفنهم في البرية. وقلت لأبنائهم في البرية لا تسلكوا في فرائض آبائكم ولا تحفظوا أحكامهم ولا تتنجسوا بأصنامهم .. فتمرد الأبناء عليّ.. فقلت إني أسكب رجزي عليهم لأتم سخطي عليهم في البرية. ثم كففت يدي وصنعت لأجل اسمي لكيلا يتنجس أمام عيون الأمم الذين أخرجتهم أمام عيونهم. ورفعت أيضاً يدي لهم في البرية لأفرقهم في الأمم وأذريهم في الأراضي. لأنهم لم يصنعوا أحكامي بل رفضوا فرائضي ونجسوا سبوتي وكانت عيونهم وراء أصنام

آبائهم"، وهكذا كان حالهم طوال تاريخهم ومع كافة أنبيائهم وبشهادة جميع كتبهم.

وإذا كان الجانب الآخر من الكبر يتمثل- بعد بطر الحق والكفر به- في غمط الناس وظلمهم، فان الناس الذين غمطهم بنوا إسرائيل ليسوا كأي أناس، لكنهم أنبياء مبلغون عن الله رسالاته، أي أنهم مصدر هداية لمن أرسلوا إليهم، ولو كان غمطهم إياهم اقتصر على مجرد التكذيب لهان الخطب، لكنه تعدى ذلك بكثير ووصل إلى ما هو أبعد من التكذيب بمراحل، فقد جاء في الحديث عن أبي عبيدة: "قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النهار في ساعة واحدة فقام مائة وسبعون رجلاً من بنى إسرائيل فأمروا مَن قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوهم جميعا من آخر النهار من ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله عز وجل- يعنى في قوله:

(إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم..آل عمران/21)"، كما أورد ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: (وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .. البقرة/61)، قول ابن مسعود: (كانت بنو إسرائيل تقتل ثلاثمائة نبي في أول النهار- يا لقساوة القلوب- ثم يقيمون سوق بقلهم في آخره) وأعقبه بالقول: "إنه لما ارتكب بنوا إسرائيل ما ارتكبوا من الكفر بآيات الله وقتلهم أنبياءه أحل الله بهم بأسه الذي لا يرد وكساهم ذلاً في الدنيا موصولا بذل الآخرة جزاء وفاقاً" .

وحسبنا أن نستشهد هنا على تلك المذابح التي نصبوها لأنبيائهم بما ورد في سفر نحميا 9: 26 "وقتلوا أنبياءك الذين أشهدوا عليهم ليردَّهم إليك وعملوا إهانة عظيمة"، وسفر الملوك الأول 19: 10، 14 "وقتلوا أنبياءك"، وإنجيل متى 23: 31، 34- 36 "أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم قتلة الأنبياء .. هاأنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سُفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن بَرَخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم أن هذا كله يأتي على هذا الجيل".. وأن نشير كذلك إلى ما ورد في إنجيل متى في

الإصحاح21 عدد33 وما بعده، مما سبق ذكره من أمر الكرامين الذين ما أن جاءهم عبيد صاحب الكرم ليأخذوا أثمار غرسه إلا وأعملوا فيهم القتل والجلد والرجم، ولم يكتفوا بذلك حتى فعلوا مثله مع كافة من أرسله إليهم ممن كانوا أكثر من سابقيهم، بل لم يكفهم كل هذا حتى تآمروا في نهاية المطاف على وارثه الذي أرسله إليهم، في إشارة واضحة إلى المسيح عيسى عليه السلام.. ورد مثله في إنجيل مر قس12: 1- 12، وفي إنجيل لوقا20: 9- 19 وأعمال الرسل 4: 11 .

الأمر الذي يعنى أن أمر اعتدائهم على الأنبياء لم يقتصر مجيؤه على القرآن بل تحدثت به أيضاً كتب القوم يهوداً كانوا أم نصارى، كما لم يقتصر على أنبيائهم بل طال خاتم الأنبياء محمد صلوات الله وسلامه عليه، ولا عجب إن نحن عرفنا كراهيتهم للأنبياء أن تنشر إحدى مجلاتهم وتسمى (جاليليو) صوراً كلاسيكية للسيدة مريم العذراء وهي تحمل سيدنا المسيح عليه السلام بعد أن استبدلت رأسها برأس بقرة، وسيظل يوم السبت 28 يونيو 1997 محفوراً في ذاكرة المسلمين حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فقد حدث في هذا اليوم أن قام عدد من المستعمرين اليهود في مدينة الخليل وبحراسة من الجيش، بلصق وتوزيع شعارات ورسوم تكيد للإسلام وللمسلمين، وقد ظهر في أحد هذه الرسوم صورة خنزير على رأسه كوفية فلسطينية كتب عليها اسم (محمد) بالإنجليزية والعربية وأمسكوا هذا الخنزير قلماً يكتب به كلمة (القرآن)، كما تلقت جهات فلسطينية رسمية عبر البريد الاكتروني رسماً مهيناً للنبي عليه السلام كتب عليه (محمد) وتحته خنازير صغار يرضعون منه وقد كتب عليها كلمة (فلسطينيون).

إنه وإزاء كفرهم بالله وتآمرهم وبغيهم على أنبيائه ورغبتهم عن ملة إبراهيم ومن صار على نهجه من النبيين، ولقاء ظلمهم وطغيانهم وتحريفهم للكلم عن مواضعه، الذي يؤذن بألا صلاح بعده- على المدى القريب أو البعيد- لأمرهم ولا فائدة ترجى للبشرية من ورائهم، كان لابد حسب ما تقضي به سنن الله الكونية في الاستبدال والاستخلاف، من أن تتحول إمامة وخلافة وريادة هذا العالم إلى آخرين يحافظون على العهد ويصونون الأمانة ويحفظون الوصايا وينفّذون التعاليم، فيستحقون عندئذ وعد الله الذي لم يتحقق لغيرهم لا في الأرض المقدسة وحسب بل في إرث النبوة

والأرض جميعاً، حيث يقول تعالى وهو أصدق القائلين: (إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.. الأعراف/28)، ويقول: (وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم.. محمد/38)، "أي: ولكن يكونون سامعين مطيعين له ولأوامره" كما قال: (إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين.. الأنعام/133)، وقال: (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على كل شئ قديراً.. النساء/133)، وقال: (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد❖ وما ذلك على الله بعزيز.. إبراهيم/19، 20وفاطر/16، 17)، أي يذهبكم إذا خالفتم أمره ويستخلف من بعدكم قوماً آخرين على غير صفتكم يعملون بطاعته، كما أذهب القرون الأولى وأتى بالتي بعدها وما ذلك عليه بممتنع ولا صعب بل هو سهل عليه يسير لديه .

الأمر الذي يعني أن سنة الله في خلقه وكونه، لا تتبدل ولا تتغير، بل إنها لتجري حتى في أمة خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه ممن هم من نسل إسماعيل كما جرت فيمن هم من نسل إسرائيل، بمعنى أن المسلمين إذا تولوا عن نصرة ربهم ولم يقفوا على أمر دينهم فسيبتليهم الله بمن لا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة كما ابتلى الأولون ثم يستبدلهم إذا لم يراجعوا أنفسهم (بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم.. المائدة/54).

ولعل هذا ما يومئ إليه قوله تعالى لمن هو أب لجمهور الأمم: (إني جاعلك للناس[كذا بما يفيد العموم] إماماً)، ثم قوله تعقيباً على عبارته (ومن ذريتي): (لا ينال عهدي الظالمين.. البقرة/124)، ولما اقتضت حكمة الله فيما يخص ميراث النبوة أن يجعل نبي بني إسماعيل خاتماً للأنبياء، فقد تعين أن يكون الابتلاء في حرمان أمته إن هي خالفت منهج الله قاصراً على ميراث الحكم والأرض والخلافة، إلى أن يقضي الله فيه أمراً كان مفعولاً.

الحقيقة السادسة :

الإيذان بتحول الإمامة كان في ليلة التتويج (ليلة الإسراء) :

وعلى نحو ما كانت إمامة النبي ليلة الإسراء بإخوانه من الأنبياء عن طواعية وطيب نفس، إشارة واضحة إلى أن النبوات يصدق بعضها بعضا ويمهد السابق منها للاحق، وإقراراً مبيناً بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه، أخذت كما هي على يد رسولنا صلى الله عليه وسلم بعد أن وطأ لها العباد الصالحون من رسل الله الأولين .

فقد كانت كذلك تتويجاً مشرفاً لهذا النبي الخاتم ولأمته وإنفاذاً مرتقباً لسنن الله الكونية والشرعية في الاستبدال والاستخلاف، وفي تحول الإمامة والقيادة والخلافة من بني إسرائيل الذين رغبوا عن ملة إبراهيم فسفهت بذلك نفوسهم، إلى إخوتهم وبني أعمامهم من بني إسماعيل الذين رغبوا فيها.

ولأن الله خلق الخلق لعبادته وقد تخلى بنو إسرائيل- أعنى أحفادهم ممن هم من صلبه- عن تأدية هذه المهمة، وفعلوا ما استوجب استبدال غيرهم بهم، فان الحكمة تقتضي وفق سنة الله التي لا تتبدل ولا تتغير، أن يستعاض عنهم بآخرين، ولا بد أن يكونوا هنا من أبناء العم لكونهم ممن قال إبراهيم: (ومن ذريتي)، وأن يأتي من صلب إسماعيل الذي هو من نسل إبراهيم أيضاً، من يجدد هذه الملة ويرسخ معالمها ويقيم دعائمها ويرفع بنيانها ويعيد أمجادها ويعلي من قدرها، وهذا ما حدث بالفعل ليلة الإسراء التي انتقل فيها إرث الملك والنبوة إلى محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنين به من أمته بعد فترة تمهيد استمرت قرابة العشر سنوات.

الأمر الذي يعنى ضمناً أن هذه الأمة هي وحدها المؤهلة لوراثة أرض النبوات أرض الميعاد- بيت المقدس وسائر الأراضي الفلسطينية- وليس هذا في شريعة المسلمين فحسب بل وفي كتب اليهود والنصارى أيضاً، فقد ورد في سفر حجي2: 6-9 "قال رب الجنود: هي مرة بعد قليل فأزلزل السماوات والأرض والبحر واليابسة. وأزلزل كل الأمم ويأتي مشتهى كل الأمم فأملأ هذا البيت مجداً.. مجد هذا البيت الأخير يكون أعظم من مجد الأول، قال رب الجنود، وفى هذا المكان أعطى السلام" انتهي النص، ومشتهى كل الأمم المذكور فيه، أصله العبراني (حمدون) أي محمود

الأمم، وهذا بصريح نبوة حجي ينطبق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لكون اسم (محمود) هو من ضمن أسمائه، ويتضح من النبوءة أن المراد من البيت بيت المقدس، وحين أسري إليه برسولنا- صلوات الله وسلامه عليه- في حياته زاد ذلك من شرفه ورفع من مكانته، ومن ثمّ توجهت إليه أنظاره وأنظار الموحدين الذاكرين المجدين لله من أمته فكان أولى قبلتي المسلمين، وهذا ما يوافق عبارة "أملأ هذا البيت مجداً"، أما بعد وفاته صلى الله عليه وسلم فقد قام المسلمون بفتحه وفي هذا المكان أعطى رب الجنود السلام الذي أتى به رسول الرحمة والسلام ونشره الخليفة عمر بن الخطاب في ربوع هذه البلاد المقدسة، فقد أعطى رضوان الله عليه الأمان لبيت المقدس ولبطريرك المدينة بل ولسائر أهلها بعقد المعاهدة وتوثيق شروط الصلح، والملفت في قوله "في هذا المكان أعطى السلام" انه لم يقل (وأعطي مشتهى الأمم السلام)، أو غير ذلك من عبارات تفيد أنه عليه السلام بنفسه الذي يتولى تسليم بيت المقدس ونشر الإسلام فيه، لعلم الله أزلاً أن الذي سيتولى هذه المهمة هو واحد من أخلص خلصائه، وقد كان ذلك- بالفعل- لأمير المؤمنين عمر بمحضر ومشهد من أصحاب مشتهى الأمم صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه ورضي الله عنهم وأرضاهم .

وتحكي كتب التاريخ أنه لما أذل الله الروم وتكامل للمسلمين فتوح الشام واستقر أمرهم على فتح بيت المقدس وحاصر المسلمون أهله قرابة أربعة أشهر في أشد قتال، نظر أهل بيت المقدس إلى شدة الحصار ورأوا ما حل بهم ووقفوا بين يدي البطرك وقالوا: قد عظم الأمر ونريد منك أن تشرف على القوم وتسأل: ما الذي يريدون؟ فإن كان أمراً صعباً فتحنا الأبواب وخرجنا إليهم، فإما أن نقتل عن آخرنا أو نهزمهم عنا، فأجابهم البطرك إلى ذلك، وصعد في السور واجتمع القسيسون والرهبان حوله ونادى رجل: يا معشر الفرسان، عمدة دين النصرانية قد أقبل خاطبكم، فليدن منا أميركم، فقام أبو عبيدة يمشي ومعه جماعة من أصحاب رسول لله، فلما وقف بإزائهم قال: ما الذي تريدون؟ قال البطرك: إنكم لو أقمتم علينا عشرين سنة لم تصلوا إلى فتح بلدنا، وإنما يفتحها رجل ليس معكم، فقال أبو عبيدة: وما صفة من يفتح بلدكم؟ قال: لا نخبركم بصفته، ولكن قرأنا أن هذا البلد يفتحه صاحب لمحمد يعرف بالفاروق لا تأخذه في الله لومة لائم، ولسنا نرى صفته فيكم.

فلما سمع أبو عبيدة كلام البطرك تبسم وقال: فتحنا البلد ورب لكعبة، ثم أقبل على البطرك وقال: إن رأيت الرجل تعرفه، قال: نعم، وكيف لا أعرفه؟ قال أبو عبيدة: هو والله خليفتنا وصاحب نبينا، قال البطرك: فإذا كان الأمر على ما ذكرت فاحقن الدماء وابعث إلى صاحبك فإذا رأيناه وتبيّنا نعته فتحنا له البلد وأعطيناه الجزية، فلما بعث أبو عبيدة في طلبه وأقدم عليهم عمر بمرقعته ونظر إليه البطرك زعق وقال: هذا والله الذي صفته في كتبنا وخرج ومن معه يسألونه العهد.

وكان مما فاه به البطرك من قبل عندما أخبر بجيش المسلمين يقوده أبو عبيدة: ما هذه الضجة التي أسمع؟ قالوا: قد قدم أمير المسلمين ببقية المسلمين، فلما سمع ذلك تربّد وجهه وقال: إنا وجدنا في علمنا الذي ورثناه أن من يفتح الأرض هو الرجل الأحمر، صاحب نبيهم (محمد) فإن كان قدم عليكم فلا سبيل إلى قتاله، ولابد أن أشرف عليه وانظر إلى صفته فإن كان هو أجبته إلى ما يريد وإن كان غيره فلا بأس عليكم.. فلما رأى أبا عبيدة نظر إليه ملياً ثم قال: ليس هو الرجل فأبشروا وقاتلوا عن دينكم وحريمكم، ثم كان من ما حكيناه مما مر ذكره.

وليس ثمة ما يدل على هذا التحول والانتقال عندنا معاشر المسلمين أعظم من إمامته صلوات الله وسلامه عليه لجميع الأنبياء والمرسلين في المسجد الأقصى وذلك عندما حان وقت صلاة الفجر من صبيحة ليلة التتويج المباركة، وفي هذا يروي مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان قوله صلى الله عليه وسلم: (لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ما كربت مثله قط، قال: فرفعه الله إليَّ انظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلي فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى بن مريم عليه السلام قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم- يعني نفسه- فحانت الصلاة فأممتهم .. الحديث)، وفي رواية ابن مسعود عند مسلم: (وحانت الصلاة فأممتهم)، وفي مسند أحمد من حديث ابن عباس [2324]وإسناده صحيح، بلفظ (فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد الأقصى قام يصلي فالتفت ثم التفت فإذا النبيون أجمعون يصلون

معه)، وفي كيفية ذلك وهيئته أخرج الطبري عن أنس من طريق قتادة بلفظ (ثم أُتيت بدابة يقال لها البراق فوق الحمار ودون البغل يقع خطوه منتهى طرفه فحُملت عليه ثم انطلقنا - يعني هو وجبريل - حتى أتينا إلى بيت المقدس فصليت فيه بالنبيين والمرسلين إماماً ثم عرج بي إلى السماء)، وفي رواية ثانية أوردها عنه من طريق شريك بن أبي نمر بلفظ (ثم ركب البراق فسار حتى أتي به إلى بيت المقدس فصلى فيه بالنبيين والمرسلين إماماً ثم عرج به)، وفي ثالثة أوردها أيضاً عنه من طريق عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة لكن بلفظ: (ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة)، وجاء في أخرى من طريق يزيد بن أبي مالك: (ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء فقدمني جبريل حتى أممتهم)، وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني في الأوسط: (ثم أقيمت الصلاة فدافعوا حتى قدموا محمداً)، وقد ذكر ابن حجر في حديث الإسراء وباب المعراج 158/7 ، 164 وابن كثير في صدر تفسيره لسورة الإسراء بعض هذه الروايات، ومما أورده الأخير في شأن إمامته عليه السلام ما أخرجه البيهقي عن ابن مسعود من طريق قتادة التيمي وفيه: (ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها، ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد، قال: ثم أُتيت بكأسين من عسل ولبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت الفطرة ورب الكعبة، قال: ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ..) .

إنها الإشارة الواضحة إلى تحول المسار وإسلاس القيادة من قِبَل أصحاب الرسالات جميعاً بلا استثناء لإمامهم وإمام البشرية جمعاء صلوات الله عليه وسلامه، كما أنها الإشارة الواضحة إلى استحقاقه وأمته دون غيرهم إرث بيت المقدس ليعلم أهل الأرض جميعاً أن شريعته ناسخة لجميع الشرائع، وأن كتابه مهيمن على جميع الكتب، وأن إمامته إمامة لجميع أمم النبيين، وأن رسالته هي الرسالة العامة لسائر الخلق أجمعين، ويومئ ابن كثير 2/3 إلى هذا المعنى فيذكر أن الأنبياء "جمعوا له هناك كلهم فأمهم صلوات الله عليه، في محلتهم ودارهم فدل على أنه الإمام الأعظم والرئيس المقدم"، ويقول أبو عبد الله المنهاجي: يسر الله النبياء كلهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم في بيت المقدس" .

ولعل فيما سبق ما تؤيده عبارة ابن القيم التي ذكر فيها ما نصه: "وقد قال الله في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب: (إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد أخوته)، وهم بني إسرائيل، وهذه بشارة بنبوة ابنه محمد الذي طلب فسطاطه وملك أمته في وسط بلاد بني إسرائيل وهي الشام التي هي مظهر ملكه" .

ومن النصوص الصريحة الدالة علي تحوّل الإمامة وإرث الملك والنبوة إلي محمد صلي الله عليه وسلم وأمته ما جاء في سفر التثنية32: 19- 21 من التوراة السامرية بعد أن ذكر موسى من مساوئ بني إسرائيل ما تقشعر منه الأبدان وتشيب لهوله الولدان وتزول من مكره الجبال: "فينظر الله ويرفض من كيد خواصه وخصيصاته.

ويقول: أحجب رضواني عنهم لأنظر ما آخرتهم، إذ جيل متقلب هم، بنون ليس أمين فيهم. هم أسخطوني بغير قادر، أكادوني بهبائهم، وأنا أغيرهم بغير قوم ، بشعب ساقط أكيدهم"، إذ المراد بالشعب الساقط هنا- حسب نظرة اليهود إليهم وعلى ما أفادته النسخة المترجمة عن العبرانية- الأميين الذين قال الله في شأنهم وفي شأن نبيهم: (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين.. الجمعة/2)، على أن أمية ذلك الشعب لا تتنافى بحال - على خلاف ما توحي به عبارة الذين حُمِّلوا التوراة ثم لم يحملوها- مع عظمته، وذلك طبقا لما جاء في كتب القوم من نحو ما ورد في سفر التكوين17: 20حيث قال الله لخليله إبراهيم: "وفي إسماعيل استجيب منك، هو ذا باركته، وأثمره، وأكثره جداً جداً، اثنا عشر رئيساً يولد وسأجعله شعبا عظيماً"، ونظيره في الإصحاح21: 18من نفس السفر من التوراة العبرانية.

والذي تجدر الإشارة إليه أنه ما إن تحمل هذا الشعب العظيم وذاك النسل المبارك من صلب إبراهيم عليه السلام، أمانة الدين وعبء المسئولية إلا وانساح في كل مكان من أرض الله يدك معاقل الشرك ويقوض برسالة التوحيد أركان الوثنية التي فشل أتباع الرسالات قبلها في القضاء عليها، وانطلق هذا الجيل الفريد لا يبالي ولا يتوانى عن تنفيذ ما نُدب إليه حتى تم على يديه إطفاء نار فارس وإجلاء الرومان عن المنطقة بأسرها، وحقق وعد الله في أقل من عشر سنين وأقام شريعته في المنطقة وما يليها في اقل من قرن من الزمان.

الحقيقة السابعة:

التواصل الإيماني هو الأصل والأساس

إن الأصل في عمارة الكون الذي لا يعبأ بنو إسرائيل به كثيراً - لا سلفاً ولا خلفاً - هو التواصل الإيماني، وما التواصل النسلي إلا تبعاً لهذا الأصل، وفرعاً عن ذاك الأساس، وما كان تبرأ إبراهيم من قومه بل ومن أبيه آزر عندما تبين له أنه عدو لله، إلا دليلاً على تأكيد وترسيخ هذا الأصل وإعماله - فيما بعد - في بنيه وعقبه.

وهذه المقدمة تجعلنا نؤكد أن لا صحة لما فهمه كتبة العهد القديم من نصوص تشير إلى أن وعد إبراهيم بأرض فلسطين، إنما كان قاصراً على أولاده وأحفاده من نسل إسحاق، هكذا دون قيد بزمن أو شرط بالتزام، كما تجعلنا نؤكد أن لا حجة فيما استدلوا به من نحو ما جاء في سفر الخروج6: 2- 4 ".. ثم كلم الله موسى وقال أنا الرب. وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء.. وأيضا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها"، ونظيره ما جاء في سفر التكوين35: 5.. لأن هذا - على ما سبق أن ذكرنا بالدليل - ليس لهم الآن، وإنما كان لهم إبان المدة المقررة والمقدرة لهم أزلاً.

ويدل على ذلك من غير ما ذكرنا ما أفادته النصوص من أن ما وعدوا به في سفري الخروج والتكوين وغيرهما قد تحقق لآبائهم وأسلافهم على يد يوشع وداود وسليمان عليهم السلام، وقل مثل هذا فيما وعدوا به قبل خروجهم من مصر مع موسى على ما أفادته نصوص كتبهم، ففي سفر الخروج6 : 6وما بعدها في خطاب الله لموسى: "قل لبنى إسرائيل أنا الرب، وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة. وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً .. وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي في أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثاً، أنا الرب. فكلم موسى هكذا بني إسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية"، ونصه في السامرية: "قل لبني إسرائيل أنا الله سأخرجكم من أوقار المصريين وأخلصكم من خدمتهم وأفككم بقدرة بسيطة وبأحكام كبار. واتخذكم لي شعباً وأكون لكم ولياً.. وأحضركم

إلى الأرض التي أقسمت بقدرتي لإعطائها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وأعطيها لكم وراثة أنا الله. وخاطب موسى كذلك بني إسرائيل، فلم يسمعوا من موسى من ضيق الصدر ومن الخدمة الشاقة وقالوا لموسى انقطع الآن عنا لنخدم المصريين إذ خير لنا خدمة المصريين من موتنا في البرية".

كما يدل عليه أن ذلك كائن لنسل إسماعيل الأطهار، كما هو كائن لنسل إسرائيل قبل مبعث نبي المسلمين محمد عليه السلام، ففي سفر التكوين17: 20 لما قال الله لإبراهيم "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه هاأنذا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جداً اثني عشر رئيساً يلد وأجعله أمةً كبيرة" كان مراده من هذا التبشير بمحمد صلى الله عليه وسلم، فإنه الذي عظمه الله جداً جداً وصيره إلى أمة كثيرة حتى أربت في كثرتها على نسل إسحاق، ولا ينكر ذلك إلا جاحد مكابر، سيما بعد قول الله في سفر إشعياء 54: 1- 3 "لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل.

ويرث نسلك أمماً ويعمّر مدناً خربة".. وحين قالت سارة لإبراهيم: "اطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق"، قال الله لإبراهيم: "بإسحاق يدعى لك نسل، وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه نسلك" سفر التكوين21: 10، 12، 13وبنحوه في رسالة بولس لأهل غلاطية 4: 30- 31.. ولما رأت هاجر أن تسكن بعيداً عن سارة ظناً منها أن الله قد خص درتها وابنها إسحاق بالبركة، ناداها ملاك الله بقوله: "مالك يا هاجر، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو. قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة" سفر التكوين21: 17- 18.

فهذه النصوص وما جاء على شاكلتها تعني ألا تعارض بين ما أفادته نصوص كتبهم من جعل الوعد في أولاد إسرائيل من نسل إسحاق بن إبراهيم، وجعله- بعد أن تنتهي مدة البركة الممنوحة من الله لبنى إسحاق- في أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم، سيما وأن ليس في العهد القديم ولا الجديد- رغم ما اعتورهما من تحريف- ما ينفى هذا الانتقال ولا ما يفيد أن هذا الوعد سيظل إلى الأبد حكراً على بنى إسرائيل، بل إن العكس- على ما رأينا في النصوص السابقة- هو الصحيح.

يؤيد هذا ويؤكده أنه لم يأت من نسل إسماعيل بن إبراهيم نبي ولن يأت سوى محمد عليه وعليهما الصلاة والسلام، كما يؤيده ويؤكده أن كلمة (الأبد) ما جاءت في التوراة والإنجيل إلا في حقه وفى حق هذه الأمة المنتسبة إليه، ومما ورد من ذلك ما جاء في سفر أشعيا 26 :2- 4 "افتحوا الأبواب لتَدخلَ الأمة البارة الحافظة الأمانة. ذو الرأي الممكن .. توكلوا على الرب إلى الأبد"، وقد ثبت عدم وجود هذه الصفات في أمة يعقوب .. وبنحوه في تأكيد ما سبق ما جاء في إنجيل يوحنا على لسان يسوع14 : 16 "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر(أي معلماً) ليمكث معكم إلى الأبد"، ولم يبعث بعد عيسى عليه السلام نبي عدا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي المزمور 45: 2، 6، 16، 17، "باركك الله إلى الأبد.. كرسيُّك يا الله إلى دهر الدهور.. عوضاً عن آبائك يكون بنوك، تقيمهم رؤساء في كل الأرض. اذكر اسمك في كل دور فدور، من أجل ذلك تحمدك الشعوب إلى الدهر والأبد" ناهيك عما جاء في العهدين القديم والجديد من صفته وصفة أمته.

ومما يدل على المثلية في منح الوعد من الله لأبناء إسماعيل وأن ذلك كائن على أساس من الإيمان وتوحيد الله على غرار ما كان منه مع أبناء إسرائيل، أن إسرائيل حين وصى بنيه بعبادة الله وحده، لم يطمئنه إلا إعلامهم إياه أنهم سيستمرون على العهد في عبادة إلهه وإله آبائه من الأنبياء، وفي ذلك يقول سبحانه: (ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوبُ يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون.. البقرة/132، 133)، فالآيتان تقرران أن يعقوب (إسرائيل)، وصى بنيه بما وصي به إبراهيم، وصاهم بأن يعبدوا إلها واحداً هو إله إبراهيم (جده) وإله إسحاق (أبيه) وإله إسماعيل (عمه)، فهي إذن دعوة مشتركة وملة واحدة تعاهد عليها الأبناء وجمعت بين جميع آبائهم من الأنبياء من ذرية إبراهيم وعلى رأسهم إسرائيل بن إسحاق وإسماعيل الذي هو كإسحاق تماماً لكونهما من ظهر إبراهيم وصلبه، وهو في معنى ما جاء في قول الرب لإبراهيم عقب ولادة هاجر لإسماعيل تكوين 17 : 5، 7 "أجعلك أباً لجمهور الأمم.. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك"،

وقوله بعد عن سارة تكوين 17 : 16 "وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون"، ويلاحظ هنا كلمة (أيضاً) الواردة في الأخير من هذين النصين، وما تفيده من المثلية في منح البركة- المبشر بها إبراهيم- لإسماعيل أولاً يعني من قبل أن تكون في إسحاق على الرغم من أسبقيته الزمنية.

وإذا كان الأمر كذلك فلا غرو ولا عجب عند إخلال بني إسرائيل بوصية أبيهم يعقوب وجدهم إبراهيم- المخاطب بجعل الأمر في نسله دون تحديد ولا تمييز- أن ينتقل الأمر إلى إخوتهم وبني عمومتهم من نسل إسماعيل ليتم التواصل الإيماني في هذه الشجرة المباركة، وإلا عُد عدم انتقاله وتحوله عن بنيهم مع إصرارهم على مغايظة الرب ومواصلتهم فعل المعصية والاعتداء على الذين يأمرون بالقسط من الناس، محاباة يتنزه عنها الرب الذي أمر الجميع دون ما مفاصلة بألا يعبدوا سواه وبأن يمثلوا أوامره وينتهوا عن مناهيه.

كما يدل على هذه المثلية في تحقيق موعوده سبحانه لنبي إسماعيل على غرار ما كان من قبل لبني إسرائيل ما ورد في سفر التثنية18: 18- 19 في مخاطبة الرب لموسى: "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه" أي أقتص منه، ونصه في التوراة السامرية: "نبياً أقمت لهم من جملة إخوتهم مثلك ، وجعلت خطابي بفيه فيخاطبهم بكل ما أوصيه. ويكون الرجل الذي لا يسمع من خطابه الذي يخاطب باسمي أنا أطالبه"، والنص الأخير عينه تكرر في السامرية دون العبرية، وجاء تحديداً في سفر الخروج 20: 21، وشبيه به ما ورد في العهد الجديد في أعمال الرسل3: 22- 23وفيه: "فإن موسى قال للآباء إن نبياً مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم، له تسمعون في كل ما يكلمكم به. ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب" .

وقد فسر عيسى عليه السلام عبارة (أنا اطالبه) الواردة في النصوص السابقة، بالعذاب الشديد لمن لم يطع ويسمع ويؤمن بهذا النبي المنتظر المبشر به وهو أحمد صلى الله عليه وسلم، وكذا لمن لا يقر ويؤمن بتحول موعود الله في الملك والنبوة له ولأمته من بعده، يشهد لهذا ما أورده لوقا12: 16- 21على لسان المسيح عليه السلام ونصه":

"وضرب لهم مثلا قائلاً: إنسان غني أخصبت كورته. ففكر في نفسه قائلاً ماذا أعمل لأن ليس لي موضع أجمع فيه أثماري؟"، فقال لنفسه: "استريحي وكلي واشربي وافرحي. فقال له الله يا غبي هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التي أعددتها لمن تكون. هكذا الذي يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله".

وهذا يعنى أن ذاك الغبي المعرض عن الله المغتر بدنياه، الذي ما عمل لأخراه ولا آمن برسل الله، وشح بماله الذي صيره من أحرص الناس على حياة، هالك لا محالة ومعذب في النار، لأنه ما تصدق ولا صلى ولكن كذب وتولى، وعليه فهو ليس أهلا للاستخلاف ولا لوراثة الأرض والنبوة، كما يعنى التهديد الواضح والوعيد الصريح بأنه عقب الانتقام الدنيوي لهذا الذي لا يسمع لذلك النبي الآتي إلى العالم - بله الأخروي- يباد، ليتأسس على أنقاض ملكه، ملك جديد يقوم على أساس من الإيمان، ويكون إلى الأبد.

وهذا ما يحدث بالفعل، فما أن رُفع عيسى عليه السلام بعد أن تآمر اليهود على قتله، حتى سلط الله عليهم- بعد أن كانوا في نعمة ومنعه - من يضطهدهم ويسومهم سوء العذاب، بل وحتى بعد أن هاجر فريق منهم إلى بلاد العرب وصارت لهم فيها ديار عظيمة وحصون منيعة وزروع وثمار، ذلك أنه ما أن ظهر الإسلام ونقضوا العهد مع رسول الله غير مبالين بتحول موعود الله عنهم لسوء صنيعهم ولجرائمهم المتلاحقة، حتى دمرها الله عليهم وحاربهم صلى الله عليه وسلم في عقر دارهم وأجلاهم من المدينة، ثم مهد- بغزو الروم في مؤتة وتبوك وبعزمه على إرسال سريته التي مات عنها وجعل على رأسها أسامة بن زيد- للاستيلاء على الأرض المقدسة المحببة إلى نفوسهم، تلك التي كتبها لهم إبان مدتهم ، فكتب أصحابه عليهم الرضوان كتاب صلح لبطريرك النصارى واتفقوا جميعا على ألا يدخلها يهودي أبداً ، وقضى بذلك على ملكهم وأزيلت دولتهم وانمحت بركة إسرائيل في الأمم إلى الأبد لتحل محلها بركة إسماعيل ممثلة في محمد صلى الله عليه وسلم وفى أمته "إلى الدهر وإلى دهر الدهرين" على حد ما جاء في المزمور44: 18 ، وإلى "مجئ يوم الرب. اليوم العظيم والمخوف" على حد ما جاء في سفر ملاخي4: 5.

ومما يعضد من شأن هذا التحول، ويقوي من أمر استحقاقهم لما حل بهم ما جاء في سفر التثنية32: 26من قول الرب لأولئك الذين أغاظوه بأباطيلهم وأغاروه باتخاذ العجل والأصنام وكثير ذلك مما ليس إلهاً: "أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم"، ونظيره في النسخة السامرية من نفسي السفر والإصحاح والعدد: "أزويهم أعطل من الملأ ذكرهم"، وفى سفر التثنية 28: 63- 64من النسخة العبرانية: "كما فرح الرب لكم ليحسن إليكم ويكثركم، كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتُستأصلون من الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها. ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها.." إلخ .

وفيما سبق من قول موسى- عليه السلام - مما ورد ذكره في سفر التثنية18: 18 "أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك"، مع ما أوضحناه في الحقيقة الثالثة بشأن الأبدية الحاصلة في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والمبشر بها هو وأمته، ما يكشف زيف ما تزعم من يهود من أن تلك الأبدية إنما هي أمر خاص بهم وبنسل نبيهم إسرائيل على ما تُفهمه عبارة سفر التكوين17: 19وفيها: "بل سارة امرأتك تلد لك - والخطاب هنا بداهة لإبراهيم عليه السلام - ابناً وتدعو اسمه إسحاق، وأقيم عهدي أبديا لنسله من بعده"، إذ لا يتأتى بحال من الأحوال أن يكون الأمر كذلك مع وعد الله لموسى أن يقيم لهم نبياً من وسط أخوة يعقوب، كما لا يصح أبداً ولا يعقل في لغة أمة من الأمم أن يقال إن بنى إسرائيل إخوة لبني إسرائيل وبني تميم أخوة لبني تميم، بخلاف قولك: بنو إسماعيل إخوة لبني إسرائيل وزيد أخو بني تميم، وهود أخو عاد وصالح أخو ثمود أي واحد منهم، فهو أخوهم في النسب والأصل يعني من ناحية الجد، ولو قيل عاد أخو عاد، وثمود أخو ثمود، ومدين أخو مدين لكان نقصاً وخطأً صريحاً .

كما يكشف ذلك الزيف ما جاء عقيب النص السابق مباشرة - التكوين 17: 20 وفيه عن إسماعيل: "وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، هاأنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جداً، اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة"، وذلك صريح في انتقال موعود الله في الملك والنبوة إلى بنى إسماعيل على ما سبق ذكره، لأن عبارة (كثيرة جداً) تعني في اللغة العبرانية (بماد ماد) كما تعني عبارة (شعبا عظيماً)، (الجوي جدول) على ما أجمع عليه علماء اليهود السامريين والعبرانيين، وهما تدلان بحساب

الجمل على اسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم الآتي من نسل إسماعيل، إذ مجموع كل منهما اثنان وتسعون وهو بعينه مجموع حساب الحروف في (محمد) تماماً .

ولا غرو أن يكون مسماه صلوات الله وسلامه عليه في الإنجيل والكتب السالفة (أحمد)، لأنه كان كذلك "قبل أن يكون (محمداً) كما وقع في الوجود .. وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس"، كذا ذكره ابن حجر في الفتح 641/6 عن القاضي عياض، وتفسيره أنه عليه السلام أحمد الناس لربه فهو من ثم أحق الناس وأولاهم بأن يحمد لما له من كثير الخصال التي يستحق أن يحمد عليها في الدنيا والآخرة فصار من أجل هذا محمداً، فالاسمان واقعان على المفعول ويفيدان المبالغة بيد أنها في محمد للكثرة والكمية، وفي أحمد في الصفة والكيفية وكل في موضعه أبلغ في مدحه عليه السلام وأكمل في المعنى.

يضاف لما سبق من إيماءات نصوص التوراة، أن دلالة نص أشعياء9: 7- 9 "لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابناً، وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام. لنمو رياسته وللسلام، لا نهاية على كرسيٍّ داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد، غيرة رب الجنود تصنع هذا".. على محمد بن عبد الله أظهر وألزم من دلالته على غيره فانه الذي رئاسته على عاتقه وبين منكبيه من جهتين: من جهة أن خاتم النبوة على نغض كتفيه وهو من أعلام النبوة التي أخبرت به الأنبياء وشهده لفيف من كبراء الأحبار والرهبان ممن عاصروه، ومن جهة أنه بعث بالسيف الذي يتقلد به على عاتقه بين يدي الساعة، وهذا يشير إليه قوله: "أبا أبديا رئيس السلام. لنمو رياسته"، يعنى لكونه المؤيد المنصور، رئيس السلامة ، فان دينه الإسلام ومن اتبعه سلم من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة ومن استيلاء عدوه عليه، ثم إنه - على ما تقرر- الذي سلطانه هو السلطان الكامل الذي ليس له فناء إلى آخر الدهور .

ولا يقدح في ذلك كون إسماعيل ابناً لهاجر المقصاة ،لأن الكل في النهاية أولاد لإبراهيم الذي هو أب لجميعهم بنص كتبهم، ففي خطابه لإبراهيم في سفر التكوين17: 5 يقول الرب: "أجعلك أباً لجمهور من الأمم".

كما لا مجال للتعجب الذي ورد في عديد من نصوص كتبهم كالمزمور118 : 22، 23وإنجيل متى ومرقس ولوقا وأعمال الرسل بالإصحاحات 21- 12- 20- 4على الترتيب، من أن الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأساً للزاوية من قِبل الرب..

لأن ذلك أمر معلوم من قبل، فإبراهيم الذي تبرأ من أبيه وقومه لما تبين له أنهم أعداء لله- كما جاء في القرآن- أطلعه ربه بأمر أولئك البناءين الفجرة من بنيه اللذين رغبوا عن ملته وارتدوا، وأخبره "أنه سيكون من ذريته ظالمون، وأنه لا ينالهم عهد الله ولا يكونون أئمة" ، فقال سبحانه له: (لا ينال عهدي الظالمين.. البقرة/124)، فكان من الطبيعي لشيخ الأنبياء عليه السلام أن يمهد بوحي من ربه للبديل ولذلك الحجر الذي سيصير يوماً ما رأساً للزاوية، وأن يتبرأ من أولئك الرافضين للحجر لكونهم الذين فعلوا في أنفسهم- بظلمهم وبتخليهم عن ملته- ما استوجب ذلك الاستبدال من قِبَل الرب.

وهذا يعنى أن الأبوة المقصودة في خطاب الله لإبراهيم: "أجعلك أباً لجمهور من الأمم"، تكوين 17 : 5 وكذا البنوة المرادة من قول إبراهيم عليه السلام: (ومن ذريتي.. البقرة/124)، ليست هي مجرد أبوة أو بنوة نسب بل هي مع ذلك وقبله أبوة وبنوة إيمانية، الأمر الذي يعني أن أبناء إبراهيم حقاً هم الذين يتبعون ملته، وفي ذلك يقول عز من قائل: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين.. آل عمران/68)، ولقد تجسد الولاء والتوادد الإيماني مع الولاء والتوادد النسلي في محمد الذي ينتهي نسبه كإسرائيل تماماً إلى إبراهيم عليهما وعليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم. فما وجه الغرابة إذاً؟

الحقيقة الثامنة :

تقصية هاجر كان بمثابة التمهيد لإيجاد البديل المستحق لموعود الله

لقد أراد الله أزلاً من هذه التقصية التي ورد ذكرها ضمن نصوص العهد القديم والجديد، تحقيق وعد آخر لإبراهيم الخليل، ذلك أن عليه السلام لما وضع زوجه هاجر وابنها منه- إسماعيل- بأمر الله في جزيرة العرب توطئة لرفع قواعد البيت الحرام، وإيذانا بأعمار هذا المكان، وإعداده للطائفين والعاكفين والركع السجود، جأر إلى ربه ودعا- على نحو ما نطق القرآن - ضمن ما دعا: (ربنا وابعث فيهم

رسولاً منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم.. البقرة/129).

وقد وافقت هذه الدعوة التي أجيبت بعد حين، قضاء الله الأزلي في تعيين محمد عليه السلام رسولاً في الأميين، بل والى سائر الأعجميين من الأنس والجن، فكانت هذه الرسالة العامة وهذا التحول المشرف.. ليس إجابة لدعوة إبراهيم فحسب، ولا إنفاذاً لبشارة عيسى وإعمالاً للميثاق الذي قطعه الله عليه وعلى سائر الأنبياء بأن ينصروه ويؤمنوا به ويأمروا بذلك أقوامهم.. وفقط، بل إنقاذاً في المقام الأول للبشرية وللكون من الوهدة التي سقطا فيها، والذي سببه لهما إفساد بنى إسرائيل في الأرض، وفي شأن ذلك من نصوص التوراة الدالة على هذا التواصل الممتد في سلالة إسماعيل والممهد لإيجاد البديل المستحق لوعد الله، جاء في سفر ملاخي4: 5- 6 "هاأنذا أرسل إليكم إيلياء النبي قبل مجيء يوم الرب. اليوم العظيم والمخوف. فيرد قلب الآباء على الأبناء. وقلب الأبناء على الآباء لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن".

والمعنى واضح في أن المراد: أرسل إليكم قرب الساعة النبي محمد عليه السلام، فيرد بنى إسماعيل من العرب لحقيقة وحي الأنبياء والمرسلين، ويرد قلوب اليهود والنصارى إلى دين آبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى عليهم السلام، والعجيب أن تأتى هذه البشارة في آخر ما في كتب العهد القديم، وكأنها كلمة الله ووصيته الأخيرة لبني إسرائيل بل ولغيرهم من أهل الكتاب وصدق الله القائل حكاية عمن غيروا وبدلوا وحادوا عن الحق: (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين❖ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل إسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون.. البقرة/135، 136)، والقائل في خطابه لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم: (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين.. النحل/123)، ولأمته: (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس .. الحج/78).

وفي سفر أشعياء42: 1، 2، 11- 13]،"هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سُرّت به نفسي وضعت روحي عليه فيُخرج الحق للأمم. لا يصيح ولا يرفع ولا يُسمَع في الشارع صوته.. لترفع البرية ومدنها صوتَها الديارُ التي سكنها قيدار، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا. ليعطوا الرب مجداً ويخبروا بتسبيحه في الجزائر. الرب كالجبار يخرج، كرجل حروب يُنهض غَيرته، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه" ، وهذا واضح أيضاً في الكلام عن نبي يظهر في بلاد العرب ويكون من سلالة قيدار أحد أبناء إسماعيل، وهذا النبي قد اختاره الرب ليعلي مجد الإسلام ويعلن الحرب على أعدائه، ويجدد دعوة أبيه إبراهيم في الناس بالحج والدعاء على رؤوس الجبال في عرفات والمزدلفة ومنى بمكة محل مساكن قيدار، ومعلوم أنه لم يكن عند الإسرائيليين حج كما لم يكن عند المسيحيين حتى يقال أن المراد بهذا النص وما جاء على شاكلته غير المسلمين من ذرية إسماعيل.

وقد سبق أن ذكرنا من نصوص العهد الجديد في هذا الصدد- على سبيل الاستشهاد- ما به تقام الحجة، وإلا فبشارات التوراة والإنجيل بصفاته وبمقدمه عليه الصلاة والسلام أكثر من أن تحصى .

ونرمق تأييد القران لما نطقت به الكتب السابقة في مثل قوله تعالى على لسان إبراهيم حين أودع زوجه وولده إسماعيل بواد غير ذي زرع (رب اجعل هذا البلد آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الأخر.. البقرة:126)، (ربنا أني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون.. إبراهيم/37)، ناهيك عن دعائه الصريح بأن يبعث في ذرية من أودعه عند بيته المحرم من به- على أساس من منهج الله- يستمر صلاح الكون، وتستقيم حركة الحياة والأحياء، ويتحقق موعود الله له بوراثة الأرض وإمامة من عليها.

وإذا كان القرآن قد قص لنا من دعاء إبراهيم إبان إيداعه زوجه هاجر وابنها منه عند البيت الحرام، ما يومئ إلى نقل موعود الله إلى بني إسماعيل .. فقد جاء ما يفيد ذلك أيضاً ويومئ إليه في سفر التكوين 22: 16- 18رغم ما انتابه من تحريف، وذلك أنه لما هم إبراهيم بذبح خصيصه وابنه الوحيد، سر الله من قوة إيمانه وأرسل إليه ملاكاً ناداه ثانية بقوله: "بذاتي أقسمت يقول الرب إني من أجل أنك فعلت هذا

الأمـر ولم تمسـك ابنـك وحيـدك. أباركـك مباركـة وأكثـر نسـلك تكـثيراً كنجـوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك في نسلك جميـع أمـم الأرض مـن أجـل أنـك سمعـت لقـولي"، وقبلـها 22: 11- 13جـاء مـا نصـه: "فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم إبراهيم فقال: هاأنذا . فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسَكاً في الغابة بقرنيه فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده مُحرقةً عوضاً عن ابنه"، ويدرك أي منصف أن الذبيح هنا هو إسماعيل، إذ لا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاد إبراهيم وأنه الذي ظل وحيد أبيه أربع عشرة سنة كما جاء التصريح بذلك في سفر التكوين 16: 1، 2، 4، 15، 16"وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام هو ذا الرب قد أمسكني عن الولادة أدخل عليّ جاريتي لعلي أرزق منها بنين فسمع إبرام لقول ساراي .. فدخل على هاجر فحبلت ولما رأت أنها حبلت صغُرتْ مولاتها في عينيها .. فولدت هاجر لأبرام ابناً ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر، إسماعيل. كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام".

وبعد أن قال الرب لأبرام تكوين 17: 4- 9"هو ذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعدُ أبرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً لأكون إلهاً لك ولنسلك من بعدك. وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً وأكون إلههم"، في إشارة لما جاء في قوله تعالى: (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. البقرة/131، 132).. "قال الله لإبراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة. وأباركها وأعطيك أيضاً منها ابناً، أباركها فتكون أمماً وملوك شعوب منها يكونون . فسقط إبراهيم على وجهه وضحك وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة"تكوين 17: 15- 17.

ولا معنى لهذا إلا أن يحكم على من ادعى من كتبة العهد القديم بـ "أن الله امتحن إبراهيم .. فقال خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق واذهب إلى أرض المُريّا.. فلما أتيا إلى الموضع الذي قال له الله بنى هناك إبراهيم المذبح ورتّب الحطب وربط إسحاق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ثم مد إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه. فناداه ملاك الرب من السماء .. فقال لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأنني الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عني" تكوين 22: 1- 2، 9-12، بواحد من اثنين إما أنه يستخف بعقول قراء العهد القديم وإما أنه يهرف بما لا يعرف، لأن من كان وحيد إبراهيم ساعة إقدامه على ذبح ولده وبنص التوراة هو إسماعيل لا إسحاق الذي ما ذهب إلى أرض الحجاز قط، وبالتالي يكون ما جاء في التوراة من قول الرب: "إني من أجل أنك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيراً كنجوم السماء وكالرمل الذي على شاطئ البحر ويرث نسلك باب أعدائه"، تكوين22: 16- 17هو من نصيب ولد إسماعيل بعد تحول موعود الله إليهم، بقرينة لفظة "وحيدك" التي تكررت مراراً وبدليل ما يومئ إلى هذا التحول من قول الرب: "ويرث نسلك باب أعدائه"، إذ لا معنى له إلا أخذ ميراث الحكم والنبوة ممن لم يحافظوا عليهما من ولد إسرئيل ممن عادوا الله ورسله وإعطائه لأهله ممن حفظوا وصايا الرب وشرائعه من ولد إسماعيل.

لكن معشر يهود مع اعترافهم بهذا وزعمهم الإيمان بما أنزل عليهم وتمحكهم في تسمية دولتهم باسم نبي الله يعقوب، يجادلون ويحسدون أبناء عمومتهم على ما حباهم الله من شرف، ويأبى الله إلا أن يرجع الفضل في ذلك لأهله، وهذا كتاب ربنا ينطق عليهم بالحق حيث يقول رب العزة سبحانه: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم .. البقرة/146)، ويقول: (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل .. الأعراف/157)، ولقد وصل علم معشر يهود بمقدم نبي بني إسماعيل ومعرفة أوصافه لحد أن كانوا يتوعدون الأوس والخزرج بقرب قدومه ويقولون لهم: سنتبعه ونقاتلكم به قتل عاد وإرم، تماماً كما كانوا يستفتحون به على الذين كفروا (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به .. البقرة/89)، ولحد أن "قال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور وداود بن سلمة: يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم ونحن أهل

شرك وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه بصفاته"، ولما قيل للحبر اليهودي عبد الله بن سلام: "أتعرف محمداً كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته وإني لا أدري ما كان من أمه"، يعني من أم ولده.

إنها القلوب المريضة القاسية والعقول المارقة الشاردة والنفوس الحاسد الحاقدة التي طالما ابتغتها عوجاً والتمست الهدى في غير طريق الله المستقيم بغياً وعدواً ومكابرة وعناداً، ففيما رواه إسحاق من حديث سلمة بن سلامة بن وقش وأخرجه أحمد وصححه ابن حبان من طريقه قال: "كان لنا جار من اليهود بالمدينة، فخرج علينا قبل البعثة بزمان فذكر الحشر والجنة والنار، فقلنا له: وما آية ذلك؟ قال: خروج نبي يبعث من هذه البلاد وأشار إلى مكة، فقالوا: متى يقع ذلك؟ قال: فرمى ببصره إلى السماء وأنا أصغر القوم، فقال: إن يستنفِذ هذا الغلام عمره يدركه، قال: فما ذهبت الأيام والليالي حتى بعث الله نبيه وهو حيّ، فآمنا وكفر هو"، وفي الخبر عن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: (لما قدم الرسول صلي الله عليه وسلم المدينة ونزل قباء، غدا عليه حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب.. فهششت إليهما فما التفتُ إلي أحد منهما مع ما بهما من الهمّ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي أهو هو (أي المبشر به في التوراة)، قال: نعم والله، قال أتثبته وتعرفه؟ قال: نعم قال فما في نفسك منه؟ قال:

عداوته والله ما بقيت أبداً)، فتلك شهادة بأنه هو عينه الموجود ذكره وصفته في كتب القوم، والشهادة إذا جاءت من العدو انتفت عنها تهمة التحيز وكان لها مزيد فضل لكونها شهادة حق على ما جاء في قول بعضهم: ومليحة شهدت لها ضراتها ❖ والفضل ما شهدت به الأعداء، وآخر: شهد الأنام بفضله حتى العدا ❖ والفضل ما شهدت به الأعداء.

والحق أن نفوس يهود المريضة طفحت بهذه العداوة حتى قبل مبعثه، ويظهر ذلك في قول بحيرى الراهب لعمه حين اصطحبه في بعض قوافل الشام وذلك بعد أن تفرس في وجهه عليه السلام ورأى فيه شيئاً من علامات النبوة فأشار على عمه بقوله: "ارجع بابن أخيك إلى بلده واحترز عليه من يهود، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغُنّه شراً فأسرع به"، وإنما حدا ببحيرى لأن يفعل ما فعل وينصح بما نصح لما عرفه عن يهود من حقد وغدر وخوف من أن ينتقل موعود الله ويتحول عنهم إليه وإلى أمته، يعضد هذا ما أفاده ابن إسحاق حين ذكر أن زُريراً وتماماً ودريساً – وهم نفر من أهل

الكتاب – كانوا قد رأوا في رسول الله ما ارتآه بحيرى، فأرادوه فردهم عنه بحيرى وذكرهم بالله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفته، وأنهم إن أجمعوا لما أرادوه به لم يخلصوا إليه وخوفهم من أهله وعشيرته، ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال فتركوه وانصرفوا عنه .

ويبقي بعد كل هذا وعلي الرغم منه، عتاب الله لهم ودعوته إياهم على لسان ذاك الذي يجحدون فضله (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله)، (يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون.. إلى آخر الآيات46- 71من سورة آل عمران).

الحقيقة التاسعة :

أحقية ذرية إسماعيل في أرض فلسطين كما ترويه حقائق التاريخ والمنظمات الدولية وأدلة العقل والنقل

المعهود لدى إسرائيل أنها لا تقيم وزناً للأعراف ولا للمواثيق الدولية، ولا للقيم ولا للمبادئ الإنسانية، ويشهد التاريخ كم هو حجم القوانين التي صدرت بحقها على امتداد أكثر من خمسين عاماً دون أن تلقي لها بالاً، ونذكر من جملة تلك القرارات التي تدين وتبطل جميع الأعمال التي تقوم بها إسرائيل بما في ذلك أعمال القتل والإبادة والتدمير ومصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير الوضع القانوني للقدس بالقوة:

قرار الأمم المتحدة رقم 2253 بتاريخ 1967/7/4، وقرارها رقم 2254بتاريخ 1967/7/14، وقرارها رقم 2851 بتاريخ 1971/12/20، وقرارها الصادر في أول ديسمبر عام 1996 وقرار مجلس الأمن رقم 242 بتاريخ1967/11/22، وقراره رقم252 في 1968/5/21 ، وقراره رقم298 بتاريخ1971/9/25، وقراره رقم 338 بتاريخ1973/10/22، وقراره رقم 476 الصادر في يونيو عام 1980، وقراره رقم478 في 1980/8/20 الذي يقضي بعدم الاعتراف بقانون القدس الذي أصدره الكنيست في 1980/7/30بشأن توحيد القدس (الشرقية والغربية) وجعلها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، كما دعا الدول التي أقامت بعثات دبلوماسية في هذه المدينة المقدسة إلى

سحب هذه البعثات، وأكد المجلس في قراره أن قانون الكنيست يشكل انتهاكاً صارخاً للقانون الدولي ويتعارض مع اتفاقية جنيف الرابعة الموقعة في 1949/8/12 والمتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب، وقد سبق هذا القرار سالف الذكر، القرار رقم 267 بتاريخ 1969/7/3 المؤكد لعدم قبول مبدأ الاستيلاء على الأرض بالغزو العسكري وأبدى أسفه لعدم احترام إسرائيل لقرارات المجلس والجمعية العامة وشجب بشدة جميع الإجراءات المتخذة لتغيير وضع القدس واعتبرها باطلة، ودعا إسرائيل مجدداً إلى إلغاء جميع هذه الإجراءات وقراره رقم 592 في 1986/12/8، وقراره رقم681 في 1990/12/30، وقراره الصادر في 1996/5/16، وقراره الصادر في 1998/7/14، وقراري منظمة اليونيسكو 15م/3342، 15م/3343 في خريف عام 1968، وقرارها رقم/3422في نوفمبر 1972، وقرار لجنة حقوق الإنسان رقم4 بتاريخ 1973/3/14، وما صدر مؤخراً من محكمة العدل الدولية بشأن عدم أحقية إسرائيل في بناء جدار الفصل العنصري وقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في 20/ 7 / 2004 بأغلبية 150 صوتاً ضد 6أصوات منها بالطبع الولايات المتحدة وامتناع 10 عن التصويت بهدمه وإرجاع الأراضي المغتصبة التي بني عليها لأصحابها، وما ذكر هنا في الحقيقة يعد قليلاً من كثير غير أن جميع هذه القرارات من كل هذه المنظمات الدولية لا تعدو أن تكون حبراً على ورق، ولم تفكر أي من هذه المنظمات الدولية في معاقبة هذه الدولة المدللة والقائمة على الإرهاب واغتصاب أراضي الغير والتي تدافع عنها أمريكا باستماتة، بأي من تلكم العقوبات التي تستخدم ضد الدول الإسلامية والعربية للا سبب أو لأتفه الأسباب أو عقب اختلاق أسباب، حتى وصل حال إسرائيل الآن والمسلمين- الذين تداعت عليهم الأمم بسبب إعراضهم عن منهج ربهم فأضحوا كالأيتام على مائدة اللئام- إلى ما وصل إليه.

وإذا كان يهود عصرنا لا يكفون عن دعوى أحقيتهم في أرض الميعاد بل وفي قبلة المسلمين الأولى (المسجد الأقصى) فيعملون- جاهدين وجادين لإثبات هذا الحق المزعوم والوعد المكذوب- على نقضه وطمس معالمه لحد أن صار هدمه لا قدر الله مسألة وقت على ما ذكرت صحيفة (هاآرتس) الإسرائيلية في 12/ 8/ 1969، فإن الثابت شرعاً وتاريخ:

1. أن سليمان الذي يريدون أن يرفعوا على أنقاض المسجد الأقصى هيكلا له خالوه، عمل على تجديد هذا المسجد العتيق المبارك الذي بني بعد المسجد الحرام بأربعين عاماً.. ، وذلك بعد أن اندرست معالمه عبر القرون المتطاولة، فكيف بمن يجدد مسجداً هو ثاني مسجد بنى على وجه الأرض، وله من المكانة ما له، أن يبنى مكانه أو أسفله أو حتى بجواره هيكلا تتنافى رسالته مع رسالة المسجد تنافيا يصل إلى حد أن يبنى أحدهما على أنقاض الآخر كما تزعم يهود؟.
2. إن الملاحظ في حديث المؤرخين القدامى من أمثال ابن الأثير ت630هـ في كتاب (الكامل) وابن كثير ت 747هـ في كتابه (البداية والنهاية) وغيرهما ، أنهم لم يعرضوا سوى لبناء المسجد وإتمامه علي يد داود وسليمان عليهما السلام ولم يتطرقوا للحديث عن الهيكل ، بل إن الذين كتبوا في هذا الموضوع من الباحثين التوراتيين والإفرنج ومن ساندهم من حراس الفكر الآسن العربي في جامعاتنا ومراكز أبحاثنا ممن أشاروا إلي وجوده لم يقدموا دليلاً أو مصدراً واحداً يكشف عن حقيقة هذه المفردة كما خالها معشر يهود سوى التوراة، إذ لم تسهم المخلفات الأثرية في إثبات ذلك كما لا توجد مصادر تاريخية تدعم السجل التوراتي، وممن قرروا تلك الحقيقة من علماء الآثار في الجامعة العبرية وغيرها (أمنون بن ثور) و (طومسون) و (روني ريك) و (ميللر) و(غاريبيى) و(ليتش) و(فلاناغن) وغيرهم، ومن ثم بدأ الإجماع في السنوات الأخيرة علي أن فكرة مملكة سليمان وهيكله المزعوم في فلسطين تتداعي تدريجياً وقد أسهم هذا الغياب للأدلة والآثار، بقوة في إسقاط ماضي هذا الهيكل المتخيل، وإن كانت فكرته لا تزال تهيمن علي خطاب الدراسات التوراتية على الرغم من أن التوراة باعتبارها نصا مقدسا ليست مرجعاً ولا تعكس بالضرورة الحقائق التاريخية، والأمر فيها- علي ما يبدو- لا يعدو أن يكون محاولة ممن صاغوا التوراة في القرن الثاني ق. م لإثبات تواجد لليهود بأي شكل في أرض الميعاد .
3. وتدعيماً لما سبق تقريره من عدم وجود أي أثر يدل على وجود الهيكل نقول: إنه ومنذ أن وطئت أقدام الاستعمار الأوربي الأرض العربية في القرن التاسع عشر، والمستشرقون وعلماء الآثار ما انفكوا يتوافدون على القدس باعتبارها مهد المسيح ومكان دعوته وأيضا بوصفها أرض التوراة، وقد استغلت الحركة الصهيونية هذا

الأمر في خططها للترويج لدعوى عودة اليهود إلى الأرض المقدسة، مستفيدة من أطماع القوى الأوربية الاستعمارية في الشرق وكونت من أجل العثور على أي أثر يثبت حقها للعودة، جمعيات ومؤسسات ومدارس بحثية كان من أهمها:

صندوق استكشاف فلسطين وهو هيئة بريطانية أنشئت عام 1865م، جمعية الاستكشاف الفلسطينية وهي جمعية يهودية أمريكية تأسست عام 1870م، جمعية الآثار التوراتية وهي جمعية بريطانية أنشئت عام 1870م، والجمعية الألمانية للأبحاث الفلسطينية أنشئت عام 1877م، والمدرسة الفرنسية للدراسات التوراتية والأثرية أنشأت عام 1892م، والجمعية الألمانية للدراسات الشرقية أنشأت عام 1879م، والمدرسة الألمانية للأبحاث الشرقية للقدس تأسست عام 1900م وهي تعرف الآن باسم مدرسة أولبرايت نسبة لاسم العالم التوراتي وليام فولبرايت يهودي الأصل، والمعهد البروتستانتي الألماني للدراسات التاريخية في الأرض المقدسة أنشأ عام 1902م، وقد باءت كل مساعي هذه الجمعيات بالفشل الذريع في إيجاد دليل أثري واحد يثبت وجود بقية للهيكل أسفل الحرم القدس الشريف أو المسجد الأقصى.

وخارجاً عن نطاق العمل المنظم والكثيف لهذه الجمعيات ووريثاتها من المؤسسات الإسرائيلية فقد عملت في مدينة القدس تحديداً، للبحث عن بقايا هيكل سليمان، عدة بعثات أثرية معنية بالحفائر، انطلقت جميعها من فرضية صحة ما جاء في التوراة من معلومات تاريخية وحضارية كان أهمها:

حفائر باركلي المبشر الأمريكي وكانت عام 1839م، حفائر شارلفروارن الضابط الإنجليزي وكانت عام 1867م، حفائر بلبيس وهي فيما بين عامي 1893و1896م، حفائر الكابتن واركر ضابط إنجليزي وكانت عام 1911م بناء على طلب وتمويل المليونير اليهودي روتشيلد، حفائر ماكاليستر الإنجليزي 1923-1926م، حفائر كروفوت عام 1927، حفائر المدرسة الإنجليزية للآثار عام 1961م، حفائر مصلحة الآثار الإسرائيلية عام 1967م تحت إشراف دهنس، الحفائر المشتركة بين الجامعة العبرية وجمعية الكشف الإسرائيلي منذ 1968م، ولم تسفر كل هذه الحفائر كذلك عن أي شيء سوى تشويه معالم الآثار والحضارة الإسلامية.

4. بل ومما يدعم ما سبق تقريره من عدم وجود أي أثر للهيكل المتخيل.. ما أعلنه العالم الأثري الإسرائيلي (زئيف هرتسوغ) حديثاً، وذلك في تقريره المثير للجدل

الموسوم بـ (التوراة: لا إثبات على الأرض) .. ذكر "أنه بعد سبعين عاماً من الحفريات المكثفة في فلسطين، توصل علماء الآثار إلى نتيجة مخيفة: لم يكن هناك أي شيء على الإطلاق، ولم تحتل فلسطين، ولا ذكر لامبراطورية داود وسليمان"، ويأتي تقريره هذا- بالطبع- بعد أن استفرغ الدارسون التوراتيون والآثاريون ومنهم إفرنج ومنتسبون إلى دائرة الآثار الإسرائيلية الرسمية كل ما في وسعهم، وبعد أن بحثوا في كل مكان ورد اسمه في التوراة التي جعلوها في يد والمجرف في اليد الأخرى، وكانت المفاجئة أن ما وجد يؤكد بطلان ما جاءت به التوراة ويوجب قراءة التاريخ العربي عامة والفلسطيني خاصة قراءة جديدة وموضوعية .

5. كما يدعمه شهادة الدكتورة (كاتلين كابينوس) مديرة الحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس التي قررت سنة 1968م ضمن فريق من علماء الآثار المسيحيين عدم وجود أي أثر لهيكل سليمان، وشهادة فريق المهندسين العالميين الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى في وقت لاحق، وتعمقوا فيها، وخلصوا إلى أنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي أثر من الهيكل الذي تدعي الصهيونية أنه مدفون بجوار حائط البراق الغربي بالمسجد الأقصى .
6. وكما عجزت تقارير وشهادات الصهاينة ومن والاهم عن إيجاد أي أثر للهيكل وعن إثبات أي دليل تاريخي يؤكد وجوده، فقد عجزت كذلك عن إثبات أي أثر أو دليل يقطع بأن حائط البراق الذي يسمونه بـ (حائط المبكى)، جزء من سور كان حول هيكل سليمان، بل إن اللجنة الدولية المتفرعة عن عصبة الأمم المتحدة التي تكونت سنة 1929برئاسة (وولترشو) للنظر في الخلاف حول ملكية المبكى ومكثت شهراً كاملاً في فلسطين من 6/19: 1930/7/19 واستمعت لأحد عشر محامياً من مسلمين ومسيحيين من مختلف دول العالم كما استمعت لأقوال 22 شاهداً قدمهم الجانب اليهودي، أثبتت من خلال وثيقة فندت فيها إيماءات الإسرائيليين بحقهم التاريخي في القدس، بأن الحائط وقف للمسلمين العرب ولا يجوز لأحد أن ينازعهم فيه، ومن ثم لم تقر هذه اللجنة وجهة النظر الصهيونية وما تخطط له من إخراج 10 آلاف مسلم من القدس القديمة بأي شكل وبمختلف الأساليب وإحلال 5000 يهودي مكانهم، ومن إزالة الأبنية التاريخية والآثار

الإسلامية الملاصقة لسور المسجد الأقصى من الجهة الغربية وتوسيع حائط المبكى، ومن فتح أنفاق تحت المسجد، وحكمت لجنة (وولترشو) الدولية بعد دراسة وافية لكافة الوثائق، بإبقاء الحال على ما هو عليه ومنع اليهود من إدخال أي تغيير فيه .. وبنحو ذلك فعلت منظمة اليونسكو التي أدانت بقراريها 82، 83 في 1970 إسرائيل على إحراق المسجد الأقصى وعلى استمرارها في الحفريات كما دعتها للالتزام فوراً بالقرار 17م/3422الصادر في نوفمبر 1972 القاضي بالكف عن تغيير معالم القدس، الأمر الذي يؤكد من جديد عدم وجود أية أدلة مادية تشير من قريب أو من بعيد إلى الهيكل المزعوم وبالتالي كذب الادعاء اليهودي بالحق التاريخي لهم في أرض فلسطين.

7. كما يؤكده موقع المسجد الأقصى نفسه، ذلك أن من أبرز المعالم التي تميز الحرم الإسلامي الشريف أنه مستطيل ويأخذ الاتجاه من الشمال إلى الجنوب في اتجاه قبلة مكة المكرمة على خلاف الهيكل قبل إبادته وتدميره ومحوه - إن صح ما ورد في هذا الصدد - فإنه - كما أفادت دراسة الأثرى الفرنسي (دي سولس) في كتابة (تاريخ الفن اليهودي)- كان يأخذ الاتجاه من الغرب إلى الشرق، وهذا في حد ذاته ينفي نفياً قاطعاً الرأي القائل بأن الهيكل يقوم مكان الحرم الإسلامي الشريف ، إن افترضنا جدلاً وجود هيكل في الأصل.

8. ثم إن القول بثبوت أحقية اليهود في بلاد المسلمين المقدسة بحجة الهيكل وبمجرد انتسابه لنبي الله سليمان الذي يعدونه نبياً من أنبيائهم، قول خاطئ ومجاف للحقيقة، ذلك أن سليمان وجميع آبائه وأجداده من النبيين ما كانوا قط في يوم من الأيام يهوداً أو نصارى أو عابدين لعجل أو وثن، والعقل والنقل يقضيان بهذا، فجميعهم كانوا على ملة أبيهم إبراهيم حنيفاً مسلماً، والشرك أبغض ما يكون إلى قلوبهم، وهم ما بعثوا إلا لترسيخ عقيدة التوحيد التي هي في الأساس ملة إبراهيم ووصيته إليهم، واليهودية والنصرانية ما ظهرت وما وجدت إلا فيما بعد، فأنى له أن يكون هو أو أحد من أبنائه كذلك (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده..آل عمران/65)؟، وعليه فعندما يقرر القرآن حقيقة (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين.. آل عمران .. /67)، يكون قد وافق العقل في تقرير ما كان عليه أبو الأنبياء وما كان عليه

أبناؤه بالطبع من التوحيد الخالص، وما عند القوم من دليل يثبت أنهم أو أن واحداً منهم سواء سليمان أو غيره كانوا على غير ذلك، ومن هنا ساغ لرب العزة أن يوجه خطابه مستنكراً وقائلاً: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون.. البقرة/140)، وإذا كان الجواب عن هذه التساؤلات بالنفي فـ (إن أولى الناس بإبراهيم، للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا.. آل عمران/ 68)، ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم وأتباعه هم الذين اتبعوا الملة الإسلامية التي هي وصية إبراهيم أبي الأنبياء كما أنها وصية نبي الله إسرائيل نفسه اللتين جاء ذكرهما في قوله تعالى: (ووصى بها إبراهيمُ بنيه ويعقوبُ يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون .. البقرة/132)، فاتبعها محمد واتباعه وخالفها ولا يزال أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وهكذا كان الحال في أمر اتّباعها من دونهم بالنسبة لسليمان عليه السلام، وماذا بعد أن صار الخلق والطير المسخر له دعاة لدينه الإسلام، فلقد جاءه الهدهد- بعد أن استعرض عليه السلام ملكه ولم يجده - جاءه مستنكرا لما تفعله ملكة سبأ قائلا: (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون. ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون. الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم .. النمل/24-26)، وبعد محاورة ومداورة بينها وبين سليمان (قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .. النمل/44).

ولقد جاء أمر الله واستنكاره لأولئك الزاعمين أنهم على درب هذه الصفوة من الخلق المتمحكين فيهم على الرغم من براءة هذه الصفوة منهم، وذلك في قوله سبحانه: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون .. البقرة/136)، ولكن (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين ..آل عمران/86).

ونخلص من هذا إلى أمرين مهمين لا تقل إحداهما أهمية عن الأخرى، الأول: أن الديانات لا تقوم على الأعراق أو النزعات، وأن الإسلام ما كان قط للعرب وحدهم وإلا كانت الديانات السماوية حواجز تحول دون التقاء الشعوب. والأمر الثاني: أن المسلمين من سلالة إسماعيل هم الوارثون الشرعيون لتراث الأنبياء لأنهم الذين آمنوا برسالاتهم الحقة بعد أن كفر بها غيرهم وهم الذين ورثوا بيت المقدس وسائر المقدسات الإبراهيمية والموسوية والسليمانية بعد أن تسبب غيرهم في خرابها، وهم الذين حافظوا ـ على مدار الأحقاب والأزمان- على تيك المقدسات واعتبروها جزءاً لا يتجزأ من تراثهم الديني والروحي بعد أن شوه غيرهم معالمها بالحفائر والجرافات، ألا يدل كل هذا ـ بعد أن عرفنا أن القدس بأنبيائها ورسلها تنتمي إلى الإسلام قلباً وقالباً من قديم الحقب ـ على أحقية المسلمين في هذه المدينة المباركة، سيما وأنه لا يوجد أي معلم أثرى لليهود في أرجائها؟ وألا يدل ذلك أيضاً وفي ظل ما يحدث للمسلمين هناك وفي بلادهم من انتهاكات لهم ولمقدساتهم على أنهم أولى الناس في الحفاظ على الممتلكات والأرواح والمقدسات؟.

9. وإذا كان الخليل إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع قواعد البيت الحرام بصحبة ابنه من هاجر إسماعيل عليه السلام، وكانت المدة الزمنية بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى على نحو ما ورد في الصحيح أربعين عاماً.. فمن المعقول ـ سعيًا وراء تحقيق موعود الله لشيخ الأنبياء عليه السلام ـ أن يكون إسحاق عليه السلام ابنه من سارة، هو الذي أسس بإيعاز من أبيه أو بأمر من الله المسجد الأقصى في الأرض التي بارك سبحانه فيها وحولها، وعليه فليس لداود وسليمان من عمل سوى رفع قواعده وتجديده.

وإذا كان هذا المسجد هو عينه الذي أسرى برسولنا محمد صلى الله عليه وسلم إليه وقد رآه ـ بالطبع ـ على الحال الذي كان عليه، وإلا لما أطلق عليه القرآن مسجداً، ولما تسنى للرسول أن يصفه للمشركين عندما جادلوه في أمره صبيحة أسرى به إليه.. فإن هذا يعني أن المسجد الأقصى خلال هذه المدة الطويلة التي استمرت من عهد إسحاق الذي كانت ولادته في القرن العشرين قبل الميلاد إلى مبعث النبي محمد سنة610 على الأرجح، وإسرائه صلى الله عليه وسلم إليه بعيد ذلك، مروراً بعهد داود ثم سليمان الذي توفي سنة 930ق.م وبحكم البابليين والفرس واليونان والبطالمة

والرومان لم تطله يد التخريب والإبادة، الأمر الذي يشكك في وجود هيكل أصلاً بل وفي مصداقية ما جاء في التوراة بشأنه، إذ كيف يتأتى أن يكون ثمة هيكل قد دمر على نحو ما ورد في الكتاب المقدس – سفر الملوك الثاني 24: 13، 25وما بعدهما، وإرميا 52: 30- وهو في مكان المسجد الذي ظل طوال هذه المدة وسيظل شاهداً على كذب وادعاءات اليهود في زعمهم أن الهيكل المزمع بنائه الآن من جديد، يقع أسفله أو بجواره، أو حتى في محيطه؟، إن الجواب المتعقل يقضي بأن لو كان الأمر على نحو ما يدعون لتم تخريب الأقصى هو الآخر لوقوعه في زمام البلاد التي طالها التدمير سيما وقد قيل إن آخر تدمير لحق المدينة كان بعد ميلاد المسيح بـ 138عاماً أي قبل تشريف النبي صلى اله عليه وسلم له وللبقعة المباركة من حوله بزمن ليس بالبعيد.

10. وحين هاجر صلوات الله وسلامه عليه إلى المدينة عقد بعد الهجرة مباشرة عقداً مع يهودها أقرهم فيه على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم، فلو كان هناك هيكل بحق كما يزعم يهود عصرنا لما خفي ذلك عن أسلافهم ممن عاصروا رسول الله وساكنوه، بل ولطالبوه صلى لله عليه وسلم به ولأثبتوا أحقيتهم له أو لنصوا على الأقل على ملكيتهم إياه إن لم يتظاهروا بشأنه ويحتجوا على ذهابه إليه، سيما وقد عرفوا بإسرائه إليه ومعراجه منه للسماء، منازعته إياهم فيه.
11. ثم إن النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان يكره التشبه باليهود والنصارى حتى قال قائلهم: إن محمدا لم يدع لنا شيئاً نحن عليه إلا وخالفنا فيه، فهل يعقل أن يحط رحل النبي عليه السلام ليلة الإسراء في موضع كان في يوم ما معبداً أو مكاناً معظماً لدى يهود؟ وهل يُظن بالنبي أن يقع فيما تورع أحد أصحابه وهو عمر أن يقع فيه؟ وهل يتصور وجود هيكل تتنافى رسالته مع رسالة المسجد الذي بني عليه في مكان اعترف اليهود- قبل وبعد تحويل قبلة المسلمين إلى الكعبة- بأنه قبلتهم في صلاتهم مع علمهم واعترافهم كذلك بأنه صلى الله عليه وسلم وصحابته ما كانوا يتجهون في صلاتهم أيضا إلا إلى المسجد الأقصى؟.
12. وعند فتح المسلمين لبيت المقدس سنة636 من الهجرة وإعطاء عمر وثيقة الأمان لأهلها تضمنت الوثيقة: "ألا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود"، فلو كان هناك هيكلاً كما يزعم يهود الشتات لنص عمر عليه في هذه العهدة الشهيرة ولأمّنه باعتباره مكاناً مقدساً، إذ هو عينه الذي أمن النصارى على كنائسهم

وصلبانهم، وهو عينه الذي رفض أن يصلي في كنيسة القدس عندما دعاه مطرانها لذلك، خوفا من أن يتخذ المسلمون ذلك ذريعة لأن يستولوا عليها ويحولونها بعدئذ إلى مسجد، بحجة أن عمر صلى فيها.

13. وعلى الافتراض جدلا أن ثمة هيكلاً بُنى ودمر مرتين كما يقال، فما الذي يمنع أن يكون محوه من الوجود قد تم عقوبة من الرب لبني إسرائيل على جرائمهم وتخليهم عن تعاليمه ووصاياه كما نُص على ذلك في كتبهم، فيكون الواجب عليهم مراجعة حساباتهم مع الله لا المزيد من استجلاب سخطه وغضبه، وفي فعل ما هو على العكس مما ينبغي عليهم فعله مما ذكرنا؟، جاء في سفر الملوك الأول9: 1- 10أنه "لما أكمل سليمان بناء بيت الرب.. وكل مرغوب سليمان الذي سُرّ أن يعمل.. تراءى- الملك- لسليمان ثانية .. وقال له الرب: قد سمعت صلاتك وتضرعك.. قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد، وتكون عيناي وقلبي هناك كل الأيام .. إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبنائكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي فرائضي التي جعلتها أمامكم. بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها. فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب. وهذا البيت يكون عبرة كل من يمر عليه يتعجب ويَصفُر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت. فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر"، ولا يختلف في إغاظة بني إسرائيل للرب ولا عبادتهم للعجل ولا انتهاكهم ومن شايعهم إلى يوم الناس هذا لسائر حرمات الله اثنان، وعليه فلا عجب أن يحل عليهم غضب الله وأن ينزل بهم وعيده وأن يصبح هيكلهم في المرتين اللتين ورد ذكرهما في سفر الأخبار وسفر عزرا على ما سيأتي، أثرا بعد عين.

فقد جاء في سفر أخبار الأيام الثاني36: 14- 20 أن تدميره في المرة الأولى تم على يد ملك الكلدانيين بختنصر الذي أمر جنده فـ "أحرقوا بيت الله وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آنيتها الثمينة. وسبى الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا" وذلك بعد أن "أكثروا الخيانة حسب كل

رجاسات الأمم ونجسوا بيت الرب الذي قدسه في أورشليم.. وكانوا يهزأون برسل الله ورذلوا كلامه وتهاونوا بأنبيائه".

وبعد عودة عزرا ونحميا إلى أورشليم في أيام كورش ملك فارس، وخضوع فلسطين للدولة الفارسية وكان ذلك عام 536ق.م، ثم إعادة بناء الهيكل وتدوين التوراة على نحو ما جاء في سفر عزرا، 1: 1- 4 ولما حادوا عن الحق دمره سبحانه عليهم للمرة الثانية وأباده من الوجود هذه المرة إلى الأبد، وذلك حين بطش بهم القائد الروماني تيتوس سنة 70 من الميلاد.

وعليه فما يسعى إليه بنو إسرائيل الآن من عربدة ومن إهلاك للبلاد والعباد في محاولة منهم لإعادة الهيكل يعد تمادياً لمخالفة أوامر الرب من ناحية، كما يعد اعتراضاً على حكم الله وعدم رضاء لما قضي فيه بأمر- سيما بعد تحول موعود الله عنهم- من ناحية ثانية، كما يُعد تمرداً ومخالفة لما تنبأ به عيسى عليه السلام آخر أنبياء الله ورسله إليهم من ناحية ثالثة.

ومن النبوءات التي أشير فيها صراحة بتدمير الهيكل وإبادته ومحوه من الوجود بحيث لا تقوم بعده قائمة وجاء ذكرها على لسان عيسى- عليه السلام- الذي تآمروا على قتله وقتل غيره من الأنبياء، ما ورد في إنجيل متى23: 37 - 39 "يا أورشليم يا أورشليم - يريد سكانها من اليهود- يا قتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا، هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً. لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب".. وما ورد في إنجيل لوقا 21: 20- 22 من قوله- عليه السلام- لبعض تلاميذه فيما سيؤول إليه أمر أورشليم والهيكل: "متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها .. لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب".

ولا يخفى ما في هذين النصين وغيرهما على ما سيأتي من تلميح إلى قرب نهاية بنى إسرائيل ومبعث النبي الأمين صلى الله عليه وسلم الذي سيؤول إليه أمر موعود الله سبحانه في الملك والنبوة، ومن تلك النبوءات أيضا ما جاء من مخاطبة عيسى لأورشليم في إنجيل لوقا 19: 43- 46 قائلاً: "ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمترسة ويُحدّقون بك ويحاصرونك من كل جهة. ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على

حجر.. ولما دخل الهيكل ابتدأ يخرج الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه. قائلاً لهم: مكتوب أن بيتي بيت الصلاة، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص"، ثم راح يضرب المثل لأولئك المخاطبين من الكهنة والكتبة ووجوه الشعب الذين تآمروا على قتله، ويذكرهم بأمر الكرّامين الذين رفضوا الحجر الذي صار فيما بعد رأس الزاوية، في إشارة وبشارة واضحتين بخاتم النبيين وآخر المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم الأمر الذي يعني أن يسوع وحوارييه كانوا يتوقعون ما سيحدث لمعشر يهود، كما يعني كذلك الإيذان بأنه لا عودة لأولئك الأنكاد لضياع كيانهم إلى الأبد بعد أن منحهم الله الفرصة تلو الفرصة، لكن دون جدوى، على أن ما جاء في الكتاب المقدس هو على نحو ما ذكرنا قبل أن يصبح الهيكل- بآية من الله وبسبب ما اقترفه معشر يهود- أثراً بعد عين، وعليه فلا تعارض بين ما جاء في التوراة في هذا الصدد على افتراض القول بصحته وبين القول بعدم وجوده البتة على ما هو متضح.

14. لقد صرح (جوستاف لوبون) في كتابه (حضارة العرب) أن ما يسمى بالهيكل ما هو إلا أكذوبة، كما صرح الكاردينال (اسطفانوس الأول) بطريك الأقباط الكاثوليك في جريدة الأهرام المصرية يوم الجمعة 1969/8/22- أي عقب إحراق اليهود للأقصى في 1969/8/12 الذي أدانه مجلس الأمن بالقرار رقم 271 في 1969/9/15 - مستنطقاً ما ذكرناه في الأسطر القليلة الماضية بأن "إحراق إسرائيل للمسجد الأقصى تحد لكل النبوات والكتب المقدسة"، وأردف يقول: "إذا كان اليهود لا يؤمنون بذلك فليرجعوا إلى التاريخ وليروا ما صنعه أجدادهم في عهد الإمبراطور (يوليانوس) الذي بنى على أنقاض مدينة القدس، إيلياء عام 62ميلادية، حين حاولوا إعادة بناء هيكل سليمان فهبطت ألسنة النار وزلزلت الأرض وأزالت كل ما صنعوا ".

سبحان الله إنها إذاً الإرادة الإلهية والانتقام الرباني ولا شئ غير ذلك، وعلى معشر يهود إن كان عندهم إيمان بذلك وبأسفارهم، أن يكفوا عن عبثهم بالمقدسات وألا يزيدوا بذلك وبسحل الأبرياء وبقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس والنساء والأطفال وإهلاك الحرث والنسل، من سخط وغضب الرب أكثر ما هو عليه الآن، وأن يسلموا بقضاء الله فيهم ويتمثلوا أوامره ويؤمنوا بخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه

وسلم ويعترفوا له بالإمامة والريادة وموعود لله له ويوقنوا بألا نجاة لهم في الدنيا والآخرة إلا بذلك إن كانوا يريدون لأنفسهم نجاة.

15. إن الفكرة الصهيونية السياسية التي نادى بها ليوبنسكر الطبيب اليهودي الروسي سنة 1881م والتي تنادي بوجوب تهجير اليهود من المجتمعات التي يعيشون فيها إلى إقليم يمتلكونه ليكوّن أمة يهوديةً، وتبعه فيها هرتزل الذي رشّح لتحقيق هذا الغرض أرض فلسطين باعتبارها الموطن الأصلي لهم، ولهم- على حد زعمه- الحق الشرعي في أن يعودوا إليه .. هذه الفكرة وإن أفلحت بفضل مسايرة الانتداب البريطاني لتدعيم هذا الاتجاه، إلا أنها حملت في طياتها الزيف والكذب والزور والبهتان .. ذلك أن الكثرة الغالبة من اليهود الذين نزحوا إلى فلسطين في العصور الحديثة لا يمتّون بأدنى صلة ليهود فلسطين القدماء، ومن ثم فليس لهم حق تحت أي مبرر فيما يغتصبونه من أراضي الغير إن صح الزعم بأن ليهود فلسطين حق شرعي أصلاً في تلك الأراضي المقدسة، سيما وأن أولئك النازحين ينتمون إلى أجناس غير سامية اعتنقت اليهودية في فترات متباينة عبر التاريخ، فقد كان من اليهود الذين طردهم الملك الكاثوليكي فرديناند من أسبانيا ليستوطنوا أرض فلسطين كثير من المواطنين الأسبان الذين تهودوا وانتشروا في إيطاليا وفرنسا والشرق الأوسط، ومثل ذلك يقال عن يهود طائفة الأشكيناز وهم يهود شرق أوربا ووسطها فهم أحفاد الخزر الذين عاشوا في جنوب روسيا واعتنقوا الديانة اليهودية في القرنين السابع والثامن الميلاديين، بل إن معظم الصهاينة أوربيون وليس هناك أي رابط عضوي بين أجداد هؤلاء جميعاً وبين الأسباط .

فأنى لقوم لا يمتّون لموطن بأدنى صلة أن يُخرجوا منه أهله بعد أن يهدروا دمه ويستحلوا باسم الدين العيش فيه على حساب من أخرجوهم من ديارهم بغير حق، وأي دين وأي عقل وأي منطق وأي قانون وأي شريعة - باستثناء قانون الظلم وشريعة الغاب - يرضى بهذا؟ والسؤال الذي يلح في فرض نفسه هو: لمَ لمْ يقم من تبنوا هذه الفكرة من الأوربيين والأمريكيين وغيرهم ممن تتقاطر قلوبهم شفقة ورحمة على أولئك الذين مزّقهم الله الرحيم بخلقه كل ممزق بعد أن قطعهم في الأرض أمماً وهاهم قد أتوا من كل حدب وصوب.. لمَ لا يقومون بهذا المعروف الذي لن ينساه لهم الرب ولا التاريخ

فيقتطعون من بلادهم جزءًا يؤونهم فيه، ولن تعدم بريطانيا مقاطعة ولن تعدم أمريكا ولاية تفرغها لأولئك البؤساء المطرودين والضحايا المساكين، على الأقل ليوفروا على أنفسهم هذه الأموال الطائلة والجهود المضنية والإمدادات المكلفة التي يبعثون بها إليهم من أقاصي البلاد ومن أدانيها، وليست بلادنا بأسعد حظاً ولا أحسن حالاً من بلادهم فبلادهم رمز التقدم والحضارة، ومبعث الرقي والثقافة.

16. ومن الأمور الثابتة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوقف في أرض الخليل أول وقف وجعله للصحابي الجليل تميم بن أوس الداري وقد عرف هذا الوقف حتى الآن بالوقف التميمي نسبة إليه، كما أوقف الخليفة عمر بن الخطاب وقفاً آخر في جبل أبي غنيم للصحابي الجليل عياض بن غنم وقد عرف هذا الجبل ولا يزال باسمه، وعلى الرغم من أن الوقف الإسلامي لا يجوز أن يباع ولا أن يشترى إلا أن اليهود الذين يجيدون فنون التزوير والتزييف احتلوا هذه الأماكن وادعوها لأنفسهم وقد تبرع اليهودي (زيمسكوفيتش) بـ 600مليون دولار لبناء مستوطنة في جبل أبي غنيم ضارباً هو وقومه بكل القوانين والشرائع السماوية عرض الحائط، الأمر الذي أثار حفيظة علماء المسلمين في أنحاء المعمورة وكان من توصيات المؤتمر الخامس لمجمع البحوث الإسلامية في 22من ذي الحجة 1389هـ الموافق 28من فبراير 1970م أن بيت المقدس وما حوله إنما هي أرض أوقاف أوقفها المتبرعون منذ القدم على مصلحة المسلمين ومن ثم فهي ملك للمسلمين جميعاً واغتصاب شبر منه تحت أي مبرر يفرض عليهم السعي لتحريره لاتفاق أهل العلم على (أن شبراً ديس من أرض المسلمين بالمشرق وجب على أهل المغرب أن يسعوا لاسترداده)، وأكدت التوصيات على (أن الجهاد بالأموال والأنفس أضحى فرض عين) (وبما أن الأرض المقدسة والقدس الشريف والمسجد الأقصى ملك للمسلمين كلهم يتحتم على المسلمين في كل مكان أن يبادروا إلى تحمل واجباتهم في الجهاد والعمل على إرسال المجاهدين إلى ساحات القتال)، (ومن يتخلف عن تحمل أعبائه فقد سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين)، لكن الخيانة من قبل حكام المسلمين الذين هادنوا أعداء الله ونصبوا حروبهم ضد المجاهدين حالت دون إتمام هذه الصفقة مع الله وأبت أنظمتهم ولا تزال إلا أن تسلك غير سبيل المؤمنين، فإلى الله وحده المشتكى وإنا لله وإنا إليه راجعون.

17. يضاف لكل ما ذكر من أدلة في عدم أحقية بني إسرائيل في القدس الشريف بما فيها ساحة المسجد الأقصى وما يدعونه من أمر الهيكل، أن كافة المنظمات الدولية تشهد بعدم أحقيتهم في أي من هذه الأراضي المقدسة وبالتالي عدم أحقيتهم في الاعتداء على أهلها ولا في إحداث أية تغييرات تحدث على الأرض.. ولعل أهم قرار اتخذه مجلس الأمن في هذا الشأن القرار رقم 672 في أكتوبر عام 1990 والذي طالب فيه إسرائيل بصفتها قوة احتلال بالوفاء بمسئولياتها القانونية وأدان بالإجماع ارتكاب إسرائيل لأعمال العنف التي جرت ضد الفلسطينيين في ساحة المسجد الأقصى في 1990/10/8، وعندما رفضت إسرائيل تنفيذ القرار أصدر المجلس قراراً آخر برقم 673 في 1990/10/24 أكد فيه إصراره على أن تمتثل إسرائيل للقرار السابق ، وفي هذا كله فضلاً عما سبق ذكره دلالة غير مباشرة من المجتمع الدولي على عدم وجود ما يدعيه اليهود من أمر الهيكل.

18. فإذا ما أضفنا إلى تلك الأجوبة المنطقية أن أول من بنى مدينة القدس منذ ثلاثين قرناً قبل الميلاد هم اليبوسيون وهم من العرب القدامى على ما جاء التصريح به في سفر إرميا 25: 24 "وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية"، وسفر حزقيال 27: 21 "العرب وكل رؤساء قيدار.. في هذه كانوا تجارك"، وسفر أخبار الأيام الأول 11: 4" وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم أي يبوس وهناك اليبوسيون سكان الأرض"، وسفر أخبار الأيام الثاني 9: 14 "وكل ملوك العرب وولاة الأرض كانوا يأتون بذهب وفضة إلى سليمان"، وسفر يشوع 15: 63 "وأما اليبوسيون الساكنون في أورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في أورشليم إلى هذا اليوم"، وسفر القضاة 19: 11، 12 "وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبت فيها. فقال له سيده لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا"، وعندما أراد داود أن يبني هيكلا للرب في القدس قام بشراء البيدر الذي كان ملكاً لرجل يبوسي يدعي أرونة على ما جاء في سفر صموئيل الثاني 24: 21- 25إلى غير ذلك مما يكشف من النصوص التوراتية ذاتها عن حقيقة أن القدس (يبوس) مدينة العرب

اليبوسيين وأنهم الذين أقاموا وتعاقب على حكمهم فيها ملوك العرب دون أن يشاركهم في سكناها أحد من بني إسرائيل وأنها كما وصفها سيد الغلام الإسرائيلي بالنسبة إليهما ولكل إسرائيلي من باب أولى (مدينة غريبة).

19. وأضفنا إلى كل ذلك أن الحفائر الأثرية التي جرت حول المدينة كشفت أنه في العصر البرونزي 2600- 1800ق.م كانت المنطقة عامرة وما حولها باليبوسيين .. وأن الفتح الإسلامي جاء والمدينة خالية تماماً من اليهود لأنها كانت محرمة عليهم، وهم من بعد موسى ومن بعد الغزو البابلي والروماني، قد قطعهم الله في الأرض أمماً، ومزّقهم كل ممزق .. وأن وجودهم المتقطع على مدار هذه الفترة كان وجوداً طارئاً لم تقم لهم خلاله ملك ولا دولة ، تأكد لنا عدم أحقيتهم لا في مدينة القدس فحسب بل ولا في أي شبر من أرض فلسطين .. وأصبح لزاماً على كل مسلم أن يطلع بدوره في السعي الدائم لأن تظل هذه القضية ساخنة ومحور اهتمامه وفي عدم الرضوخ لما يسمى بسياسة الأمر الواقع وعدم المبالغة في وصف قوة العدو والإعداد له بكل ما أوتي من قوة ورفض التطبيع معه، وفي استشعار الهم واستثمار كل الطاقات لخدمة القضية وبث روح الأمل والتفاؤل وتمني الشهادة في سبيل الله والعمل على تربية جيل النصر المنشود، وأن يستحضر معنى ما جاء في قوله تعالى: (فلا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المصير .. آل عمران/196، 197)، وقوله: (هو الذي أخرج الذين كفروا من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار.. الحشر/2) .. بل وعرفنا أن ما فعله عمر عشية تسلم مفاتيح بيت المقدس حين اشترط عليه أهل إيلياء وأقرهم على ذلك بطريرك القدس ألا يسمح لليهود بدخولها أو الإقامة فيها، لم يأت من فراغ، وازداد يقيننا بوجوب أن يظل العهد العمري محترماً ومعمولاً به لأن المسلمين مأمورون أن يتبعوا سنة الخلفاء الراشدين المهديين ولا ريب أن عمر أحدهم .

وعلى نصارى العالم أيضاً أن يثبتوا فوراً وعلى الملأ ولاءهم لقساوستهم فيمضوا ما عاهد عليه بطريركُ بيت المقدس (صفرنيوس) أميرَ المؤمنين عمر في عدم مساكنة يهود الشتات للمسلمين العرب أصحاب الأرض في هذه البقاع المقدسة، فليس من المعقول أن يشترط بطريرك بيت المقدس على عمر ألا يسكن بهذه البقاع المقدسة يهودي وتظل خالية منهم منذ عهد عمر وحتى خلافة السلطان عبد الحميد العثماني ثم نرى نصارى هذا العصر هم الذين يسعون بكل ما أوتوا من قوة لتمكين اليهود من القدس وقد تمثل ذلك في وعد بلفور سنة 1917 ثم في تمكين بريطانيا إبان فترة الانتداب على فلسطين لليهود من الهجرة إليها وتشجيعها الميلشيات اليهودية كالأرجون وعصابة شتيرن بقيادة بيجن وشامير على بث الرعب والإرهاب وإهلاك الحرث والنسل في القرى والمدن الفلسطينية، كما يتمثل في قيام أمريكا بالدفاع عن اليهود وعن ممارساتهم المنافية لأبسط مبادئ الإنسانية ضاربة بجميع العهود والمواثيق الدولية عرض الحائط.

وعلى نصارى العالم أن يثبتوا كذلك ولاءهم لكتابهم المقدس فيعملوا جاهدين على إنفاذ حكم الإنجيل في إجلاء أولئك اليهود من ديار المسلمين لأنهم ولا يزالون يحقرون الأنبياء ويهينونهم بنسبة ما لا يجوز إليهم، وهم ولا يزالون كذلك يغضبون الرب ويغيظونه بقبيح فعالهم، سيما وأن دماء السيد المسيح عليه السلام الذي تآمروا على قتله والذي أعلن عدم رضائه عنهم ولا عن وجودهم في هذه البلاد المقدسة لا تزال تلاحقهم، ففي حقهم وعلى لسان يسوع حين رأى هذه الإهانات: "أترون هذه الأحجار العظيمة؟ لا يترك حجر على حجر إلا وينقض"، وفي إنجيل متى 24: 30-33، 35- 39 وعلى لسانه أيضاً: "تقولون لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء. فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملئوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم.. يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح. الحق أقول لكم إن هذا كله يأتي على هذا الجيل. يا أوشليم يا أوشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً. لأني

أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب"، ولقد جاء على لسان هذا المبارك الذي جاء- فيما بعد- باسم الرب فكفروا به وهو محمد صلى الله عليه وسلم أن الله قد أخذ (ميثاق الذين أوتوا الكتاب من قبل لتبيننه للناس ولا تكتمونه.. آل عمران/187).

ولعلنا ندرك الآن أكثر من أي وقت مضى أن دين الله الخاتم يحتم على المنتسبين إلى محمد وإسماعيل عليهما السلام والراغبين في ملة أبيهم إبراهيم، أن يحرروا تلك البقاع المباركة باعتبارهم وحدهم أصحاب الحق الشرعي والتاريخي فيها، والمؤتمنين عليها وبخاصة أن التاريخ يشهد ولا يزال سيل الفظائع التي يرتكبها معشر يهود في حقها وفى حق أصحابها المقيمين بها، كما يشهد ما أصابها عندما احتلها الصليبيون من قبل وقتلوا وذبحوا فيها وفى مسجدها- باسم المسيح نبي الرحمة والمحبة الذي هو منهم براء- ما يقرب من السبعين ألفاً من المسلمين دون تمييز بين شيخ أو امرأة أو عالم دين أو طفل أو مقاتل، وبقيت ترزح تحت أيديهم تسعين عاماً أهلكوا خلالها الحرث والنسل إلى أن حررها القائد المسلم صلاح الدين عام 1187م.

الحقيقة العاشرة:

عاجل مستقبل أرض الميعاد وآجله يحدده الشرع الحنيف وسنن الله الكونية لا أمزجة البشر

وابتناءً على ما سبق فإن موقع النزاع الآن بين بنى إسرائيل وبنى إسماعيل على تحقيق وعد الله لا محل له، لأن هذا الوعد قد قضى الله فيه بأمر، وقد قضى سبحانه ضمن ما قضاه ألا حق لبنى إسرائيل في هذا الوعد بعد بزوغ فجر الإسلام، لا لأنه كان موقوتاً بمدة معينة انتهت وفقط، بل ولأنهم مع ذلك تعدوا- باحتيالهم على محارم الله ومخالفتهم وصاياه وشريعته، وباجترائهم على أنبيائه والصلحاء من عباده- وفي أثناء مدتهم وفترة تحققه فيهم، حدود اللياقة مع الله ورسله.

ولو أنهم استقاموا على الطريقة لظل موعود الله لهم ومعهم إلى أن أسلموه لأبناء أعمامهم عن طواعية اقتداءً بحال أنبيائهم مع نبينا ليلة الإسراء، ولكان لهم في ذلك أيضا الشرف أن لم يخرج هذا الأمر إلى أحد من غيرهم، بل ولما سلط الله عليهم ومن قبل ذلك بزمن طويل وإلى يوم القيامة من يسومونهم من كل أمة سوء العذاب.

يقول ابن كثير في تفسير قول الله تعالى (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب .. الأعراف/167): "إن موسى عليه السلام ضرب عليهم الخراج سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وكان أول من ضرب الخراج، ثم كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية" ، إنه الملخص الأمين والشديد الإيجاز لتاريخهم الحالك السواد.

لقد ذهب وعد بنى إسرائيل- بعد أن كثر فيهم الخبث وافتقد فيهم الأمل- إلى غير رجعة، وإذا كان حال أكثرهم مع موسى هو ما ذكرنا فقد (خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه.. الأعراف/ 169)، ولقد وصل الأمر بهذا الخلف الممتد إلى يوم القيامة على الرغم من أنه ورث التوراة عمن سبقه، لأن يصير حاله أسوأ من حال من سبقه، وأن يعتاض عن بذل الحق ونشره، بعرَض الحياة الدنيا، وكلما لاح له معصية واقعها ولا يبالي ، وما اتباع كل الوسائل الرخيصة في تحقيق مأربه وانتهاج مبدأ الغاية تبرر الوسيلة بخافٍ على أحد، ناهيك عما جبل عليه من عنصرية تجسدت في الاعتداء على الآخرين بعد هدم منازلهم وإخراجهم من ديارهم بغير حق واستحلال أموال ودماء الغير وتعطش لانتهاك حرمة هذا الغير دون مراعاة لأية مبادئ أو قيم، وقد شاءت إرادة الله أن تنكشف (بروتوكولات حكماء صهيون) لتبدي حجم المؤامرة الجهنمية التي اجتمع عليها أبالسة الأرض وأجمعوا والتي تهدف إلى إفساد العالم وانحلاله لإخضاعه في النهاية لمصلحة اليهود ولسيطرتهم دون سائر البشر.

لأجل ذلك كله استحق هذا الخلف بموجب سنن الله الكونية في إهلاك من كثر الخبث فيهم ولا يتناهون عن منكر فعلوه.. وعيده لا وعده، حيث يقول سبحانه: (وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم❁ وقطعناهم في الأرض أمماً .. الأعراف/167، 168)، إذ أنى لقوم هذا حالهم أن تقوم لهم قائمة أو تقم لهم دولة، اللهم إلا إذا تساووا مع عدوهم في

المعصية فحينذاك تظل لهم الغلبة لكونهم حسب ما تقضى به قوانين الحياة المادية أكثر عدة وبأشياعهم وبمن سيطروا على عقولهم أكثر عدداً، وفي ذلك يقول عز جاره وعظم سلطانه: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً، إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا.. الإسراء/7، 8).

لقد أوضح الحافظ ابن كثير (26/3)، أن المراد بقوله: (فإذا جاء وعد الآخرة): "أي أفسدتم الكرة الثانية"، كما ذكر ذلك الآلوسي في (روح المعاني) من المجلد التاسع، وفيما ذكراه- على ما سيأتي- ما يؤكد ربط الإفسادة الثانية بالكرة الثانية وربط الأخيرة بقوله: (جئنا بكم لفيفاً) وربط ذلك كله بما يحدث لليهود الآن.

فبموائمة ما ذكره الحافظ والآلوسي وغيرهما مع ما جاء في صدر السورة من قوله سبحانه: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً .. الإسراء/8)، وبضميمة هاتين إلى الوعيد المترتب على الإفساد في قوله: (لتفسدن) والتعبير عنه بالمضارع وباللام الموطئة للقسم والمحضة لوقوع ذلك في المستقبل يعني- فيما ترجح لدينا- بعد نزول الآية وتحول الموعود لتكون الحجة لهم ألزم وأدوم إلى قيام الساعة.. وإطلاق لفظ (عباداً لنا) الذي ليس ثمة أولى وأحق بالوصف به من النبي وصحابته الذين على أيديهم قامت خلافة الله الراشدة وكذا من ستعاد على أيديهم قرب الساعة .. يظهر بوضوح أن الإفسادة الثانية هي المتمثلة الآن فيما يقع لليهود من علو وهيمنة وانفراد بالسلاح النووي وإشاعة لروح الخلاعة عن طريق الأفلام والإباحية، وتبنيهم للنظام الربوي العالمي ونشرهم للنوادي المخربة للعقائد، وانتهاكهم للحريات وإهدارهم للحقوق وسفكهم للدماء، وإعلانهم الصريح والجريء للحرب على كل المبادئ والقيم وعلى الإسلام وكتابه ونبيه وأهله، وتحريقهم للمسجد الأقصى الأسير، والعمل على تخريبه بالحفر أسفله وبحصاره والتضييق على المصلين بوضع القيود لدخوله ومنعهم أحياناً من تأدية صلاتهم فيه بحرية بل والاعتداء عليهم بالقتل أحياناً أخرى، وما حادث اعتداء المجرم المدعو (جودمان) تجاه الركع السجود

بشكل عشوائي في 11/4/ 1982 والذي أسفر عن مقتل أحد حراس المسجد وجرح سبعة، وما محاولة زرع قنابل في رحابه بغرض تدميره أكثر من مرة بخاف على أحد .

الأمر الذي يعني أن ما عدا ذلك مما وقع لهم سواء على أيدي مسلمين أو كفار هو مما يصدق عليه قوله تعالى: (وإن عدتم عدنا .. الإسراء/8)، وقوله: (ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين .. آل عمران/127).

وسيتحقق عقب إفسادتهم الثانية وعيد الله بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا عليهم عقب الإفسادة الأولى التي كانت على ما ترجح لدينا بُعيد البعثة المحمدية حين كاد بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة وأهل خيبر، وبغوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وغدروا بمعاهداته وحاكوا له المؤامرات ودسوا السم في طعامه وألبوا عليه وعلى أصحابه الأحزاب، ولقد صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، فمكن سبحانه له ولأصحابه من أهل الحق وردوا يهود المدينة على أعقابهم وأجلوهم من يثرب عن بكرة أبيهم بعد أن أعملوا فيهم القتل والسبي وضرب الذلة والمسكنة ، ثم قاموا بتحرير الأرض المقدسة من دنسهم بعد أن تعاهدوا مع أهلها ألا يدخلها ولا يسكنها أحد من اليهود.

ولعل ما يؤيد هذا الاتجاه في تحديد الإفسادتين الواردتين في صدر سورة الإسراء ما نراه حاصلاً الآن، ومتفقاً مع ما جاء في قول الله متحدثاً عن نهاية بني إسرائيل بعد الإفسادة الثانية: (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً.. الإسراء/104).

فما التف بنو إسرائيل طوال تاريخهم الطويل بمثل ما التفوا الآن فقد بدءوا ينسابون إلى أكناف بيت المقدس في غفلة من المسلمين، وكان تعداد أول من هاجر منهم في أعقاب سنة 1882- على الرغم من إصدار الحكومة التركية العثمانية قانوناً يحرم على اليهود دخول فلسطين- خمساً وعشرين ألف مستوطن، أضيف إليهم خمسون ألفاً من اليهود الأوربيين تسللوا سنة 1895م تحت جنح الاستعمار الإنجليزي، حتى ارتفع عددهم بعيد وعد بلفور سنة 1917إلى 300 ألفاً يعني بما يعادل10 ٪ من نسبة سكان فلسطين على مسافة تقدر بـ 2٪ من المساحة، ثم إلى 400 ألف عام 1936، ثم إلى 650 ألفاً على مساحة تقدر بـ 80٪ من أرض فلسطين بعد أن تم تشريد

800 ألف من سكانها عام 1948، وتتابعت فيما بعد الهجرات من كل أنحاء العالم حتى أربى عددهم الآن إلى الأربعة ملايين من أكثر من سبعين جنسية ومن مجموع عشرين مليون هم يهود العالم في أصقاع الأرض، تجمعوا في زمن قياسي واستوطنوا البلاد بعد أن أخرجوا منها أهلها بغير حق، وأنشأوا فيها المدائن والمدارس والمصانع وراحوا "ينفثون سمومهم في أرجاء الأرض ليدمروها ويحتلوها ليتوجوا الدجال – المسيح الأعور- لأورشليم القدس" ، بعد أن أوتوا من الآلة العسكرية والقوى التدميرية والهيمنة السياسية والاقتصادية ما لم يؤتوه من قبل وما يفوق الوصف والخيال مصداقاً لقول الله تعالى: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً .. الإسراء/6)، وليكونوا بعد ذلك هدفاً للإهلاك والتدمير على يد عبادٍ لله يسلطون عليهم فيقهرونهم ويجبهون وجوههم بالمساءة والمذلة ويدمرون ما يغلبون عليه من مال وديار ويدخلون المسجد الأقصى ويحررونه كما حدث على عهد عمر وعلى ما جاء في قوله عز من قائل: (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً ..الإسراء/104).

ويشهد كل من له أدنى بصيرة مدى استحكام العداء من قِبل معشر يهود تجاه أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، فما من بلاء يقع فيه المسلمون في شرق أو غرب إلا ولليهود اليد الطولى فيه، مما يؤذن بأن المواجهة حاصلة لا محالة.

ومما يشعر بطعم الراحة وبرد اليقين أن هذا العداء والإفساد الذين يصدران ويحدثانه بنوا إسرائيل خاصة ما يقع منهما في أرض المعراج، شرطان ضروريان لكي يتحقق وعيد الله فيهم لينزل بهم عقابه وعذابه، أما الإفساد في الأرض الذي لم يقع لهم إلا بعد علو وتمكين يمكّناهم من قهر عدوهم وتدمير حياتهم بصورة يجد المغلوب على أمرهم من أصحاب الحق والأرض أثرها ألماً في نفوسهم ومرارة في حلوقهم، فهذا يشعر به أهل الأرض جميعاً، وقد وقفنا على بعض مظاهره وأما العداء المستوجب لحتمية المواجهة فهو باد للعيان وبأدلة الشرع لكل ذي عينين.

ومن الأدلة المنبئة بحدوث المواجهة بين هذه القوة الغاشمة وأهل الإيمان الذين سيتحقق على أيديهم بمشيئة الله وعد الله بالنصر والتمكين رغم كل ما ذكرنا من هيمنة عدوهم، ما أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر من قوله صلى الله عليه وسلم:

(تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول الحجر: يا عبد الله هذا يهودي ورائي فاقتله) وفي رواية لأبى هريرة بلفظ (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر.. لحديث ، وقد حدث- وأيم الله- ما تنبأ به وأنبأ عنه رسول الله الذي (ما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى .. النجم/3، 4)، فقد طالعتنا مجلة الأزهر في عددها الصادر في ربيع الآخر لعام 1424الموافق لشهر يوليو لسنة 2002نقلاً عن جريدة (آفاق عربية) المصرية بتاريخ 2002/5/9 من حديث للشيخ أحمد ياسين - عليه رحمة الله- عبر الهاتف موجهاً كلمته لمؤتمر نقابة الأطباء الرابع بمحافظة الغربية إحدى محافظات مصر وسمعه مئات الحاضرين: "إن بشائر النصر قد رأيناها بأعيينا حيث إن رجال المقاومة في (رام الله) ظلوا يطاردون أحد المستوطنين حتى اختفى عن أعينهم خلف الأشجار فأنطق الله الشجر وقال لهؤلاء الأبطال: (هذا اليهودي ورائي)، ويذهب الشباب إليه خلف الشجرة ويقتلونه".. ثم يختم الشيخ كلامه قائلاً: "إنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

ومن الأدلة المرجحة لاعتبار الإفسادة الأولى ما كان على يد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين، ما جاء في قوله تعالى (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد .. الإسراء/5)، إذ ما من شك أن الأجدر لجعل الغلبة لهم على اليهود، والأحق- في ذات الوقت- بوصفه تعالى (عباداً لنا) هم النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته، لا ذاك المجوسي الكافر (بختنصر) ولا غيره ممن أهانوا القدس ودمروه .. ومنها ما جاء عن اليهود الذين حزبوا الأحزاب لاستئصال شأفة الإسلام بعد أن (ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب.. الحشر/2): (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً. وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله على كل شئ قديراً الأحزاب/26، 27).

لقد رسمت آيات سورة الإسراء أمامنا الصورة واضحة وشخصت ما نحن فيه الآن وأوقفتنا على ما لنا وما علينا، فهذه القلة المتمردة التي ابتلينا بها وتسعى لأن تجمع

نفسها بعد أن نزل بها من بأس الله ما نزل، قد يجعل الله لها الكرة إذا تساوى من يريد التصدي لها معها في المعصية والابتعاد عن منهج الله، ولا ولن تتمكن الأمة المسلمة حتى وان كانت كثيرة العدد- كغثاء السيل- من هذه القلة التي تملك من الأسلحة المحرمة وغير المحرمة ما تملك، إلا إذا أذعنت للحق وأقامت شريعة الله وخلافته في الأرض ونزعت عن نفسها ثوب الوهن المتمثل في حب الدنيا وكراهية الموت وأعادت لنفسها الإمامة والريادة وحققت العبودية لله بكل معانيها، والى أن يحدث ذلك فتُخرج من بين أظهرها (عباداً لنا أولي بأس شديد.. الإسراء/5)، يتحقق لهم موعود الله ونصره المؤزر وتعود لهم خلافتهم الموعودون بها في قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه أحمد في مسنده [14/273]: (تكون النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء أن تكون ثم يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة.. فسيظل الصراع مستمراً إلى يوم القيامة بين قوى الشر وقوى الخير التي لن تعدم على أي حال جنوداً أوفياء يقفون على أكناف بيت المقدس لقهر عدوهم كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد والطبراني بسند رجاله ثقات عن أبى أمامة: (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء (أي من أذى) حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، قيل يا رسول الله. وأين هُم قال: ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)، وكذا ما رواه أبو يعلي من حديث أبي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حوله، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله، لا يضرهم خذلان من خذلهم، ظاهرين على الحق، إلى أن تقوم الساعة) ، وما رواه الطبراني عن خريم بن فاتك الأسدي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أهل الشام سوط الله في أرضه ينتقم به ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا إلا هما وغماً) .

ومما جاء في السنة المطهرة مشيراً إلى محق الباطل وأهله ضمناً، وإلى تحقيق موعود الله لهذه الأمة صراحة قوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم عن ثوبان: (إن لله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي

منها)، وقوله فيما أخرجه أحمد في مسنده (17082) عن تميم الداري: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مَدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزاً يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر).

ويحق لنا بعد كل ما تقدم أن نقول بكل ثقة ويقين مرددين ما ذكره الدكتور أحمد عصام البشري المفكر السوداني وعضو المجلس الوطني، في مجلة القدس العدد 24ص 6:

إن الحق التاريخي لليهود في أرض فلسطين والزعم بأن إسرائيل ما جاءت لتحتل أرضاً بل لتسترد حقاً، فرية شوهاء وكذبة بلقاء لا تقوم على ساق ولا تنهض بها حجة، وهي أوهى من بيت العنكبوت، كما أن القول بأن لليهود حقاً دينياً في فلسطين بدعوى أنها تُعد الآن امتداداً لمملكة داود التي قامت في القرن العاشر قبل الميلاد، لا يقوى أمام التحقيق العلمي، وكذا ما استطاعوا أن يؤثروا به على الغرب المسيحي من الاعتقاد بأن عودة المسيح مرهون بتجميع اليهود في أرض فلسطين، والإعلان بأن تأسيس الكيان الصهيوني تحقيق للنبوءة التوراتية التي تقول: إن الله وعد إبراهيم (بأن يعطي نسله أرض فلسطين. وكذلك وعد ابنه إسحاق وحفيده يعقوب ..)، كل ذلك وهم كبير، ذلك أن (أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا .. آل عمران/68)، كما أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة وإلا شابها الجور والظلم الذي لا يرضى عنه رب العزة القائل لإبراهيم عندما (قال ومن ذريتي) طالباً إياها لبنيه ولبني بنيه من بعده، فكان الجواب من الله (قال لا ينال عهدي الظالمين .. البقرة/124).

وأضيف أن ادعاء يهود للحق الديني في أرض الميعاد إنما تبخر جراء مواقفهم المتمردة على أوامر الله وفعلهم الشر في عيني الرب وإغاظته، وبارتباط أكثر من ألف مليون مسلم الآن وأضعاف أضعاف ذلك من قبل ومن بعد إلى قيام الساعة بمنتهى مسرى نبيهم صلى الله عليه وسلم ومفتتح معراجه إلى سدرة المنتهى، كما تبخر ادعاؤهم بحقهم التاريخي بأسبقية العرب في هذه البلاد بألفي عام، وبغربتهم عن هذه البلاد منذ وقت امتلاكهم لها أيام داود كما جاءت بذلك نصوص التوراة [سفر القضاة 19: 11- 12و صموئيل الثاني 24: 21- 25] وإلى زوال دولتهم على أيدي الآشوريين والبابليين وهي فترة لا تزيد في جملتها عن مائة عام، والتاريخ وعموم الكتب المقدسة

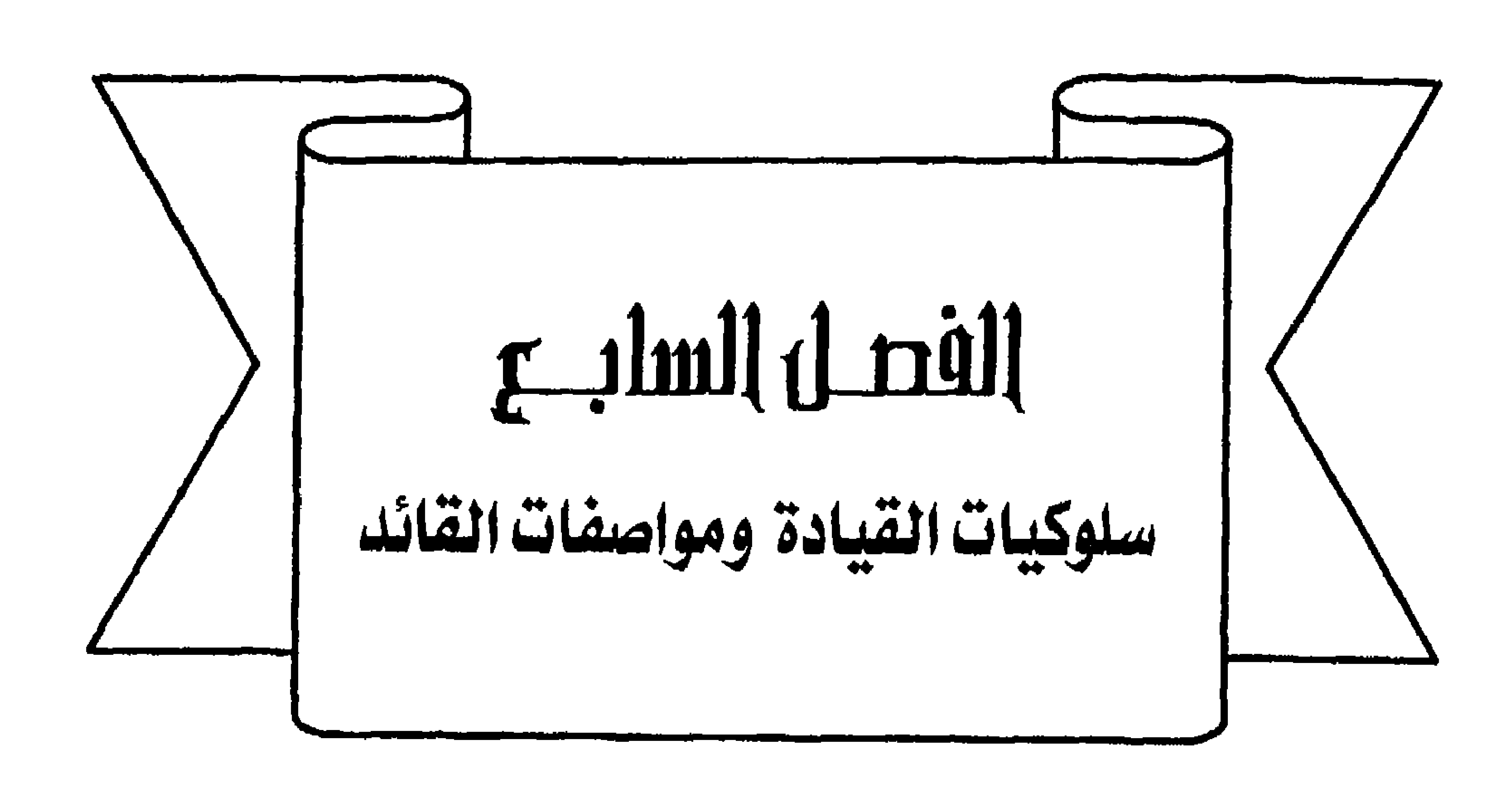
تشهد أنهم عاشوا فيها غرباء كما تشهد وتسجل أنهم عندما دخلوها لم يجدوها فارغة وعندما رحلوا عنها لم يتركوها فارغة، لقد كان فيها أهلها الفلسطينيون (الكنعان) المذكورون في التوراة والذين لا يزالون سلفهم الممتد إلى يوم القيامة على الرغم من محاولات تغيير معالم الأرض بعد اغتصابها واتباع كافة أساليب الإخراج، تلك المحاولات والأساليب التي يتبعها معشر يهود وتشهد بأنهم أعظم وأشد الناس معاداة للسامية.

وعليه فإن ثمة خيانة تلحق العرب والمسلمين إن هم فرطوا في شبر واحد من أرض فلسطين قاطبة أو في قدسهم الشريف على وجه الخصوص، وذلك بموجب الوثيقة العمرية التي أُمرنا من المعصوم صلى الله عليه وسلم بأن نعض على سنة صاحبها بالنواجذ، تلك الوثيقة التي نصت على ألا يسكن أرض إيلياء (فلسطين) يهودي واحد، والتي جاء في آخرها: "وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، بل وبموجب نصوص التوراة نفسها التي باسمها ينتهكون العرض ويحتلون الأرض ويريدونها من النيل إلى الفرات، إذ التوراة عينها هي التي انتزعت منهم حقهم في العودة إلى أرض فلسطين، التي هي في الأساس ليست لهم- وذلك بعد أن عاودوا أغاظوا الرب بمعبوداتهم الباطلة وتآمروا على أنبيائه وحرفوا الكلم عن مواضعه، وبعد أن خالفوا شرائعه ووصاياه، فاستحقوا بذلك أن يبددهم إلى الزوايا ويبطل من الناس ذكرهم [سفر التثنية32: 26]، ويذلهم ويستأصلهم من الأرض التي وعدهم من قبل بامتلاكها ويشتتهم في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها [سفر التثنية4: 25- 27، 8: 17- 20، 28: 63، 64، 30: 15- 20، 32: 26وسفر الملوك الأول 9: 3- 9 وسفر الملوك الثاني 17: 11- 20وإرميا 25: 23].

العقلانية والسلوك المعتدل في الانظمة السياسية

تترسخ العقلانية والواقعية السياسية في العالم نتيجة لمواقف قادة الدول وتعاملهم مع القضايا المصيرية التي تواجه بلدانهم وشعوبهم وتستخلص من تلك المواقف والمعالجات السياسية لتلك القضايا السلوكيات التي تشي الي العقلانية والموضوعية ، وهي بالتالي ترسخ الواقعية والاعتدال وظهرت هذه السلوكيات جلية لدى عدد من القادة الذين استطاعوا ان يتعاملوا مع الصراعات الدولية بعقلانية ومرونة حالت دون توسع دائرة الضرر الذي اصاب شعوبهم وبلدانهم واصاب البشرية كلها بشكل عام ، ومن بين تلك القيادات ، برزت العقلانية والموضوعية لدى الادارة الفرنسية ، والصينية ، والروسية ، وبرزت العقلانية والموضوعية بوضوح في مواقف قادة معظم الدول العربية ، وهنا يتواثب الى الاذهان استغراب ، فهل سلوكيات قادة الدول العربية التي اعطت الموضوعية والايجابية لمواقف دولها في تعاملها مع ظروف قاهرة كالتي مرت بها المنطقة ومازالت تعيشها ، امام الرعونة والغطرسة والانفعالية التي صنفت بها القيادة الامريكية ، نعم هذا هو الواقع الماثل ، والذي حظي باهتمام بالغ لدى علماء ومحللي علم النفس في العالم ، كذلك لدى كثير من المنظمات والهيئات الدولية المعنية بحقوق الانسان والمنادية باسم السلام العالمي

ويتأصل ويترسخ هذا السلوك نتيجة للموروث القيمي والاخلاقي والمثل والمباديء الاسلامية التي انفطر عليها الانسان العربي ، وهي اساس مكونه الاجتماعي والسلوكي وحتمية انسام وتوافق سلوك القادة العرب بسلوك الرأي العام العربي ومصادر تشكيله ومواقفه تجاه القضايا الداخلية والإقليمية والدولية وهو الذي يتمتع بمستوى عال من العقلانية السياسية والنضج فيما يتعلق بشكل النظم السياسية التي يرغب بأن تحكمه .


الفصل السابع
سلوكيات القيادة ومواصفات القائد

القيـادة في الاسـلام

القيادة المثلى

مواصفات القائد النموذج في القرآن الكريم

لقد تناول القرآن القائد في آيات عديدة ومواقف مختلفة، ومن زوايا وأبعاد متكاملة منها ما يحدد كيف يتم اختياره وما هي المقومات التي تبرر ذلك، مثل ما حدث في موقف طالوت، ويوسف عليهما السلام، ومنها ما يتناول نمط وأسلوب القائد مع أتباعه مثل تلك الآيات التي وردت في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم وأسلوبه في القيادة والتعامل مع أتباعه، ومنها ما يتعامل ما دوره في التغيير والتأثير على من حوله، وكل من هذه الجوانب يحتاج إلى مقالة مستقلة لكننا اليوم سنحاول أن نركز على الجانب الخاص بنمط القيادة الذي يحدده القرآن للقائد الفعال والقدوة **قال تعالى**(فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعفو عنهم، واستغفر لهم،وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين) آل عمران 159

وفي قوله تعالى يصف القائد الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم، عزيز عليه ما عنتم، حريص عليكم، بالمؤمنين رؤوف رحيم") التوبة أن هاتين الآيتين تمثلا معا أهم ما يحدده مقومات القيادة الناجحة وكل ما يرتبط بها من صفات أو سمات أو أنماط ، فما هي يا ترى تلك المقومات؟

مقومات القيادة الناجحة في الإسلام

القدوة الحسنة ، ولا يوجد هناك اشمل من معاني الا تلك التي تجسدت بسيد الخلق والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن تبع سننه واهتدى بهدية وانتهج منهجه القيادي فقد افلح وفلحت رعيته ،

اللين ، وهي من المقومات الرئيسية والصفات النبيلة في القائد ، واللين عكس الشدة والقسوة، ولكنه ليس ضعفا أو جنبا، وهذا هو أكبر

خطأ يقع فيه الكثير من القادة حينما يتصورون اللين ضعفا، والشدة والقسوة قوة وهذا قمة خطأ .

لذا فإن أول ما يؤكد عليه القرآن هنا هو اتباع القائد لجانب اللين مع المرؤوسين، لدرجة تصل كما يذكر القرآن في آيات أخرى إلى خفض الجناح "واخفض جناحك عن الذين اتبعك من المؤمنين.

وهذا الأسلوب هو الذي يجعل العلاقة بين القائد والاتباع علاقة تواصل وحب وتفاهم، وتعطي جواً من الثقة والانفتاح والتشجيع على المبادرة والابتكار، وتقتل روح الخوف أو القهر التي قد تسلك إلى النفوس دون أن ندري نتيجة للأسلوب القاسي العنيف، ومن هنا يعتبر **القائد اللين** في طبعه هو أكثر القادة تجميعا لمن حوله وتأثيرا فيهم، وتحقيقا للهدف .

البعد عن الفظاظة ،والفظاظة هنا هي في القول اللاذع الشديد وقد تكون طبعا في الإنسان لا يستطيع التخلص منه، وقد تعتريه في أوقات أو ظروف معينة نتيجة لما يتعرض له من ضغوط، وما يعتريه من مشاكل أو أزمات، فتجعل تعامله وخاصة ردوده وكلماته مع من حول لا تكاد تخلو من نقد لاذع أو توبيخ أو تعنيف أو استهزاء، مما يخلق في نفوس من حوله حالة من الفزع والرعب التي تجعلهم يترددون كثيرا قبل أن يشاركوا برأي أو يدلون بنصيحة، فيكفي من هذا القائد مجرد تعليق صغير بلفظ حاد ليخمد أي حماس للمشاركة أو المبادرة في نفس كل من تول له نفسه أن يقول رأي خاصة إن كان لايجاري هوى هذا القائد .

البعد عن غلظة القلب ،وغلظة القلب وما تنطوي عليه من قسوة شديدة تتحول مع الوقت إلى سمة وقسمات جامدة ترتسم على وجه مثل هذا الشخص لدرجة تجعل من نظراته القاسية وليس من كلماته فقط سهاما حادة تخمد أي محاولة للإبداع أو الانطلاق أو الابتكار في نفوس من حوله خاصة إذا كانت لا تتمشى مع رأيه وهواه، ومع الوقت تحول من حوله إلى مجرد أتباع خائفين مرتعشين مترددين، أو منافقين مسبحين لحمده ومرددين لما يقول، وفي جميع الأحوال تؤدي تلك الصفة والتي قبلها إلى حالة من النفور النفسي من المرؤوسين لقائدهم تجعلهم ينفرون منه ولا يربطهم به إلا القهر، فإذا كان لهم الخيرة من أمرهم فسوف ينفضون عنه لا محالة .

العفو والتسامح

يلاحظ أن العفو عن الاتباع والمرؤوسين هنا جاء في صيغة الأمر، بينما كانت الصفات الثلاث السابقة تقرر حقيقة ما عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من لين، وبعد الفظاظة وغلظة القلب والعفو هنا من الأمور الأساسية والضرورية لأي قائد كي يتمكن من خلق مناخ حقيقي للشورى والمشاركة والإبداع .

وذلك أن أي جو للعمل لن يخلو من خلاف أو تقصير أو خطأ من جانب المرؤوسين فإذا لم يتعلم القائد كيف يعفو ويتسامح بشكل إيجابي وفعال ويتناسى هذا الخطأ بمجرد علاجه ويذكر صاحبه بضرورة الإقلاع عنه والندم عليه، فإن الأمر ضئيلة يكون من القسوة والشدة على نفس المخطئ لدرجة تجعله يستشعر الخجل من نفسه والتواري عن الأنظار، بل والإحجام عن أي محاولة للمشاركة الفعالة أو إبداء الرأي حتى وإن كان صوابا، خاصة إذا لم يحجم القائد عن تذكير مرءوسيه من وقت لآخر بعيوبه وأخطائه وتأنيبه عليها وسخريته منها .

لذا كان من الضروري للقائد أن يعفو ويصفح، وليس معنى ذلك تجاهل الأخطاء، وإنما يكون علاج الخطأ في حينه وتطوى الصفحة السوداء تماما ويبدأ القائد صفحة جديدة، ولعل أفضل ما يعلمنا ذلك قوله تعالى في معالجة أخطاء الزوجة بعد أن حدد التدرج في العلاج بالعظة، ثم بالهجر، ثم بالضرب غير المبرح، ثم يقول تعالى: "فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلا، إن الله كان عليا كبيرا .

إن أسوأ القادة هو ذلك الذي يذكر المرؤوسين بأخطائهم ونقاط ضعفهم من وقت لأخر.

الشورى في الأمر، الشورى ركن و أمر أكده القرآن الكريم في مواقع عديدة ثم عمل بها قدوتنا صلى الله عليه و سلم .

ومن القرآن الكريم الآيات التالية:

أ) قوله تعالى : ((و أمرهم شورى بينهم)).

ب) و قوله تعالى : ((و شاورهم في الأمر)).

ج) و قوله تعالى : ((و قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري ، ما كنت قاطعت أمرا حتى تشهدون)).

و غير ذلك من الآيات كثير و كلها تشير للقائد المسلم أن يجعل الشورى نصب عينيه و لا يتردد.

و لنا في رسول الله صلى الله عليه و سلم أسوة حسنة فقد كان عمله و تطبيقه للشورى أكثر فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه و سلم)) . و أحداث غزوة بدر و الخندق فيها أمثلة للشورى النبوية العملية.

العزيمة الصبر مع قوة الاحتمال وعدم التردد ، و الثبات على المبدأ بإرادة قوية و ثابتة.

الصبر في الشدائد من أقوى أساليب كسب النصر و الوصول إلى الهدف النهائي ، و القائد يجب أن لا يجزع و لا يخاف و لا تهن قوته.

قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر و الصلاة إن الله مع الصابرين)).

ومن الأسوأ الأمور أن يتردد القائد بعد اتخاذ القرار، خاصة إذا كان رأي الأغلبية مخالفا لرأيه ورضخ هو لرأيهم، ثم حاولوا الرجوع إرضاء له، وهذا هو ما حدث بالفعل حينما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه يوم أحد وأشاروا بالخروج للأعداء خارج المدينة وكان خلاف رأيه صلى الله عليه وسلم فلما دخل لارتداء عدة الحرب ندموا وقرروا الرجوع عن رأيهم لرأيه وأخبروه بذلك بعد خروجه ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "ما كان لنبي بعد أن لبس لأمته وخرج للحرب أن يرجع" ومضى لتنفيذ ما اتفق عليه .

إن أكبر آفة من آفات اتخاذ القرارات هي التردد.

كمال الأخلاق ، و حسن العشرة ، و عزة النفس

يجب أن يكون القائد خلوقا ، و يتعود على عزة النفس و الكرامة.

التوكل على الله ،وصفة التوكل من الصفات أو الأخلاق الإيمانية، أي التي لا تكون إلا للمؤمن وهي صفة جامعة، فإذا أردت أن تعرف المعنى الحقيقي والمختصر للتوكل فهو أن تعمل على أخذ كافة الأسباب الموصلة إلى النجاح في أمر ما كأنه ليس هناك أي احتمال للنجاح إلا باتباع هذه الأسباب فقط، ثم تتوكل على الله في كل ذلك وبعد بقلبك وتفوض الأمر إليه ابتداء من توفيقه لك لهذه الأسباب وتوفيقه لك في النتائج المرضية، وأن يكون يقينك في التوكل على الله والثقة في عونه لك وأنه معك، كأن ليس هناك أدنى اعتماد أو ركون للأسباب .

وليس معنى التوكل أن يأنس المرء إلى الكسل والدعة والتخلف عن ركب العمل الجاد الموصل للنجاح والفلاح فهذا لا يحبه الله ولا يرضاه، وإنما يحب فقط المتوكلين عليه حق التوكل وبهذه الكيفية التي كان عليها الرسول صلى الله عليه وسلم، وأصحابه والتي أرشدنا إليها هذه الآية بشكل عملي ومحدد، ما الذي يجب أن يكون عليه القائد من مقومات حتى يظفر بحب الله وتأييده ومن ثم النجاح والفعالية والفوز أو بلفظ جامع الفلاح في الدنيا والآخرة .

وابين هنا صفات القيادة التي تجسدت في شخصية النبي صلي الله عليه وسلم .

الشجاعة الشخصية الشجاعة هي من الخواص العقلية التي تشعر بالخوف من الخطر أو الانتقاد و لكنها تمكن الإنسان من الاستمرار في مواجهة ذلك بهدوء ، و التصرف كما يجب في الظروف الحرجة ، مع تحمل الآلام و الجهد و المشاق ، فيجب على القائد أن يتمتع بالشجاعة الأدبية و البدنية و الوقوف على جانب الحق مهما كانت الظروف ، و مهما كانت المعارضة شديدة. وهذه صور من الشجاعة التي جسدها قائد البشرية جمعاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، قال البخاري عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم قِبَل نَجْد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه و سلم قفل معه فأدركتهم القائلة في وادٍ كثير العضاة، فنزل رسول الله صلى الله عليه و سلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله تحت

سَمُرَةٍ وعلق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال، إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظتُ وهو في يده صلْتاً، فقال، من يمنعك مني، فقلت، الله ثلاثاً، ولم يعاقبه وجلس، هذه هي شجاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم، وهذا هو مبلغ ثقته بالله واعتماده عليه .

وفزع أهل المدينة يوماً عندما سمعوا صوتاً عظيماً وخرجوا إلى الدروب لاستطلاع الخبر، دعونا نقرأ الحادثة في البخاري عن أنس رضى الله عنه قال، كان النبي صلى الله عليه و سلم أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه و سلم قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول لم تُراعوا لم تُراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عُرْيٍ ما عليه سرج، في عنقه سيف.

كان الرسول صلى الله عليه و سلم أول من سمع الصوت فامتطى فرس أبي طلحة وتوجه إلى ناحية مصدر الصوت حتى اطمأن إلى عدم وجود أي خطر ورجع، إذن، فالإسراع وحده نحو مصدر صوت أفزع جميع أهل المدينة يبين مدى الشجاعة الفطرية التي كانت موجودة لديه .

وعندما خشى أبو بكر رضى الله عنه وخاف على حياة الرسول صلى الله عليه و سلم وهو في الغار معه بعد أن اقترب منهما المشركون قال له، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، فهدّأ بذلك روع أبي بكر الصديق رضى الله عنه، ثم ألا يعد خروجه من داره والأعداء الذين أعماهم الحقد والغضب يحيطون بها شجاعة كبيرة، كان يملك إرادة صلبة لا تهتز ولا يمكن لويها لأنها كانت مرتبطة بمشيئة الله تعالى .

بعد النظر ، و هو توقع للأعمال المقبلة بمعنى إدراك الأمور قبل وقوعها مع ضرورة تفكير القائد بكافة الاحتمالات القريبة و البعيدة ، و إدخال أسوء الاحتمالات في حساباته.

الشخصية و التواضع و يكون عن طريق تقدير النفس و احترامها ، و عدم الكبر التوزان و الاعتماد على النفس ،الحياة معاناة قاسية تتطلب قدرا كبيرا من التوازن النفسي ، و الاعتماد على على النفس ، و ذلك بالسيطرة على الأعصاب ، و

معالجة المواقف بهدوء و اتزان بدون تشنج و معاناة ، و يؤدي الاعتماد على النفس إلى التأكد من تأدية الواجب بالشكل الصحيح ، و تنفيذ المقاصد بإرادة قوية و ذكاء و فعالية . و قد يعمل التوازن الانفعالي للقائد على تآلف المجموعة و التفافها حول قائدها.

الثقة و المحبة المتبادلتان ،الثقة والمحبة من الصفات الهامة و الضرورية للقائد لتحسين العلاقة بينه و بين مرؤوسيه ، فعلى القائد آن يمارس اللطف و الشدة ، و أن يبدوا ودودا أمام مرؤوسيه ، يتحدث إليهم و يزورهم في مختلف الأوقات ، يخفف عنهم احتياجاتهم إذا كان لديهم أي منها ، و يجب أن لا يعاملوا بطريقة استبدادية.

فالثقة و المحبة تنمي " روح الجماعة " ، و توحد الجميع نحو الهدف المشترك للوصول إلى المهمة بأعلى كفاءة . و إن روح الجماعة في أي عمل شبيهة بروح الفريق التي يتمتع بها فريق كرة القدم الفائز ، و الأهمية هنا للجماعة و ليست للقائد أو أي شخص آخر ، و هي شيء معد ينتشر من خلال المؤسسة كوميض البرق ، و روح الجماعة بها طاقة و نشاط نظرا لأن بامكانها أن تصبح جوهرا للحيوية التي تعزز الاطمئنان و الولاء و الكبرياء و الثقة و الوحدة و الآخوة.

المؤمن كيس فطن ،هذا حديث شريف يعد ركنا من أركان القيادة ، فالقائد المسلم لابد أن يكون واسع الأفق و الإدراك لما يدور حوله ، و لما يريد تنفيذه من خطط و مشاريع و أهداف ، مدرك فطن للنتائج المترتبة على العملية الإدارية التي يشرف على تنفيذها ، فعليه أن يكون كما قال القائد الأول صلى الله عليه و سلم ، المؤمن كيس فطن.

و إذا علم من تحت قيادته بما يمتاز من الكياسة و الفطنة زادت به الثقة و مالت إليه الأفئدة ، و استطاع تحقيق الأهداف بخير و سلام .

انماط القيادة في الاسلام

هناك خمسة انماط للقيادة المثلى في الاسلام وهي ، القيادة المثالية ، والقيادة الحازمة ، والقيادة اللينة ، والقيادة المستبدة

1. **القيادة النبوية (القيادة المثلى)** فهذا النمط يتمثل في ممارسات الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم القيادية، وهو نمط مثالي، لأن النبي عليه السلاة والسلام كان لا يتصرف إلا بناء على ما يوحى إليه، قال تعالى ،وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحي ،النجم الآيتان 3- 5 ، و كان صلى الله عليه وسلم يستشير أصحابه في الأمور التي لم ينزل بها مثل استشارته عليه السلام للأنصار في دخول معركة بدر، واستشارته للصحابه في قضية أسرى بدر .
2. **نمط القيادة العمري (القيادة الحازمة)** كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبرز القادة المسلمين الذين ساهموا في تطوير الفكر الإسلامي في القيادة الإدارية من خلال تبنيه أسلوب القيادة الحازمة،فقد كان أسلوبه القيادي يقوم على الشدة في غير عنف، واللين في غير ضعف.
3. **نمط قيادة عثمان بن عفان رضي الله عنه (القيادة اللينة)** يقول المؤلف وكان في قيادته مرناً في تعامله مع الرعية حتى إن البعض اعتبر ذلك ضعفاً فمن لينه استجابته لأهل الولايات في عزل واليهم إذا طلبوا منه ذلك.
4. **نمط القيادة (المستبدة)** وهذا النمط ينسب للحجاج بن يوسف الثقفي الذي تميز بالسلبية ، والتشدد الصريح نتيجة التعصب العرقي والسياسي الذي ساد في العراق آنذاك ، وقد أسفر هذا التشدد عن قسوة وصرامة في التعامل مع الآخرين دون هوادة ، والتنكيل والتنديد بالمعارضين ،إلا أن المؤلف أوضح أن هذا النمط لا يمكن أن ينسب للقيادة الإسلامية كلية ، ولكنه نمط ظهر في فترة الحكم الإسلامي ، وتكرر وشاع استخدامه في الحضارة الإسلامية .
5. **نمط القيادة (الهشة)** ، وهي القيادة التي تتصف بالفوضوية وعدم اللامبالة ، وترك الامور تجري بلا رقابة ولا متابعة ، وهذا النمط تجسد في شخصية الخليفة

العباسي المستعصم ، ولخطورة هذا النمط من القيادة كان لابد لنا من عرض ما آلت اليه امور الخلافة الاسلامية وما حل بدولة الاسلام في عهد الخليفة الذي جنح الى اهوائة وترك امور الدولة والرعية لمجموعة من البلهاء الامر الذي ادى الى تفشي الظلم والجوع والفقر وهو ما ادى الى زوال دولة عمرت اكثر من خمسمائة عام كان ذلك في 20 من المحرم سنة 656 من الهجرة، عندما زحف القائد المغولي السفاح بجنده نحو بغداد وقتله اخر خلفاء الدولة العباسية، الخليفة المستعصم، وهو الخليفة السابع والثلاثون والأخير في دولة بني العباس وأهم الآثار المترتبة على هذا الحدث اجتياح جند المغول لبغداد ، حاضرة الخلافة الإسلامية، وعروس المدن في ذلك الوقت، مع قتل مليونين من قاطني بغداد ، وبقر بطون الحوامل.

والاعتداء السافر على النساء بكل صوره، وقتل الأطفال والشيوخ، ونهب البيوت والدور ثم إحراقها ، حتى أن المزاريب المعدة لتصريف مياه المطر كان يسيل منها دماء من لجأ إلى أسطح المنازل هربا من مجازر المغول، وألقوا بملايين الكتب من خلاصة الفكر الإنساني على مر العصور في نهر دجلة وعبروا بخيولهم النهر على أشلاء هؤلاء الكتب ، حتى أن ابن الأثيروجد صعوبة كبيرة في كتابة تلك الأحداث من هول ما رأى، ومن قسوة ما سمع ، وفساد الحكم يجر الى فساد الرعية ، يصف ابن طباطبا ، وهو من مؤرخي تلك الفترة، أهل بغداد في هذه الفترة بأنهم كانوا يقضون جل وقتهم في سماع الأغاني، والفرجة على المساخر، حتى جلساء الخليفة المستعصم كانوا من الجهال وأراذل العوام، وهو نفسه مستضعف الرأي، غير مهيب في النفوس ولا مطلع على حقائق الأمور ويقول الجمهور من المؤرخين إن أهل السنة والشيعة في بغداد كانوا في نزاع مستمر، وقد أدى هذا النزاع بينهم إلى حروب وشدائد رائدها الجهل والغفلة عن المصالح العامة، والاستعداد لمواجهة هذا العدو القادم من أقاصي الشرق، وأقصد بهم المغول، والذين توسعوا بإمبراطوريتهم في ذلك الحين حتى وصلوا إلى إيران الحالية وقضوا على قلاع الإسماعيلية فيها ، بعد أن أشاعوا القتل والتدمير في كل الممالك التي استولوا عليها ، وأهل بغداد وخليفتهم في غمرتهم يلعبون، وقد حاول الخليفة العباسي أن يسترضي هولاكو مرارا وتكرارا بإرسال الهدايا والوفود العديدة

إليه، فما كان من هولاكو إلا أن قبل هداياه، وطلب المساعدة منه في القضاء على أعداء هولاكو في إيران وتركيا، ولم يقصر الخليفة العباسي في ذلك طمعا في رضا المغول عليه، وتركه على كرسي خلافته، ولكن أنى للطامع أن يشبع، ومنذ متى وللمغول عهد وذمة لغير أبناء جنسهم هذا هو الدرس الذي لم يدركه حكام المسلمين في ذلك الوقت إلا متأخرا جدا، وبعد أن دُمرت أكثر من نصف الممالك الإسلامية في ذلك الوقت.

وكان للمستعصم وزيرا من الشيعة يدعى ابن العلقمي، كان يضايقه ما يلقاه أهل مذهبه من اضطهاد، وقد حدث في أواخر عهد المستعصم أن أغار أهل السنة على الكرخ، وهو من محلة الشيعة؛ فأسرفوا في القتل والنهب، وكان ذلك بأمر أبي بكر أحد أبناء الخليفة المستعصم، فيقال أن ابن العلقمي كتب إلى هولاكو يستحثه ويحرضه على إسقاط الخلافة العباسية في بغداد، وبالفعل لم يضيع الطامع هذه الفرصة، فخرج هولاكو بجيشه، وحاصر أسوار بغداد عشرة أيام، بعدها طلب الخليفة الأمان من هولاكو، واستأذنه في الخروج إليه فإذن له، وبعد أن قدم إليه الخليفة الجواهر الثمينة، وقام هولاكو بتوزيعها على أمراء جيشه، أمر بالخليفة وأهله فقُتِلوا شر قتلة، فبعد أن تم لفهم في السجاجيد قامت خيول المغول بدهسهم تلك المصيبة التي ذهبت بالدولة العباسية استدعت العلماء لدراسة التركيبة النفسية للخليفة العباسي المستعصم وأفراد حكومته وحاشيته وكذلك لأبناء بغداد في ذلك الوقت، وبينت الدراسات ان الخليفة المستعصم لم يكن مؤكدا لذاته على الإطلاق، بل هو شخصية ضعيفة، يتأثر بمن حوله من جهلاء عصره، ويأخذ برأيهم؛ وقد علا صوتهم على أصوات العقلاء من أمثال ابن الجوزي، ومن قلة أمر الخليفة أن أوكل وزارته لابن العلقمي الذي كان ينافق الخليفة ويزين له الخطأ في محاربة أعداء المغول واغتيالهم حتى ينال رضاهم عليه، وتركه على كرسي خلافته، وهو في نفس الوقت يوالي المغول بأسرار الخليفة والمسلمين وغيرهم من سكان بغداد، ويمهد لهم الطريق إلى بغداد، وتفشت الرذيلة لدرجة أن أحد أبناء المستعصم كان على علاقة مع أحدى جواري أبيه، فعرف المغول بذلك وكان يهدد ابن الخليفة بفضح امره اذا لم ينفذ ما يملي عليه اما الحالة العامة للناس في بغداد، فقد تفشى الفقرنتيجة فرض الضرائب

على الناس مما زاد تفشى بصور بشعة، وبروز طبقة الأغنياء وكانوا قلة قليلة وهم من البطانة ، حاشية الخليفة وقد اتخذوا مجالس الطرب والغناء و الغزل في الجواري اهم مسعى لهم ، ودب الخلاف والتشاحن بين أنصار السنة والشيعة ببغداد وما حولها ، لفتقاد الشعب القدوة الذي يحكم بالعدل ، وعم الظلم، وانحسر العدل، فكيف لقوم ضاع الحق بينهم أن يواجهوا أقوى جيوش الأرض تسليحا وتدريبا ومهارة وحزما وتدبيرا في ذلك الوقت، إنه جيش المغول بقيادة هولاكو الماكر السفاح، والذي رُبي هو و جنده على عشق الدم والتدمير والتخريب، وفي المقابل نجد أهل بغداد قد ربوا على حياة الترف والدعة والتعلق بالدنيا ومتاعها الفاني، ومن عجائب ما يُروى، أن جنديا من المغول بمفرده أسر أربعين رجلا من أهل بغداد ، وأمرهم أن يقفوا مرفوعي الأيدي على حائط بيت من بيوت بغداد ، وألا يتحركوا من أماكنهم، حتى يعود إليهم ويقتلهم، وبالفعل ظل هؤلاء الأشخاص في أماكنهم حتى عاد إليهم الجندي المغولي بعد فترة من الوقت وقتلهم.

المفهوم العصري للقيادة

يعرف المارشال (William slim) القيادة بأنها مزيج من القوة والقدرة على الإقناع والإكراه، ويضيف بأنها ظاهرة إبراز شخصيتك الخاصة بك، بحيث تجعل أفرادك يعملون ما تريده منهم حتى ولو كانوا غير متحمسين للقيام بالعمل المطلوب، ويقول أن القيادة هي شئ ذاتي وشخصي ولأجل أن تصبح قائداً لابد أن كونت شخصيتك، والشخصية هذه ينبغي أن تتسم بسجايا معينة التي أهمها الشجاعة وقوة الإرادة والإبداع والمعرفة

القائد العسكري مونتغمري يعرف القيادة بأنها المحرك الأساس للقوات ومقومة أساسية من مقومات الحرب

والقيادة هي إدارة وتنفيذ وتخطيط وتمثيل شعبها وضبط العلاقة بين أجهزتها والأخذ بمبدأ الثواب والعقاب في تسيير الأمة للوصول الى هدفها المنشود.

وفي كل مجتمع يوجد بعض العناصر التي تتميز باستعداد فطري لتولي القيادة، بينما الكثرة تخضع وتتبع ما يلقى إليها من أوامر وتوجيهات، والقيادة في

حقيقتها تعتبر ظاهرة اجتماعية وهي تتمثل في شخص له نفوذ قوي بين الناس يقوم ليعبر عن احساسات الجماعة وتحقيق مطالبها التي لا يستطيعون تحقيقها منفردين.

والقيادة هي فن التأثير في الناس وتوجيههم بأسلوب يتم به الحصول على طاعتهم الراضية وثقتهم واحترامهم وتعاونهم المخلص لأنجاز العمل المطلوب وتحقيق الهدف أو الأهداف المنشودة.

والقيادة هي عملية تربوية إجتماعية تستهدف توجيه الجماهير إلى تحقيق أهدافها وتنفيذ برامجها وهي عملية تحريك مجموعة من الناس باتجاه محدد ومخطط وذلك بتحفيزهم على العمل باختيارهم.

والقيادة دور وعملية تهدف الى التأثير في الاخرين، والشخص القيادي هو الذي يحتل مرتبة معينة في المجموعة ويتوقع منه تأدية عمله باسلوب يتناسق مع تلك المرتبة

إذن القيادة هي ظاهرة توجد في الجماعات الإجتماعية ومنها الجماعات السياسية، وعادة يستخدم القائد ذكاءه وآرائه ومشاعره وكل ما يملكه من جهة ومعرفة ومهارة للتأثير على سلوك الأفراد وتوجيه ما عندهم من قدرات وإستعدادات توجيهاً خاصاً يخدم أغراض الجماعة وتطلعاتها وأهدافها البعيدة ان كل هذا يدل على أن القيادة هي عملية حيوية أساسها العلاقات المتبادلة بين القائد وأتباعه. والقيادة هي عملية كسب العقول والقلوب.

أنواع القيادة

هناك ثلاثة أنواع من القيادة تصنف حسب سلوكيات ممارسة القائد وتصرفاته

القيادة الديموقراطية

و هي التي تقوم على مبدأ المشاركة وتفويض السلطات، فالقائد الديموقراطي يتفاعل مع أفراد الجماعة ويشركهم في عملية اتخاذ القرارات. ويتوسع في تفويض السلطات والصلاحيات لمرؤوسيه، فهو يباشر مهامه من خلال الجماعة فالسياسات تتحدد من خلال الاتفاق والمناقشة الجماعية لأعضاء الجماعة ، وتلعب القيادة دورها في بلورة ما تتفق عليه الجماعة من آراء وأفكار إلى قرارات وسياسات، فالقرار في النهاية يأتي من تفكير ومبادرة الجماعة، ومن مزايا هذا الأسلوب رفع معنويات المرؤوسين، وخلق الثقة في نفوسهم، وزيادة التعاون، ومضاعفة الإنتاج، وفي

هذا الأسلوب يشعر أفراد التنظيم بأن القرار قرارهم فيتمسكون به ويعملون على تنفيذه التنفيذ السليم لارتباطهم العضوي به.

القيادة الأتوقراطية اوالديكتاتورية ، الإستبدادية

وهي التي تضع السلطة أو المسؤولية في يدها ، وتعطي الأوامر الى أجهزتها وتصر على إطاعتها دون مراعاة للجو الإنفعالي المحيط بها ، وسواء كان الأمر الصادر منها صحيحاً أم خطأ ، وتتسم بالسيطرة والتحكم، وهي التي تحكم الشعب بالنار والحديد .

القيادة الفوضوية

وهي التي تترك الأمور تجري على هواها وتضع المسؤولية على أتباعها ولا تشترك معهم أو توجههم، وتتميز باطلاق الحبل على الغارب وترك الأمور دون ضوابط.

نظريات القيادة

هناك سبع نظريات للقيادة وهي :-

نظرية السمات- تؤكد هذه النظرية على أن القادة ينفردون بصفات جسمية وعقلية ونفسية دون غيرهم والقيادة حسبما جاءت به هذه النظرية أما أن تكون موحدة يتميز بها القادة أينما كانوا بغض النظر عن نوع القيادة أو الموقف أو قد تكون نمطاً من السمات تستند عليها قدرة القائد على القيادة تركز على شخصية القائد وخصائصه وتختلف المعايير في تحديد هذه الخصائص من مجتمع لآخر .

وهناك خمسة أنواع للسمات القيادية هي :

- السمات الجسمية - كالصحة والطول والعرض والسمات المعرفية ، الذكاء، الثقافة، استشراف المستقبل
- السمات الاجتماعية - فن التعامل، كسب الآخرين، حسن الاتصال
- السمات الانفعالية- كالنضج الانفعالي ، وضبط النفس
- السمات الشكلية - جمال المظهر، الذوق العام

النظريـة الموقفيـة- إن هـذه النظريـة تركـز علـى العوامـل البيئيـة في نشـأة القيـادة وتفسيرها حيث يتحتم على وجود عوامل اجتماعية معينة لظهور القائد حتى لو كانت لديه مواهب وقدرات معينة ، أي أن هذه النظرية تؤكد على المجال البيئي فقط وتربط السلوك القيادي بالموقف والأحوال المحيطة فمَنْ يصلح للقيادة في مرحلة قد لا يكون مناسباً لمرحلة أخرى وأحوالٍ مغايرة ، وتحكم هذه النظرية عناصر هي :

سمات القائد و سمات الأتباع و سمات الموقف وطبيعة الحالة .

النظرية التفاعلية او التكاملية

وتقوم على مبدأ ان القيادة عملية تفاعل اجتماعي ترتكز ثلاثة ابعاد هي

السمات و عناصر الموقف و خصائص المنظمة المراد قيادتها .

وتطرح معياراً أساسياً يتمحور حول قدرة القائد على التفاعل مع عناصر الموقف والمهام المحددة وأعضاء المنظمة المقودة وقيادة الجميع نحو الأهداف المنشودة بنجاح وفعالية

النظرية الإلهامية- وتقوم على فرضية القائد الملهم

النظرية الوظيفية- تؤكد هذه النظرية على أن القيادة تتبع الأعمال أو الوظائف التي تقوم بها الجماعة ، ولغرض أن تحقق الجماعة أهدافها أو تحسن العلاقات القائمة بين أعضائها تبرز من خلال ذلك القيادة كأن يؤديها فرد واحد أو مجموعة من الأفراد وتقوم نظرية القيادة الوظيفيةعلى

دراسة مهام ووظائف القيادة والمعايير المتصلة بها وتهتم بتوزيع المسؤوليات والمهام القيادية،التوجيه، اتخاذ القرارات، التخطيط، التسبيب

النظرية التحويلية - وتقوم على القائد التحويلي صاحب رؤية ورسالة واضحة،وظيفته نقل الناس من حوله نقلة حضارية،ويدير أتباعه بالمعاني والقيم،أهدافه عالية ومعاييره مرتفعة.

نظريـة الرجل العظيم- وهـي مـن النظريـات الأولى في القيـادة وتفـترض أن التغيير في الحياة الجماعية والأجتماعية يتحقق عن طريق أفراد ذوي مواهب وقدرات غير عادية.

نظرية القيـادة مركزيـة المبـادئ - تقـوم علـى القـائـد الـذي يعمـل علـى تحقيـق الكفـاءة والفاعليـة بعـدل ورفـق ، ويعمـق الإحسـاس بالمعـاني والمقاصـد السـامية مـن وراء العمـل، والـذي يجمـع بـين تحقيـق أهـداف المؤسسة وأهداف الأفراد.

القائد او الزعيم

النظرية الفلسفية للقائد او الزعيم

ما هي ابرز مزايا وسمات الشخصية القيادية ، وكيف يحكم الزعيم العظيم والقائد البطل، وكيف تتحدد علاقته بمن يحيط به ويلتف حوله ويأتمر بأمره من قيادات وكفاءات مسؤولة أخرى في مجتمعه السياسي، وما نوع وطبيعة وحقيقة صلته وعلاقته بالجماهير ،كيف يدير الامر والحكم، وهل تتم هذه الادارة على اساس عقلاني رشيد أم طبقاً لعواطفه ورغباته، وهل هو ابن بار لأمته وبلده، وهل يهتم بتحقيق التقدم والرخاءالحقيقي لها، وهل يحرص على امنها واستقرارها وعلى قيادتها الى كل تطور ممكن لأهدافها وطموحاتها، وهل يهتم بما يريده الناس أم انه يختار لهم ما يريده هو، وهل يدرك حركة التاريخ وطبيعة العصر وحدود قدراته وامكانيات ام انه يهتم بالبريق الشخصي والمجد الشخصي ويسعى الى ان تتحول حياته الى اسطورة بغض النظر عما يلقاه شعبه من معاناة واضرار ومشاكل من جراء اندفاعاته العاطفية ومغامراته السياسية المحسوبة وغير المحسوبة.

اسئلة كثيرة شغلت افكار الفلاسفة ورجال الفكر عبر التاريخ وقام عدد كبي منهم على دراسة ظاهرة الزعيم الفذ والقائد البطل ودورها في حياة الشعوب والأمم وما تتفرد به من قدرات وصفات قيادية خاصة لا تتوافر لغيرهم من أغلبية البشر والناس من حيث القوة والشجاعة والبسالة والايمان والكرم والجود وبعد النظر والارادة الصلبة في كل الظروف، ومن حيث العلم والدراية بفنون وقواعد الحرب والسلام.

- نظرية الزعيم عند سقراط - 470 - 399 ق.م

يعترف سقراط بالموهبة الذاتية والقدرة الفطرية للزعيم والقائد البطل ولكنه يفرض عليه وجوب التسلح والتزود بالمعرفة والمهارات كضرورة لنجاحه كربان قدير ومحنك قادر ومؤهل على قيادة سفينة التاريخ الى بر الأمان، وكان في ذهنه صورة الزعيم والقائد اليوناني (بركليس) الذي عاش سقراط في عهده وكان ذلك الحاكم

والقائد اعظم من انجبته اثينا في العصور القديمة، ويعد من القادة القلائل في تاريخ العالم الذين نجحوا في الجمع بين الفكر والعمل والقيادة والتنظير.

- **نظرية الزعيم لدى أفلاطون** - 428 - 347ق.م

لا يهتم افلاطون كثيراً بالصفات الجسمانية والبيولوجية للزعيم القائد بل يجعل الأولوية للعقل والمعرفة والمقدرة الذهنية وعنده ان محرك الانسان هو ثلاثة امور، المنطق ومدى سرعة الغضب ومدى التحكم في الشهوة، فمن يحكمه العقل فهو مؤهل للحكم ومن تحكمه العاطفة الغضبية فهو مؤهل للحرب، واما من تتحكم فيه الغريزة والشهوة فهو مؤهل للإنتاج كفلاح او عامل او صانع.

- **نظرية الزعيم عند نيقولا ميكيا فيللي** - 1469 - 1527م

يربط ميكافيللي ابو مدرسة الثورة الواقعية في العصر الحديث الزعامة والقيادة بالأمير اوالحاكم الموهوب والمحبوب الذي يقود البلاد بالدهاء والقوة وسعة الحيلة والذي يجب ان تتوفر فيه صفات وجبروت الاسد ومكر وخبث الثعلب معاً.

- **نظرية الزعيم لدى شكسبير** - 1564 - 1616م

يقسم الروائي البريطاني الكبير والشهير (شكسبير) العظمة الى ثلاثة أنواع: العظيم الذي يولد عظيماً بالفطرة والتكوين، والعظيم العصامي الذي يصنع عظمته بنفسه من واقع المواقف والتجارب القاسية التي خاضها ونجح في تجاوزها واكتسب ثقة ومحبة الغير فيه، وعظيم ثالث تدفع اليه العظمة بالظروف والمقادير وينجح في اثبات أحقيته لها.

- **نظرية الزعيم عند فردريك ميجل** - 1770 - 1831م

ويرى هيجل وهو اهم واشهر فيلسوف في القرن التاسع عشر الميلادي أن الزعماء العظام هم وكلاء لروح العالم التي تتقمص الافراد والزعماء اصحاب الرسالات التاريخية، وحسب منهجه الجدلي ومذهب المثالية الغربي فإن الدولة لا تنتمي الى العالم المحسوس بل الى عالم الروح فهي التجسيد الكامل للروح الكونية على الارض، وان المعبر عن الدولة وروح الامة هو الزعيم البطل الذي يتحول مدفوعاً بقوة

خفية ويقود بالإلهام تجاه الاهداف المحددة له وانه بعد الوصول اليها يسقط كقشرة الحب الفارغة، وعند هيجل فإن كل شيء في الحياة وفي العالم المحسوس هو في تحول وتطور «مستمر صيرورة» وما التاريخ وما الطبيعة سوى تطور الروح المطلق في الزمان والمكان وينتهي الى مطالبة السواد الاعظم من الناس العاديين بوجوب طاعة الدولة وقوانينها لأنها تحقق لهم ذاتهم وقيمتهم الروحية.

- **نظرية الزعيم لدى كارليل** - 1795 - 1881م

وهو من انصار ودعاة عبادة القائد البطل وحكم القائد البطل ويقول: ان التاريخ الكوني هو في جذوره تاريخ عظماء الرجال الذين عملوا في هذه الارض ويرى ان الزعيم الملهم والقائد البطل لا يستطيع ان يحقق شيئاً بمفرده ولوحده بل يجب الالتفاف حوله ومساعدته على أداء رسالته وتحقيق مهمته في الحكم والادارة.

- **نظرية الزعيم لدى نيتشه** - 1844 - 1900م

كان فيلسوف القوة الألماني نيتشه مع فكرة القائد البطل المبرز «السوبرماند» وعنده ان الاحداث والتطورات العظيمة هي من صنع الزعماء العظام بعيداً عن الجماهير وحكم الجماهير وكانت له نظرة قاسية تجاه العوام والغوغاء الذين يصفهم بالقطيع المنقاد، وحشرات المجتمع والكائنات المرقعة.

- **فولتير** - 1694 - 1778 **ونظرية الزعيم**

ويعتبر فولتير الأديب والكاتب والناقد الفرنسي الشهير من المعجبين بالقادة والزعماء العظام والابطال وفي مزحة نقدية له مع اعضاء البرلمان الفرنسي قال: انني افضل ان اطيع اسداً قوياً وجميلاً ولد وهواقوى مني من ان اطيع مئتي جرذ من امثالي واضاف قائلاً: ان الاسد هو الاسد والجرذ هوالجرذ ولن يتحول الاسد الى جرذ ولن يتحول الجرذ الى اسد ابداً.

- **نظرية الزعيم عند العقاد** (1889 - 1964م)

يعد الكاتب والعالم والشاعر والاستاذ محمود عباس العقاد من رعاة حقوق الانسان ومن انصار حرية الفرد والديمقراطية وهوايضاً من المدافعين عن ظاهرة التفرد

والعظمة والشخصيات المحركة للتاريخ، وفي تحليله لنظرية الزعيم فهو يعلي من شأن الاستعداد النظري والجوانب الشخصية والجسمانية والعصبية، ويؤخذ عليه وهو صاحب مؤلفات العبقريات الاسلامية اهماله الكبير للجوانب الروحية ودور التربية الاجتماعية والدينية واثرها في تكوين الزعيم وشخصية الزعيم ونهجه في الحكم واهدافه وتاريخنا وتراثنا الاسلامي يثبت ما لهذه الجوانب من تأثيرات ايجابية كبيرة على قادة وابطال الفتوحات الاسلامية الذين تأثروا بنهج النبوة المحمدية ومدرسة محمد - صلى الله عليه وسلم .

- **نظرية الزعيم ونمو الحضارات عند توينبي توفى عام 1975م**

ينتهي تناول المؤرخ والمفكر العالمي البريطاني الشهير توينبي لنظرية الزعيم وعلاقتها بالتقدم والنمو الحضاري الى القول: بأن نمو الحضارة وتقدمها وثيق الصلة بعلاقة القائد البطل مع شعبه وجماهير أمته، فإن وجد القائد وتجاوبت معه الجماهير «مدى الثقة والاستجابة المتبادلة» يحدث النمو وتتقدم الحضارة، واذا وجدت القيادة العبقرية ولم تستجب لها الجماهير فلا تقدم ولا نمو حضاري، كذلك إذا تطلعت الجماهير الى قيادة ولم تجدها او منيت بقيادة لا تثق فيها فهنا ايضاً لا يتحقق التقدم ولا تنمو الحضارة.

- **اما الفيلسوف الفارابي في كتابه الشهير (المدينة الفاضلة)** القائد بأنه منبع السلطة العليا والمثل الأعلى الذي تتحقق في شخصيته جميع معاني الكمال، وهو مصدر حياة المدينة ودعامة نظامها، ومنزلة القائد للأفراد كمنزلة القلب بالنسبة لسائر أنحاء الجسم، لذلك لا يصلح للقيادة إلا من زود بصفات وراثية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين.

وقال الفارابي بأن قائد المدينة الفاضلة وهوالقائد السياسي أو العسكري، يجب أن يتصف بالمزايا والمواصفات التالية - أن يكون شجاعاً - أن يكون ذكياً - أن يكون تام الأعضاء وسليم الحواس - أن يكون جيد الفهم والتصور لكل ما يقال أمامه - أن يكون حسن العبارة وقوي اللسان - أن يكون محباً للعلم والعلماء - أن يكون صادقاً ومحباً للصدق والوفاء.

أن يكون محباً للعدل ويكره الظلم - أن يكون كبير النفس محباً للكرامة - يجب أن لايهتم بجمع المال - يجب أن يكون أجتماعياً ومتواضعاً - أن يكون قوي العزيمة على الشئ الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل، جسوراً مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس

- **اما الزعيم الفرنسي نابليون** فقد قال - لا يستطيع أحد ان يقود أفراداً دون أن يقوم بتوضيح المستقبل الخاص بهم، فالقائد هو بائع الأمل من خلال هذا القول يتضح لنا أن الدور الأعظم للقائد هو بلورة الرؤية والأهداف البعيدة

- **ويقول فوش** بأن قيادة الرجال لاتعني أبداً أن يكون القائد غامضاً، ذلك أن القيادة أمر بسيط، ولكن المهم أن نفهم من نتعامل معهم وإفهامهم رأينا

والشخص القيادي هو الذي يحتل مرتبة معينة في المجموعة ويتوقع منه تأدية عمله باسلوب يتناسق مع تلك المرتبه والقائد هو صاحب السلوك المعتدل المثقف الواعي المدرك لكل شيء وهو الامين على مصالح الافراد والجماعات والوطن والقائد هو ميزان الحق والمرجعية المثلى المراعي لشؤون العامة والحكم والمفصل الذي تؤول اليه مسؤولية نشر العدالة واضفاء الامن والطمانينة في نفوس الناس والقائد هو المسؤول عن امن وسلامة الوطن والمجتمع وحمايتهما من تسلط المسؤولين وتفشي الظلم والفساد من المفسدين ومحاربة الظلم ونشر العدل بين الناس، والقائد هو الذي يضع استراتيجية القيادة الفعالة وهي عملية ابتكار الرؤية البعيدة الرحبة وصياغة الهدف ووضع الاستراتيجية وتحقيق التعاون واستنهاض الهمم للعمل والقائد هوالذي يصوغ الرؤى للمستقبل آخذاً في الاعتبار المصالح المشروعة البعيدة المدى لجميع الاطراف المعنية.
والقائد هو الواجهه الحضارية والصورة المشرقة للوطن والشعب ، وهو المدرك لخصوصية الاوضاع السياسية والاقتصادية والحريص على مصالحه مراعيا المعادله السياسية العالمية ومراعيا موقع بلده من الاحداث المحيطه ، وهو الذي يعمل بحكمة ومسؤولية عاليه لتجنيب وطنه المصائب التي تتعرض لمثلها بقية الاوطان.

صفات القائد

القائد شخص يدرك مسؤولياته إدراكاً جيداً، وشعور المسؤولية هذا جزء لا يتجزأ من كيانه، فلو تفرق عنه جميع من حوله واحداً إثر واحد فهو يبقى مستعداً لتحمل التبعات الثقيلة لدعوته حتى النهاية وإن أصبح وحيدا، أجل، هذا هو مقدار شعوره بالمسؤولية، وليس هناك أمر أو عائق يستطيع إضعاف هذا الشعور الذي يتحول عنده إلى قناعة فكرية ثابتة .

على كل زعيم أن يملك قابلية إعطاء القرارات الصحيحة، يعد إعطاء القرار بمثابة الأسس للأعمال التي يجب إنجازها، ولكن كما يمكن إعطاء قرار غير صائب كذلك من المحتمل أن يكون القرار خاطئا من ناحية التوقيت كذلك، فالقرارات المتأخرة أو المتقدمة عن أوقاتها الصحيحة تعد قرارات خاطئة، لذا فإن القرار الصائب الذي يتخذه أي زعيم يتميز عن أي قرار آخر اعتيادي بأنه قرار صائب متخذ في وقته المناسب تماماً .

هناك أوقات مهمة يجب فيها اتخاذ قرار سريع، والزعيم يتميز عن الآخرين في مثل هذه الأوقات بقابليته على اتخاذ القرار السريع الذكي والصائب، هذا مع أن القرارات المتخذة على عجل تكون في الغالب قرارات خاطئة لأن العجلة تكون عادة ضد الصواب ويصعب أن يوجدا معاً، والزعيم هو رجل مثل هذه الأوقات الصعبة حيث يستطيع الجمع بين هذين الضدين .

على كل زعيم أن يملك شجاعة فطرية، من لم يكن شجاعاً لا يمكن أن يكون زعيماً، فعلى الزعيم أن يكون شجاعاً رابط الجأش قوي القلب، فقد يأتي يوم يبقى فيه وحيداً وشجاعته الفطرية تنقذه آنذاك من التذلل، في مثل هذه الأوقات التي يضطر فيها الزعيم والقائد إلى تحمل تبعات دعوته وحده عليه أن يتصرف وكأن الآلاف خلفه، وذلك لكي يستطيع الوصول إلى هدفه .

أجل، على القائد والزعيم ألا يخاف من الموت أبداً، فالذي يخاف من كل شيء ويخشى من كل خطوة ومن كل أمر لا يمكن أن يكون قائداً ينظم ويدير جماعته .

القائد رجل الإرادة التي لا تلين، فليس من الممكن له الرجوع عن قراره ولا تبديل إيمانه وعقيدته ولا إعطاء أي تنازل عنها، فالأمل صديقه الذي لا يفارقه، أما اليأس فعدوه الكبير الذي لا يقربه حتى في الأحلام، فالعراقيل الموجودة أمامه مهما كانت كبيرة لا تثنيه عن عزمه ولا تضعف من إرادته، فهو يملك قوة معنوية وروحية يغلب بها اليأس، وإلا فكيف يكون باستطاعته جذب الجماهير خلفه، أجل، إن القائد شخص ذو إرادة فولاذية لا تلين .

على الزعيم أن يكون بعيد النظرة يتجاوز زمنه، ويكتشف مسار الحوادث المستقبلية بحدسه وبفكره الثاقب ويراها مثلما رأى الأحداث الماضية ويعطي أحكامه وقراراته على هذا الأساس. ولكن إن كانت الأيام تثبت على الدوام عكس ما أمله وما توقعه وتنقض حدسه فليس في إمكانه إقناع من برأسه سكة من عقل .

على الزعيم أن يرى المستقبل لكي تكون قراراته نهائية، وإلا اضطر إلى تبديل قراراته على الدوام حسب تقلب الأيام، وهذا سيولد الخلاف الفكري والشقاق بين جماعته، وهذا يؤدي إلى انهدام الجماعة. فالقرارات المتغيرة على الدوام ستؤدي إلى تفتيت الجماعة إلى أفراد كل منهم يحمل فكراً خاصاً به.

وعلى القائد أن يكون ذا بصيرة نافذة وفراسة حادة .

على القائد أن يكون إنساناً مستقراً من الناحية النفسية لا يتأثر ولا يغير وضعه تحت تأثير أي حادثة، فلا يغره أروع النجاحات ولا يغيره أكبر الانتصارات، وعندما يواجهه الفشل يقوم بحماسية نفسه .

القائد هو الشخص الذي بَعُد عن وضاعة النفس واستمر في طرز حياته البسطية المتقشفة، يعيش حياته بتناغم موسيقي هادئ، بل إن القائد الجيد هو ينهي حياته بمستوى أعلى من البداية التي بدأها، وهذا لا يتم إلا إذا كان القائد يملك نفساً متواضعة تمام التواضع لكي لا ينسى أيامه الأولى ولا أصدقائه السابقين .

القائد شخص يعرف التقييم الجيد للأفراد، ويعرف أكثر من غيره نوعية الأفراد الموجودين تحت قيادته، ويعرف أين يستعمل ومن يستعمل منهم وفي تحقيق أي

هدف. والشخص الذي لا يعرف توزيع الأعمال حسب القابليات، ولا يسجل نجاحاً في هذا الأمر لا يستطيع أن يكون ليس فقط قائداً بل حتى إدارياً جيداً .

على القائد أن يودع كل عمل إلى أليق الأشخاص لذلك العمل وأكثرهم قابلية في إنجاز ذلك العمل، فالقائد أفضل من يقوم بهذا التقييم ويقوم بتوظيف القابليات والاستفادة منها على الدوام، وهو عادة لا يضطر إلى الرجوع عن قراراته السابقة في هذا المجال لأنه يملك بوصلة حساسة في تقييم القابليات ووزن الرجال، طبعاً عدا استثناءات قليلة لا يمكن لأي إنسان التخلص منها .

القائد هوالشخص الذي يحب رعيته بحيث أن كل فرد منهم يشعر أنه أقرب إلى قلبه من الآخرين، وهو الشخص الذي تقابله رعيته أيضا بالحب، ثقته بالرعية وثقة رعيته به تامة .

القائد المنزه، لا يوجد في أي مرحلة من مراحل حياته شيء يمكن إشهاره في وجهه كتهمة، فماضيه معروف كحاضره، وماضيه نقي كحاضره، ولو قام أحد بتدقيق ماضيه ،سواء بنية سيئة أو حسنة لما وجد فيه ما يخجل منه، ولو أصبحت الدنيا بأجمعها خصما له لما استطاعت إلقاء أي ظل من الشك على عفته وسمعته طبعاً إن تم الالتزام بالصدق ولم يسلكوا سبل الكذب والافتراء .

القائد المميز له جوانب عديدة وميزات كثيرة، واستطاع التميز في مجتمعه في كل جانب من هذه الجوانب، ولا يمكن لأحد أن يجد أي عيب في تصرفاته وسلوكه، وكلما دققت جوانبه المختلفة تبين هذا الأمر أكثر فأكثر .

السلوك القيادي عند اتخاذ القرار

هناك أربعة أساليب أساسية للسلوك القيادي عند اتخاذ القرار وذلك حسب نظرية بلانشارد، وهي التي أطلق عليها القيادة الظرفية أو الموقفية، أي القرار الذي تتخذه هذه القيادة في ظرف ما تجاه موقف معين، وهذه السلوكيات الأربعة هي:

1. السلوك التوجيهي

هو السلوك الذي يكون الاتصال فيه باتجاه واحد، بين الموجه والمتلقي، وفي هذا السلوك يبين القائد فيه دور المتلقي، ماذا عليه أن يعمل، وأين، ومتى، وكيف، ويكون حجم المراقبة في هذا السلوك مرتفعاً، والتشجيع ضعيفاً، القائد إلى هذا السلوك، عندما يكون المتلقي مبتدئاً وقليل الخبرة، ودرجة نضجه قليلة، وكفاءته قليلة، ولكن التزامه مرتفع، ومتحمس للتعلم.

2. السلوك التدريبي

هو السلوك الذي يكون الاتصال فيه باتجاهين، بين المدرب والمتدرب ويبين القائد هنا توجيه مرتفع وتشجيع مرتفع أيضاً، ويعمد إلى تفسير قراراته، ويطلب رأي المتلقي، يوجه عملية التنفيذ، والقائد يسلك وسيلة الإنصات والتشاور قبل اتخاذ القرار، ويلجأ القائد هنا يوضح الأدوار والأهداف ويعطي المتلقي تعليمات واضحة ويراقب سير المهمة، ويلجأ القائد إلى هذا السلوك عندما يكون المتلقي في طور التقدم، وعنده بعض الكفاءة، وخبرته لا بأس بها، ولكنه أقل تحمساً، وثقة بنفسه، والتزامه ضعيف.

3. السلوك التشجيعي

هو السلوك الذي يكون فيه الاتصال باتجاهين، بين القائد والمتلقي، والقائد هنا يستعمل الوسائل الإتصالية التالية: الإنصات، وتشجيع وتسهيل التعاون والتداخل، يشارك المتلقي باتخاذ القرارات. وفي هذا السلوك يكون التوجيه ضعيفاً، والتشجيع مرتفعاً، وتتخذ القرارات في هذه الحالة بشكل جماعي، ويشجع القائد المتلقي، ويدعمه لتحقيق مهمته. وهنا يلجأ القائد إلى تحويل تدريجي للقرارات وحل المشكلات إلى المتلقي لكي يتخذها، ويلجأ القائد إلى هذا السلوك، عندما يكون المتلقي متقدماً في طور النضج، ولكنه متأرجح الثقة بنفسه، والتزامه متغير ومتقلب، وحماسه أقل، لكنه خبير بعمله وكفاءته عالية.

4. السلوك التفويضي

هو السلوك الذي يكون الاتصال فيه باتجاهين، بين المفوض والمفَوض والقائد هنا يقوم بتوضيح المشكلة أو القضية المطروحة، ثم يفوض المتلقي لاتخاذ القرارات وحل المشكلات بالطريقة المناسبة. ويكون سلوك التوجيه والتشجيع هنا ضعيفاً، وتكون القرارات ومسئولية التنفيذ على عاتق التابع، ويلجأ القائد هنا إلى هذا السلوك عندما يكون المتلقي ناضجاً، وذاتي الاندفاع، وخبيراً بعمله، وكفاءته عالية، والتزامه مرتفع، ومنجز موفق إذا حصل على الدعم والتشجيع اللازمين.

المراجــع

- مقدمة ابن خلدون
- الكتور حسن علي عبدالمجيد / التقنية النفسية
- الشفاء / الجزء الأول
- موسوعة علم النفس / الدكتور عبدالمنعم الحنفي
- أ.د. عبدالعزيز بن علي الغريب / العلوم السلوكية والاجتماعية
- الحسين 202
- الظاهري 2002
- الشنقيطي 1998
- لتوستر
- الاستاذ الدكتور محمد المهدي / علم النفس
- الكتور محمد عثمان نجاتي
- قمير 1982
- الأخلاق الرئاسية / ةجيمس دافيد باربر
- بوش تحت المجهر / جوستن فرانك / ترجمة سعيد الحسنية
- مجلة شنتيرن الالمانية
- مجلة اتلانتك الامريكية
- بيتر غروس / اسرائيل في ذهن امريكا
- اليهودية في ضوء التحليل النفسي / عبدالمنعم الحفني
- جاكلين روز / جامعة كوين ماي البريطانية
- ماريلين ليك / جامعة لاتروب البريطانية
- الشخصية اليهودية والروح العدوانية / رشاد الشامي
- الموقع الالكتروني للدراسات المستقبلية
- الموقع الالكتروني مركز الدراسات النفسية والنفسية الجسدية/ لندن
- اليهود والقرابين البشرية / محمد فوزي
- نهاية اليهود/ ابي الفداء محمد عارف

- الاستاذ الدكتور محمد احمد النابلسي / يهود يكرهون انفسهم
- روجية غارودي / الأساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية
- د.غازي ربابعة، الإستراتيجية الإسرائيلية للفترة 1948- 1967،
- د.محمد محمود ربيع، أزمة الفكر الصهيوني المعاصر، المؤسسة العربية للدارسات والنشر (بيروت)،
- د. حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم (دمشق)،.
- أنـور الجنـدي، المخططـات التلموديـة اليهوديـة الصـهيونية، دار الاعتصـام (القاهرة)، 1977.
- Barzohar, The armed prophet: A Biography of Ben Gurion, Mi . 15London: Arther Barker K p. translated by Lenortzen
- مركـز الدراسـات السياسـية، الاسـتراتيجية العسـكرية الصـهيونية، مؤسسـة الأهرام، المجلد الثاني، القاهرة،
- إتحاف الأخصا بفضائل الأقصى لأبي عبد الله محمد بن شهاب الدين أحمد بن علي المنهاجي السيوطي- الهيئة العامة للكتاب بالقاهرة 1398 ط 1.
- إظهار الحق لرحمة الله الهندي.تحقيق د.محمد مكاوي. دار الحرمين تحت إشراف الرئاسة العامة الإفتاء بالرياض.ط2 سنة 1413هـ.
- الامبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية. د. بشير موسى نافع. دار الشروق ط1 سنة 1420هـ.
- البداية والنهاية للحافظ ابن كثير مكتبة المعارف بيروت ط1 سنة1966م. تاريخ الطبري- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط2 دار المعارف بمصر سنة1962م.
- تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير. مكتبة مصر بالفجالة. تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن ط/دار الغد العربي بالقاهرة.

- التوراة السامرية ترجمة أبي الحسن الصوري ونشرد.أحمد حجازي السقا. دار الأنصار بالقاهرة ط1 سنة1398هـ.

- الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح للإمام الألوسي البغدادي. دار البيان العربي.

- خطط الشام لمحمد كرد علي. ط/ دار العلم للملايين بيروت سنة1389هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم للإمام الآلوسي ط/ دار الفكر سنة1417هـ.

- السيرة النبوية لابن هشام تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي.ط2 مؤسسة علوم القرآن.

- عروبة بيت المقدس د. إسحاق موسى الحسيني من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد 67 لسنة1421هـ.

- علامات النبوة لعبد الملك علي الكليب مكتبة القدس بالمنوفية ط1لسنة1415هـ. فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري تحقيق د.صلاح الدين المنجد مكتبة النهضة المصرية.

- في الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين لمحمد عزت الطهطاوي ط/ دار التراث سنة1399هـ. (القدس) تقرير شهري يصدر عن مركز الإعلام العربي. القدس عربية. من مطبوعات الهيئة العامة للاستعلامات في جمهورية مصر العربية .

- القدس عربية إسلامية د.فرج راشد. من مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة 2000م.

- القدس قضية كل مسلم د. يوسف القرضاوي.مكتبة وهبة ط2 سنة2000م. القدس مدينة السلام عبر التاريخ. من مطبوعات الجمعية الرئيسية بالقاهرة.

- الكامل في التاريخ. لعز الدين أبي الحسن المعروف بابن الأثيرط/ دار صادر سنة 1402هـ. الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط عن الترجمة اليونانية سنة 1865م.

- لسان العرب- لابن منظور /دار المعارف بالقاهرة.

- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن. لمحمد عزت الطهطاوي. مطبعة التقديم.
- المسجد الأقصى ومعركة النصر والفتح للشيخ عبد اللطيف المشتهري ط/دار الاعتصام.
- نهاية اليهود لأبي الفداء محمد عزت عارف. دار الاعتصام بالقاهرة. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. للإمام ابن القيم تحقيق د. أحمد حجازي السقا دار الريان ط/ الدار السلفية.
- الوفا في أحوال المصطفى. للإمام ابن الجوزى تحقيق مصطفى عيد الواحد.ط1 سنة1386هـ دار الكتب الحديثة بعابدين.القاهرة. المعجم الموسوعي في علم النفس.
- موقع العلوم النفسية
- تركي على الربيعو / مجلة نزوى
- المركز العربي للدراسات المستقبلية
- القيادة العسكرية الناجحة – اللواء الركن هشام صباح الفخري ، بغداد ، الطبعة الأولى ، 1984 م .
- القيادة والآمرة – جامعة البكر للدراسات العليا ، ، بغداد ، 1984م.
- السبيل الى القيادة – مونتغمري – ترجمة العميد الركن حسن مصطفى ، بيروت ، دار الطليعة ، 1966م.
- القيادة عقل وقلب – الفريق الركن إسماعيل تايه النعيمي ، ، مديرية التطوير القتالي ، العدد 30 ، 1984م .
- علم الأجتماع ومدارسه – د. مصطفى الخشاب ، ج1 ، الدار القومية ، القاهرة ، 1965م.
- القيادة عقل وقلب – الفريق الركن إسماعيل تايه النعيمي
- علم النفس – كامل علوان الزبيدي ، ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1988م.

المؤلف

هانـــي محمود الكايد

كاتب وباحث ومؤرخ

امين عام اتحاد الكتاب والأدباء الاردنيين

صدر له

- آمال تتلاشى وآلام تتوقد ، نثر سياسي
- اعلام من الجيش العربي
- مجموعة كبيرة من الدراسات السياحية
- الدولة العباسية والدويلات الانفصالية ، تاريخ
- خلاصة فكر ، مجموعة اعمال وطنية
- الأمير الشاعر والفارس العربي نمر بن عدوان ، حياته ونسبه وشعره
- ادارة وهيكلة المؤسسات الأعلامية في الوطن العربي
- قصة وطن – رواية
- مسلسل تلفزيوني (الشيخ مثقال الفايز)
- كاتب مقال في عدد من الصحف الاردنية والعربية

تحت الطبع

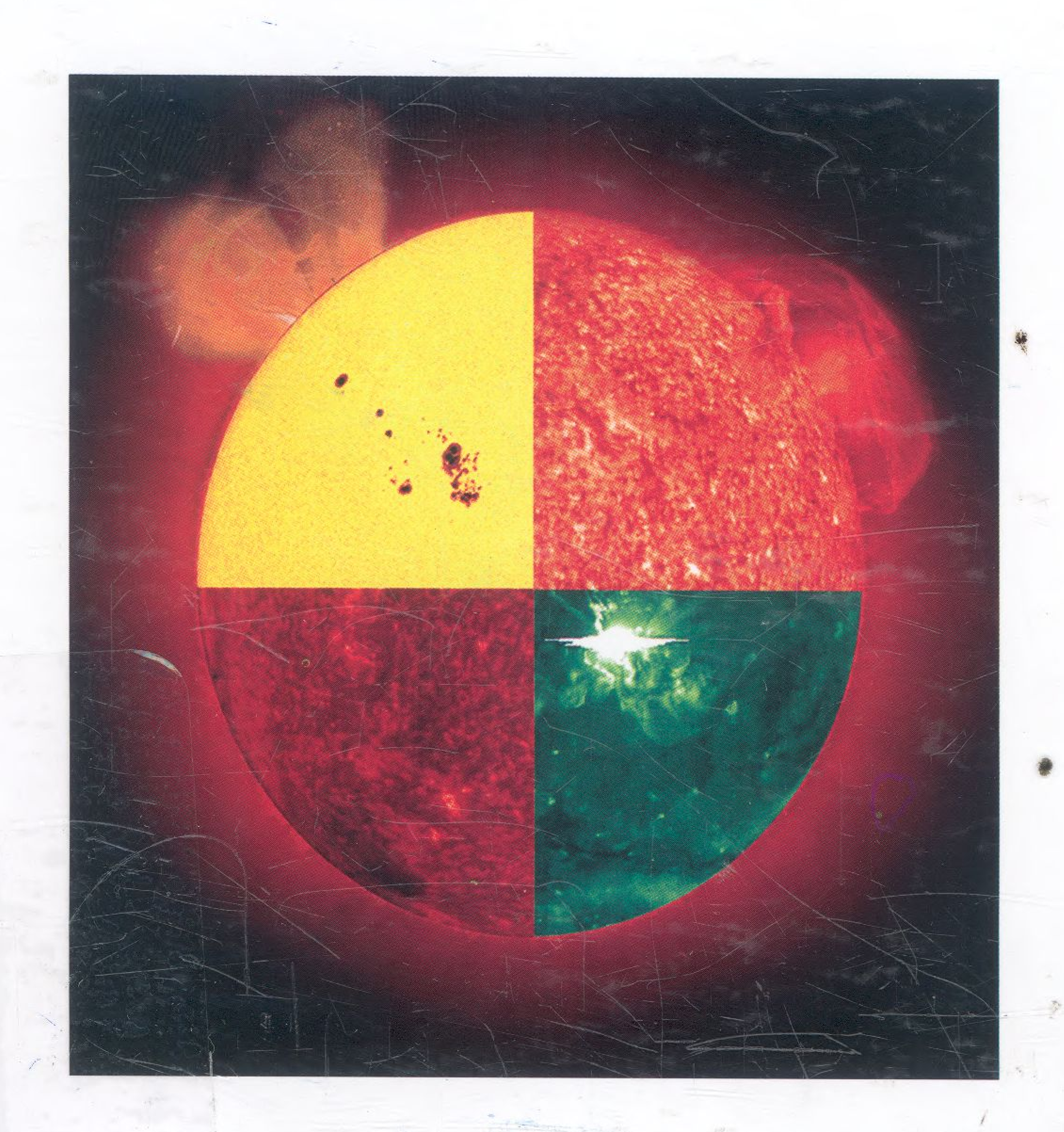
- الشهيد هزاع المجالي
- الشيخ مثقال الفايز
- قراءة في مباديء علم الاجتماع

المخطوطات

- (الجامع لأصول وانساب القبائل العربية) موسوعة .

علم النفس

السلوك القيادي





دار الراية للنشر والتوزيع

الأردن-عمان
شارع الجمعية العلمية الملكية - المبنى الإستثماري الأول للجامعة الأردنية
هاتف: 5338656 فاكس:96265348656+
ص . ب : 1147 عمان - الجبيهة
Email:dar_alraya@yahoo.com



